الموسوعة الكونية الكبرى

آيات الله

في خلق الكون ونشأة الحياة

في السماء الدنيا والسموات السبع

د. ماهر أحمد الصَّوفي

الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

٢٦٩ عالماً وباحثاً شاركوا بآرائهم في هذه الموسوعة

قدّم للموسوعة

د. محمد سعيد رمضان البوطي

د. عكرمة سليم صبري — د. محمد جمعة سالم

د. فاروق حمادة — د. عبد المعطي البيومي

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

الموسوعة الكونية الكبرى

آيات الله

في خلق الكون ونشأة الحياة وفي السماء الدنيا والسماوات السبع

د. ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

٢٦٩ عالماً وباحثاً شاركوا بآرائهم في هذه الموسوعة

قدّم لها:

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور عكرمة سليم صبري | الدكتور محمد جمعة سالم

الدكتور فاروق حمادة | الدكتور عبد المعطي البيومي

٣-٤

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا
تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا
بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا
﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ
انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا
﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

صدق الله العظيم

آيات الله

في خلق الكون ونشأة الحياة

الجزء الثالث

قدَّم
للموسوعة الكونية الكبرى
كل من السادة الأفاضل

١ ـ الدكتور : **محمد سعيد رمضان البوطي** ـ المفكر والداعية الإسلامي الكبير دمشق ـ سوريا .

٢ ـ الدكتور : **عكرمة سليم صبري** ـ خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدسة .

٣ ـ الدكتور : **محمد جمعة سالم** ـ وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف . دولة الإمارات العربية المتحدة .

٤ ـ الدكتور : **فاروق حمادة** ـ أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس المغرب ـ الرباط .

٥ ـ الدكتور : **عبد المعطي البيومي** ـ عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر ـ القاهرة جمهورية مصر العربية .

أسماء وعناوين أجزاء
الموسوعة الكونية الكبرى

١ ـ الجزء الأول : آيات العلوم الكونية وفق أحدث الدراسات الفلكية .

٢ ـ الجزء الثاني : آيات العلوم الكونية وفق أحدث النظريات العلمية .

٣ ـ الجزء الثالث : آيات اللَّه في خلق الكون ونشأة الحياة .

٤ ـ الجزء الرابع : آيات اللَّه في السماء الدنيا والسماوات السبع .

٥ ـ الجزء الخامس : آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية .

٦ ـ الجزء السادس : آيات اللَّه في خلق الأرض وتأمين معايشها .

٧ ـ الجزء السابع : آيات اللَّه في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان .

٨ ـ الجزء الثامن : آيات اللَّه في البحار والمحيطات والأنهار .

٩ ـ الجزء التاسع : آيات اللَّه في الجبال والصحاري والغابات .

١٠ ـ الجزء العاشر : آيات اللَّه في النبات والثمار والأزهار والألوان .

١١ ـ **الجزء الحادي عشر:** آيات اللّه في خلق الحيوانات البرية والبحرية وبعثها وحسابها.

١٢ ـ **الجزء الثاني عشر:** آيات اللّه في ممالك الطير والنحل والنمل والحشرات.

١٣ ـ **الجزء الثالث عشر:** آيات اللّه في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل.

١٤ ـ **الجزء الرابع عشر:** آيات اللّه في خلق الإنسان وبعثه وحسابه.

١٥ ـ **الجزء الخامس عشر:** آيات اللّه في النوم والرؤى والأحلام ورؤية الاستخارة.

١٦ ـ **الجزء السادس عشر:** آيات اللّه في الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم.

١٧ ـ **الجزء السابع عشر:** آيات اللّه في الإعجاز التشريعي والغيبي في القرآن الكريم.

١٨ ـ **الجزء الثامن عشر:** آيات اللّه في الأرقام ومعانيها وفواتح السور في القرآن الكريم.

١٩ ـ **الجزء التاسع عشر:** آيات اللّه في الموت ونهاية الكون.

٢٠ ـ **الجزء العشرون:** آيات اللّه في قيام الساعة وبعث الخلائق وتبديل السماوات والأرض.

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾

[سورة الأنبياء، الآيتان: ١٦، ١٧]

يقول تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٠]

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

يقول تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

[سورة الذاريات، الآية: ٤٧]

يقول تعالى:

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾

[سورة النازعات، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩]

حديث شريف

قال رسول الله ﷺ:

« **ما السماوات السبع للكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة وما السماوات السبع والكرسي للعرش إلا كحلقة ملقاة في فلاة**» رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٤٢.

« **اللّهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأراضين السبع وما أقللن** » رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٤٢.

وفي الحديث القدسي:

« **يا موسى لو وزنت السماوات السبع والأراضين السبع بكلمة لا إله إلا اللّه لوزنتهم** » رواه ابن ماجه.

« **بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام** » رواه البيهقي في كتاب شعب الإيمان.

« **كثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة** » المحدث ابن القيسراني، المصدر «ذخيرة الحفاظ، الصفحة والرقم ١٨٦٨/ ٤ وقد ذكره السيوطي في ضعيف الجامع برقم ٦٠٩٣.

الإهداء

وهبت عملي:

إلى اللَّه تعالى.... ربنا ورب السماوات السبع والأراضين السبع، وما بينهما ورب الخلق أجمعين، الذي لا تضيع عنده الأعمال الصالحات، القائل في محكم كتابه:

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾.

والقائل: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

فتقبل مني إنك أنت العليم الخبير.

وإلى رسول اللَّه ﷺ الذي بيّن لنا في أحاديثه الشريفة الكثير عن حقائق الخلق، ونشأة الكون وخلق السماوات والأرض، والإنسان، والحيوان، والنبات، والبحار، والأنهار، والجبال، والطب.... وبيّن لنا كيف تكون نهاية الحياة، وانفطار السماوات، وقيام الساعة، وكيف يكون البعث والنشور والحشر، ويوم القيامة..

اللَّهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله صلاة أهل السماوات والأراضين، واجعلنا اللَّهم بالصلاة عليه من الفائزين، وبسنته من العاملين، وعلى حوضه من الواردين، وبشفاعته من الناجين، ومنه ومن آله وصحبه في جنات النعيم من المقربين.

هذه الموسوعة الكونية الكبرى

تشتمل في أجزائها العشرين على علوم جمعت أكثر من خمسين علماً فصلت القول فيها مستمداً العون من:

١ ـ كتاب اللّه تعالى.

٢ ـ سنة رسول اللّه ﷺ.

٣ ـ من كبار المفسرين لكتاب اللّه تعالى وسنة رسوله ﷺ.

٤ ـ من العلوم والمعارف الإنسانية وفق أحدث النظريات العلمية الحديثة.

٥ ـ من الموسوعات العالمية والإسلامية والعربية.

٦ ـ من الموسوعات الشخصية لكبار الكتاب والمؤلفين المعاصرين.

٧ ـ كبار المفسرين والعلماء والباحثين والمفكرين.

٨ ـ وقد استمدت هذه الموسوعة الآراء والأفكار من ٢٦٩ عالماً وباحثاً في شتى العلوم والمعارف الإنسانية.

وقد تحدثت هذه الموسوعة عن خلق الكون، والأرض، ونشأة الحياة، وخلق الإنسان، والحيوان والطير والحشرات، والنبات، والنوم، والرؤى، والأحلام، وتحدثت عن الإعجاز في الأرض، والجبال، والبحار، والفضاء، وكذلك تحدثت عن الإعجاز التشريعي والغيبي، والرقمي، واللغوي، وآيات اللّه في الرياح، والمطر، والبراكين.

وقد تحدثت عن نهاية الكون، والحياة، والموت، وقيام الساعة، والحشر، وتبديل السماوات، والأرض.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
المفكر والداعية الإسلامي الكبير
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
دمشق ـ سوريا

«الموسوعة الكونية الكبرى»!!

استوقفني هذا العنوان.. وسألت نفسي: من الذي يملك أن يضع موسوعة علمية عن الكون كله؟... وهل الكون إلا معجم لكلمات اللّه؟.. ألم يقل اللّه تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

إذن، فلا بد أن يستنفد الباحث الجليل الشيخ ماهر، مياه البحار كلها، مداداً لرسم الكلمات الكونية كلها، مترجمة إلى ظواهر علمية!!.. ولكن أفيمكن هذا؟!..

غير أني نظرت، وأنا أستعرض من هذه الموسوعة بعض أجزائها العشرين، وإذا الباحث حفظه اللّه ينظم من عناوين هذا الكتاب الكوني وحدها هذه الموسوعة الشاملة الكبرى.. ترى ماذا سيكون حجم عمله لو حاول أن يعرض لما تحت العناوين؟..

ومع ذلك، فممّا لا ريب فيه أن إنشاء موسوعة كونية من هذه العناوين وحدها، يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل، وعرض لكل ما يقال اليوم وقيل بالأمس عنها... غير أن التوفيق الذي حالف باحثنا العالم النشيط عندما أخرج لنا «موسوعة الآخرة» سيكون رفيقه إن شاء اللّه في رحلته الكونية هذه.

العقبة التي أود أن أذكِّر أخي الشيخ ماهر بها، وهو ماضٍ في رحلته العلمية

الفريدة هذه، هي: أنه سيجد الباحثين العلميين الأجانب، لم يتركوا ظاهرة كونية، في سماء اللّه وأرضه وبحاره، وفي غابر الأزمنة ومستقبلها، إلا وأدلوا بتقرير (علمي) حسب قناعاتهم بشأنها، فيتلقفها الناس أَو جُلُّهم على أنها حقائق علمية ثابتة. ولا ريب أن هذا التعميم في الحكم ينطوي على خطأ كبير.

إن قرار «**المنهج العلمي لمعرفة الحقائق**» يقول: إن الظواهر الكونية المادية الخاضعة للتجربة والمشاهدة، لا يمكن أن يتم الوصول إلى يقين علمي بشأنها إلا عن طريق التجربة والمشاهدة.. وأقول: إن هذا ممكن وميسور لا سيما في هذا العصر الذي تكاثرت وتطورت فيه أجهزة المشاهدة والتجربة.. أما حقائق الماضي السحيق أو المستقبل البعيد، فهي من الغيب الذي لا سبيل إلى العلم به إلا عن طريق الاعتماد على الخبر الصادق بشروطه العلمية المعروفة.

غير أن الغربيين اليوم يقتحمون بأفكارهم ظلمات الماضي واحتمالات المستقبل، وينسجون من تخيلاتهم التي يعودون بها، ما قد يجزمون بأنه من الحقائق العلمية، كحكمهم الغيبي بأن الكون قد انبثق أيام كان معدوماً من **الانفجار الأعظم**، وكقرار كثير منهم بأن الإنسان كان ينتمي إلى فصيلة حيوانية أقل شأناً، ثم تطور صعداً تحت سلطان قانون البقاء للأصلح، وكالتوقعات المستقبلية المتعلقة بالفلك ومصير الأرض والإنسان.. فهذه الأحكام وأمثالها لا تعلو فوق درجة الفرضيات أو النظريات. ومن ثم لا يجوز اتخاذها سنداً في تفسير أو تأويل شيء من كلام اللّه عز وجل عن الكون في القرآن.

إن المأمول أن يكون لهذه الموسوعة صدى إيجابي كبير في الأوساط العلمية والإسلامية، إن سار باحثنا الجليل في رحلته العلمية الموسوعية هذه، ملتزماً قواعد منهج البحث عن الحقيقة، واضعاً الأحكام الغربية المتسرعة عن غيبيات الكون تحت مجهر النقد. وذلك من واقع اهتماماته العلمية ونشاطاته الفكرية وغيرته الدينية.

واللّه ولي التوفيق.

الدكتور: محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
الدكتور عكرمة بن سليم صبري
خطيب المسجد الأقصى
والمفتي العام للقدس والديار المقدسة

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين المبجلين وصحابته الغر الميامين المحجّلين، ومن تبعهم وسار على دربهم واقتفى أثرهم وسن سنتهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني أمام موسوعة كبيرة في حجمها، غزيرة في معانيها، عميقة في أفكارها، إيمانية في توجهاتها، إنها تجسد جهداً مباركاً فتحه اللّه رب العزة للأخ الفاضل الباحث ماهر أحمد الصوفي حفظه اللّه ورعاه، وزاده بسطة في العلم وما حواه، وجعل الجنة مأواه.

وحينما تمعنت في هذه الموسوعة الزاخرة أيقنت أن أمتنا الإسلامية لم تمت ولم تسترخ بل فيها رجال وعلماء يبحثون وينقبون في كنوز القرآن التي لا ينضب معينها.

فهذه الموسوعة الكونية لم تترك شاردة ولا واردة تتعلق بالآيات الكونية في القرآن الكريم إلا تناولتها للدلالة على عظمة الخالق رب العالمين وقدرته على تيسير الكون وتنظيمه، هذا الكون الذي يسبّح للّه عز وجل ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاء ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣].

هذه (الموسوعة الكونية الكبرى) التي ضمت بين دفتيها عشرين جزءاً بموضوعات متعددة ومتنوعة ومتناسقة ومتكاملة تبرز فيها آيات اللّه عز وجل

وقدرته في أكبر أجرام الكون وتتجلى في أصغر مخلوقاته، سبحانك يا رب ما أعظم قدرك وما أعلى شأنك.

وأرى أن هذا العمل الكبير غير مسبوق في تعداد أجزائه، وتنسيق معلوماته، واشتماله على كثير من العلوم الموثوقة منذ خلق اللّه السماوات والأرض، إلى نهاية الكون وقيام الساعة، وفق أحدث النظريات العلمية المعاصرة.

وإنّه لَمِن البديهيات أن التفكر في نظام الكون وفي مخلوقاته هو عبادة من العبادات، لأنها تقود إلى إيمان فوق إيمان، وإلى يقين فوق يقين.

وعليه فإني أوصي كل إنسان مثقف، مسلماً كان أو غير مسلم، أن يقتني هذه الموسوعة العظيمة ليزداد المسلم إيماناً ومعرفة، ولينشرح صدر غير المسلم للإيمان وقلبه للإسلام.

وأخيراً لا يسعني إلا أن أقول: **جزى اللّه الأخ الفاضل الباحث ماهر أحمد الصوفي على إخراج هذه الموسوعة الكبيرة خير الجزاء**، وأسأله عز وجل أن يكون عمله خالصاً لوجهه الكريم وأن تكون في ميزان حسناته: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾

[سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩].

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد للّه رب العالمين.

الدكتور: عكرمة بن سليم صبري
خطيب المسجد الأقصى
والمفتي العام للقدس والديار المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
الدكتور محمد جمعة سالم
وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبو ظبي

الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً وجعل القرآن هداية ونوراً وبشّر فيه عباده الصالحين أن لهم من اللّه أجراً عظيماً، ورفع فيه ذكر الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات فضلاً منه ورحمة وتكريماً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً. . . فالقرآن الكريم آيات بينات جعله اللّه سبحانه تبياناً لكل شيء بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة النحل، الآية: ٨٩].

فقد نهل منه المفسرون والعلماء على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان مادة أصيلة لكتبهم وعلومهم ومؤلفاتهم، وبذلك تفرعت منه عشرات الآلاف من الكتب تنهل من معينه وعلمه وإعجازه وما أودعه اللّه فيه من علم الأولين والآخرين ولم يبق علم من العلوم إلا استقى مادته واستشهد من هذا الكتاب العظيم فقهاً وتشريعاً وتفسيراً وعلماً، فهو الكتاب الذي أنزله اللّه سبحانه بعلمه ليكون منظماً لحياة الناس في شؤون دينهم ودنياهم.

قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٦].

ولا شك أن القرآن الكريم لما نزل على سيدنا محمد ﷺ نقل البشرية نقلة كبيرة حيث أخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والعلم بما تحتويه آياته الكريمة من إشارات علمية عن هذ الكون العظيم. . . وكانت هذه الإشارات

العلمية مفتاح العلوم والدراسات ومنذ العصور المتقدمة، وعمد مفسرونا السابقون إلى تفسير هذه الإشارات العلمية القرآنية بما آتاهم اللّه سبحانه من علم فمنهم من برع في علوم التفسير خاصة في الآيات الكونية والإشارات العلمية كالإمام فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير المسمّى بمفاتيح الغيب ولكن الحركة العلمية لتفسير آيات الإعجاز العلمي في القرآن لم تبدأ فعلياً إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين. وذلك بعد التطور الكبير الذي شهدته العلوم الحديثة والاكتشافات الكونية في شتى أنحاء العالم، وقد شجعت هذه الاكتشافات العلمية الحديثة في الكون والتي وافقت ما ذُكِر في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، لذا سارع العلماء والكتاب والمفسرون إلى شرح وبيان إعجاز هذه الآيات القرآنية التي تحدثت عن الكون والأرض والإنسان والجبال والنبات والحيوان، وكثرت هذه المؤلفات وتعددت مناهجها وسبل طرحها وتفسيرها واستشهادها بالنظريات العلمية الحديثة وكلها تؤكد بالحجة والبرهان والعلم والعقل أن هذا القرآن هو من عند اللّه سبحانه، وقد سارع المسلمون وخاصة في الآونة الأخيرة إلى مدارسة القرآن الكريم وتوسعوا في فهم علومه وبيانه وإعجازه ذلك أن اللّه سبحانه رفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات. يقول تعالى:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ ﴾

[سورة المجادلة، الآية: ١١].

ومن هذه المؤلفات ما تناول علماً واحداً كعلم السماء، ومنها ما تناول الإنسان، ومنها ما تناول النبات، أو الجبال، أو البحار ومن الكُتَّاب من جمع أكثر من علم في كتاب واحد، وجميع هذه المؤلفات جمعت ما بين إعجاز الآيات الكريمة والعلم الحديث وهذا أدى إلى تفاعل العلوم والتفسير فأصبحت هذه الكتب رافداً علمياً جيداً للمسلمين فمع بيان إعجاز اللّه سبحانه في كتابه جاءت التفصيلات العلمية وأحدث النظريات مثل تفسيرهم لقوله تعالى:

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦].

استعرض المؤلفون علم النجوم، والكواكب، والمجرات، وجاؤوا بأحدث ما توصل إليه العلم في هذا المجال العلمي وكذلك تعرضوا لآيات

الإنسان، وآيات النبات، والحيوان والبحار، والمطر والرياح وغيرها كثير.

. . . . . ومن هؤلاء الذين شاركوا في هذا العلم وهذه المؤلفات العلمية الكونية وبيان إعجاز القرآن الكريم في الآيات الكونية الباحث ماهر أحمد الصوفي في موسوعته الجديدة غير المسبوقة **(الموسوعة الكونية الكبرى)** حيث وصل عدد أجزائها إلى عشرين جزءاً، والمطلع على عناوين هذه الموسوعة يجد أن هذه الموسوعة شملت أنواعاً كثيرة من العلوم حيث بدأ المؤلف هذه الأجزاء بآيات العلوم الكونية ثم آيات اللّه في خلق الكون وآيات اللّه في السماوات، ثم انتقل إلى آيات اللّه في الأرض في خلقها وتأمين معايشها ونشأة الحياة عليها وظهور الإنسان، ثم انتقل الباحث المؤلف إلى آيات اللّه في البحار والجبال والنبات والحيوان وممالك الطير والحشرات وكذلك آيات اللّه في الرياح والأمطار ـ والأعاصير ـ وتحدث عن خلق الإنسان ـ والرؤى والأحلام وكذلك تحدث في الأجزاء الخمسة الأخيرة عن الإعجاز اللغوي والبياني والغيبي والتشريعي والإعجاز الرقمي والعددي وآخر الأجزاء تحدثت عن الموت ونهاية الكون والبعث والنشور وتبديل السموات والأرض التي بدأ الحديث عن خلقها في الأجزاء الأولى. . . حقاً إنها موسوعة نادرة وحديثة ولم يسبق إليها أحد في هذا المستوى العلمي والعددي وتنوع العلوم وبيان إعجاز آيات اللّه سبحانه في هذا الكون العظيم من الذرة إلى المجرة ومن بداية الخلق إلى يوم القيامة.

أسأل اللّه العظيم أن يكون هذا العمل خالصاً للّه وابتغاء وجهه الكريم وأن يجعل له انتشاراً واسعاً في عالمنا الإسلامي كما نأمل من المؤلف أن يسعى إلى ترجمة هذا العمل الكبير إلى مختلف اللغات لتعم الفائدة جميع المسلمين على مختلف أقطارهم وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات المؤلف وكل من ساهم في هذه الموسوعة من مقدمين وعلماء ومدققين وناشرين، وجعل موعدهم الجنة أجمعين وصدق رسول اللّه ﷺ إذ يقول: « **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل اللّه له طريقاً للجنة** » وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

الدكتور محمد جمعة سالم

وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف

أبو ظبي/ دولة الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
الأستاذ الدكتور فاروق حمادة
أستاذ السنة وعلومها
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ المغرب

الحمد للّه رب العالمين ـ والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبد اللّه، وعلى آله الطيبين، وصحابته الغُرّ الميامين ـ أما بعد:

أخي العزيز الطَّلعة الأستاذ ماهر أحمد الصوفي ـ زادك اللّه توفيقاً، فقد اطلعت ـ وأنا على جناح سفر، وشغل بالٍ ـ على طرفٍ من كتابك المسمى «الموسوعة الكونية الكبرى» وليس هذا بأول أعمالك وفضائلك، فقد سعدت من قبل بكتابك النافع المتميِّز (موسوعة الآخرة). وها أنت تتبعه اليوم بموسوعة الكون ـ في وقت تعاظم فيه الحديث عن نتائج العلوم وخطواتها الواسعة، وميادينها الشاسعة في دراسة الحياة، والكون ومظاهره، وشارك في هذه الدراسات كل شعوب الأرض ـ وإن كان ذلك بنسب مختلفة ـ من خلال مسيرة طويلة بدأت منذ آماد بعيدة، وهي متتابعة إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها.

وتقوى هذه المسيرة حيناً، وتضعف حيناً آخر. وقد وصل الدارسون إلى حقائق أصبحت قطعية، وأخرى لا زالت في حيز النظر والتخمين. وأخرى انكشف عُوارُها، وثبت خطؤها وبوارها.

لقد كان نزول القرآن الكريم منعطفاً عظيماً، ومحطة هامة في توجيه الإنسان للنظر في الكون ـ والحياة، فالكون بما فيه ـ دال على اللّه، هادٍ إلى

معرفته، مظهر لأسمائه الحسنى وصفاته العُلى وهو خاشع خاضع، مسبِّح لبارئه.

لهذا كانت دعوة القرآن من أول يوم من نزوله. إلى التأمل فيه، وإدراك قوانينه، ومعرفة أحواله، وتقلباته، وأصنافه، ومتفقاته ومختلفاته. وقد بين لنا القرآن الكريم قواعد وحقائق عنه حتى لا يزلّ الإنسان ولا يتيه...

فمن كتاب اللّه المنظور، ينتقل العاقل المتأمل الرشيد إلى كتاب اللّه المسطور ليوقن بصدق الوحي، فيسمو بروحه وفكره إلى درجة الخاشعين المصدقين الذين تنطلق من حناجرهم ومشاعرهم ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

وإن النظر في كتاب اللّه المسطور، والوقوف أمام آيات الكون خاصة، والنظر فيها بحقائق العلم، ويقينيات المعرفة المعاصرة ستكشف عن صدق هذا الكتاب العزيز. وأنه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فتزول غيومُ شكٍ وأوهامُ غفلةٍ رانت على بعض القلوب، وغشيت بعض العقول، كيف لا؟ واللّه تعالى قد أخذ العهد على نفسه أنه سييسر للمكلفين هذه السبيل ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾؟!

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وإنك بعملك هذا الذي قدمته أيها الأخ الباحث ماهر أحمد الصوفي في الموسوعة الكونية الكبرى ـ من ضمِّ الآيات ذات الموضوع الواحد، والعطف عليها بما توصلت إليه الدراسات العلمية في موضوعها، وخاصة تلك الدراسات التي أنجزها الباحثون في القرن العشرين للميلاد، قد أفدتَ فيه وأجدتَ.

وعملك هذا يأتي في السياق القرآني في الجمع بين الآيات المسطورة والمنظورة، وتثير بذلك وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني المستمر الدائم، المتنامي المتعاظم، وتثبت كذلك أنه لا يوجد في القرآن الكريم ـ على كثرة الدراسات وتنوعها في الكون والحياة ـ خطأ، أو تناقض، أو قصور.

وهذا جهد جليل في الدلالة على اللّه والهداية إليه وإقامة الحجة على الشاردين المعرضين تحت شعار العلم، وتقدمه، بمعطيات العلم وقطعياته بل وظنياته وفرضياته. مما يتعلق به المعرضون المدبرون وغيرهم.. **فهنيئاً لك بهذا الجهد العلمي الضخم الواسع**، ولكم كنت أتمنى أن يكون البحث في هذا الموضوع من كل مَنْ كتب فيه مركزاً مقصوراً على القطعي اليقيني - حتى لا تصبح آيات القرآن الكريم وتفسيرها في هذا الباب مهيعاً لا حدود له ولا ضوابط. وفي الختام أسأل اللّه تعالى أن ينفع بهذا الكتاب، ويهدي به، وبغيره من الكتب التي ألفتها إلى الحق والصواب. وأن يرزقنا وإياك الإخلاص والسداد والرشاد في القول والعمل وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

وكتبه
خادم القرآن والسنة
الأستاذ الدكتور فاروق حمادة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم
الدكتور عبد المعطي البيومي
عميد كلية أصول الدين
جامعة الأزهر ـ مصر

أرسل اللَّه سبحانه الرسل، وأنزل الكتب، لترسم معالم المنهج الصحيح لرقي الإنسان المعرفي والثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ولتكون حياته البشرية على أتم ما يكون الكمال والسعادة في الحياة، وما بعد الحياة.

ولا يتم ذلك إلا باستيعاب الرسالات السماوية، وتدبر الكتب التي نزلت بها تدبراً يتسع به وعي الإنسان، لتحقق سعادته حين يتعقل كلية.

والقرآن الكريم نزل آخر الكتب السماوية ليفسر العالم وجوده ومظاهر الطبيعة فيه ليستطيع الإنسان تسخير كل ما في الكون، والانتفاع به. كما يقول تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٣].

ومن ثم اشتمل القرآن على آيات كونية وأخرى إنسانية، ولفت النظر إلى السماء والأرض والجبال والبحار والنبات والحيوان، ليشير إلى القوانين التي سخرت بمقتضاها هذه الأكوان، وحضَّ الإنسان على معرفة مفاتيح هذه القوانين، وسبب تسخير هذه الأكوان، ثم التوصل بها إلى معرفة الخالق لها، وإبداعه في خلقها.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾

[سورة القمر، الآية: ٤٩]

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٢].

ولذلك توارد المفسرون منذ نزل القرآن الكريم على تفسير واكتشاف آياته الكونية وإعجازه العلمي، كل على حسب مستواه العلمي، ومستوى ثقافة عصره وإحاطته بمعاني آياته، وإلمامه بإنجازات عصره.

وكان الإمام «فخر الدين الرازي» من أشهر هؤلاء المفسرين الذين وقفوا على الآيات الكونية في القرآن الكريم فحاولوا مبكرين أن يفسروها في ضوء ثقافة عصرهم مطبقين ومتمثلين لقوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

فكان تفسيره الجليل مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير أكثر التفاسير وقوفاً عند الآيات الكونية وتأمل إعجاز الخالق وإعجاز القرآن معاً.

لكن القرآن نزل لكل العصور، ويكشف عن نفسه ومعاني آياته لكل الأجيال، في ضوء ما تحرز هذه الأجيال من الثقافة العلمية، وكذلك جاء بعد الرازي **الشيخ حسن العطار** من أوائل شيوخ الأزهر العظماء الذين تعرضوا لشرح الآيات الكونية، وجاء بعده **الشيخ طنطاوي جوهري** الذي توسع في شرح هذه الآيات الكونية، بأكثر ممَّا فعل الشيخ العطار وتوالت المحاولات.. حتى من الذين لم يدرسوا الثقافة الإسلامية دراسة مبكرة أو تخصصوا في علومها الدينية واللغوية، وكونهم تخصصوا في العلوم الكونية فعرفوا العلم، وقارنوا ما استطاعوا بين القرآن والعلم، ليكشفوا آيات اللّه في الكون، ويمكن أن يؤخذ هنا على سبيل المثال لا الحصر الدكتور «**موريس بوكاي**» في كتابه عن **حقائق العلم في ضوء الكتب المقدسة الثلاثة** بل إن الموضوع اتسع لغير المسلمين أحياناً كثيرة من أولئك الذين بهرهم القرآن بإعجازه في الإشارة إلى حقائق الكون وإشارات لا تخطئها الحقائق العلمية في عصر تقدم العلم واتساع آفاقه، حتى إن تقدم العلم واتساع آفاقه أيّد قضية القرآن وكشف توافق القرآن في تعبيره وإشاراته مع الحقائق التي اتفق عليها العلماء.

ومن ثم كان لدينا فريقان من الذين اهتموا بالآيات الكونية في القرآن الكريم:

١ ـ فريق متخصص في العلوم، مطلع على الآيات القرآنية، يفهمها في ضوء تخصصه العلمي، ويعرفها في ضوء العلم.

٢ ـ وفريق متخصص في الدراسات الإسلامية، مطلع على حقائق العلم، يفهمها في ضوء مقررات الإسلام وآيات القرآن، ويعرض حقائق العلم في ضوء هذه المقررات والآيات.

وهناك فارق ملحوظ بين الفريقين:

ذلك أن «**معالم الأمان**» أكثر توفراً لدى الفريق الثاني الذين استوعبوا الحقائق الدينية ويعرضون مقررات العلم في ضوئها لطول خبرتهم بالدراسات الإسلامية فإنتاجهم أكثر أماناً من الخطأ في المقارنة بين الإسلام والعلم، من الفريق الأول الذي قد تُؤَثِّر ثقافة بعضهم العلمية على حساب الحقائق الدينية.

وعلى كل حال، خطأ المتخصصين في الإسلام إن أخطؤوا في حقائق العلم، أهون من خطأ الدارسين للعلم ـ وإن حدث ـ في حقائق الإسلام. لأن الرصيد في العلم الشرعي يحمي الدارسين له أكثر مما يحمي المطلعين على هذا العلم الشرعي مجرد اطلاع دفعت إليه الرغبة أو الهواية التي انطلقت أساساً من العلم التجريبي ونصرته بالدين، بينما انطلقت رغبة الفريق الثاني من نصرة الدين بالعلم.

ولا يمنع من هذا الفارق ما قد يوجد من بعض هؤلاء وهؤلاء ممن نجحوا في المقارنة بين الدين والعلم، دون خطأ في الدين أو العلم.

. . . **على أن العمل العلمي الضخم الذي بين أيدينا الآن لكاتبه الباحث ماهر أحمد الصوفي** هو من الفريق الثاني حيث تخصص كاتبه في الدراسات الإسلامية وسبق له العمل الموسوعي في مجال الدين حيث قدم لقراء العربية «**موسوعة الآخرة**» من بداية أشراط الساعة حتى بلوغ أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، مع وصف موسع للجنة والنار وبهذا الاتساع والاستيعاب في البحث بدأ عمله العلمي الضخم بدراسة الكون منذ قوله تعالى:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ واستعرض البدايات المبكرة لعلم الفلك، وما جرى من خلق الكون بسماواته وأراضيه، وما في الكون من حياة وأحياء، وما فيه من بحار ومحيطات وأنهار، ومن جبال ووديان وصحاري وسهول وأدغال، ومن حيوان ونبات وألوان حتى بلغ أحدث النظريات، والحقائق العلمية في ساعة كتابة ما كتب في هذا العمل الكبير.

فهو بالإضافة إلى تخصصه الديني الذي يجعله أكثر أماناً من الخطأ لأنه يقف على حقائق العلم ويراها في ضوء الدين أكثر مما يرى المتخصص في العلم حقائق العلم، ويقرأ الآيات القرآنية في ضوء معارفه العلمية، فإنه يتوسع بهذه المرجعية الدينية المأخوذة في عرض المسائل العلمية على حقائق القرآن ولا يعرض ـ كما يفعل بعضهم ـ حقائق القرآن على مقررات العلم وهكذا اجتمع لهذا العمل العلمي الكبير عدة ميزات:

١ ـ **هذه المرجعية الدينية الأولى** التي أشرنا إليها، وهي مرجعية آمنة، وأمينة على حقائق الدين، يواكبها التزام بحقائق العلم الثابتة والأخبار العلمية الصحيحة.

٢ ـ **يقدم أحدث ما أنتج العلم** مع الأصالة فيما قرره الدين.

٣ ـ **يقدم بالمقارنة بين الدين والعلم في اتساق واضح**، لأنه يلتزم بالحقائق العلمية الثابتة التي لا تتغير حتى لا تتغير المفاهيم القرآنية بتغير بعض النظريات العلمية المتطورة دائماً، وقد يؤدي تطورها إلى تغيرها بالكلية، فلجوؤه إلى ثوابت العلم أنسب في تناول الموضوع حين يكون مقارنة مع ثوابت الدين.

٤ ـ **كل ذلك مع سهولة الأسلوب، وتبسيط العلم، وتيسير عرض حقائقه للقارئ. ولعل ذلك هو الذي دفع الباحث ماهر أحمد الصوفي كاتب هذه «الموسوعة الكونية الكبرى»** إلى عرض عمله العلمي بطريقة تختلف عن الموسوعات الأخرى التي تلتزم بالموضوعات وفق حروف الهجاء، مع ما يترتب على هذه الطريقة من عرض المعلومات المتفرقة المفككة فهي تحتاج إلى رابط بينها، لكن الطريقة التي اعتمد عليها الكاتب الباحث تقدم عرض الموضوعات تحت عنوان موضوعي يجمع شتات الموضوع

في عرض تاريخي علمي كأن يعرض المعلومات المتفرقة تحت عنوان آيات اللّه في السماء، أو آياته في البحار والمحيطات والأنهار، فذلك أجمع في عرضه لذهن القارئ وأكثر إفادة في ربط المعلومات في سياق واحد مفيد.

نرجو اللّه أن يجعل له ذلك في ميزانه، خدمة للدين والعلم، ومرضاة له، وتجلية لما احتوى عليه القرآن الكريم من وجوه الإعجاز في مجال الخلق والعلم على السواء.

الأستاذ الدكتور عبد المعطي بيومي
عميد كلية أصول الدين ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

١

من أجمل ما في هذا الكون (الإنسان)، وأجمل ما في هذا الإنسان أنه مخلوق يفكر. . . والكون كله بما علمنا عنه من كواكب ونجوم وأفلاك وشهب ونيازك وأرض وجبال وبحار ونباتات وماء تسبح اللّه سبحانه، ولكنها لا تفكر، فهي تتمتع بميزة واحدة وهي التسبيح. . ولكن الإنسان يتمتع بميزتين، ميزة التسبيح، وميزة التفكير. . لذا سخر اللّه هذا الكون كله بما فيه من كواكب ونجوم ومجرات هائلة لهذا الإنسان، وجعل اللّه سبحانه كل ما في هذه السماوات من أجل هذا المخلوق (الإنسان) ذلك أنه كائن يفكر. . ولكن بماذا يفكر؟! إنه يفكر بعظمة هذا الكون وهندسته البديعة ومساحته الشاسعة. . فقد هداه تفكيره أن يصنع آلة تستطيع أن توصله إلى بعض أجزاء هذا الكون البديع، ليتعرف عن قرب على هذه القدرة وهذا التصميم وهذا الإعجاز الخَلْقي، ليصل بعقله إلى خالق هذا الكون البديع، فيتعرف عليه ويتبين له الحق.

. . . إنّ اللّه سبحانه امتدح في كتابه الكريم أمرين: امتدح بديع صنعه في هذا الكون حيث يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

[سورة الملك، الآيتان: ٣، ٤]

. . . وكذلك امتدح اللّه سبحانه في كتابه الكريم الذين يتفكرون في خلق هذا الكون وذلك في الآيات من سورة آل عمران.

يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

فإذا كانت آيات الغيب تقتضي الإيمان، وآيات القصص تقتضي العبرة، وآيات الأمر تقتضي الطاعة، وآيات النهي تقتضي الترك.

فماذا تقتضي آيات الكون التي تزيد في مجموعها عن ألف آية كريمة؟

... نعم إنها تقتضي التفكر بقدرة الخالق، وعظمة الخالق، ووحدانية الخالق، وعبودية الخالق.

... والقرآن الكريم أعظم كتاب في هذا الكون منزَّل من أجل ذلك الإنسان الذي يفكر، ولم ينزل إلى مخلوقات اللَّه سبحانه التي لا تفكر، فالإنسان المفكر هو محور هذا الكون، لأنه استطاع من خلال قدرة عقله على التفكر، أن يستوعب الكون كله فحمد، وشكر، وسبح، وذكر، وعبد، واتقى، لأنه أدرك بعد تفكير أنَّ لهذا الكون العظيم خالقاً خلقه، وقادراً أوجده وعظيماً صنعه.

... وبما أنّ الإنسان عاقل ومفكر، توجه اللَّه سبحانه إليه في كتابه العزيز آمراً له أن يتدبر، ويستقرئ وينظر، تارة في السماوات، وتارة في الأرض، وتارة في نفسه، وتارة بما حوله في الأرض من بحار وجبال وأنهار ويسير بينها ويُعمل العقل ليصل إلى حقيقة الخالق، وإلى بعض علم الخالق وقدرة الخالق، فيعبده ويوحده من خلال اقتناعه بعد ثبات إيمانه، ذلك أن كل ذرة في هذا الكون تشير إلى وجود اللَّه سبحانه، لأن اللَّه سبحانه يعلم وهو خالق العقل.. أن هذا العقل المخلوق لا بد أن يوصل صاحبه إلى اللَّه سبحانه..

يقول تعالى:

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٠]

. . . فاللَّه سبحانه لم يخلق هذا الإنسان بعقله القادر على التفكير حتى يكفر أو يشرك باللَّه سبحانه، بل خلقه ليؤمن به بعد تفكير.

فلا يمكن لهذا العقل الذي خلقه اللَّه سبحانه أن يكفر باللَّه، إلا إذا أوقفه صاحبه ولم يوظفه للتفكير والتدبر، وأغلق سمعه عن سماع الحق، وجعل على عينيه غشاوة حتى لا ترى دلائل قدرة اللَّه. . لذلك قال سبحانه على لسان الكافرين الذين استحقوا النار يوم القيامة، عندما سألهم خزنة جهنم عن سبب ورودهم النار فقالوا:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك، الآية: ١٠]

. . . فاللَّه سبحانه في الآية الكريمة نفى عنهم السمع والعقل في الدنيا، وفي كثير من الآيات وصفهم بالأنعام التي لا تعقل، وفي آيات أخرى وصفهم بالأنعام بل هم أضل سبيلاً منها، ذلك أن الأنعام تسبح اللَّه تعالى.

يقول تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

. . ولكن الكافر لا يعقل، ولا يسبح، ولا يبصر، ولا يسمع. لأن الإنسان الذي يسبح اللَّه، فهو المؤمن به، وبقدرته، وعلمه، وإلَّا كيف يسبح؟

فالعقل المخلوق الذي يؤمن باللَّه يوظف لتزكية النفس لا إلى استثارة غرائزها وشهواتها، وتحقيق رغباتها الحيوانية، وتحقيق المتعة في الطعام والشهوة.

يقول تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾

[سورة محمد، الآية: ١٢]

. . . القرآن الكريم كتاب اللَّه أنزله بعلمه فهو كامل لا يعتريه نقص، ولا يوجد فيه خلل، وهو تبيان لكل شيء.

يقول تعالى:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾

[سورة النحل، الآية: ٨٩]

٢

ولا يحتاج القرآن الكريم منا إلا قراءته وتدبر آياته بروية وفكر وتأن وإعمال الفكر والعقل.. فالقرآن الكريم على حالات ثلاث مع البشرية:

١ ـ قسم مؤمن: يقرأه ويتدبر معانيه، ويعمل به، ويدرس كل آية بل كل كلمة فيه، وهو لهم هدى ورحمة وبشرى، وفي هؤلاء يقول تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٤٤]

٢ ـ قسم مؤمن به ولكن لا يتدبر معانيه: ولا يعمل به ولا يجهد نفسه بدراسته، وفي هؤلاء يقول تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾

[سورة محمد، الآية: ٢٤]

٣ ـ قسم غير مؤمن به ولا يدري عنه شيئاً: ولا يريد أن يدري عنه شيئاً وهؤلاء هم أكثر أهل الأرض.

يقول تعالى:

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ١١٦]

وفي هؤلاء يقول تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٤٤]

... فالمؤمن بكتاب اللَّه تعالى يتدبر آياته، ويتفكر في خلق السماوات والأرض، ويدرس آيات الإعجاز الكوني والأرضي والإنساني، التي جعلها

الله سبحانه في أكثر سور القرآن الكريم، فيدرك حقيقة الإله وعظيم قدرته في آياته الكونية.

... فالله سبحانه موجود، نعم موجود في هذا الكون.. والذي يفكر في هذا الكون البديع المتقن يجد ربَّه، وإبراهيم عليه السلام وجد ربه في هذا الكون بعد أن بحث عنه في فكره، وكان رسول الله ﷺ قبل الوحي وفي غار ثور يخلو الليالي الطوال يجول في نظره في كون الله العظيم، ويتفكر ويتدبر في رب هذا الكون وهذه السماء وهذه الأرض، فتفكيره ﷺ في عظمة هذا الكون وعظمة هذه السماء وجمال نجومها وأبراجها وبديع صنعها، قد أوصله إلى الله الخالق المبدع قبل أن يوحى إليه.. فتفكير سيدنا محمد ﷺ أوصله إلى الله سبحانه، والوحي قربه من الله سبحانه عن كثب وثبته في إيمانه.

ولا يعني هذا أن الأمر موقوف على الرسل، فكثيرون في التاريخ أوصلهم تفكيرهم إلى الله سبحانه، من خلال العقل الذي خلقه الله بفطرته مؤمناً.

... الكون مخلوق قبل خلق الإنسان بكثير، فعمر الكون كما قال العلماء أو كما أقرَّت أكثر النظريات ثبوتاً، ثلاثة عشر ونصف مليار سنة (١٣,٥)، وعمر الإنسان على هذه الأرض، لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين، فالفرق الزمني واسع بين الخلقين، خلق الكون، وخلق الإنسان، ومع ذلك سخَّر الله سبحانه للإنسان هذا الكون تسخير علم ومعرفة وفائدة، وليس تسخير طاعة فالطاعة لله وحده.

يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

وهنا تكمن عظمة الإنسان وعظيم خلقه.. نعيش في هذا الجرم الصغير ويسخِّر الله سبحانه لنا كل هذه الأفلاك والمجرات العظيمة في حجمها وفي

اتساعها وفي عددها!!! هنا لا بّد لنا أن نقف طويلاً أمام هذه الآية الكريمة يقول تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الجاثية، الآية: ١٣]

فكما أن اللّه سبحانه أكرمنا هذا الإكرام العظيم.. علينا أن نكون محل ثقة اللّه بنا، ومحل تكريم اللّه لنا، ولا نفتأ أبداً في النظر إلى تلك السماوات والتفكر فيها، وبعظيم خلقها، فنقدر اللّه سبحانه حق قدره، ونعبده حق عبادته، ونوحده حق التوحيد، ونعظمه حق التعظيم.

٣

لقد رأيت وبعد طول تفكير ودراسة لكثير من الكتب التي تكلمت في الإعجاز الكوني، والتي تتكلم بلغة الأرقام وتوظفها في وصف هذا الكون العظيم، وفي أثناء الحديث عن الكون وعظمته يستشهد الكاتب بآية كريمة لتأكيد عظمة اللّه، وصحة وسَبْقِ القرآن الكريم لهذه النظرية، أو الإثبات العلمي، وفي هذا خير، وجزى اللّه سبحانه كل من دخل هذا المجال وأدلى دلوه حول هذا الأمر...

وقد أردت في هذا الجزء من الموسوعة أن أتناول العلم من خلال الآية الكريمة، لا أن أتناول الآية من خلال العلم.. فالآية الكريمة ثابتة لأنها من اللّه سبحانه، فهو الذي عنده العلم الأول والآخر وهو الخالق لكل شيء، وأما العلم فإنه يتخبط ويتأرجح ويتغيَّر ويتبدل وكم من نظرية نسفت وكم من حقيقة قالوا عنها حقيقة ثم ثبت بطلانها وزيفها وكم من عالم تراجع عن قول قاله؟! وكم من عالم صحح ما قاله؟ وكم من نظرية اختلف فيها العلماء بين مؤيد ومعارض؟!.

وإن من أكثر النظريات التي اختلفوا فيها وهي للآن في تأرجح وعدم ثبات عمر الكون، فمنهم من قال ٦ مليارات سنة ومن قال عشرة مليارات ومنهم من قال ٢٠ ملياراً ومنهم من قال ١٣,٥ ملياراً ونصف وهي أكثر النظريات قبولاً اليوم.

. . . وكذلك اختلفوا في أصل الكون ونشأته، واختلفوا في عمر الأرض وعمر الإنسان على الأرض. . . وأما الآيات الكريمة فلم تتبدل ولم تختلف وما اختلف فيها عالمان، فهي حقائق ثابتة، العلم يخضع لها ولا تخضع هي للعلم. . ظهر تفسيرها للعالم منذ حين أو في هذا الزمن أو ستظهر في المستقبل فذلك تقدير العزيز العليم، والله سبحانه وعد وقبل أن تقوم القيامة أنه ستظهر معاني هذه الآيات وسيهيئ للبشرية ما تستطيع به أن تكشف بعض علم هذا الكون بمشيئة الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

فمشيئته واقعة في أن يحيط الناس ببعض العلم كما وعد في محكم كتابه، يقول تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾

[سورة ص، الآيتان: ٨٧، ٨٨]

ويقول تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

فهذا الجزء من الموسوعة يتناول الآيات الكريمة التي تكلم الله فيها عن هذا الكون وهذه السماوات السبع، فنعمد إلى تفسيرها التفسير العلمي الصحيح بما هيأ الله سبحانه بين أيدينا من أدوات، معتمدين في ذلك على تفسير العلماء السابقين والعلماء المعاصرين، ونضع بين يدي الآية الكريمة كل النظريات العلمية الحديثة عن هذا الكون، وما توصل إليه العلم اليوم في بيان عظمة آيات الله سبحانه، وإعجازه في خلقه وكونه، وكذلك لابد من التفسير والتحليل والرأي في بيان معنى كل آية كريمة، بما أمدنا الله سبحانه من علم، وبما أعطانا من رحمته، وبما هيأ لنا من قدرته، وتنفيذاً لأمره في قوله تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٠]

وكلمة أخيرة في هذه المقدمة أقولها وهي.. إذا كان المسلمون في يوم من أيامهم وتاريخهم قد أصيبوا بالتراخي وعدم السعي نحو العلم الذي أمرنا اللَّه به، وبأن نسعى إليه، فهذا لا يعني أن يستمر هذا اليوم وأن يطول هذا التاريخ، فأمة سيدنا محمد ﷺ لا تموت ولا تعيش جهلاً ولا ضلالاً، ونحن أولى بالنظر والاكتشافات ومعرفة هذه القدرات الإلهية غير المتناهية، والعلم اليوم أصبح بابه مفتوحاً ومكشوفاً ويستطيع كل إنسان أن ينهل منه، فالإنسان واحد، والعقل واحد وقدرة الإنسان واحدة.. وهذه الكتب اليوم أصبحت آلافاً تتحدث عن كل العلوم من أدق ذراتها إلى أكبر طاقاتها.. وهذه الكتب التي تحدثت عن إعجاز القرآن الكريم في الكون، سماؤه وأبراجه ومجراته، أصبحت كثيرة ومتداولة بين الناس، وما أكثرها؟ فلننهل من معينها ونستقي من علمها، فهي دواء وغذاء وشفاء لكل ما في الصدور.

الفصل الأول

١ ـ المدخل .

٢ ـ وكان عرشه على الماء .

٣ ـ نفي اللّه سبحانه اللعب عن خلق السماوات والأرض .

٤ ـ خلق السماوت السبع والأراضين السبع .

٥ ـ خلق السماوات والأرض في ستة أيام .

٦ ـ سبع سماوات طباقاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

مَدْخل

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد للَّه الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني اللَّه، والشكر للَّه على ما أنعم عليّ بنعمة الإيمان، وأنار بصيرتي وعقلي وهدى قلبي إلى الحق بالكتابة والدعوة من أجله، وما أجري إلا على اللَّه. وبعد:

السماء، هذا المكان المجهول على مرّ الدهور والعصور، والتي أسرت عقول الفلاسفة والشعراء والمفكرين، وجعلتهم يتيهون في دروبها وأبراجها، وعشقوا جمالها الفتّان، وفرشوا الأرض تحت سقفها الوهّاج، وتابعوا مواقع نجومها، واعتمدوا عليها في تحديد أوقاتهم وأماكن تواجدهم، وكانت خير رفيق لهم في حِلِّهم وترحالهم، والمعين لهم في أسفارهم، فكانوا يهتدون بها إذا ضلوا، وتؤنس وحدتهم إذا تاهوا في دروب الأرض ومجاهلها.

وعمد شعراؤهم وكتّابهم على تأليف قصص الخيال، أبطالها من السماء ومن سكان بروجها.

ومع هذا فإن الغموض ظل يكتنف السماء طوال هذه القرون، وما علموا عنها شيئاً، ولكن الفطرة الإلهية التي فطر اللَّه عليها عباده، ألهمتهم بشكل تلقائي أن هذه السماء شيء عظيم يفوق إمكانياتهم ومقدراتهم وعقولهم، وتأكدوا أن هناك قوة عظيمة هي المسيطرة على مقدراتها وحركاتها وأفلاكها.

وبقيت الأجيال السابقة لبعثة سيدنا محمد ﷺ ونزول القرآن الكريم

جاهلة تماماً لحقيقة السماء وعلومها، وحقيقة حجمها وأفلاكها، والمسافات الشاسعة التي تفصل بين نجومها وكواكبها.

وقد مثل اللّه سبحانه وتعالى لهذا الجهل العلمي عن حقيقة السماء بالذي جرى بين سيدنا موسى عليه السلام، وفرعون. يقول تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾

[سورة القصص، الآية: ٣٨]

فهذه الآية الكريمة إشارة إلى الجهل المطلق في علوم السماء، فقد ظن فرعون أنه ببناء صرح طوله خمسون متراً يصل به إلى السماء، ليطلع إلى إله موسى.

وحقيقة السماء بدأت تظهر لسكان الأرض بدءاً من نزول القرآن الكريم، الذي أفاض الحديث عن السماوات والأرض.

وقد أوضح القرآن الكريم حين نزوله أن العرب كانوا يعرفون عن السماء شيئاً ما، ونستدل على هذا بأن الناس كانوا يسألون سيدنا محمداً ﷺ، عن حقيقة تلك النجوم والكواكب، فنزلت الآية القرآنية الكريمة، يقول تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٨٩]

وهذه الآية الكريمة تدل على أن: أي حقائق وعلوم عن السماء قبل نزول القرآن الكريم، كانت سلسلة جهل ممتدة من العصور السابقة وحتى نزول القرآن الكريم.

والقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الأول الذي توسع في الحديث عن السماوات والأرض، لكن بإشارات علمية موجزة غير مفصلة تفصيلاً دقيقاً بأرقام وحسابات تفسر لنا الأبعاد والحجوم والأعداد.

فلقد ذكر اللّه سبحانه وتعالى كلمة السماء والسماوات في مائتين وثلاث وثمانين آية قرآنية بينت وأوضحت وكشفت كثيراً من الأسرار التي كان يجهلها الناس عن هذا العلم، الذي بقي مجهولاً تماماً عصوراً وقروناً.

فلقد علمنا ومن خلال القرآن الكريم، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

* أن السماء ليست واحدة، إنما سبع سماوات ومن الأرض مثلهن؛

لقوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

* أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقهما اللّه وفصلهما عن بعض؛ لقوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٠]

* أن أصل السماوات كانت دخاناً؛ لقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ١١]

* وعلمنا أن من يصعد إلى السماء يصاب بضيق في الصدر واختناق؛ لقوله تعالى:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ١٢٥]

* وعلمنا أن هذه النجوم للزينة ولهداية الطريق، ولا أثر فيها لحياة؛ لقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ ﴾

[سورة الملك، الآية: ٥]

* وعلمنا أن النجوم شيء والكواكب شيء آخر، فالنجم مضيء بذاته والكوكب معتم لا ضوء فيه؛ لقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾

[سورة التكوير، الآية: ٢]

﴿ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴾

[سورة الانفطار، الآية: ٢]

* وعلمنا أن هذه الشهب التي نراها ساقطة في جو السماء ولا نعلم عنها شيئاً سخَّرها أو سخَّر بعضها لرجم الشياطين؛ لقوله تعالى:

﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ ﴾

[سورة الملك، الآية: ١٢٤]

فقد أورد القرآن الكريم بعض التفصيلات الدقيقة عن علم السماوات، والتي لم تكن معروفة من قبل أبداً، ولكن اللّٰه سبحانه وتعالى ترك لهذا العقل المخلوق، أن يبحث بنفسه عن باقي علم السماء، وعن قدرة اللّٰه سبحانه فيها بعد أن أعطى اللمسة الأولى في إيضاح علم السماوات السبع والأراضين السبع.

وقد وعد اللّٰه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بأنه سيظهر آياته ومعجزاته في السماء، حتى يتبين للناس أنه اللّٰه الحق؛ لقوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وقوله تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

وبما أن اللّٰه وعد فقد هيأ للبشرية ما يستطيعون فيه سبر أغوار السماء، واكتشاف مجاهلها، وهذا ما نلحظه نحن أهل هذا الجيل، فقد اتضحت حقائق كثيرة عن علم السماء وتحددت المفاهيم وانكشفت بعض الأسرار وتحددت الحجوم والأبعاد، وظهرت علوم السماء جلية واضحة للبشرية، وعلموا قدرة اللّٰه سبحانه وتعالى فيها، وقد أفرد العلماء والكتاب كثيراً من الكتب التي تتحدث عن علوم السماء (الكون)، فمنها ما يتحدث عن السماء كعلم فقط، ومنها ما ربط مؤلفوها العلم مع ما جاء به القرآن الكريم، وبينوا معجزات اللّٰه في السماء، ومعجزة القرآن الكريم.

وكما قلنا فإن اللَّه سبحانه تحدَّث عن السماء في مائتين وثلاث وثمانين آية كريمة.. ولكن منها ما تحدَّث اللَّه سبحانه فيها أنه رب السماوات والأرض ومالكها، كقوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٢٩]

وكقوله تعالى:

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾

[سورة الرعد، الآية: ١٦]

ومنها ما فيها إعجاز وبيان وتحد للبشرية، وهذه الآيات في مجمَلها هي المقصودة في هذا الجزء من الموسوعة، ومع ذلك فهناك آيات كثيرة اخترنا منها بعون اللَّه وتوفيقه ما رأينا فيه إعجازاً كبيراً وعظيماً، يبين اللَّه فيها عظيم قدرته وخلقه واتساع ملكه وكونه، وما فيه من علم وقدرة وقفت البشرية أمامه عاجزة، كما وقفت عاجزة أن تأتي بسورة واحدة مثل سور القرآن الكريم ذلك أن خالق السماوات والأرض وخالق كل شيء أنزله بعلمه.. يقول تعالى:

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٦]

ومن يعلم علم اللَّه ليأتي بمثل ما أتى اللَّه سبحانه به؛ يقول تعالى:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

من يعلم علم رسول اللَّه ﷺ الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ يقول تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

[سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤]

فإلى آيات اللَّه سبحانه في علم السماء، لنرى معاً عظمة اللَّه سبحانه وقدرته وعلمه، وما في هذا القرآن العظيم من إعجاز علمي يدل على وحدانية اللَّه سبحانه وتعالى وقدرته وأنه من لدن حكيمٍ عليمٍ.

وكان عرشه على الماء

يقول تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[سورة هود، الآية: ٧]

هذه الآية الكريمة عظيمة الشأن عظيمة المعنى، عظيمة الدلالة، فالعلماء المعاصرون يتساءلون ويبحثون عن جواب ماذا كان قبل (الانفجار الكبير)؟ وهو لحظة خلق الكون ونشأة النجوم والمجرات، فلا يجدون جواباً شافياً بعد أكثر من ثلاثمائة سنة من دراساتهم وبحوثهم في عالم الفلك، وهم يتخبطون في الجواب وكثرت النظريات وكل يدلي بدلوه، فالجواب أعياهم والنظريات كثيرة والإنسان بطبعه لا يترك شيئاً إلا ويسأل عنه ويبحث عنه، وليس هذا عيباً في الإنسان.. إنما دلالة على أن الإنسان مخلوق يحب البحث والاستقراء، قال تعالى:

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[سورة الكهف، الآية: ٥٤]

أي ليس مثل الإنسان فيما خلقت يحب الجدل، أو أكثر منه جدلاً في كل مسائل الخلق وما تراه عينه وما يسرح به خياله وفكره. وهذه ميزة العقل التي جعلها الله سبحانه وتعالى في الإنسان.

... فالآية تشير على أنه هناك أمر كان قبل خلق السماوات والأرض، وتشير أن الله كان عرشه على الماء قبل خلق السماوات والأرض.

فهذه الآية العظيمة ذات مدلول كبير توسعت دائرة الشرح والتفسير فيها، لأنها تتكلم عن أمر عظيم وهو تساؤل العلماء ماذا كان قبل خلق السماوات والأرض؟.... علماء الفلك المعاصرون يسألون ماذا قبل الانفجار الكبير الذي هو بداية خلق الكون وتكوّن المجرات والنجوم؟ وهم

لا يسألون من وجهة نظر دينية، لأن كثيراً منهم لا يؤمنون، وكثيراً منهم يحاول أن يثبت أزلية الكون وأبديته حيث لا تكون بداية ولن تكون نهاية، ولكن رُدُّوا من قبل علماء فلك آخرين أيضاً ليس من وجهة نظر دينية أن للكون بداية وله نهاية، وأن الإنسان له بداية وله نهاية، وأن الأرض والشمس والقمر لها بداية وسيكون لها نهاية. جدل قائم وأكثر الجدل حول مسألة مهمة ماذا كان قبل الانفجار الكبير.. أي ماذا كان قبل خلق السماوات والأرض، اللّه سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[سورة هود، الآية: ٧]

وهم، أي: ـ علماء الفلك ـ لا يعرفون ولكنهم يضعون الفرضيات، ولنستمع إلى علماء التفسير حول هذه الآية الكريمة كمدخل مهم جداً قبل التفصيل في هذه المسألة العظيمة من مسائل الخلق.

في التفسير الوسيط للزحيلي:

(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ) أي: كان العرش وهو أعظم المخلوقات فوق الماء وكان موجوداً قبل أن يخلق اللّه شيئاً[(١)].

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة:

(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ) أي: كان عرشه قبل خلق السماوات والأرض على الماء، والعرش مخلوق عظيم يليق به تعالى لا تعرف حقيقته نؤمن به من غير تشبيه كما ورد[(٢)].

وفي تفسير السعدي:

(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ) أي: كان عرشه فوق السماء، فبعد أن خلق السماوات والأرض استوى عليه.

---

(١) التفسير الوسيط مجلد ٢ صفحة ١٠٢٤.

(٢) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة ٢٢٢.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) أي: وكان العرش قبل خلق السماوات والأرض على الماء، وقال الزمخشري في الكشاف: أي ما كان تحته خلق، وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات والأرض.

وفي تفسير الفخر الرازي:

(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ) قال كعب: خلق اللّه تعالى ياقوتة خضراء، ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماءً يرتعد، ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء. قال أبو بكر الأصم معنى قوله: **(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ)** كقولهم السماء على الأرض، وليس على سبيل كون أحدهما ملتصقاً بالآخر، وكيف كانت الواقعة، فذلك يدل على أن العرش والماء كانا قبل السماوات والأرض، وقالت المعتزلة: في الآية دلالة على وجود الملائكة قبل خلقهما، لأنه لا يجوز أن يخلق ذلك ولا أحد ينتفع بالعرش والماء، لأنه تعالى لما خلقهما فإما أن يكون خلقهما لمنفعة أو لا لمنفعة والثاني عبث، فبقي الأول وهو أنه خلقهما لمنفعة.. وأما أبو مسلم الأصفهاني فقال في معنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ أي بناؤه السماوات كان على الماء، وقد مضى تفسير ذلك في سورة يونس وبين أنه تعالى إذا بنى السماوات على الماء كانت أبدع وأعجب، فإن البناء الضعيف إذا لم يؤسس على أرض صلبة لم يثبت، فكيف بهذا الأمر العظيم إذا بسط مع الماء... ثم يعود الفخر الرازي حول الآية الكريمة ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ويقول: هناك تساؤلات.

الأول: ما الفائدة في ذكر أن عرشه كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض؟ والجواب فيه دلالة على كمال القدرة، فلولا أنه تعالى قادر على إمساك الثقيل بغير عمد لما صح ذلك! والثاني: أنه تعالى أمسك الماء على قرار وإلا لزم أن تكون أقسام العالم غير متناهية، وذلك يدل على ما ذكرناه؛ والثالث: أن العرش الذي هو أعظم المخلوقات قد أمسكه اللّه تعالى فوق سبع سماوات من غير دعامة ولا علاقة فوقه.

ويقول الرازي: هل يصح ما يروى أنه قيل يا رسول اللّه ماذا قبل خلق السماوات والأرض؟

قال **(كان في عماء فوقه هواء وتحته هواء)** والجواب: أن هذه الرواية ضعيفة، والأولى أن يكون الخبر المشهور أولى بالقبول، وهو قوله ﷺ **(كان اللّه وما كان معه شيء، ثم كان عرشه على الماء)**[١].

. . . نكتفي بهذه التفاسير ونلاحظ تعدد وجهات النظر، وأكثر تفصيلاً كان من تفسير الفخر الرازي في التفسير الكبير، إذ أن الفخر الرازي كان معروفاً ببسطة التفصيل في مثل هذه الأمور العظيمة وتلك الآيات الكريمة. المهم أن مثل هذه الآية كانت موضع اختلاف في التفسير وهذا صحيح لأن مثل هذا الأمر معرفته تفوق تخيلات البشر جميعاً فهؤلاء علماء الفلك اليوم وبكل ما يملكون من أدوات جبارة مختلفون حول هذا الأمر. . .

ويبقى صراع السؤال بين السلف وبين الخلف، بين علماء الأمس وعلماء اليوم، وبين المفسرين السابقين وبين المفسرين المعاصرين. . وكذلك يبقى صراع السؤال بين المحدثين من علماء الفلك اليوم حول قضية الخلق وما قبل الانفجار الكبير. . وسؤال المعاصرين اليوم ربما يختلف عن سؤال السابقين ذلك أنهم لم يكونوا يعلمون (بالانفجار الكبير) الذي هو بداية الخلق والوجود، وتكوين المجرات والنجوم والكواكب والشمس والأرض والقمر فيما بعد.

أسئلة علماء الفلك المعاصرين:

لقد تم الإجماع بين علماء الفلك مع نظرية بداية الكون وهي لحظة (الانفجار الكبير)، وعلى الرغم من نجاح هذه النظرية في تفسير ظاهرة بداية الكون وتوسعه، والإشعاع الناري البدائي، وطريقة تشكل ذرات بادية لحد ما، إلا أن أسئلة كثيرة من علماء الفلك صعبة على التفكير لم تستطع تلك النظرية إيجاد حل مناسب لها، وهي:

١ ـ ما الذي كان موجوداً في الفضاء قبل حدوث الضربة الكبرى؟

---

(١) الفخر الرازي التفسير الكبير مجلد ٩ صفحة ١٩٥.

٢ ـ ما الذي كان يحدث قبل حدوثها؟ وكيف أتت أصلاً المادة الأولى إلى الكون؟
٣ ـ لماذا حدث الانفجار في تلك اللحظة ولم يحدث في لحظة أخرى؟
٤ ـ لماذا ارتبط حدوث هذا الانفجار بنقطة زمنية محددة؟
٥ ـ هل حدث الانفجار في مكان واحد أم حدث في عدة أماكن في الكون؟
٦ ـ لماذا تركزت المادة الكونية الأولى في هذا الكون بالذات، ولم تركز في أكوان أخرى؟ ولماذا تركزت في حجم صغير من الفضاء وبكثافة عالية جداً وبدرجة حرارة عالية أيضاً؟ ومن أين أتى ذلك كله؟ ولماذا؟
٧ ـ ما الذي يمسك هذه البيضة الكونية الأولى ويجعل لها ذلك الشكل المحدد؟ ومن أين أتت؟ وما الذي حفظ لها هذا الشكل؟
٨ ـ ما هو أصل الكون وما هو اتساعه وحدوده وعمره ومستقبله؟ وكانت هناك عدة نظريات للجواب على هذه الأسئلة.



الكون لحظة الانفجار أو ما يسمّى (الانفجار الكبير) وهو بداية خلق السموات والأرض وقبل ذلك تحدَّث الله سبحانه عن نفسه وقال ﴿وكان عرشه على الماء﴾

أولاً: نظرية الحالة الثابتة:

في الخمسينيات من هذا القرن ظهرت فجأة نظرية جريئة جديدة،

تحدث بمضمونها وبفكرتها نظرية الضربة الكبرى. ووضع أساس تلك النظرية ثلاثة من كبار علماء الفلك الأفذاذ آنذاك كانوا يعملون في جامعة كامبردج بلندن، وهم (فريد هويل، وهيرمان بوندي، وتوم غولد). واستطاعت هذه النظرية المتقدمة أن تتجنب كثيراً من الاعتراضات الفلسفية التي واجهت نظرية الضربة الكبرى؛ مثل عدم إمكانية استيعاب وفهم وإدراك ما قد حدث قبل بداية الزمن بالانفجار الكبير؟ وكذلك من أين أتت أصلاً مادة الكون؟

فالنظرية الجديدة تنص على، أن الكون لا نهائي في الفضاء والزمان، ومجراته موزعة بشكل متجانس عبر الكون، وليس له بداية وسوف لن يكون له نهاية، وسيبقى هكذا من الأزل إلى الأبد بالرغم من أن مجراته ونجومه تموت وتزول لكن تظهر مواد جديدة، وبثبات تعوض المادة التي تفقد فيه.. والمواد الجديدة تلك هي: بروتونات، وذرات هيدروجين طازجة تتوالد في الفراغات بين المجرات ومن لا شيء، أي تنشأ من العدم وببطء شديد، ويتشكل منها ذرات وجزيئات لا يلبث أن يتشكل منها نجوم ومجرات جديدة تنتشر عبر الفضاء ومتباعدة بعضها عن بعض، ويتم ذلك بشكل دائم ومستمر بثبات، كي تسد الفراغات التي تتركها المجرات المتباعدة، لذلك دعيت هذه النظرية بنظرية الحالة الثابتة.

وفق هذه النظرية ليس هناك من داعٍ للسؤال عن بداية أو نهاية الكون، لأنه دوماً موجود ولا يزال (أزلي الوجودٍ وسرمدي البقاء)، كما لا يوجد داعٍ للسؤال عن أصل المادة لأنها تتولد فيه باستمرار من العدم المعتدل والحيادي. فلا يحدث فيه أي تغير جذري أو تبديل خلال الدهور والأزمان؛ فهو في حالة وسطية لا متبدل ولا زمني ولا عمر له، وخالد لا يحيط به زمن ولا يخضع لتوقيت.

حسب رأي العلماء: تُقدر كمية الهيدروجين المخلوقة في كل سنة بحيث تبقى كثافة المادة ثابتة في أرجاء الكون رغم تمدده، وبمعدل ذرة هيدروجين واحدة في كل جزء من الفضاء بحجم بناية الإمباير ستيت (وهي أعلى ناطحة سحاب في أمريكا).

تتصدى هذه النظرية لنظرية الانفجار الكبير التي تفترض حدوث

انخفاض للكثافة الوسطية لمادة الكون بسبب التمدد من اللب الأصلي للكون، إذ تنفي نظرية الثبات أي تمدد لأنه لا وجود للتمدد أصلاً حسب رأي هذه النظرية.

رغم نجاح نظرية الثبات في حل بعض المعضلات الفلسفية، إلا أنها تعارضت وبشكل واضح مع بعض الفيزيائية الأكثر أهمية في هذا الكون، ويخضع لها جزء من أجزائه وبدون استثناء، وهي:

١ ـ **مبدأ انحفاظ المادة والطاقة**: وهو ينص على أنه لا يمكن خلق المادة أو تدميرها وإزالتها من الكون. أي: ينص على عدم خلق المادة وإيجادها من لا شيء، وكذلك لا يمكن تدميرها وإلغائها من هذا الكون، مع أنه يمكن تحويل الطاقة لمادة وبالعكس، لكن دون فناء كامل لهما معاً لأن مجموعهما يجب أن يبقى ثابتاً دوماً.

٢ ـ **مبدأ انحفاظ كمية الحركة**: وينص على أن لكل فعل رد فعل إذا كانت الجملة معزولة ميكانيكياً، أو بحكم المعزولة ميكانيكاً، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت محصلة القوى الميكانيكية المؤثرة على الكون كله معدومة. أي يجب أن يكون الكون غير خاضع لأي مؤثر خارجي، لأن مجموع هذين التأثيرين (الفعل ورد الفعل) يجب أن يكون معدوماً، فحركة مجردة متباعدة لا بد أن يكون رد فعل لشيء وقد حدث فعلاً، وإلا لما تباعدت المجرات أصلاً بعضها عن بعض، وإلا تحرك الكون كله باتجاه ما دون اتجاه آخر، ولما تحقق لمجرته حركة تباعدية متناظرة في كل الاتجاهات؛ كما هو مشاهد من خلال الأرصاد الفلكية.

وهكذا نجد أن هذه النظرية قد تخطت أهم المبادئ الفيزيائية وأبسطها والمألوفة لنا من خلال خبرتنا اليومية وبما نشاهده في أرصادنا للأجرام الكونية الأخرى.

إن مثل هذا التخطي والتجاوز لأبسط مبادئ الفيزياء، وهما مبدأ انحفاظ الطاقة والكتلة، وكذلك مبدأ انحفاظ كمية الحركة وضعا تلك النظرية في وضع حرج جداً، وكذلك مبدأ انحفاظ كمية الحركة وضعا تلك النظرية

في وضع حرج جداً، مما أعطى العلماء المبررات القوية لرفضها وعدم الاعتراف بها نظرية علمية يوثق بها.

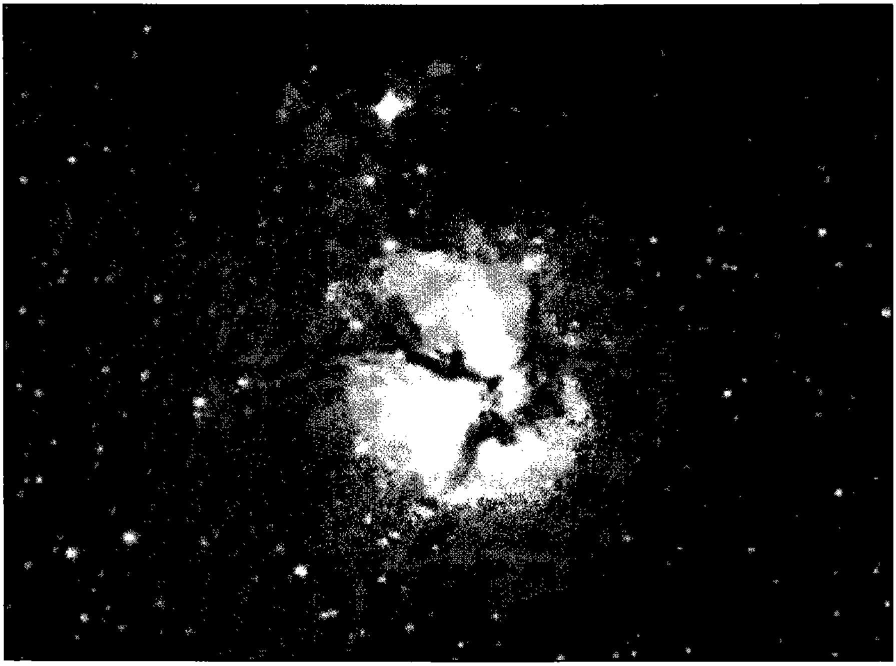
ولا شك أن من العلماء من رفض هذه النظرية ومنهم من أيدها وقبلوا بها كي يصلوا إلى استقرار فكري وراحة نفسية، ولتهدئة عملية التوسع في الدراسات الفلكية، فعملية التأمل والتفكير في كون ثابت يحدد نفسه أزلياً وتلقائياً ولا نهائي في بدايته ونهايته، هي من الأمور التي تريح تفكير كثير من الناس ولا تقلق تفكيرهم في البحث عن أجوبة صعبة لأسئلة تبدو لهم جوفاء، ومن بين هؤلاء العلماء الذين دعموا هذه النظرية الفيلسوف الإيطالي **أرنست ماخ** من البندقية. وربما يكون هؤلاء الذين قبلوا بهذه النظرية هم أولئك الوجوديون الذين قالوا: بأزلية المادة لنفي الخلق عن الخالق، وهؤلاء وجدوا معارضة كبيرة جداً لتأكيدهم أزلية المادة.

نظرية الكون المهتز:

بعد مرور عقد على عام ١٩٦٠م، حدث تقدم كبير في علم الفلك الحديث على يد البروفيسور **(فريد هويل)** وهو أستاذ في جامعة كامبردج بلندن، حيث ظهرت اكتشافات جديدة لأجسام وحوادث تجري في أعماق الكون جعلت الرأي العام ينزاح وينجذب ثانية إلى نظرية الضربة الكبرى. فلقد استطاع (هويل) أن يكشف أجساماً عرفت بالكواسارات، وهي نجوم وحيدة ظاهرياً وتحترق بشدة كبيرة جداً، وتطلق طاقة تعادل بليون نجم من الحجم المتوسط، وغاية في السعة ولربما وقعت عند حافة الكون، لذلك تبدو ضعيفة لا يمكن اكتشافها إلا بالتلسكوبات الراديوية القوية. وعلى كل حال فإن الأرصاد بالتلسكوبات الضوئية والراديوية القوية للمجرات وصلت حتى أعماق عشرة آلاف مليون سنة ضوئية بعداً عنا، وأعطت نتائج تشير إلى أن المجرات المجاورة لنا كانت قديماً أقرب لبعضها مما هي عليه اليوم، والضوء الوارد من عمق عشرة بليون سنة ضوئية يرينا الترتيب المجري القديم عندما كان الكون حديث الولادة.

أتى ذلك دعماً لنظرية الضربة الكبرى (الانفجار الكبير)، وتحدياً صارخاً لنظرية (ثبات الحالة)، فقام **(هويل)** بوضع نظرية جديدة للتوفيق

بينهما، وهي نظرية (الكون المهتز) فكانت وسطاً بين النظريتين السابقتين. حيث احتفظت هذه النظرية بفكرة الكون السرمدي الذي لا يحول ولا يمر عليه زمان، وليس له بداية ولا نهاية، والمادة تتولد فيه باستمرار وبثبات بين المجرات ليعوض المجرات والنجوم التي تزول بموتها بعد تباعدها.



سديم هائل ثلاثي الفصوص وهي منطقة يتشكل فيها الغاز والغبار فيشكل المجرَّات
ومليارات النجوم ـ وكل ذلك حدث ولا يزال يحدث بعد الانفجار الكبير
صورة أحدث التلسكوبات الأرضية في القرن الواحد والعشرين

وتتوافق هذه النظرية أيضاً مع نظرية الضربة الكبرى (الانفجار الكبير)، في حقيقة أن هذا الكون يتوسع، إذ أثبتت الأرصاد الحديثة حقيقة تباعد المجرات وتوسع الكون كما تتباعد النقاط المرسومة على سطح بالون أثناء نفخه. وأن معدل زمن التمدد الكوني يزيد على ١٣,٥ مليار سنة.

من أسباب اقتراح هذه النظرية الجديدة هي أن نظرية الضربة الكبرى (الانفجار الكبير) لم تقر بأية نهاية للكون، باعتبار أن التمدد الكوني سوف يستمر إلى الأبد بدون توقف، وكأنه لا توجد قوى لها فعالية تتدخل في عملية التوسع عدا قوة انفجار الضربة.

توقع (هويل) أنه ربما برزت في المستقبل قوة لم تكن ذات فعالية في يوم ما، فإذا بها تطغى بفعاليتها وتقوم بإيقاف عملية التمدد، عند ذلك تعمل على جر الكون في الاتجاه المعاكس، بعد حدوث توازن بين الاندفاع الخارجي للانفجار البدائي وقوى التجاذب الثقالية نحو الداخل. أي سوف يتوقف التمدد لفترة زمنية، لكن بعد فترة قصيرة الأمد سيحدث جر داخلي لتلك المجرات بعضها نحو بعض بحركة بطيئة في بدايتها، ثم تتسارع في اندفاعاتها نحو الداخل بعدئذٍ، بحيث يحدث تداخل واندماج لمكونات الكون مؤدياً ذلك لتزايد هائل في الضغط والارتفاع الحراري، ليعود الكون لحالته الهيولية التي انبثق منها أول مرة قبل عدة بلايين من السنين.

وفق هذه النظرية فالكون سوف يعيد الكرة وينفجر ثانية وثالثة وهكذا، فالكون يخضع بأكمله لدورة منتظمة من عمليات التمدد والتقلص تحدث فيه ضربة كبرى كل ٨٠ مليار سنة.

كيف يمكن التحقق من نظرية الكون الهزاز؟

لقد تم التوصل إلى جواب هذا السؤال عن طريق معرفة كثافة مادة الكون التي ستجعله يقف عند حد معين في تمدده وتجعله يبدأ بالتراجع والانكماش. وقام العلماء بإجراء حساباتهم في هذا الموضوع فتبين لهم أن الكثافة الحرجة (الحدية) لمادة الكون يجب أن تكون من رتبة ٥×١٠^{-٣٠} غ/سم٣ كي يبطئ الكون في تمدده ثم التوقف عنه. وهذه القيمة الحدية لكثافة المادة الكونية توافق وجود بروتون أو ذرة هيدروجين واحدة في حجم مقداره نصف متر مكعب، لأن الكثافة في هذه الحالة هي الفيصل الحاسم بين النظريتين.

فإذا كانت كثافة مادة الكون كبيرة وبشكل كاف، فإن الكون سيتوقف في نقطة معينة ثم تنعكس الحركة إلى عملية تقلص وبالتالي فالكون هزاز. أما إذا كانت الكثافة قليلة فلن تستطيع قوى الجاذبية إيقاف تمدد الكون عند نقطة معينة وسوف يستمر للأبد، وستغدو السماء مظلمة لا ترى فيها أجرام سماوية مضيئة، ويعتبر هذا في صالح نظرية الضربة الكبرى.

إن كثافة مادة الكون المرئية الآن بافتراض تجانس توزعها هي من رتبة ٥×١٠^{-٣٣} غ/سم٣، وهي أقل بألف مرة من الكثافة الحرجة. أما إذا أدخلنا أيضاً المادة اللامرئية وكل الإشعاعات وطاقاتها باعتبارها

تكافئ كتلة، وحسب علاقة اينشتاين الشهيرة وهي:

الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء.

فإن الكثافة ستبقى أقل بعشر مرات من الكثافة الحرجة، ذلك أنه يوجد في كل مجرة مواد لا مرئية أكثر بثلاثين مرة من مادتها المرئية.

وأخيراً لربما كان في الفضاء مناطق تحتوي مواد لا مرئية أو ربما كانت هناك حوادث اندماج، ومثل تلك الأمور قد تحقق الكثافة الحرجة للكون فتوقفه عن توسعه، والمعلومات التي تم التوصل إليها لا تشير إلى أن الكون سوف يتوسع إلى الأبد؛ وهذا يتوافق مع الآية الكريمة

يقول تعالى:

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ١٠٤]

يوجد برهان آخر يعتمد على غزارة غاز الديتريوم في الكون. إذ من المعلوم أن غاز الديتريوم تشكل قديماً من تصادم النترونات والبروتونات، ثم تحول إلى غاز الهيليوم، فانخفضت كمية الديتريوم في الكون، فإذا كانت كثافة الكون آنذاك منخفضة فعدد الاصطدامات بينها كان قليلاً وتبقى من كمية الديتريوم الكثير. وبالعكس إذا كانت كثافة الكون آنذاك عالية فالاصطدامات كثيرة ولن يتبقى من ذلك الديتريوم القديم شيء.

بعد تلك الدراسة وجد أن مادة الكون لها كثافة أقل بعشر مرات من الكثافة الحرجة اللازمة لإيقاف توسع الكون، وكان ذلك في غير صالح الكون المهتز[١].

فهاتان نظريتان مختلفتان حول قضية مهمة، وهي ماذا قبل السماوات والأرض؟ وماذا قبل الانفجار الكبير الذي كان بداية الكون؟

ولا نهاية والكون أزلي يتجدد دائماً وما يموت فيه من النجوم يولد مقابله نجوم أخرى والمادة لا تتناقص، .وسيبقى الكون في تعادل قوى الجاذبية والقوى النابذة إلى الأبد.

---

(١) الكون والحياة من العدم حتى ظهور الإنسان د/ مخلص الريس، ود/ علي موسى. صفحة ٣٩.

. . . فكيف يوصلهم عقلهم إلى هذه الافتراضات وهذه النظريات. . . فكل هذا الكون الذي أراهم اللَّه سبحانه وتعالى إياه وهيأ لهم ما يستطيعون، سبر أغوار الفضاء من آلات وأجهزة علم تكنولوجي فضائي منظور، واكتشافهم لعظيم هذه القدرة في الكون وهذه المجرات التي تقدر بالمليارات، وكل مجرة فيها مليارات النجوم والكواكب والأقمار، وكل هذا يعتبرونه مصادفة لا بداية له ولا نهاية وأي واحد من هؤلاء لو دخل بيته ووجد كوباً من الماء قد وضع له على مكتبه وفيه ماء مثلج، فأول ما يسأل من وضع هذا الكوب على طاولة مكتبي؟ فهو يرفض عقلاً أنه وضع لذاته فهو يسأل فوراً من وضع هذا الكوب على طاولة مكتبي؟ لأنه يعلم تماماً أنه لا يمكن أن يأتي هذا الكوب بمفرده فارغاً ثم يذهب إلى الثلاجة فيمتلئ بالماء البارد ثم يطير في الهواء ويوضع على مكتبه دون فاعل. هذا شيء طبيعي أن يسأل وأن يرفض فيما لو أن أحداً أجابه بمثل هذا الجواب.

. . . فإذا رفض أن كوباً من الماء البارد وضع بذاته ومن ذاته على الطاولة! فكيف يقبل أن هذا الكون العظيم وجد بذاته وهو أزلي وسيبقى هكذا أزلياً ولا بداية له ولا نهاية، لذلك أمثال هذه النظريات وإن وجد لها أتباع إلا أنها تمحق مع مرور الزمن وتبقى في الكتب دون مؤيدين لها.



سحابة برج الصياد وهي منطقة تبعد عن الأرض ١٤٠٠ سنة ضوئية تتولد فيها النجوم بأعداد هائلة وتنشر وتتباعد عن بعضها حيث يشاء اللَّه سبحانه

ونعود إلى السؤال.. إذاً ما هو وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة؟

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[سورة هود، الآية: ٧]

... لقد أثبت العلم أنه كان هناك لحظة (الانفجار الكبير) وهو بداية خلق الكون وهذا ما تؤيده الآية الكريمة.

والعلم كذلك يؤكد أن هناك قبل الخلق خالق، وإلا كيف تم الانفجار العظيم وولدت المجرات والنجوم.

العلم الدنيوي لا يعلم أين كان الخالق قبل الخلق؟ وماذا كان يوجد قبل خلق السماوات.. ولكن اللّه سبحانه وتعالى يخبرنا أنه كان عرشه على الماء.

والآية الكريمة تشير إلى شيء مهم، وهو أنه لم تكن قبل هذه السماوات والأرض سماوات ولا أرض قبلها، وهذا يريح العلماء بالسؤال هل كان قبل هذه السماوات والأرض سماوات وأرض قبلها؟ هم لا يعرفون الجواب، ولكن القرآن الكريم لم يشر إلى هذا الأمر، ولو كان كذلك لقال اللّه سبحانه وتعالى، ولكن حدد فقال: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ أي لم تكن هناك سماوات وأرض قبل هذه السماوات والأرض... ودليل أنه لو كان لأخبرنا اللّه سبحانه وتعالى.. ذلك أن اللّه سبحانه وتعالى يريد يوم القيامة أن يبدل هذه السماوات والأرض بسماوات أخرى وأرض أخرى؛ يقول تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

ويقول سبحانه:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

فاللّه سبحانه وتعالى يدلنا ويرشدنا ويعلمنا، فإذا أراد هؤلاء الجواب فإنهم يجدونه في كتاب اللّه... ولكن سيأتي اليوم الذي سيعرفون فيه

ويتأكدون أن لهذا الكون خالقاً سيعيده كما بدأه أول مرة، يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]

وسيجمعنا كما خلقنا ليوم موعود وهو يوم القيامة، وقبل الإعادة، ويوم القيامة سيريهم اللّه آياته في الآفاق، فيعرفوا ويتأكدوا أن اللّه سبحانه وتعالى هو الحق.

يقول تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

ومهما تعددت النظريات فسوف يريهم اللّه فيتأكدون بوجود خالق لهذا الكون وهو اللّه سبحانه وتعالى، وذلك قبل يوم القيامة واللّه أعلم.

نفي اللّه سبحانه
اللعب واللهو عن خلق السماوات والأرض

يقول تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ۞ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾

[سورة الأنبياء، الآيتان: ١٦، ١٧]

هذه الآية الكريمة متفردة في المعنى، عن كل آيات السماء التي ذكرها اللّه سبحانه في كتابه الكريم.

.. وبما أن الإنسان كائن يفكر، فلا بد أن يتفكر في هذه الآية الكريمة وتفردها في هذا المعنى.. وهذه الآية الكريمة وإن كانت متفردة في هذه الألفاظ، إلا أنها تجتمع مع كثير من الآيات الكريمة حول كلمة (الحق) كما في قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾

[سورة الحجر، الآية: ٨٥]

فإن كلمة (لاعبين) وكلمة (لهواً) الواردتان في الآية الكريمة، محط التساؤل والتفكر.

وقبل أن نفسر الآيتين تفسيراً تحليلياً، وبما يتوافق مع العقل والفكر، وحقيقة الأشياء المخلوقة، لنطلع على رأي المفسرين للقرآن الكريم.

يقول الصابوني في تفسير هذه الآية الكريمة في صفوة التفاسير:

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِيْنَ) أي لم نخلق ذلك عبثاً وباطلاً، وإنما خلقناهما دلالة على قدرتنا ووحدانيتنا، ليعتبر الناس ويستدلُّوا بالخلق على وجود الخالق المدبر الحكيم (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا) أي لاتخذناه من عندنا من الحور العين أو الملائكة (إِن كُنَّا فَاعِلِينَ) أي لو أردنا

فعل ذلك لاتخذناه من لدنا، ولكنه منافٍ للحكمة فلم نفعله[١].

ويقول الفخر الرازي في تفسيره عن الآيتين من سورة الأنبياء:

قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾
إعلم أن فيه مسائل:

المسألة الأولى: في تعلق هذه الآية بما قبلها وجهان: (الأول) أنه تعالى لما بين إهلاك أهل القرية لأجل تكذيبهم، أتبعه بما يدل على أنه فعل ذلك عدلاً منه ومجازاة على ما فعلوا، فقال (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِيْنَ) أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب والغرائب، كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم للهو واللعب، وإنما سويناها لفوائد دينية ودنيوية، أما الدينية: فليتفكر المتفكرون فيها، قال تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وأما الدنيوية: فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى، وهذا كقوله ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ وقوله ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ .

(والثاني) أن الغرض منه تقرير نبوة سيدنا محمد ﷺ والرد على منكريه، لأنه أظهر المعجزة عليه، فإن كان محمد كاذباً، كان إظهار الحق عليه من باب اللعب، وذلك منفي عنه وإن كان صادقاً فهو المطلوب، وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن.

المسألة الثانية: قال القاضي عبد الجبار: دلّت الآية على أن اللعب ليس من قبله تعالى، إذ لو كان كذلك لكان لاعباً، فإن اللاعب في اللغة: اسم لفاعل اللعب، فنفي الاسم الموضوع للفعل يقتضي نفي الفعل، (والجواب) يبطل ذلك بمسألة الداعي على ما غير مرة، أما قوله: (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ) فاعلم أن قوله: (لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا) معناه من جهة قدرتنا،

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي صابوني تفسيره لسورة الأنبياء.

وقيل إن اللهو: الولد بلغة اليمن، وقيل: المرأة، وقيل: من لدنا أي من الملائكة لا من الإنس رداً لمن قال بولادة المسيح وعزير، فأما قوله تعالى ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ فاعلم أن قوله (بل) اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب، وتنزيه منه لذاته، كأنه قال سبحاننا أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق، واستعار لذلك القذف والدمغ، تصويراً لإبطاله فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً، قذف به على جرم رخو فدمغه، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ يعني من تمسك بتكذيب الرسول ﷺ ونسب القرآن إلى أنه سحر وأضغاث أحلام إلى غير ذلك من الأباطيل، وهو الذي عناه بقوله: (مِمَّا تَصِفُونَ)(١)

هذه الآية الكريمة، فيها عظيم رحمة اللّه سبحانه على الرغم أنها لا تحتوي في مفرداتها على كلمة رحمة أو صفة اللّه سبحانه الرحمن الرحيم، ذلك أن اللّه سبحانه لا يمنعه شيء أن يفعل ما يريد.. ومن الذي يحاسبه على ما يريد؟

ولو أراد اللهو واللعب في خلق السماوات والأرض لفعل وليس لكل من دونه من الملائكة والخلق أجمعين ولو اجتمعوا جميعاً أن يسألوا اللّه عمّا يفعل.

يقول تعالى:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٢٣]

فحاشى للّه صفة اللعب واللهو ولكن إذا أردنا أن نفسر المعنى المقصود باللهو واللعب في معنى الآية نقول:

.. فلو خلق اللّه الخلق على ما هم عليه الآن، ولكن لم يرسل لهم رسلاً ولم ينزل لهم كتباً.. وكذلك لم ينزل لنا القرآن الكريم، وما أدرانا به.. فتصور في هذا: حياة البشر عبر الأجيال وآلاف السنين التي توالت، والناس لا تعلم سر وجودها ولا خلقها ولا إلى

---

(١) تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب الجزء ١١ صفحة ١٤٨.

أين هي ذاهبة بعد الموت.. ولا أحد في الوجود يستطيع أن يجيبهم على هذا السؤال، ولا هم بطائلين وواصلين إلى السماوات فوقهم، ولا يستطيعون الاتصال بها ليعرفوا شيئاً عن وجودهم، والبشر عاشت مئات الأجيال في جهل عن علم الفلك والسماء.. حتى في عصر الحضارة والعلم والتقدم التكنولوجي الهائل الذي نعيشه اليوم، وما وصل إليه علم الفلك من تقدم، وتلك الآلات والسفن والمراصد الجبارة، والتي بها استطاعوا أن يصلوا إلى القمر، وإلى الزهرة، وإلى كوكب المريخ، ولكنهم لم يجدوا حياة، وما وجَدوا إلا جماداً لا يستطيع أن يجيبهم عن شيء.

فتصور أن هذا اللهو يحدث (وحاشى للَّه ذلك) فكم نحن تعساء وأشقياء! وتصور كم نحن في هرج ومرج وقتل ونزاع وحرب! وتصور سطوة الجبارين والظالمين، لأنه لا شيء يروعهم ولا يخافون من ظلمهم، لأن اللَّه سبحانه لم يرسل لهم رسلاً، وينزل لهم كتباً يحذرهم من ظلمهم وغيهم!.

وقد نوه اللَّه سبحانه لمثل هذا في كتابه؛ يقول تعالى:

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[سورة يونس، الآية: ١٦]

ولو شاء اللَّه سبحانه وتعالى ما أنزل القرآن الكريم، وما أدرانا ما فيه، وخلقنا عبثاً هكذا يعيش جيل ويموت جيل كالأنعام، ونحن لا ندري شيئاً.. فالعبث في الخلق نفاه اللَّه سبحانه عن نفسه، لأن هذه صفات المخلوق كالإنسان الذي يعبث كثيراً، يقول تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]

إذاً رحمة اللَّه سبحانه أنه لم يخلقنا عابثاً ولا لاعباً ولا لاهياً، إنما خلقنا بالحق، وخَلَق السماوات والأرض بالحق، وخَلَق الملائكة بالحق، وخلق الجن بالحق، وخلق الجنة بالحق، وخلق النار بالحق، وكل شيء عنده حق، .وحسابنا يوم القيامة ورجوعنا إلى اللَّه حق، يقول تعالى:

﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾

[سورة الذاريات، الآية: ٢٣]

فإن كمالَ الرحمة، الحقُّ وكمال الحق الرحمة، والحق والرحمة من صفات الخالق، فهو الحق المبين وهو أرحم الراحمين.

فأي عبث عن اللَّه سبحانه منفي عنه وأي لهو منفي عنه، والعبث واللهو واللعب في خلق السماوات والأرض منفي عن اللَّه سبحانه.. فقد كنا لا ندري شيئاً فأدرانا اللَّه سبحانه، وكنا لا نعلم شيئاً فعلمنا اللَّه، وكنا لا نفقه شيئاً ففقهنا اللَّه.

قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة الشورى، الآية: ٥٢]

ويقول تعالى:

﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٩٨]

ويقول تعالى:

﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٣٩]

إذاً لو أراد اللَّه سبحانه اللهو واللعب والعبث في خلق السماوات والأرض وفي خلقنا لفعل، ولا رادَّ لما يريد، ولكن اللَّه سبحانه ما أراد ذلك لأنهَّ هو اللَّه الرحمن الرحيم الحق المبين.

يقول تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة الحج، الآية: ٦]

فالحمد للَّه أنه لم يخلقنا عبثاً ولا لعباً ولا لهواً، بل خلقنا ليكرمنا في الحياة الدنيا، ويكرمنا في الحياة الآخرة، ولا يضيع إيماننا فهو الرؤوف الرحيم.

يقول تعالى:

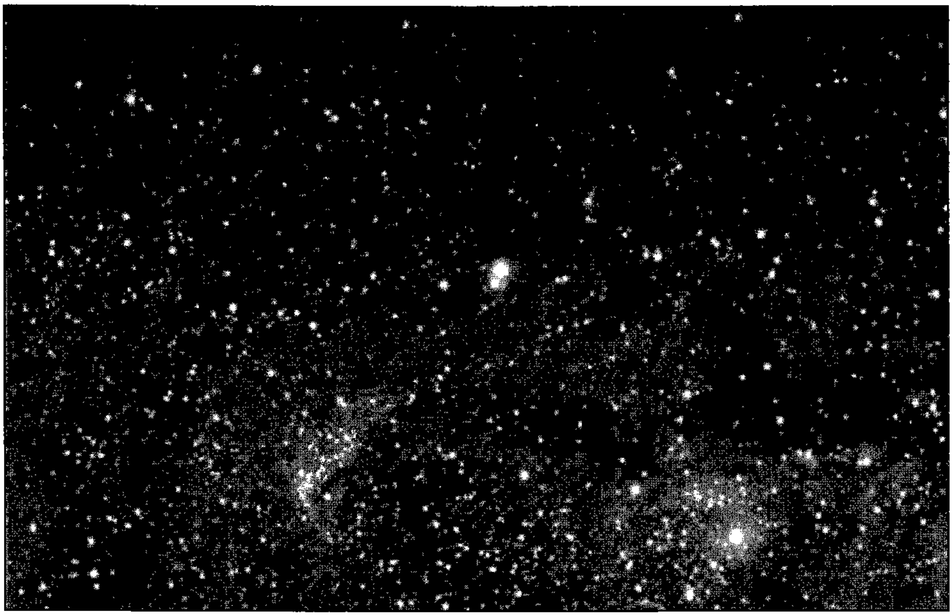
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

ويقول تعالى:

﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٩٥]



نجوم بالمليارات في أحد المجرات الحديثة التي تم اكتشافها
بواسطة التلسكوب هابل في القرن الواحد والعشرين، وما هذه النجوم للسماء إلا كحبة رمل في صحراء . . . فهل خلق الله سبحانه هذا لاعباً؟ حاشى لله ذلك؟

خلق السماوات السبع والأراضين السبع

يقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

هذه الآية الكريمة قضية علمية كبيرة جداً، تشغل فكر علماء الفلك الذين يولون دراسة السماء والأرض أهمية عظيمة، ويقدمون لها كل ما تملك أيديهم من مال وأجهزة علمية متطورة.

وللسائل أن يسأل: ما الأرض وما قيمتها أمام السماء فيذكرها اللّه سبحانه وتعالى دائماً مع ذكره للسماء؟

فالأرض هي إحدى الكواكب التي لا تعد ولا تحصى، هيأها اللّه سبحانه وتعالى لنا وجعلها قراراً وسكناً فأصبحت هي الكوكب الذي نلمسه بأيدينا ونراه بأعيننا، فهو الوحيد الذي من الممكن أن نعرف عنه الكثير، لأننا نعيش عليه ونلمس معجزات اللّه سبحانه وتعالى فيه، من جبال ووديان وصحراء وبحار وأنهار.

وهذه الآية الكريمة وما تحويه من قوة الإبداع والخلق، هي القضية الأساسية بالنسبة لعلماء الفلك، وربما عرف علماء الفلك بعض سر الأرض وهم ماضون بخطى سريعة جداً في تتمة دراسة الأرض والكون كله.

والعلماء وصلوا إلى معرفة النجوم، وحددوا مسارها وانتماءاتها، وعلموا أن هذه السماء الهائلة وما تحويه من نجوم وكواكب هائلة، منظمة تنظيماً عظيماً يفوق حد تصورات ورؤية البشر، وعلموا أن أي

نجم أو كوكب في السماء لا يعيش وحيداً منفصلاً بقانونه ودورانه وسبحه في السماء، بل مرتبط مع غيره ارتباطاً وثيقاً متكاملاً.

وعلموا أن أية مجموعة من الكواكب في السماء لها أمٌّ تجمعها ضمن نظام أسماه العلماء نظام المجموعة الشمسية، وكل مجموعة شمسية مؤلفة من عدد من الكواكب ولها نجم (شمس) تجمعها ضمن مجالها الجاذبي والمغناطيسي.

ثم توصلت علومهم إلى معرفة أن أي مجموعة شمسية لها قوانين انضباطية لا تستطيع الخروج منها.

فهذه المجموعات الشمسية والتي تقدر بالمليارات منضبطة في قالب هندسي رائع التصميم، تشكل فيما بينها تكتلاً رائعاً أسماه العلماء (المجرة).

وهذه المجرة وما تحويه من ملايين المجموعات الشمسية تعيش أيضاً ضمن نظام ومحكومة بقانون إلهي، وهو قوة التجاذب المغناطيسي بحيث لا تستطيع أن تفك نفسها من هذا الترابط المنظم وأن تخرج من مجالها المغناطيسي.

ومجموعتنا الشمسية التي نعيش ضمن مجالها هي إحدى المجموعات الشمسية في درب التبانة والتي يبلغ محيطها (١٠٠,٠٠٠) مئة ألف سنة ضوئية، ومجرة درب التبانة التي نعيش في أطرافها مع واحد وثلاثين مجرة أخرى تؤلف مجموعة أطلق عليها العلماء (المجموعة المحلية ـ الكلوستر ـ).

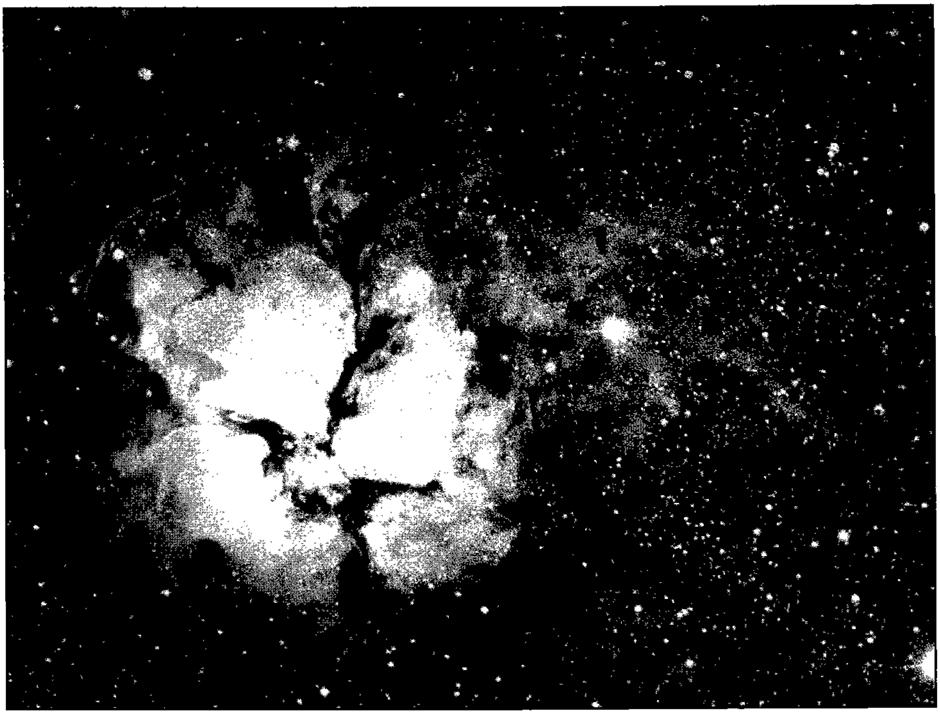
وهذه المجموعة الصغيرة من المجرات لا شيء أمام مجموعة أخرى تسمى العذراء (الكلوستر)، وتضم هذه المجموعة وحدها (٢٥٠٠) ألفين وخمسمائة مجرة في كل مجرة منها ما لا يقل عن مائة ألف مليون نجم، عدا الكواكب والأقمار[١].

وهذه المجموعة (العذراء الكلوستر) والتي تضم ألفين وخمسمائة مجرة ليست إلا مجموعة من ملايين المجموعات الأخرى المترامية

---

(١) راجع كتاب (الكون ذلك المجهول) جلال عبد الفتاح ص ١٨٨ ـ ١٩٢.

الأطراف التي تسبح في السماء ضمن قوانين ونظم وهندسة إلهية تفوق حد التصور العقلي والبشري.



السديم العملاق TRiFiD أو ما يطلق عليه (حاضنة النجوم) مجرات ونجوم بالمليارات وهذا كله جزء صغير أمام السماء

فاللَّه سبحانه وتعالى أتاح لنا ـ أهل هذا الجيل ـ معرفة بعض أسرار السماء وما تحويه من قدرات عظيمة.

وحين استطاع هذا الجيل ـ جيل القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين ـ التعرف على بعض ملك اللَّه سبحانه وتعالى بإرادته ومشيئته أدركنا معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

فهذه آيات اللَّه عظيمة أمام ناظرينا، وإن لم نستطع الوصول إليها ولكن أدركتها عقولنا وألمت بها مداركنا.

وآيات اللَّه كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، وما عرفناه جزء يسير جداً، فالسماء آية، والأرض آية، وأنفسنا آية، والموت آية، والبعث آية، والموقف آية، والميزان آية، والصراط آية، والجنة آية، والنار آية... وبعد أن يطلعنا اللَّه سبحانه وتعالى عليها نعرفها بعد أن كانت خافية علينا.

وحينما يتعرف الإنسان على بعض ملك اللَّه وقدرته، يعلم عظمة السماء وما فيها، ويدرك معنى الأرض التي جعلها اللَّه سكناً وقراراً، فإنه يستطيع أن يحدد ما معنى آيات اللَّه وما معنى قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ ﴾

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

ومن ثم تتضح أمامك صور كثيرة، وتفهم معنى قدرة هذا الخالق، هذا الإله العليم، ولذا حينما نزل القرآن الكريم وتكلم اللَّه سبحانه وتعالى عن السماء وعن الأرض أشار إشارات علمية عن الكون بما يمس العقيدة الإيمانية، وما توسع في شرح الآيات العلمية لأن الناس يومها لم تكن لديهم علوم يستطيعون بها أن يفهموا قدرة اللَّه في خلقه للسماء والأرض، ولم يكونوا يملكون أي علم عن السماوات وعن هذه النجوم التي يرونها في السماء كحجم عقلة الإصبع، تزين السماء وتبين لهم الطريق ويتخذونها علامات في سفرهم وترحالهم.

لذا كان الناس يسألون سيدنا محمداً ﷺ عن هذه النجوم والكواكب والأقمار أي شيء تكون، وهذا دليل أنهم لا يعلمون عنها شيئاً، لذا نزل قوله تعالى:

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٨٩]

فخاطبهم اللَّه على قدر عقولهم، لأن التوسع في بيان وشرح وتفصيل علم السماء والنجوم والمجرات قد توصل العقيدة الإيمانية إلى طريق مسدود، فاكتفى اللَّه سبحانه وتعالى ببعض الإشارات العلمية عن

علم السماوات والأراضين السبع التي تشير بنفس الوقت إلى عظمة خلق السماوات وما فيها من النجوم، وترك هذا للبشرية حتى تكتشف بنفسها وتدرك عظمة اللّه في السماء، وقد وعد اللّه بهذا بقول:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

فهم سواء أكانوا عالمين أم جاهلين اعترفوا أن خلق السماوات هو من صنع اللّه، وما ادعى أحد من الخلق أنه هو الخالق، يقول تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٥]

فهذه قضية مفروغ منها.

فإن توسع اللّه في الشرح وذكر لهم وفصَّل الإشارات العلمية وتحدث عن المجموعات الشمسية، والمجرات، وتجمع المجرات، ومليارات النجوم والكواكب، والمسافات التي تقع بينها، ومعنى الجاذبية، وكيف تم بناء السماء وما يوجد في السماء الثانية، فإنهم سيكذبون هذا الكلام، وهذا التوسع في الشرح، ويقولون:

إن محمداً ﷺ يهذي، ولأن اللّه أعلم بنفوس خلقه وما خلق، لذا قال سبحانه وتعالى:

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾

[سورة يونس، الآية: ٣٩]

وهب أنهم لم يكذّبوا، ولكنهم لن يفهموا شيئاً ولن يدركوا علم السماء، ولن يدركوا أن الشمس التي تسبح في كبد السماء حجمها حجم الأرض مليون وثلاثمائة ألف مرة، وأنها تبعد عن الأرض التي يعيشون عليها (١٤٩) مليون كم، بل إن علماء الفلك حتى وقت قريب كانوا يظنون أن الأرض هي مركز الكون، وأن كل ما يسبح في السماء تابع لها.

فإذا كنا نحن وقد أطلَّ علينا القرن الواحد والعشرون، عقولنا مستغربة أن أحد كواكب المجموعة الشمسية وهو (نبتون) يبعد عنا وعن الشمس أربعة

مليارات كم، وهو ضمن المجموعة الشمسية التي ننتمي إليها[1]، وهذه المجموعة هي واحدة من آلاف المليارات من المجموعات الشمسية التي تسبح في السماء، فإذا كان أحد أفراد هذهّ المجموعة الشمسية والتي تقطن في أقصى جنوب مجرة درب التبانة يبعد أحد كواكبها عنا مليارين وثمانمائة مليون كم، فأين نحن من علم اللّه أولاً وكيف سيفهمون فيما لو فصّل القرآن هذا.

لهذا اكتفى القرآن بإشارات يفهم منها الكثير لقوله تعالى:

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

ولولا مقياس الطيف الذي اخترعته وتوصلت إليه البشرية، لما عرفنا عن السماء شيئاً إلا تخميناً وتوقعاً، فقد استطاعوا بهذا المقياس تحديد بعد النجوم عن الأرض وبعد النجوم بعضها عن بعض، وبعض المجرات بعضها عن بعض.

والسؤال المحير الذي لا يجد علماء الفلك جواباً عليه حتى هذه الساعة، رغم كل هذه الاكتشافات، وهذه الإمكانيات الهائلة التي توفرت بين أيديهم.

هل يوجد كون آخر غير الذي عرفوه، رغم أنهم لم يصلوا إليه ولن يصلوا؟ أو هل فوق هذا الكون كون آخر؟

أي هل توجد سماء أخرى غير هذه السماء التي يعملون جهدهم ويضعون كل إمكانياتهم في سبيل معرفتها واكتشاف ما فيها؟

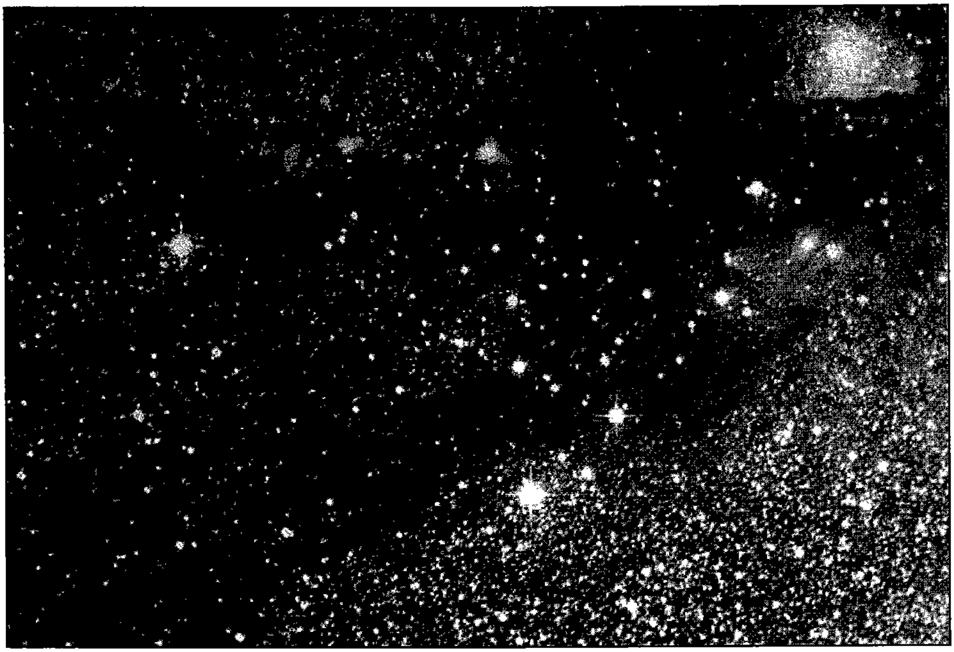
وهم بهذا يريدون أن يصلوا إلى الكون الثاني ويتخطوا السماء الدنيا إلى ما فوقها، قبل أن يتأكدوا أنهم وصلوا فعلاً إلى نهاية السماء الأولى.

وكيف يمكن هذا وهم من عامين فقط وبعد أن اخترعت أمريكا تلسكوبها الشهير (هابل) كانوا يظنون أن هذه المنطقة السوداء في السماء لا

---

(١) من آيات الله في السماء (ماهر أحمد الصوفي).

أثر فيها لأي حياة أو مجرات أو نجوم، وتأكدوا بعد أن أرسل لهم التلسكوب (هابل) الصور الحديثة، أن في هذه المنطقة التي ظنوا أنها خالية فيها من المجرات التي لا يعلم عددها إلا اللّه أقربها لمركز الأرض تبعد سبعمائة مليون سنة ضوئية.



جزء آخر من السماء بلايين النجوم يتوقع العلماء من خلال أجهزة
أعداداً تقريبية ولكن لا يعلم عددها وحجمها ومواقعها إلا اللّه سبحانه فهل في أحدها حياة؟

فكيف سيصلون بالمعرفة فقط إلى معرفة الكون الآخر وهم لا يزالون كطفل وليد يحبو على الأرض في معرفتهم ما في السماء الأولى، فإذا كان أحد كواكب المجموعة الشمسية التي نعيش معها ونحن كعائلة واحدة واسمه نبتون يبعد عن مركز الأرض أربعة مليارات كم، فكيف نبحث الآن عن سماء أخرى وكون آخر؟!!

ومع ذلك فلو أنهم قرؤوا ما في القرآن الكريم ودرسوه لأراحوا أنفسهم وعلموا أن اللّه الخالق لهذا الكون العظيم، قال:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ ﴾

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

ولو قرؤوا قول اللّه سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ ﴾

[سورة الملك، الآية: ٣]

ولو درسوا قول اللّه في سورة النبأ

﴿ وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ﴾

[سورة النبأ، الآية: ١٥]

لعلموا ساعتها أن فوق هذا الكون وهذه السماء الأولى سماء ثانية، وثالثة، ورابعة، وخامسة، وسادسة، وسابعة، وفوق السماء السابعة الكرسي الذي يسع هذه السماوات السبع، لقوله تعالى:

﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

وربما يكون الكون الأول الذي يكتشفه العلماء في هذه الأيام والذي هو السماء الأولى، لا يشكل شيئاً أمام السماء الثانية أو الكون الثاني الذي يبحثون عنه، وربما تكون السماء الأولى والثانية ليست بشيء أمام السماء الثالثة، وهكذا حتى السماء السابعة أو الكون السابع.

إنه كون عظيم غير متناه ومواقع للنجوم والكواكب وأرقام وأبعاد تفوق حد الخيال البشري، وأعداد هائلة من النجوم والكواكب والمجرات، فإذا كان أنشتاين قال منذ أكثر من خمسين عاماً: لو قسمنا عدد المجرات التي في السماء ويقصد السماء الأولى على عدد سكان الأرض لكان نصيب كل فرد منا سبعاً وثلاثين مجرة، أي: نصيب كل فرد من سكان الأرض (٣٧) سبع وثلاثون ألف مليون نجم و كوكب[(١)].

فالارتقاء البشري بالمعرفة الكونية في هذا العصر وصل إلى حد المعرفة الحقيقية لسعة السماء، وحقائق النجوم العملاقة، فأوصلت تلك الحقائق علماء الفلك إلى الهذيان والشرود، وربما وصلت بهم إلى حد الإغلاق الفكري والعقلي، وهذا عالم إنكليزي وصل بعد أن عرف الحقائق وهذه

---

(١) آيات الله في السماء (أحمد زكي).

القدرة الهائلة في السماء إلى حد الشرود، الذي يشبه الجنون والذهول والعجب يلحقه كلما توصل إلى اكتشاف جديد ومعرفة جديدة، وهو السيد (جيمس جينز) الذي قال: رغم كل هذه الاكتشافات العلمية الهائلة في علم السماء يقول: (إنا لا نزال في بداية الطريق)![(١)]

وأي طريق هذا الذي يقصدونه، فلو كانوا يعلمون أنهم لم يصلوا إلى نهايته أبداً لا كتفوا بما لديهم.

إن هناك سماء دنيا نعيش معها وفيها، والعلم وصل إلى أبعادها وأحجامها ونجومها ومجراتها ولكن لم يصل إلى نهايتها.

وهل يستطيع العلم أن يتعدى حدود السماء الدنيا ليصل إلى معرفة حدود السماء الثانية، وأنا لا أصدق أن هذا يمكن أن يحدث ولو بعد مليون عام، وأما لماذا؟ فلأن الإنسان استطاع أن يصل إلى الكون بعقله ولكنه لم يصل إليه بجسده

فالوصول إليه باعتراف أحد علماء الفلك أمر مستحيل. فكيف لنا أن نصل إلى الكون الآخر أو السماء الثانية، فهذا أمر يدخل في المستحيل الحتمي[(٢)].

وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أظهر للبشرية أشياء وأخفى عنهم أشياء، إننا نرى النجوم والكواكب والأقمار، وقد تكون هناك مخلوقات أخرى وكثيرة غير النجوم والكواكب نحن لا نراها ولا نعلم عنها شيئاً.

فأين نحن من هذا؟ فإننا لا نرى شيئاً، وهناك الكثير الخفي عن أعيننا وصدق الله القائل:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

وهذه الآية ليس المقصود بها زمن سيدنا محمد ﷺ، والله أعلم بخلقه

(١) الكون بين العلم والإيمان (د/ محمد صبحي).

(٢) كل الرحلات الفضائية الأمريكية والروسية إلى كواكب المجموعة الشمسية وغيرها ومنذ عام ١٩٧٠ ولغاية عام ٢٠٠١ لم يستطيعوا أن يرسلوا أي إنسان على متن هذه السفن.

وبما سيعلمون وسيكتشفون، وإنما هذه الآية لكل البشر ولكل الأوقات وحتى قيام الساعة، لذا فإن أحد علماء الفلك قال: كلما ظننا أننا وصلنا إلى نهاية المطاف. نكتشف مجدداً أننا لا نزال في بداية الطريق، وأنا أقول له نعم ما زلتم في بداية الطريق، لأن علم اللَّه وقدرته لا نهاية ولا حدود لهما ونحن لا نملك العلم، ولو ملكنا ما ملكنا إلا القليل.

ونلاحظ أن اللَّه سبحانه وتعالى ذكر في قرآنه الكريم أكثر من مرة أنه خلق سبع سماوات وخلق سبع أرضين مثلهن، قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

هذا ما جاء به القرآن الكريم.

وأما علماء الفلك فإنهم بذلوا جهداً كبيراً في البحث ـ بين هذه المجموعات الشمسية المترامية الأطراف وبين هذه المجرات التي يزيد عددها كثيراً على عدد البشر ـ عن كواكب تشبه الأرض يقطنها خلق وأناس، كما نقطن نحن الأرض، ورصدوا لدراسة هذه الظاهرة إمكانيات هائلة في سبيل الوصول إلى معرفة حقيقية بعيدة عن الظن والخيال، وبعيداً عن التصورات والتخيلات العلمية التي تدعي وجود خلق على كواكب أخرى، والتأكيد الوهمي على وصول أطباق طائرة من الأكوان الأخرى(١).

إذاً هناك سبع سماوات يقابلهن سبع أراضين. . . ويبقى السؤال:

١ ـ أجعل اللَّه في كل سماء أرضاً واحدة كأرضنا التي نعيش عليها؟

٢ ـ أم جعل اللَّه الأراضين السبع ضمن السماء الأولى على عظيم اتساعها؟.

٣ ـ أم أختار اللَّه سبع مجرات متباعدة في السماء الأولى وجعل في كل واحدة فيها أرضاً كأرضنا، وجعلها سكناً وقراراً لخلق آخر لا نعلم عنه شيئاً؟.

٤ ـ أم أن هذه الأراضين السبع ضمن مجرتنا والتي تحوي مائتي ألف مليون نجم غير الكواكب والأقمار.؟.

---

(١) راجع كتاب (الخيوط الخفية) محمد عيسى داود ـ ص٩٠ ـ ٩٥.

العلم لم يستطع معرفة شيء حتى الآن وأنّى له أن يعرف؟ فإذا كان كوكب ضمن مجموعتنا الشمسية يبعد أربعة مليارات كم عن الأرض، وآخر يبعد عشرة مليارات كم فكيف لنا أن نعرف بما هو خارج هذه المجموعة الشمسية؟!.

٥ ـ أم جعل اللَّه في كل تجمع مجرات كلوستر / كالعذراء / التي تحوي ألفين وخمسمائة مجرة كوكباً أرضياً من الكواكب السبعة التي ذكرها اللَّه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم؟.

٦ ـ وهل المقصود بأن اللَّه خلق سبع أراضين كل واحدة تشبه الأرض التي نعيش عليها، وفيها حياة وأنهار وجبال وحيوان وخلق آخر وأنبياء ورسل؟

٧ ـ وليس معنى سبع أراضين أي سبع كواكب، فالأرض دون الكواكب مقصودة بأنها قرار وسكن لخلق من خلق اللَّه، فالأرض كوكب ولكنها ليست كباقي الكواكب، فهي الوحيدة التي حماها اللَّه من دون الكواكب الأخرى من أخطار السماء حتى تكون سكناً آمناً لأهلها.

٨ ـ يفهم من هذا أن اللَّه قصد سبع أراضين، فهي سبع أراضين توجد فيها أسباب الحياة ولكن بعلم اللَّه وقدرته.

٩ ـ علماء الفلك وصلوا إلى درجة الهذيان وهم يبحثون في السماء عن أي كوكب يشبه في صفاته أرضنا التي نعيش عليها.

١٠ ـ أحد علماء الفلك في يوم كان يجلس وراء أحد التلسكوبات الكبيرة وهو يراقب حركة النجوم والكواكب في أحد المجرات، وفجأة صرخ صرخة وقال: لقد وجدته!!

ماذا وجدت؟ قال وجدت كوكباً في أحد المجرات في تجمع العذراء كلوستر ربما يشبه الأرض ثم فقده مرة أخرى ولم يجده.. فتبدد الحلم الذي كان يحلم به.

١١ ـ ومرة أخرى إحدى عالمات الفلك الأمريكيات في وكالة (ناسا) الفضائية صرخت وهي جالسة وراء تلسكوب تراقب حركة النجوم ونادت آه إني رأيت كوكباً لونه أخضر غامق، آه ربما يشبه الأرض ولكنه مر على حد قولها مرور السحاب ولم تستطع أن تعيده ثانية إلى عدسة التلسكوب

فضاعت أحلامها الوردية على مدى سنتين وهي تراقب هذا الأمر[١].

١٢ ـ فالعلماء وصلوا إلى درجة الهذيان والشرود وهم يبحثون بين كل هذه النجوم والكواكب في هذه المجرات الهائلة عن كوكب واحد توجد عليه حياة مثل حياتنا ويطلقون عليه اسم الأرض الثانية لكنهم حتى هذه الساعة لم يصلوا إلى شيء.

١٣ ـ بعض علماء الفلك يقولون: أيعقل ألا يوجد بين كل هذه المليارات من النجوم والكواكب التي تسبح في السماء أثر لحياة إلا على هذه الأرض؟

١٤ ـ ولم لا فاللّه سبحانه وتعالى يقول في خصوص السماء الدنيا:

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾

[سورة الملك، الآية: ٥]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾

[سورة الصافات، الآية: ٦]

ويقول تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ٩٧]

١٥ ـ وربما نحكم بهذا على السماء الدنيا، ولكن هل نستطيع أن نحكم بهذا على السماء الثانية، والثالثة، والرابعة، وحتى السابعة؟

إذاً فاللّه خلق سبع سماوات وخلق سبع أراضين، وهذه السماوات وهذه الأراضين السبع بحاجة إلى مراقبة تامة من اللّه سبحانه وتعالى لا تغفل أبداً، وحتى مقدار جزء من الثانية، وتتجلى قدرة اللّه سبحانه وتعالى هنا في هذه المراقبة الشديدة المحكومة بدقة وإتقان كامل.

يقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

---

(١) مجلة العلوم، الصادرة عن أكاديمية البحث العلمي ـ القاهرة.

فقد وصف اللّه نفسه وقال إنه لا تأخذه سنة ولا نوم أبداً عن مراقبة السماوات السبع والأراضين السبع، فهو مصرف إياها بكل ما فيها، ينزل أمره لهذه السماوات في تسيير أمورها كلها وما فيها وما بينها، ولو علمنا ما معنى السماوات السبع لأدركنا قدرة اللّه سبحانه وتعالى في دقة مراقبته للأمور سواء الجماد منها أو ما تدب فيها حياة، يعلم سرائر الأمور ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، فاللّه القوي القادر الذي يراقب الذرة والتي لا ترى بالعين المجردة ويعرف سيرها ومقرها ومستودعها، فهل ندرك القوة والقدرة الحقيقية لهذا المعبود الذي يملك السماوات السبع والأراضين السبع، ونحن قد أدركنا أن في السماء الأولى النجوم والكواكب والمجرات الهائلة واللّه يسيرها بدقة فائقة ولكن أنّى لنا أن نعرف ماذا في السماء الثانية والثالثة إلى السابعة وما أدرانا ما فوق السماء السابعة؟!

فضبط السماوات السبع بهذه الدقة الفائقة، يقول تعالى:

﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾

[سورة الملك، الآية: ٣]

﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

[سورة الملك، الآية: ٤]

أي فانظر إلى ملك ربك في السماء لتشاهد بعينك هذه الدقة والروعة في الخلق، وحتى وإن أعدت البصر ثانية وثالثة وإلى ما لا نهاية فإنك لن تجد إلا ملكاً رائعاً وسماء محكمة شديدة الإحكام منظمة بنظام هندسي رائع يُسيِّر بعضها بعضاً، إن غفل اللّه عنها سِنة ضاعت السماوات وما فيها، فهل يكون هذا إلا من خالق عليم وقادر حكيم.

فإنكم أيها البشر إن أدركتم معنى السماوات وما فيها، فإنكم ستعلمون قدرة اللّه، وستعلمون أن اللّه على كل شيء قدير، وأنه مالك الملك، فهو قادر على طيها واستبدالها بسماوات أخرى. إن اللّه على كل شيء قدير، وأنه مالك الملك، وهذا ما سيتم يوم القيامة، يقول تعالى:

﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ ﴾

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

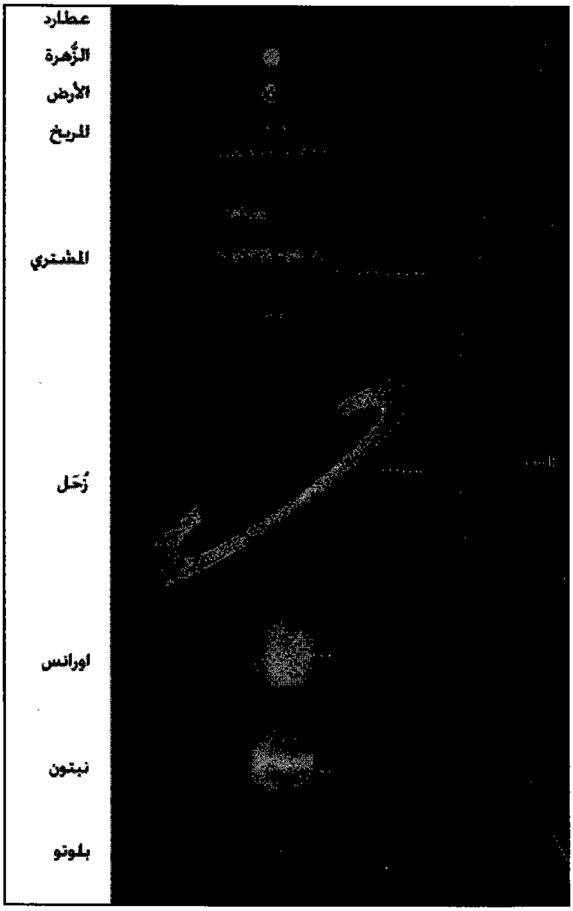
ويقول تعالى:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

فمن غير اللّه يستطيع أن يخلق هذه السماوات السبع ومن الأرض مثلهن؟ ومن غير اللّه يستطيع أن يطوي هذه السماوات والأراضين؟ ومن غير اللّه يستطيع أن يستبدلها بسماوات أُخَر وأرض أخرى؟ لا أحد غير اللّه فإنه اللّه الذي أحاط بكل شيء علماً.

ولهذا نقول: إن الكثير من العلماء والمفسرين قالوا إن المقصود (وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) أي سبع طبقات أرضية.. وهذا التفسير كان في يوم لا تملك البشرية أي علم عن السماء وما تحويه من مليارات المجرات والمجموعات الشمسية.. فليس من المعقول اليوم، وبعد هذه الاكتشافات في علم الفلك أن تقاس السماوات السبع بسبع طبقات أرضية.. بل إن الحقيقة أن في الكون سبع سماوات وسبع أراضين أي سبع كواكب تشبه كوكبنا الأرض، ولا ندري.. ماذا سيكتشف العلم مستقبلاً.



صورة تبين حجم الأرض بالنسبة للمجموعة الشمسية ومجموعتنا الشمسية واحدة من مليارات النجوم والشموس في درب التبانة، ومجرة درب التبانة واحدة من عدة مليارات من المجرات... فهل يعقل أن المقصود من الآية ﴿اللّه الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ سبع طبقات للأرض بل سبع كواكب لا يعلم إلا اللّه مكانها؟

خلق السماوات والأرض في ستة أيام

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾

[سورة ق، الآية: ٣٨]

وقبل أن أتحدث عن خلق السماوات والأرض، لا بد أن أعلم شيئاً عن السماوات وما فيها من نجوم وكواكب، وأعلم شيئاً عن الأبعاد والحجوم، وذلك حتى أدرك معنى خلق السماوات والأرض، وأرى عظمة الخلق والخالق.

خلق السماوات والأرض ونشأة الكون وبدايته أمر عظيم، شغل الناس في القرون الماضية ولم يصلوا إلى شيء.

وشغل علماء الأرض في هذا القرن، ووضعت له الدول كل ما تملك من إمكانيات، ولم تبخل على هذا العلم (علم الفلك) بشيء، وما تتكلفه الدول في صناعة سفينة فضائية واحدة، يكفي لإعمار حي بأكمله، ومع ذلك فهم لا يبخلون على هذا العلم بشيء أبداً، لما له من الأهمية العظمى.

فقد حيرتهم السماء منذ مئات السنين ولم تستطع البشرية أن تضع قانوناً ونظرية ثابتة في نشأة السماء وبدايتها، كل ذلك ما يزال رغم مئات النظريات محض آراء قابلة للتغيير والتبديل، وهذا هو ما يحدث تماماً في هذه الأيام.

فلو أن السماء لا تحوي سوى الشمس وكواكبها التسعة (الزهرة، والمريخ، وعطارد، والأرض، والمشترى، ونبتون، وبلوتون، وزحل، وأورانيوس) لعلموها واكتشفوها منذ زمن بعيد فأراحوا واستراحوا، ولكن الذي في السماء المنظورة للعين المجردة آلاف النجوم، ولا نتكلم عن غير المنظور، وهو الجانب الأكبر في السماء، والذي يحتوي مليارات المجرات والتي تحوي في داخلها مليارات المجموعات الشمسية المشابهة لمجموعتنا الشمسية هذه.

فالآية القرآنية الكريمة تتحدث عن خلق السماوات والأرض، والسماوات كلمة واحدة ولكن تحوي في داخلها قدرة لا تستطيع العقول وبما تملك من مواهب وعلم أن تدرك كنهها.

فما معنى السماوات؟.... هي جمع ومفردها سماء، والسماء الأولى هي السماء الدنيا التي تقع فيها مجموعتنا الشمسية، والأرض التي نعيش عليها تابعة لهذه المجموعة الشمسية، وما هذه المجموعة إلا واحدة من آلاف المليارات من المجموعات الشمسية التي تسبح في السماء الدنيا.

.... أيوجد في السماء الثانية والثالثة حتى السابعة ما هو موجود في السماء الأولى من نجوم وكواكب وأقمار ومذنبات؟ أم في كل سماء عالم آخر وحياة أخرى وأمر آخر وقدرة إلهية؟

وهل السماء الأولى (السماء الدنيا) هي هذه النجوم والكواكب والمجرات فقط؟ أم ما نراه وما اكتشفه العلم هو مجرد بداية السماء الأولى فقط؟

وهل السماء الدنيا وهذا الاتساع الذي لانهاية له حسب علومنا، بحجم السماء الثانية؟ أم هي بالنسبة إليها لا تشكل إلا كحصاة في بحر؟ وهل السماء الثانية هي بحجم السماء الثالثة أم الأخرى لا تشكل بالنسبة للسماء الثالثة إلا كحبة تراب في جبل؟

فإذا كان بعض العلماء في علم الفلك يقولون: (إن ما اكتشفناه وعلمناه حتى هذه الساعة عن السماء الأولى، لا يتعدى أن يكون فلزات للسماء الأولى) وعالم آخر يقول: (على الرغم من كل هذه الاكتشافات الهائلة في علم الفلك، واكتشاف مليارات المجرات ودروب المجرات والعناقيد المجرية، فإننا لا نزال في بداية الطريق!)[(١)]

فالعين المجردة هيأها اللّه لترى ولمسافة مليوني سنة ضوئية، فكل النجوم التي نراها في السماء وبواسطة أعيننا المجردة، لا تبعد عن مركز الأرض أكثر من مليوني سنة ضوئية[(٢)]

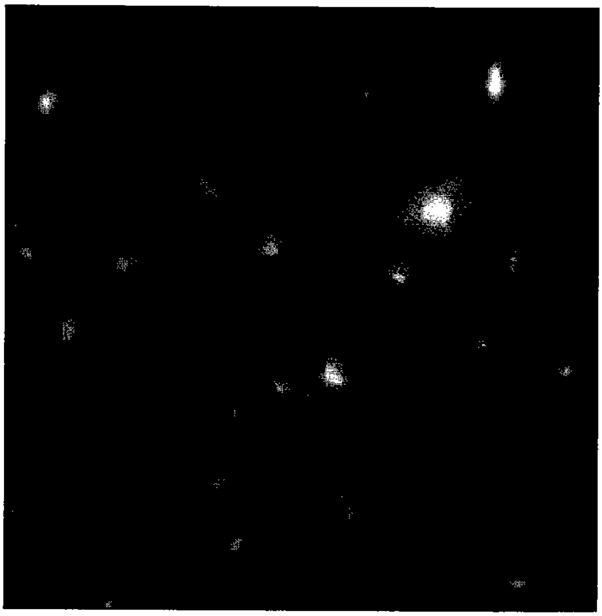
---

(١) (مجلة العلوم) الصادرة عن أكاديمية البحث العلمي ـ القاهرة.
(٢) (الكون ذلك المجهول) جلال عبد الفتاح ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وآخر ما توصل إليه العلم منذ سنوات، صناعة تلسكوب استطاع به العلماء أن يروا في السماء لمسافة عشرات الملايين من السنوات الضوئية.

ومع هذا فإن مِساحاتٍ هائلةً من السماء لم يجد العلماء أي أثر لخلق مجرات ونجوم، وظنوا أنها منطقة خالية، وأعلنوا ذلك لأن أعلى وأدق وأكبر مراكزهم العلمية، لم يعطهم أي إشارات عن وجود أي شيء آخر، وهنا ظن معظمهم أنهم وصلوا إلى نهاية المطاف.

إذاً لابد لنا أن نبحث عن كون آخر، فها نحن قد وصلنا إلي نهاية السماء تماماً، ولكنهم رجعوا عن هذا الظن مرة أخرى واعترفوا بشيء آخر، وذلك حينما اخترعت أمريكا التلسكوب الهائل العظيم وأسمته (هابل) ووضعته في الفضاء عن طريق إحدى السفن الفضائية، وإذا به يرسل لهم صوراً تؤكد أن هذه المنطقة المجهولة في السماء والتي ظنوا أنها خالية من أي أثر لخلق أو حياة أو نجوم، فيها من المجرات والنجوم الهائلة التي لا يعلم عددها إلا اللّه، أقربها إلينا أي إلى الأرض مسافة سبعمائة مليون سنة ضوئية[١].



صورة للتلسكوب هابل تمثل كل نقطة ضوء، فيها مجرة فيها مليارات النجوم والكواكب والأقمار، والسؤال هل هذه المجموعة الهائلة من المجرات في السماء الثانية أو الثالثة أم هي تابعة للسماء الأولى؟ من يعلم سوى اللّه سبحانه؟؟

أَ وَ مازلنا في بداية الطريق وبداية السماء الأولى؟ أم قد وصلنا إلى نهاية الطريق ونهاية السماء الأولى؟

(١) هذا الاكتشاف العلمي أعلنت عنه جميع وكالات الأنباء العالمية والعربية على شاشات التلفاز سنة ١٩٩٥ وفي المجلات المختصة ووسائل الإعلام.

وبعد خمسين عاماً من الآن ربما تصل البشرية إلى تلسكوب يكشف أبعاداً هائلة أخرى، ويكشف مجرات جديدة، ربما منها نجم واحد يسع كل مجموعتنا الشمسية التي اكتشفها العلم الحديث ومن يدري؟!

فالعلم واكتشافاته سلسلة لا متناهية، يعيش مع كون غير متناه، وكلما اكتشفوا جديداً كشف هذا الجديد عن جديد آخر.

قديماً ظن الفلاسفة أن هذه الأرض هي محور الكون، قالوا هذا بما كانوا يملكون من علم قاصر، وإذ بهذه الأرض بعد مرور ألف سنة أخرى، لا تشكل هي والمجموعة الشمسية التابعة لها والمجرة التي تتبع لها المجموعة الشمسية إلا ورقة واحدة من شجرة واحدة في غابة واحدة.

... أنشتاين قال فيما مضى: وعلم الكون لا يزال في بدايته، إننا لو قسمنا عدد المجرات التي في السماء على عدد سكان الأرض لكان نصيب كل فرد منا سبعاً وثلاثين مجرة، ولو قسمنا عدد المجرات المكتشفة حتى عام ٢٠٠٥م على عدد سكان الأرض لكان نصيب كل فرد منهم ألف مجرة وليس سبعاً وثلاثين مجرة.

وحتى نزداد معرفة بالسماء ونعرف ما معنى كلمة السماء حجماً وبعداً، فلنقرأ من سورة الواقعة هذه الآية:

﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

فالملاحظ في هاتين الآيتين أن اللّه سبحانه أقسم بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها، وأما لماذا؟

فذلك لأن النجوم أو الكواكب أو الأقمار تمثل حجوماً هائلة في أماكنها، ولكن عظمة بناء السماء لا تكمن في وجود وخلق هذه النجوم والكواكب فحسب، بل في هذه المواقع والمسافات الشاسعة التي تفصل هذه النجوم والكواكب بعضها عن بعض، وبعد أن نقرأ عن هذه المسافات التي تفصل ما بين النجوم بعضها عن بعض، ندرك معنى الآية القرآنية وندرك ما معنى المواقع التي قصدها اللّه سبحانه في قوله: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ وعلى سبيل المثال نذكر

بعضاً من هذه الأبعاد الشاسعة بين النجوم بعضها عن بعض وبين الكواكب بعضها عن بعض[١].

١ ـ كواكب المجموعة الشمسية: وهي عبارة عن عائلة واحدة يسكن بعضها قريباً من بعض تحتضنهم أمهم الشمس، والبعد بينهما شاسع.

الأرض تبعد عن الشمس	١٤٩	مليون ك م.
المريخ يبعد عن الشمس	٢٢٧	مليون ك م.
المشتري يبعد عن الشمس	٧٧٧	مليون ك م.
بلوتون يبعد عن الشمس	٦٠٠٠	مليون ك م.

ونذكر على سبيل المثال بُعد الأرض عن بعض كواكب المجموعة الشمسية:

الأرض تبعد عن المريخ	٧٧	مليون ك م.
الأرض تبعد عن زحل	٦٤٨	مليون ك م.
الأرض تبعد عن نبتون	٤٠٠٠	مليون ك م.

وهكذاً تقريباً المسافات بين كواكب المجموعة الشمسية الواحدة[٢].

٢ ـ نتخطى حدود المجموعة الشمسية، وإن كنا لا نريد أن نتوغل في السماء الأولى بل نريد فقط أن نسافر إلى أول نجم خارج حدود المجموعة الشمسية، أو أول كوكب يصادفنا إذا تخطينا حدود مجموعتنا الشمسية التي نتبع لها... يقول علماء الفلك: إن أول نجم بعد المجموعة الشمسية، والذي يدخل ضمن مجرتنا، يبعد عن الأرض والشمس ٤,٥ أربع سنوات ونصف ضوئية. ما معنى هذا؟ العلماء اختصروا الأرقام واستعملوا الرموز، والرمز الذي اختاروه لاختصار لغة الأرقام هو السنة الضوئية، وكيف يكون هذا؟

---

(١) ذهب بعض المفسرين إلى اعتبار النجوم في آية ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾ أنها نجوم القرآن، وذهب بعضهم إلى اعتبار النجوم المذكورة في الآية أنها نجوم السماء ومواقعها أي مطالعها ومشارقها، وأيد هذا التفسير ابن جرير الطبري.

(٢) (جمال الكون) يمنى الزهار.

سرعة الضوء في الثانية الواحدة (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف ك م.

وإذا ضربنا ٣٠٠,٠٠٠ × ٦٠ = فالناتج يعطينا سرعة الدقيقة الضوئية الواحدة وهو / ١٨,٠٠٠,٠٠٠ أي ثمانية عشر مليون ك م. في الدقيقة الواحدة.

١٨,٠٠٠,٠٠٠ × ٦٠ = فالناتج يعطينا سرعة الساعة الضوئية الواحدة وهو/ ١,٠٨٠,٠٠٠,٠٠٠ سرعة الساعة الضوئية

١,٠٨٠,٠٠٠,٠٠٠ × ٢٤ = ٢٥,٩٢٠,٠٠٠,٠٠٠ سرعة اليوم الضوئي

ثم نضرب هذا الرقم في عدد أيام السنة (٣٦٥) فيكون ناتج مسافة السنة الضوئية الواحد، أرقاماً لا طاقة للبشر بتخيلها وذكرها.

وبتعبير آخر، فإن علماء الفلك قالوا: إننا لو أردنا أن نصل إلى أقرب نجم لنا خارج حدود المجموعة الشمسية، فإننا بحاجة إلى سفينة فضائية تسير بسرعة الضوء، أي بسرعة ثلاثمائة ألف ك م في الثانية الواحدة، ومع ذلك نحتاج إلى أربع سنوات ونصف ضوئية للوصول إلى هذا النجم.

هذا عن أقرب نجم لنا، فكيف بأبعد نجم عن مركز الكرة الأرضية؟!!

فإننا إذن بحاجة إلى آلاف الملايين وربما المليارات من الأعوام للوصول إليه، وكلمة الوصول إليه كلمة احتمالية لإتمام الحديث، وليس استعمالها من أجل حتمية الوصول، ونحن نقول إن دخل الجَملُ في سمّ الخياط فإننا نصل إلى أقرب نجم لنا، وإذا أردنا أن نصل إلى آخر نجم في السماء الأولى، فيجب أن ندخل عشرة آلاف جمل معاً، وفي نفس الوقت في سمّ الخياط (ثقب الإبرة).

٣ ـ حدود عيوننا الطبيعية التي وهبها الله لنا، ترى في السماء لمسافة مليوني سنة ضوئية، فأي نجم تراه أعيننا المجردة في السماء قد يصل ببعده إلى مليوني سنة ضوئية، ومع ذلك فإن الناظر في السماء يرى أن هناك نجمين يكادان يتلاصقان، يقول علماء الفلك إن ما بينهما من المسافة ما يزيد عن ألف مليون كم.

إذاً ما مقدار المسافة بين نجمين نرى أحدهما في أقصى الجنوب والآخر في أقصى الشمال؟

فالأرقام قد لا تسعنا الكرة الأرضية طولاً لكتابتها.

فنحن حينما نقرأ قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾

[سورة ق، الآية: ٣٨]

نحس بأن مداركنا أصبحت قريبة من هذه الآية القرآنية[١].

لأن جيل هذا العصر وعلماءه وباحثيه أصبحوا أقرب فهماً وعلماً لمعنى قوله تعالى حينما يتحدث عن خلقه للسماوات والأرض، بعد أن تهيأت لهم أسباب هذا العلم وهذا الفهم، وأصبح بين أيديهم علم اسمه علم الفلك، درسوا فيه ما معنى النجوم والكواكب والأقمار والمذنبات، وحددوا مسارها وأحجامها وأبعادها بعضها عن بعض، وعلموا أن هذا يفوق حد تخيل عقول البشر[٢].

فعلماؤنا السابقون رحمهم اللَّه، لم تكن لهم هذه المعلومات الدقيقة عن حقيقة السماء ولا عن حقيقة تلك النجوم وأحجامها وأبعادها، لذلك ما استطاعوا الدخول في شرح هذه الآيات بأكثر مما عندهم من العلوم، أو بما تناولوه عن سلفهم وعن أصحاب رسول اللَّه ﷺ.

ولا يمكنك أن تسهب في التفصيل والشرح لمعنى أية آية قرآنية كريمة إن لم يكن لديك فكرة عامة عن الموضوع، أو بما يتصل بمعنى الآية من علوم، وهذا أيضاً ينطبق علينا نحن أهلَ هذا الجيل، فكثير من الآيات القرآنية لا نزال غير قادرين على الخوض فيها بإسهاب وتفصيل دقيقين، فربما تكون هذه الآية للجيل الذي يلينا، كقوله تعالى:

﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾

[سورة الانشقاق، الآية: ١٩]

(١) هذه الآية الكريمة رد على ما جاء في الإصحاح الثاني في سفر التكوين للتوراة المحرفة وهي أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام وانتهى من خلقها استراح في اليوم السابع؛ لذلك اتخذه اليهود عيداً لهم. فهذه الآية رد على هذا الكفر.

(٢) (التفسير العلمي للآيات الكونية) حنفي أحمد.

فأنا لا أستطيع شرحها وبيانها بأكثر من جملة أو جملتين بما أعطاني الله من علم أو فهم. ولكن قد يأتي باحث بعد مِائة عام وتكون قد ظهرت دلائل هذه الآية وعلمها، فيتكلم عنها بصفحات كثيرة وبتفصيل دقيق وفق ما لديه من إثباتات علمية حديثة[(١)].

والآن ومن منظور اكتشاف العلم لما في بعض السماء الأولى، أدركنا قيمة وعظمة خلق السماوات، وأدركنا ما معنى أن الله خلق السماوات، وأدركنا عظمة هذا الخالق الذي تسجد له عقولنا وأحاسيسنا قبل أجسادنا.

فأنت حينما تدرك بعض حقائق السماء وتعلم أن أحد هذه النجوم التي تسطع في السماء الدنيا، وتظهر لك كعقلة الأصبع ما هي إلا شمس قد يتجاوز حجمها حجم الأرض مليوناً أو مليوني مرة، ولكن البعد الشاسع الذي يفصل ما بيننا وبينها، وهو ما لا يقل عن مليوني سنة ضوئية، هو الذي يجعل حجمها متمثلاً للناظر إليها لا يزيد عن عقلة أصبع مشع ومضيء في صفحة السماء.

فخلقنا كلمة، والسماوات كلمة، والأرض كلمة، وما بينهما كلمة، ولكن هذه الكلمات الأربع تزن ملايين المليارات من الأطنان من القدرة والعلوم، وذلك حينما أدركنا بعض ما في السماء من علم وقدرة، من إله قادر عليم.

ولقد حثنا الله سبحانه أن نتفكر في هذه السماوات وهذه الأرض، وكيف تم خلقها وبناؤها البناء الهندسي المتكامل، يقول تعالى:

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

إذاً، الله طلب منا أن نتفكر في خلق السماوات والأرض، لأنه أعلم

---

(١) قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ في تفسير صحيح البخاري حديث (٤٩٤٠) عن ابن عباس (حالاً بعد حال).
وعن ابن مسعود: أن السماء تصير مرة كالدخان ومرة تتشقق ثم تحمر ثم تنفطر، وعن الحافظ في الفتح (٨/ ٥٦٧)، المراد بهذه الآية ما يقع من الشدائد يوم القيامة.

بما فيها ويعلم أن الإنسان حينما يدرك هذه القدرة الإلهية فإنها مؤهلة ومقدمة لمعرفة هذا الإله المعبود لنعطيه حقه من الإجلال والتعظيم.



مجرة درب التبانة التي تنتمي إليها مجموعتنا الشمسية ـ تتألق
في سماء الليل بتلك النجوم والمصابيح التي تبهج الأرض وساكنيها ومنها نتأمل
قدرة اللّه سبحانه في خلقه وما خلق ولا يؤوده حفظهما

وكيف تفسر الآن أن اللّه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام؟ لماذا في ستة أيام، واللّه إذا قال للشيء كن فيكون؟ وما معنى ستة أيام؟ أهي في حساب أهل الدنيا، أم هي ستة أيام من علم اللّه تمتد آلافاً كثيرة من الأعوام؟ فكيف تكون هذه الأيام الستة؟

اللّه سبحانه وتعالى يتحدث في الآية القرآنية عن نفسه، وكيف أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، فلابد أن تكون هذه الأيام من أيام اللّه تعالى التي قصدها بقوله تعالى:

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾

[سورة الحج، الآية: ٤٧]

ويفهم من هذا أن اللّه سبحانه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة آلاف سنة من عمر الدنيا.

وإذا تناولنا قضية خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام تناولاً علمياً بما وهبنا اللّه من العقل والفهم والإدراك، فإننا نقول:

١ ـ خلق اللّه السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ونحن بعد أن علمنا الشيء اليسير عن السماء الأولى بما قدمت مسبقاً، وما أدرانا ماذا في السماوات التي تلي السماء الدنيا ـ فكأن اللّه قال للسماوات والأرض وما بينهما كوني فكانت.

٢ ـ عامل الزمن نحسُّ به نحن البشر ولكن هذا غير موجود عند اللّه، وإن ذكر اللّه وقال: (في ستة أيام) فهذا نوع من الخطاب لخلق من خلق اللّه، يريد خالقهم أن يقرب إلى أذهانهم معنى خلق السماوات والأرض بعامل الزمن، الذي يتعاملون معه وهو كل شيء بالنسبة لحياتهم.

٣ ـ لمّا خلق اللّه سبحانه وتعالى هذا الكون الهائل خلقه بالرمز الزمني، ولكن حقيقة الحال أن هذا عند اللّه كقوله تعالى:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

ونفهم من هذه الآية أن الزمن عند اللّه لا وجود له، ولكن أوجده لنا لنفهم حدود الأمور وحقائقها[١]، وحينما تنتهي الدنيا وتكون الآخرة تدخل في باب علم اللّه الذي يصبح مفهوم الزمن صفراً ولا وجود له، مع الديمومة الأبدية، فأصبح العد والحساب والجمع والطرح وكامل العمليات الزمنية والحسابية لا وجود لها، فلن يقول اللّه لنا في الجنة أنه سيكون بعد أيام لكم كرامة كذا وكذا، فليس في الجنة زمن وأيام لنخاطب بها، وإنما خوطبنا بها في الدنيا لأنها من عوامل الوجود المؤقت، وكل ما هو مؤقت فله زمن،

(١) الدليل على هذا أنك لو أردت السفر من القاهرة لأسوان سيراً على الأقدام فإنك بحاجة إلى شهر كامل، وإذا سافرت راكباً الحصان فيتناقص الزمن لعشرة أيام، وإذا سافرت راكباً سيارة فإن الزمن يصبح عشر ساعات، وأما سفرك بالطائرة فإنك بحاجة إلى زمن لا يزيد عن ساعة واحدة، وإذا انطلق بك صاروخ فإن الزمن يتضاءل حتى يصبح دقيقة واحدة، فكلما ازدادت المادة الناقلة قوة نقص الزمن حتى يصبح أخيراً صفراً بعلم وإرادة اللّه.

وكل ما هو دائم فلا زمن له، واللّه حي باقٍ لا زمن عنده أبداً.

ونأتي إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي تعب، وحقيقة قوله تعالى وما مسنا من تعب في خلق السماوات والأرض حقيقة رمزية، فليس عند اللّه سبحانه وتعالى مفهوم التعب والراحة والجهد والإرهاق والسعادة فهذه خلقت لأهل الدنيا، وبما أن مفهوم التعب والراحة هو مفهومنا، فقد خاطبنا اللّه سبحانه من خلاله لكي ندرك ما يريد اللّه أن يوصله لعباده من خلال إدراكهم لتلك الأحاسيس التي يعيشون فيها؛ فالإحساس بالتعب أو بالراحة إحساس بشري وليس إلهي، فاللّه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يمسه تعب في خلق السماوات والأرض، لأن مفهوم التعب أساساً يتعالى اللّه عنه ولا وجود لهذا المفهوم عند اللّه، فالتعب يتنافى مع القدرة، وقد استقر في أذهان العقلاء أن الإله لا بد أن يتصف بصفات العلم والإرادة والقدرة، وهي صفات الكمال الواجبة له.

وبعد أن أدركنا عظمة اللّه المعبود في كل السماوات والأرض، ومن خلال ما وهبه اللّه لنا من العقل، فإننا أمام قدرة اللّه سبحانه غير المتناهية والتي لا حدود لها، تخر ساجدة له عقولنا وأحاسيسنا ومداركنا وأجسادنا هيبة وحباً.

وصدق اللّه تعالى حيث قال:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٧]

وأما لماذا خلق اللّه السماوات والأرض في ستة أيام وليس في سبعة أيام أو ثلاثة أيام، فللجواب على مثل هذا السؤال نقول: لو أن اللّه سبحانه قال في سبعة أيام لقلنا: لماذا لم يقل في ستة أيام؟ ولو قال اللّه سبحانه، أي عدد من الأيام في خلق السماوات والأرض، لسألنا لماذا لم يكن أقل أو أكثر؟ ولكن يجب أن نعلم أن اللّه سبحانه لا يُسأل عما يفعل، كما في قوله تعالى:

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٢٣]

يقول الصابوني[١] في تفسير هذه الآية الكريمة:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾

هذه الآية رد على اليهود، حيث زعموا أن اللّه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة وأنه تعب فاستراح يوم السبت، واستلقى على ظهره فوق العرش، فكذبهم اللّه تعالى.. وهذا قول قتادة والطبري وكذا في القرطبي ١٧/ ٢٤.. والمعنى: واللّه خلق السماوات السبع في ارتفاعها وعظمتها والأرض في كثافتها وسعتها، وما بينهما من المخلوقات البديعة في ستة أيام وما مسنا من إعياء وتعب.

---

(١) الدكتور محمد علي الصابوني في كتابه (صفوة التفاسير).

سبع سماوات طباقاً

يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾

[سورة الملك، الآيتان: ٣، ٤]

معاني كلمات الآيتين الكريمتين:

﴿طِبَاقًا﴾ : كل سماء مقببة على الأخرى.

﴿تَفَٰوُتٍ﴾ : اختلاف وعدم تناسب.

﴿فُطُورٍ﴾ : شقوق وصدوع أوخلل.

﴿كَرَّتَيْنِ﴾ : رجعتين، رجعة بعد رجعة.

﴿خَاسِئًا﴾ : صاغراً لعدم وجود الفطور (الشقوق).

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ : كليل من كثرة المراجعة[١].

يقول ابن كثير في تفسيره:[٢]

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي: طبقة بعد طبقة، وقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ أي ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب ولا خلل، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي انظر إلى السماء فتأملها، هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً؟ قال ابن عباس ومجاهد: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي شقوق، وقال السدي: أي من خروق، وقال قتادة: أي هل ترى خللاً يا ابن آدم؟ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ مرتين ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ قال ابن عباس: ذليلا، وقال مجاهد: صاغراً، ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ يعني وهو كليل، وقال مجاهد: الحسير المنقطع من

---

(١) : تفسير كلمات القرآن الكريم حسنين محمد مخلوف صفحة ٣٢٨ سورة الملك.

(٢) : تفسير ابن كثير الجزء ٣ الصفحة ٥٢٧.

الإعياء، ومعنى الآية: إنك لو كررت البصر مهما كررت لا نقلب إليك أي لرجع إليك البصر ﴿خَاسِئًا﴾ كَلّاً عن أن يرى عيباً أو خللا ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي كليل قد انقطع من الإعياء، من كثرة التكرار ولا يرى نقصاً، ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات.

. . . ولقد اكتفيت بهذا التفسير لابن كثير لأن جميع التفاسير تقدم تماماً مثل هذا المعنى باختلاف بسيط جداً.

وقد تكرر معنى الآية الكريمة في آيات أخرى كريمة في تفصيل لعملية الخلق، يقول تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى أيضاً:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۞ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾

[سورة فصلت، الآيتان: ١١ ـ ١٢]

ويقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾

[سورة المؤمنون، الآية: ١٩]

ويقول أيضاً:

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾

[سورة نوح، الآية: ١٥]

ويقول سبحانه:

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾

[سورة النبأ، الآية: ١٢]

هذه الآيات الكريمة جميعها تدلُّ على عظمة اللّه سبحانه وتعالى وسعة ملكه ودقة خلقه. . . فجميع هذه الآيات الكريمة تتحدث عن بناء سبع سماوات طباقاً وشداداً، ووصفها الحق تعالى في آية أخرى بقوله تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾

[سورة الذاريات، الآية: ٧]

أي شديدة الحبكة والترابط، والطباق: فوق بعضها بعضاً بإتقان وقوة ومتانة، والشداد: تشير إلى عظيم خلقها وقوتها وحرسها من الملائكة، وأبوابها المحكمة الإغلاق والتي لا تفتح إلا بأمر اللّه سبحانه وتعالى.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

إذاً للسماء أبواب وللسماوات أبواب وهذه الأبواب عليها حرس شديد. يقول تعالى مخبراً عن حال الجن وهم يصعدون إلى السماء:

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾

[سورة الجن، الآية: ٨]

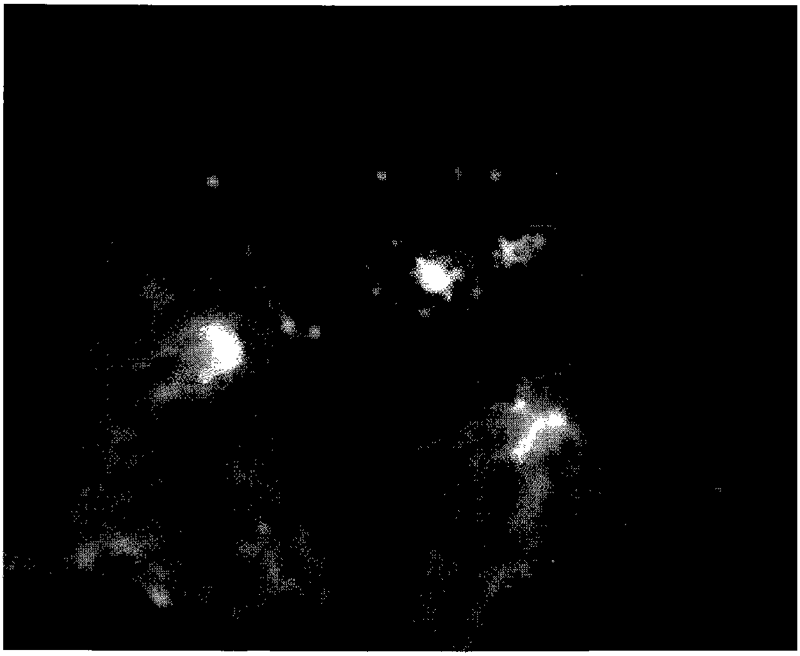
فكيف هي السماوات السبع؟ وهل كانت سماء واحدة فجعلها اللّه سبحانه وتعالى سبع سماوات؟ ثم جعل في كل سماء ملائكتها وأوحى فيها أمره؟

وهل السماء الدنيا هي الغلاف الجوي الذي يحيط بالكرة الأرضية بارتفاع ١٠٠٠ كم؟ أم السماء الأولى (سماء الدنيا) هي كل ما نراه من نجوم وكواكب؟

أم هل السماء الدنيا هي كامل المجموعة الشمسية؟ وما فوقها تبدأ السماء الثانية؟ أم مجرة درب التبانة التي تتبع لها مجموعتنا الشمسية، والتي قدر العلماء أن فيها ما يزيد عن مائتي مليار نجم هي حدود السماء الدنيا، وما يليها من مجرات أخرى تبدأ السماء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة؟

والسؤال الأهم هل كل ما تراه أعيننا من مجرات وما اكتشفته التلسكوبات الفضائية والأرضية من مليارات المجرات، والتي يصل بعد بعضها إلى مليارات السنوات الضوئية هي السماء الأولى (السماء الدنيا)..

وما فوقها وما هو خارج حدود الاكتشاف الإنساني، حتى لو بعد آلاف السنين تبدأ السماء الثانية ثم الثالثة إلى السابعة.؟



في كل جزء من السماء مجرات بعضها فوق بعض وبجوار بعض وملايين السدم والسحب الكونية والنجوم المتألقة.. فهل تجد في خلق الرحمن من تفاوت؟؟ ارجع البصر مراراً ـ فلن ترى إلا عظمة الخلق والخالق!!

... عشرات الأسئلة التي تلح على العقل والفكر الإنساني ولا تجد لها جواباً حتمياً.

رسول اللّه ﷺ يحدثنا بما علمه اللّه سبحانه وتعالى عن هذه السماوات:

ـ عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

(بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام)(١).

---

(١) رواه البيهقي في كتاب شعب الإيمان.

ـ وحديث آخر عن رسول الله ﷺ:

(كثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة)(١)

فرواية رسول الله ﷺ تقول: إن ما بين السماء والسماء خمسمائة عام، وسمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام، فكيف يكون المسير؟ وهل هذه سنوات الأرض أم السنوات التي عند الله سبحانه وتعالى؟

يقول تعالى:

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة الحج، الآية: ٤٧]

ومهما يكن، فإن رسول الله ﷺ أعطى بعض العلم عن السماء الدنيا والسماوات السبع جميعاً، حيث بيّن في وقت لا تعلم البشرية شيئاً عن السماء وارتفاعها وأحجامها وطباقها، والمسافة بين كل سماء وسماء أو بين كل نجم ونجم، ولا بين كل كوكب وكوكب، ولا حتى المسافة بين الأرض والقمر الذي هو أقرب الأجرام السماوية لنا.

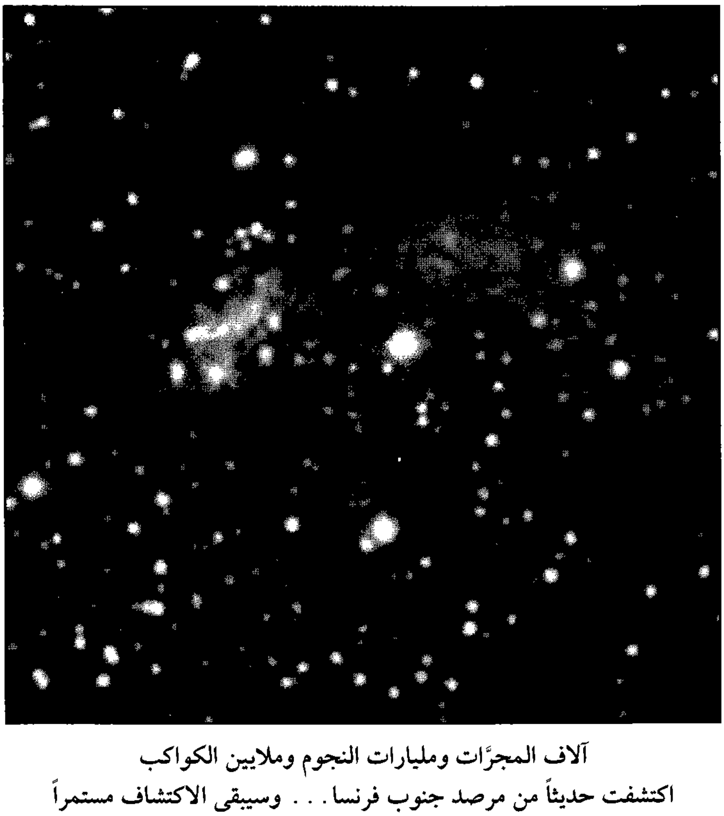
فبيان رسول الله ﷺ يشير إلى علم من الله سبحانه وتعالى، وإلا ما هو المبدأ الذي اعتمده رسول الله ﷺ في تحديد هذه المسافة بين السماء والسماء بالسنوات، ألم يعتمد العلم اليوم المسافة بين النجوم وبين المجرات بالسنوات الضوئية؟ فكيف كان هذا الحديث النبوي ومنذ ١٤٢٦ سنة؟ والحديث اليوم عن الأبعاد الهائلة بين المجرات والنجوم والتي قدرت بالسنوات.

والسؤال يبقى، هل السماوات السبع هي التي يكتشف العلم وجودها وأبعادها في كل يوم؟ وهل السماء الدنيا (الأولى) هي التي نراها بأعيننا المجردة كل يوم والتي تبعد عنا ٢ مليون سنة ضوئية؟ إذ أن النظر إلى السماء وإلى النجوم بالعين المجردة يصل إلى مليوني سنة ضوئية كما يقول علماء الفلك، وغيرها لا يرى إلا بواسطة المجاهر (التلسكوبات)، وكلما تقدم العلم اتسعت دائرة تلك التلسكوبات لترى من خلالها إلى مسافة أبعد، وهذا

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

ما يحدث دورياً ومنذ اكتشاف المجهر الأول الميداني والذي كان يعمل إلى مسافة قريبة من مستوى العين المجردة ضعفين أو ثلاثة. . . ولكن هل يعني أن حدود التلسكوبات الأولية كان هو حدود الكون وما وراءه فارغاً لا يوجد فيه شيء وعليه نقيس السماوات السبع الطباق؟ طبعاً لا يمكن هذا، لأن الزمان يتطور وكل عام تتغير النظريات القديمة، وذلك أن المراصد الفلكية تكتشف في كل يوم جديداً لم يكونوا يعرفونه من قبل. . وتصور عظمة الكون والسماوات الطباق عندما اكتشف المرصد الفلكي الكبير والذي وضع في جنوب فرنسا وهو مرصد أوروبي مشترك، وضع بإمكانيات أوربية مشتركة ـ تجمعاً مجرياً هائلاً لم تكن التلسكوبات القديمة قد اكتشفته[١].



آلاف المجرّات ومليارات النجوم وملايين الكواكب اكتشفت حديثاً من مرصد جنوب فرنسا. . . وسيبقى الاكتشاف مستمراً وكان من وسع كرسيه السموات والأرض

فهل هذا يعني أن هذه المجرات الهائلة لم تكن موجودة من قبل لأننا لم نكتشفها؟؟! واليوم أكبر مرصد عملاق

(١) في ١٢/١٢/١٩٩٥ اكتشف أكبر تلسكوب أوروبي بجنوب فرنسا تجمعاً مجرياً جديداً يضم سبعاً وعشرين ألف مجرة، وهذا الخبر أوردته جميع وكالات الأنباء العالمية في الصحف والتلفاز والمجلات العلمية.

(هابل) والتي طيرته أمريكا على إحدى السفن الفضائية ويسبح الآن في الفضاء، يكتشف كل يوم جديداً من عالم الفلك وعالم المجرات الجديد، مما يدل على عظمة هذه السماء أو قل هذه السماوات. . وربما تنتهي الدنيا ولا تزال مليارات المجرات لم تكتشف بعد. . هذا الاكتشاف الذي تم بواسطة التلسكوب في جنوب فرنسا، لم يكن أمراً هيناً (٢٧٠٠٠) ألف مجرة، كل مجرة تحتوي على ما يزيد على (١٠٠) مليار نجم وكوكب، ونحن نعيش على كوكب ضمن مجموعة شمسية أحد كواكبها المشتري يبلغ حجم الأرض مائة وتسع مرات (١٠٩) وتبلغ الشمس في حجمها حجم الأرض مليون وثلاثمائة ألف مرة، وكل هذا التقدم العلمي الهائل لم يستطع أن يصل الإنسان إلا إلى القمر والذي لا يبعد سوى ثانية ضوئية واحدة، وأقرب نجم إلينا خارج حدود المجموعة الشمسية يبعد عنا (٤,٥) سنوات ضوئية، وهذه المجرات المكتشفة بواسطة التلسكوب في جنوب فرنسا تبتعد عنا ملايين السنين الضوئية.

أليست هي سماوات طباقاً؟ أليست هي السماوات ذات الحبك التي أقسم اللّه سبحانه وتعالى بها، وقال:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾

[سورة الذاريات، الآية: ٧]

أغوار سحيقة، وكون عظيم، وسماوات بعضها فوق بعض طباقاً محكمة متينة، لا فطور فيها ولا انشقاق؛

يقول تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

[سورة الملك، الآية: ٤]

أيها الإنسان الذي ترفض الإيمان والوحدانية، إن خلق السماء أعظم من خلقك وأشد وأكبر، يقول تعالى:

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة غافر، الآية: ٥٧]

ويقول تعالى:

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾

[سورة النازعات، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩]

إن في السماوات والأرض آيات، ولا تحتاج إلا إلى نظر وتفكر واعتبار.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ٣]

وقال تعالى:

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة يونس، الآية: ١٠١]

وبما أن هذه السماوات الطباق التي خلقها اللّه سبحانه وتعالى بعلمه وقدرته وصناعته وتقديره، أعطاها الجمال وحسن المنظر تتأملها العيون وتفكر بها العقول وتتمتع بها الأبصار، زينة وحسناً وجمالاً ـ أمرنا أن ننظر لنرى هل نجد من فطور أو خلل أو عيب؟ وهل جعل في إحدى هذه النجوم ناراً نراها ونحس بها فتخرب علينا معايشنا؟ بل نراها نجمة ساطعة تتلألأ بضيائها وتتباهى بحسنها.

وصدق اللّه سبحانه وتعالى:

﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۞ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

[سورة الملك، الآيات: ٣ ـ ٤]

فتبارك اللّه أحسن الخالقين، فمن أين لبشر أن يأتي بمثل هذه الآيات ويتحدى الخلق ببناء السماوات السبع الطباق، فسبحان الخالق الذي أبدع ما صنع.

الفصل الثاني

١ ـ خلق الأرض والسماوات وتقدير الأقوات.

٢ ـ رفع السماوات بغير عمد ترونها القوة الجاذبة والقوة النابذة.

٣ ـ توسع الكون.

٤ ـ انفصال الأرض عن السماوات.

٥ ـ تسوية السماء سبع سماوات.

٦ ـ تسخير السماوات والأرض للإنسان.

٧ ـ غيب السماوات والأرض.

٨ ـ كل ذرة في السماوات في علم اللَّه.

٩ ـ ما نفدت كلمات اللَّه.

١٠ ـ الوعد الحق.

خلق الأرض والسماوات وتــقــديــر الأقــوات

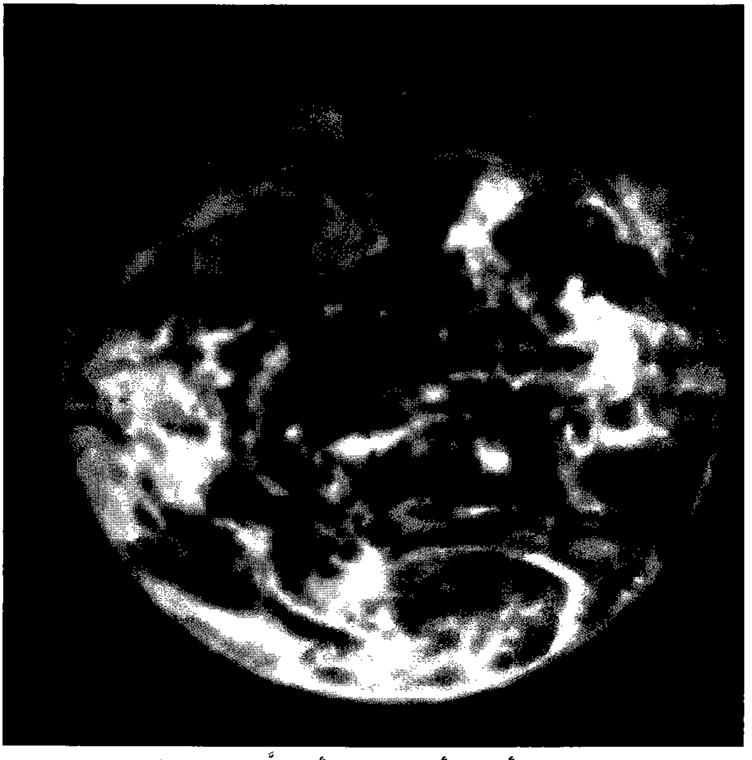
يقول تعالى:

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

[سورة فصلت، الآيات: ٩ ـ ١٢]

هذه الآيات من سورة فصلت، تنوعت فيها التفاسير وكثرت فيها الآراء، وقليل جداً هم الذين تعرضوا لتفسيرها العلمي في كتب الإعجاز العلمي، ذلك لأن فيها حقائق علمية عظيمة تتحدث عن الخلق تفصيلاً، إذ تتحدث عن خلق الأرض في يومين وتأمين أرزاقها في أربعة أيام للخلق، ومن ثم تتحدث عن السماوات وأن اللّه سبحانه وتعالى قضاهن سبع سماوات في يومين.. وأشكل على المفسرين في ترتيب الخلق، والتفصيل، وبيان الأيام.

فاللّه سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة يقول: إنه خلق الأرض في يومين وقدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام، ثم قضى سبع سماوات في يومين، فيصبح المجموع ظاهرياً (٨) ثمانية أيام، واللّه سبحانه وتعالى يقول في كثير من الآيات القرآنية أنه (خلق السماوات والأرض في ستة أيام).



الكوكب الأزرق الأرض ـ الذي أراد اللّه سبحانه بعلمه أن يكون سكناً للإنسان فأبدع اللّه سبحانه في خلقه جبالَه، وبحاره، ونباته، وحيوانه، وماءه. فتبارك اللّه الذي أتقن كل شيء خلقه.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٥٤]

ويقول تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [سورة هود، الآية: ٧]

وتحدث اللّه تعالى أيضاً، أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فيقول سبحانه:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [سورة الفرقان الآية: ٥٩]

. . . فمجموع الخلق في سورة فصلت حسب الظاهر لنا ٨ ثمانية أيام، بينتها الآيات من سورة الأعراف، تقول أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وفي الآية (٥٩) من سورة الفرقان أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، (وما بينهما) ـ اكتشف بعضه العلم اليوم ـ وهو مليارات المليارات من النيازك والشهب الأحجار الكونية ومما لا نعلمه ولا نصل إليه جسداً ولا فكراً.

. . . إذاً كيف نفهم الآيات من سورة فصلت؟ وهل يوجد بينها وبين الآيات الأخرى التي تتحدث عن الخلق في ستة أيام أي تعارض أو اختلاف؟

ثم ما وجه الإعجاز الإلهي في هذه الآيات من سورة فصلت؟

الحقيقة أنه لا يمكن أن نبدأ الحديث العلمي وبيان وجوه الإعجاز في هذه الآيات من سورة فصلت، إلا بعد الإطلاع على تفسير الآيات من المفسرين القدامى والمحدثين، لأهمية التفسير وأهمية الآيات وأهمية الأمر كله.

في صفوة التفاسير يقول الصابوني في تفسير الآيات من سورة فصلت[١]:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ الاستفهام للتوبيخ والتعجب، أي: كيف تكفرون بالله وهو الإله العلي الشافي القادر على كل شيء خالق الأرض في يومين، إلى أن قال ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ أي: قدر أرزاق أهلها ومعاشهم وخلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: في تمام أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان، للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها. . . إلى أن قال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي: صنعهن وأبدع خلقهن سبع سماوات في وقت مقدر بيومين، فتم خلق السماوات والأرض في ستة أيام ولو شاء لخلقهن بلمح البصر. . . ولكن أراد أن يعلم عباده الحلم والأناة.

. . ملاحظة: أضاف الصابوني في التفسير اليومين الأولين ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ

(١) تفسير الصابوني صفوة التفاسير الصفحة ١٢٦٢.

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: خَلْقُ الأرض وتقدير أقواتها في أربعة أيام، ثم ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ فيصبح المجموع عنده ٦ أيام.

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة:(١)

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾

قل أيها النبي للمشركين توبيخاً وتقريعاً: كيف تكفرون باللّه الذي خلق الأرض في مقدار يومين، وتجعلون له شركاء مماثلين في القدرة والقدر، ذلك المتصف بما ذكر هو رب المخلوقين كلهم.

وجعل هذا الرب في الأرض جبالاً ثوابت مرفوعة فوقها، وجعل الأرض كثيرة الخير، وقدَّر فيه أرزاق أهلها في مقدار أربعة أيام، مستوية لا تفاوت بينها لمن سأل عن مدة خلق الأرض، وجعلها متساوية لطالبي الرزق بالسعي فيها.

ثم توجهت إرادته أو عمد إلى خلق السماء، وهي كتلة غازية (وهي السديم) تشبه الدخان (ما ارتفع من لهب النار) فقال للسماء والأرض بعد خلقهما: ائتيا في الوجود طائعتين أو مكرهتين، قالتا: أتينا منقادتين لأمرك دون تلكؤ. والمراد: تصوير تأثير قدرته سبحانه وتعالى في تهيئتهما للانتفاع بهما، وتأثرهما بسرعة لأمر الخالق.

فأتم خلقهن سبع سماوات في مدة يومين، فيكون تمام خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أوحى (أي أوجد، وهو الأمر التكويني) في كل سماء ما هي مهيأة له من وجوه الانتفاع بها كالشمس والقمر والنجوم وغيرها، وزيَّن السماء الدنيا بكواكب متلألئة، كالمصابيح ـ وقد حُوِّل الكلام من الغيبة إلى التكلم لفتاً لنظر السامع لبديع ما يذكر بعده ـ وحفظها حفظاً من الاختلال

(١) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة ٤٧٨ الجزء الثالث.

والسقوط واستراق الشياطين السمع بالشهب، ذلك الخلق تقدير القوي التام القدرة في ملكه، العليم بمصالح خلقه. وكان خلق السماوات قبل خلق الأرض كما اختار أبو حيان، والترتيب في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ في الذكر فحسب لا في الواقع، واختار الرازي والشوكاني وغيرهما أن الأرض متقدمة خلقاً، متأخرة دحواً، أي: بسطاً وهو الأصح.

وفي مختصر تفسير ابن كثير يقول حول هذه الآيات الكريمة:[1] هذا إنكار من اللَّه تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره، وهو الخالق لكل شيء، المقتدر على كل شيء ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أي نظراء وأمثالاً تعبدونها معه، ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم. .وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ففصل ههنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء، فذكر أنه خلق الأرض أولاً لأنها كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس، ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾، فأما قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ في هذه الآية أن دحو الأرض مفسر بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ وكان هذا بعد خلق السماء، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص، وبهذا أجاب ابن عباس فيما ذكره البخاري عن سعيد بن جبير قال: ، قال رجل لابن عباس رضي اللَّه عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فقد كتموا في هذه الآية، وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ فذكر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿طَآئِعِينَ﴾ فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء، قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ فكأنه كان ثم مضى، فقال

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير الجزء الثالث صفحة ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

ابن عباس رضي اللَّه عنهما: «﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ في النفخة الأولى، كما قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وفي النفخة الأخرى ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ وأما قوله: «﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾. ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ فإن اللَّه تعالى يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فيقول المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فيختم على أفواههم فتنطق أيديهم. فعند ذلك يعرف أن اللَّه تعالى لا يكتم حديثاً، وعنده ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الاية، وخلق الأرض في يومين. ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحى الأرض، ودحيها: أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله تعالى ﴿دَحَىٰهَآ﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ فخلق الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السماوات في يومين، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ سمى نفسه بذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن اللَّه تعالى لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد. فلا يختلفن عليك القرآن، فإن كلاً من عند اللَّه عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ يعني يوم الأحد ويوم الإثنين، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، وقدر فيها أقواتها، وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين السابقين أربعة، ولهذا قال: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي لمن أراد السؤال، عن ذلك ليعلمه. وقال عكرمة ومجاهد في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ جعل في كل أرض ما لا يصلح في غيرها، ومنه العصب باليمن، والسابوري بسابور، والطيالسة بالري. وقال ابن عباس وقتادة والسدي في قوله تعالى: ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي لمن أراد السؤال عن ذلك، وقال ابن زيد: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي على وفق مراده، من له حاجة إلى رزق أو حاجة، فإن اللَّه تعالى قدر له ما هو محتاج إليه، وهذا القول يشبه قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ واللَّه أعلم، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي استجيبا لأمري طائعتين أو مكرهتين،

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ قال الله تبارك وتعالى للسماوات أطلعي شمسي وقمري والنجوم، وقال للأرض شققي أنهارك وأخرجي ثمارك، ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ واختاره ابن جرير. وقيل تنزيلاً لهن معاملة من يعقل بكلامهما، وقال الحسن البصري: لو أبيا عليه أمره عليه لعذبهما عذاباً يجدان ألمه ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ أي: ففرغ من تسويتهن سبع سماوات في ﴿ يَوْمَيْنِ ﴾ أي آخرين، وهما يوم الخميس ويوم الجمعة، ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ أي: ورتب مقرراً في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو، ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ وهي: الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض، ﴿ وَحِفْظًا ﴾ أي: حرساً من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى، ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ أي: العزيز الذي قد عز كل شيء فغلبه وقهره، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم. روي أن اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض، فقال ﷺ: (خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الإثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران، فهذه أربعة ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ لمن سأله، قال: وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه، وفي الساعة الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الساعة الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة)، ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: (ثم استوى على العرش) قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً فنزل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ * فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ .

وفي التفسير الوسيط للزحيلي: (١)

للآيات من سورة فصلت: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ

---

(١) التفسير الوسيط د/ وهبة الزحيلي الجزء الثالث صفحة ٢٢٩٤.

وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾

قل أيها النبي لقومك المشركين على سبيل التوبيخ والتقريع: كيف تكفرون بالله الذي خلق الأرض في مقدار يومين، وتجعلون له شركاء من الملائكة والجن والأصنام والأوثان، فذلك الخالق المبدع: هو رب العالمين كلِّهم من إنس وجن، وهو مالكهم وخالقهم ومدبّرهم.

والحكمة في خلق هذه المخلوقات في مدة ممتدة، مع قدرته على إيجادها في لحظة واحدة: هي إظهار القدرة في ترتيب ذلك، حسب شرف الإيجاد أولاً فأولاً، وقال قوم: ليعلّم عباده التأني في الأمور والْمَهَل.

ورتب الله سبحانه وتعالى أوضاع الأرض لتصلح للعيش عليها، بإيجاد ثلاثة أنواع فيها، وهي إيجاد الجبال الثوابت فيها، لتحقيق الاستقرار والتوازن على سطحها، وحفظها من الاضطراب، ولتخزين المياه والمعادن في باطنها، والإرشاد للطرق في جنباتها، وحفظ الهواء والسحاب لها. ثم جعل الله الأرض مباركة كثيرة الخير، بما أودع فيها من مصادر الثروة المعدنية والمائية والزراعية، وقدّر الله فيها أرزاق أهل الأرض وأقواتهم، وما يصلح لمعاشهم من الأشجار والمنافع، وأتم الله سبحانه وتعالى معايش أهل الأرض في غضون أربعة أيام، مع اليومين المتقدمين للخلق والإبداع، وهذا كما تقول: بنيت جدار داري في يوم، وأكملت جميعها في يومين، أي بالأول، وجعل الله ذلك الخلق في أربعة أيام، مستوية استواء، بلا نقصان ولا زيادة، ومستغرقة بالأعمال، لأجل إجابة السائلين عن الأمر، والاستفهام عن حقيقة وقوعه، والطالبين ما ينتفعون به، فهم في حكم من سأل هذه الأشياء، إذ هم بحال حاجة إليها. وكلمة (سواء) مثل كلمة (عَدْل) ترد على المفرد والجمع، والمذكر والمؤنث. وهي مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأيام، أي استوت استواء أو سواء.



من آيات اللّه في تقدير الأقوات وإنزال المطر
وإنبات النبات انظر إلى آثار رحمة ربك كيف يحيي الأرض بعد موتها؟

ثم عَمَد اللّه وقصد بقدرته خلق السماوات وإيجادها، حسبما تقتضي الحكمة الإلهية، فقال للأرض وللسماء: كونا مخلوقتين منقادتين، خاضعتين للأمر الإلهي، طائعتين أو مكرهتين، فاستجابتا، وقالتا بلسان الحال أو المقال: أتينا ووُجدنا طائعين، أي ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف. وبه يتبين أن اللّه سبحانه وتعالى خلق الأرض أولاً، ثم خلق السماء بعدها، ثم بعد السماء، دحا الأرض، أي بسطها بحسب نظرنا، وهذا توفيق بين هذه الآية، وآية: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾

[سورة النازعات، الآية: ٣٠]

ثم ذكر اللّه كيفية تكوين السماوات، وهو أنه تعالى أتم خلق السماوات السبع وأحكمهن، وفرغ منهن في مقدار يومين، فأصبح خلق السماوات والأرض في مقدار أيام ستة، كما جاء في آية أخرى:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٥٤]

وغيرها، قال مجاهد: ويوم من الأيام الستة كألف سنة مما تعدون، والراجح أن هذه الأيام مثل أيام الدنيا.

وأوحى اللّه في كل سماء أمرها، أي جعل فيها النظام الذي تجري عليه الأمور، وزين سماء الدنيا بكواكب منيرة مضيئة، مشرقة على أهل الأرض،

متلألئة كالمصابيح، وجعل المصابيح زينة، وحفظاً من الشياطين الذين يسترقون السمع، ومن الاضطراب في سيرها، ومن اصطدم بعضها ببعض، ذلك النظام البديع هو من ترتيب اللّه القادر على صنع كل شيء، والعليم علماً تاماً بمصالح الخلق وحركاتهم وسكناتهم جميعاً.

تعليق على التفاسير التي ذكرنا تفسير ابن كثير، الصابوني، التفسير الوسيط، تفسير الموسوعة القرآنية الميسرة:

١ ـ لم يحدد القرآن الكريم ترتيباً محدداً في خلق السماوات والأرض فالآيات التي تشير إلى السماوات أولاً والأرض ثانياً تسع آيات منها:

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٥٤]

ويقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾

[سورة الحديد، الآية: ٤]

وكذلك ذكر اللّه خلق السماء قبل الأرض في الآيات (يونس ٣٠)، (هود ٧)، (الفرقان ٥٩)، (ق ٣٨)، (النازعات ٢٧)، (الشمس ٥ ـ ٦).

وأما الآيات التي تشير إلى خلق الأرض قبل السماوات (البقرة ٢٩)، (طه ٤)، (فصلت ٩).

يقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى:

﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾

[سورة طه، الآية: ٤]

٢ ـ لم تكن واضحة تماماً بالأدلة جمع الخلق في هذه الآيات من سورة

فصلت على أنها ستة أيام، ولا تعارض بينها وبين الآيات الأخرى التي تتحدث عن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أي: لم يكن التفسير علمياً جلياً مع وضع الافتراضات والاحتمالات.

. . . **التفسير العلمي:**

قبل كل شيء علينا أن نشير أن العلم حتى اليوم لم يكتشف ولم ينتبه أو لم يناقش مدة خلق السماوات والأرض، وأتصور أن هذا الأمر بعيد جداً عن احتمالات الاكتشاف أو المعرفة لبني البشر ومهما تطورت العلوم ـ قدروا عمر الكون ١٣,٥ مليار ونصف سنة، وقدروا عمر الأرض ٤,٥ مليار سنة، وعرفوا أبعاد القمر والشمس وكواكب المجموعة الشمسية، وكذلك أقرب نجم إلينا خارج حدود المجموعة الشمسية وعلموا الكثير عن مجرتنا درب التبانة حجمها وعدد نجومها، وكذلك المجرات الأخرى القريبة والبعيدة، وكل هذا علموه من مادة مخلوقة بين أيديهم، ولكن خلق السماوات والأرض وتقدير أقواتها علم إلهي قبل الخلق وأثناء الخلق، فلا يستطيعون القياس إلا بما يرونه أمامهم وبواسطة التلسكوبات الكبيرة. يقول تعالى عن الجن وهذا ينطبق على كل الخلق والله أعلم:

﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٥١]

هذا من ناحية، والناحية الأخرى. . . كيف نستطيع أن نقدر ونجمع لئلا يكون تعارض بين الآيات حسب مفهومنا العقلي الإنساني وبين الآيات من سورة فصلت، والتي تقول: خلق الأرض في يومين، وقدر أقواتها في أربعة أيام وقضى أمر السماوات في يومين فيصبح المجموع ثمانية. والآيات الأخرى التي تشير إلى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، هناك احتمالات:

الاحتمال الأول:

أنه خلق السماوات والأرض معاً في يومين، ذلك أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقهما الله سبحانه وتعالى يقول تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٠]

والأرض لا تذكر أمام عظمة السماء وما فيها من آلاف المليارات من المجرات، ولكن الأرض هي التي نعيش عليها والكلام عنها، فالأرض جزء من السماء وهذا علمياً صحيح، لأن الكون كله كان في البداية (دخان) سديم غازي، ثم بأمر اللّه تجمعت المادة ثم انفجرت (الانفجار الكبير) وتكونت فيها المجرات والنجوم وكواكب المجموعة الشمسية ومنها الأرض.. فالأصل واحد.

فيكون بهذا خلق الأرض والسماوات بيومين، وقدر أقوات الأرض في أربعة أيام، فيكون المجموع (٦) أيام كما في الآيات الأخرى.

الاحتمال الثاني:

يقول تعالى ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أن تقدير الأقوات مع الخلق أربعة أيام معاً، فالآية الأولى للتفصيل والآية الثانية للجمع، وذلك حتى يبين اللّه سبحانه وتعالى أهمية خلق أقوات الأرض وتجهيزها لعباده الذين سيخلقهم على الأرض، فالآيات التي تشير مجملاً أن اللّه سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام.



.. خلقنا فوجدنا كل شيء.. واللّه وحده خلق لنا
ما في الأرض جميعاً من بحار وسحاب وماء لتكون الأرض مكاناً صالحاً للحياة

يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾

[سورة الفرقان الآية: ٥٩]

حتماً تشمل خلق الأرض، وخلق الأقوات وتقديرها، وخلق السماوات وخلق ما بينهما، ووحي اللَّه لكل سماء أمرها.. والقرآن الكريم لا تعارض مطلقاً بين آياته، كما قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾

[سورة النساء، الآية: ٨٢]

... إذاً لا خلاف بين الآيات كلها.. ولكن علينا فهم المراد الإلهي وفهم تفصيله للأيام الستة في الخلق، والتي وردت في أكثر من آية كريمة. وسورة فصلت التي تتحدث عن الخلق والتي هي موضوع النقاش حسب المفهوم الظاهر، أن مجموع الخلق ثمانية أيام والآيات الأخرى، تقول: ستة أيام.. هذه الآيات كلها من عند اللَّه سبحانه وتعالى ولو كانت من عند محمد ﷺ لما قال تلك الآيات من سورة فصلت، أو جعلها لا تخالف الآيات السابقة في خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ولرتبها حتى تكون ستة أيام ولا يدع فيها لبساً... ولكن محمداً ﷺ مؤتمن على كتاب اللَّه والوحي، ولا يملك حيال التغيير والتبديل أمراً، ولكان عقابه من اللَّه سبحانه وتعالى في أول آية يغيرها.

يقول تعالى:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة يونس، الآية: ١٥]

ومن الآية دلائل صدق القرآن الكريم وصدق رسول اللَّه ﷺ لأنه يستحيل أن يغير أو يبدل فيه. ويقول تعالى:

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۞ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [سورة الإسراء، الآيات: ٧٣ ـ ٧٥]

من الآيات نفهم أنه يستحيل التبديل والتغيير في أية آية كريمة، وفي هذا الأمر لا مجاملة من أحد حتى ولو كان نبياً ولو كان محمداً ﷺ، ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ فالعقوبة شديدة جداً ولو لتبديل حرف واحد من كتاب اللّه.

ما معنى هذه الاستشهادات؟. المعنى: أن الآيات من سورة فصلت في مجموع الخلق كما يظهر لنا أنها ثمانية أيام هي من عند اللّه سبحانه وتعالى، وهو الذي خلق وأعلم بما خلق.. وليس هناك من إشكال مطلقاً، ولكن نحتاج إلى فهم في التفسير ودراية بالمعاني حتى نصل إلى الحقيقة المطلقة.

إذاً الاحتمال الثاني: أن تقدير أقوات الأرض شاملة لخلق الأرض فالأرض وما فيها من أقوات واحدة.. وذلك أن الآيات كثيرة التي تتحدث عن خلق الأرض وتأمين معايشها وتقدير أقواتها، وأنها شيء واحد وأنهما معا.

تحدث اللّه سبحانه وتعالى عن فرش الأرض فقال تعالى:

﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾

[سورة الذاريات، الآية: ٤٨]

وتحدث اللّه سبحانه وتعالى كيف جعل الأرض. بساطاً. قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾

[سورة نوح، الآية: ١٩]

وتحدث اللّه سبحانه وتعالى أنه أرسى الجبال في الأرض، وهي جزء من متاع الأرض. وقال تعالى:

﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۞ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

[سورة النازعات، الآية: ٣٢ ـ ٣٣]

وكذلك تحدث عن النبات والثمار وشق الأرض ونبات الحب... الخ، من أنواع الخلق، وهذا كله يكون مع خلق الأرض...

فالأرض انفتقت عن السماء كما انفتق غيرها من النجوم والكواكب في ذات الوقت التي تكونت فيه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض خلقتا من الانفجار العظيم، وأما اليومان اللذان ذكرهما اللّه سبحانه وتعالى في سورة فصلت ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ هذه الآية إشارة إلى خلق الأرض والسماء معاً، ثم قال تعالى بعدها ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ معنى ذلك: أنهما السماء والأرض موجودتان ولكن اللّه

رتبهما فجعلهما سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها، والأرض جزء وجرم صغير جداً كحبة رمل على شاطئ بحر كبير وهذا احتمال.

الاحتمال الثالث:

إن اللّه سبحانه وتعالى في سورة فصلت لم يتحدث عن خلق السماوات وإنما تحدث عن تسويتهن سبع سماوات في يومين ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾، وهذا ليس خلقاً إنما ترتيب وتنظيم، وأرى أن هذه الآية منفصلة عن الخلق بالآيات التي قبلها، فما قبلها يقول تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ وبعدها ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ فيكون المجموع ٦ أيام، وهذه مدة خلق السماوات والأرض في الآيات الآخرى. يقول تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾

[سورة السجدة، الآية: ٤]

ذلك أن اللّه سبحانه وتعالى لا يعجزه وهو يخلق السماوات والأرض أن يقدر أقوات الأرض أثناء خلقه للسماوات والأرض بستة أيام تماماً، كما قال الزحيلي في التفسير الوسيط: (بنيت جدار بيتي في يوم وأكملت جميعها في يومين).. أو كما نقول عن صانع أو مصمم لجهاز كهربائي، فقال: صممت الدائرة الكهربائية الأصلية في يومين وأتممت تصميم الجهاز في أربعة أيام، فحسب الظاهر نفهم أنه صمم الجهاز في ستة أيام، ولكن الحقيقة مدة تصميم الجهاز كله أربعة أيام، فهو قد أتم العمل كله في أربعة أيام، وإن استغرقت معه الدائرة الكهربائية الأولى يومين واليومين الآخرين لاستكمال كامل الجهاز، فيكون المجموع أربعة أيام وإن كان ظاهر الكلام ستة أيام. نفهم من هذا: إن اللّه سبحانه وتعالى ﴿خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ فخلق الأرض في جزء من تمام الخلق وتقدير الأقوات فخلقها وتقدير الأقوات، معاً في أربعة أيام.

الاحتمال الرابع:

وهو أن اللّه سبحانه وتعالى لا يعجزه وهو يخلق السماوات والأرض معاً في ستة أيام، أن يقدر أقوات الأرض في أربعة أيام... نقول سافرت من دمشق إلى القاهرة ذهاباً وإياباً في ستة أيام.. هذه الأيام مدة السفر، أي: الزمن الذي احتجته في قطع هذه المسافة ذهاباً وإياباً... ولكن أنا في هذه

الأيام الستة، نمت وأكلت وشربت، وعقدت الصفقات التجارية، وقابلت الناس واشتريت الحاجيات اللازمة إلى عشرات الأعمال الأخرى التي قمت بها.. هذا مثال وحاشى للّه سبحانه وتعالى أن نضرب مثل هذا المثال، ولكن هذا للتقريب العقلي وليس للتشبيه، فما يعني هذا المثل الذي ضربته؟ أقول: هذا للتساؤل هل مدة زمن سفري بين دمشق والقاهرة في ستة أيام ذهاباً وإياباً غير المدة التي قضيتها في شراء الحاجات، وعقد الصفقات، والطعام، والشراب، والنوم، ومقابلة الناس؟ أم تدخل هذه في زمن الأيام الستة التي سافرت فيها ـ بل تدخل وهما في زمن واحد ـ وهذا يعني: أن اللّه سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض، في ستة أيام ولا يعجزه أن قدر أقوات الأرض وسوّى السماء وقضاهن سبع سماوات في ذات الزمن الذي خلق فيه السماوات والأرض، أو نقول: إن مدة تقدير أقوات الأرض في أربعة أيام يدخل فيها خلق الأرض في يومين ـ فخلق الأرض وقدر أقواتها في أربعة أيام وقضى السماء سبع سماوات في يومين فيكون المجموع في كل الاحتمالات ستة أيام وليس ثمانية.. وهذا كله اجتهاد في التفسير. واللّه أعلم.



الجبال أرساها وأرسل السحاب بين السماء والأرض
وأنزل المطر فأنبت فيه نبات كل شيء فسبحان القادر الذي خلق فسوّى والذي أخرج المرعى

رفع السماوات بغير عمد ترونها
القوة الجاذبة والقوة النابذة

يقول تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾

[سورة الرعد، الآية: ٢]

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: خلقها مرتفعة البناء قائمة بقدرته لا تستند على شيء، حال كونكم تشاهدونها وتنظرونها بغير دعائم، وذلك دليل وجود الخالق المبدع الحكيم[١].

ويقول تعالى في آية أخرى بذات المعنى:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾

[سورة لقمان، الآية: ١٠]

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: خلق السماوات في سعتها وعظمتها وإحكامها بدون دعائم ترتكز عليها، حال كونكم تشاهدونها كذلك واقعة من غير أن تستند على شيء، ولا تمسكها إلا قدرة الله العلي الكبير.

موضوع الإعجاز، قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

---

(١) تفسير الصابوني صفحة ٦٤٩.

وقوله تعالى:

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾

وأحببت أن استفتح القول بتفسير الصابوني للآيتين، لتكون لنا مقدمة قبل البيان العلمي لهذه الآية الكريمة.

نحن لا نستطيع أن نرى من السماء أو السماوات التي ذكرها اللّه سبحانه وتعالى في الآيتين سوى القمر والشمس، ويبدوان لنا ككرتين مضيئتين تسبحان وسط السماء، وكذلك نرى النجوم والتي هي شموس مثل شمسنا، ولكن بعدها الشاسع تجعلها تبدو لنا كعقلة الإصبع أو أصغر أو أكبر بقليل.. ومع ذلك فإذا كانت السماء صافية والقمر بدراً يبدو لنا المنظر رائعاً، قمر منير ونجوم مضيئة في وسط السماء، تسبح في ملكوت اللّه ليس لها قوائم تقف عليها، وليس لها أعمدة طويلة تستند في نهايتها على الأرض، لتستطيع أن تقف، كما عهدنا عن كل الأشياء، إنها لا تستطيع أن تقف في الهواء من فوقنا إلا إذا كان لها قوائم أو أعمدة تستند عليها.. وكذلك حال الشمس التي نراها، تتقد ضياءً أثناء النهار، وإذا أمعنا النظر فيها نجد أنها في كبد السماء تسبح في ملكوت اللّه، وليس لها قوائم أو أعمدة تستند نهايتها إلى شمس أخرى تقف عليها.. سبحان اللّه وهو القائل:

﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾

[سورة يس، الآية: ٤٠]

... فما الذي يوقف هذا القمر في كبد السماء، ومنذ أن خلقه اللّه سبحانه وتعالى لا يتقدم سنتيمتراً واحداً ولا يتأخر ولا يهبط ولا يرتفع.. ربما عرفنا نحن في هذا الزمن من تقدم العلوم والتكنولوجيا سر وقوف القمر وثباته في منازله، ولكن ماذا كانوا يقولون عن هذا السر العظيم منذ نزول القرآن الكريم وحتى وقت قريب في القرن العشرين؟.. فما معنى قوله تعالى: ﴿ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ ؟ وهل المقصود أن للنجوم والكواكب أعمدة ولكن لا نراها؟! كقوله تعالى: عن الجن حيث يرونا ولا نراهم.

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ ﴾

[سورة الجن، الآية: ٢٧]

فليس معنى قوله: ﴿لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ أنهم غير موجودين أو مخلوقين.. أي الجن موجودون ولكن لا نراهم، ولو شاء اللّه سبحانه وتعالى لرأيناهم.

فهل معنى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أن الأعمدة موجودة ولكن لا نراها لحكم ضعف بصرنا الذي له حدود معينة... وهل العَمد التي لا نراها فعلية أم مجازية؟ كقولنا مثلاً (إن الإسلام دين متين وقوي، له أعمدة راسخة وثابتة في الأرض، لا يزعزع أركانه وأعمدته تيار ولا عاصفة ولا رياح) فهذا معنى مجازي، لأن الأعمدة رمز للثبات والتمكين.

... نعم إن السماوات لها أعمدة مجازية لا ترى بالعين المجردة، وهي (الجاذبية) التي خلقها اللّه سبحانه وتعالى في الأرض وفي القمر وفي الشمس وفي الكواكب وفي النجوم، تعرفت إليها البشرية عندما اكتشفها (نيوتن)، وتبين فيما بعد أنها أقوى من كل الأعمدة وأشد وثاقاً من أكبر وأضخم السلاسل والجبال، التي يربط فيها الشيء الذي نريد أن نربطه أو نشده إلينا.



هذه مجرة درب التبانة وهي آخر استطلاع واكتشاف بواسطة التلسكوب هابل
فإن في المجرة ٤٠٠ مليار نجم و٣٠٠ مليار كوكب وكل في فلك يسبحون بدقة متناهية
فمن يضبط هذا الأمر غير الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض أو تزول؟

فالجاذبية التي توقف كل قمر أو كوكب أو شمس أو نجم في موقعه دون أن ينحرف عليه ولو لجزء يسير، ولكنها لا ترى، ولكن العلماء

اكتشفوها واكتشفوا قانونها. . . وهذا ما كان من نيوتن، فكشف الجاذبية وقانونها عندما كان يستلقي تحت شجرة التفاح وكان يبحث عن هذه الجاذبية ولكنه لم يكتشف قانونها بعد. . وعندما سقطت تفاحة من الشجرة إلى الأرض قال: لماذا سقطت التفاحة إلى الأرض ولم تسقط إلى الأعلى نحو السماء، ثم صرخ وقال: وجدتها، أي: الجاذبية، ووضع قانونها وعلم أن الأرض التي نعيش عليها لها جاذبية تجذب إليها كل الأشياء، وأي شيء وقف في الأعلى لا بد أن يهبط إلى الأسفل. وعرف أن الكتلة الأكبر تجذب إليها الكتلة الأصغر. . فهو اكتشف قانونها، ولكنه لم ير الجاذبية بعينيه ولو كانت تُرى لاكتشفها مَن قَبْلَهُ بقرون.

. . . إذ الجاذبية هي التي توقف الأقمار والكواكب والنجوم في مداراتها، وهي الأعمدة العظيمة التي ذكرها اللّه سبحانه وتعالى ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ .

وبعد نيوتن تطور علم الفلك، وتم رصد النجوم والمجرات بواسطة التلسكوبات الضخمة والسفن الفضائية، وعلموا أن الكون بمليارات مجراته وملايين ملياراته من النجوم والكواكب محكوم بقانون (الجاذبية).

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾

[سورة فاطر، الآية: ٤١]

قانون الجاذبية بقدرة اللّه سبحانه وتعالى وعلم اللّه، وفي هذه الساعة المتقدمة في علم الفلك لم يعرف ماهية الجاذبية سوى أن الكتلة الأكبر تجذب إليها الكتلة الأصغر، كالمغناطيس الذي يتمتع بقوة جذب الحديد إليه، فقطعة صغيرة من المغناطيس لا تتجاوز ٥ سم لا تجذب إليها ١ كغ من الحديد. ولكن قطعة من المغناطيس أكبر وأوزن من ١ كغ من الحديد تجذب إليها القطعة من الحديد، التي تزن ١ كغ. . . ولهذا فإن الأرض تجذب القمر إليها لأنها أكبر منه، رغم أن المسافة بينهما ٢٨٤ ألف كم، يا سبحان اللّه!! والشمس تجذب إليها الأرض لأنها أكبر منها رغم أن المسافة بينهما ١٤٩

مليون كم، يا سبحان اللَّه!! ما هذه الخاصية التي وضعها اللَّه سبحانه وتعالى بتلك النجوم والكواكب لتجذب بعضها بعضاً؟!!

يقول تعالى:

﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾

[سورة الحج، الآية: ٦٥]

ولكن عظمة الخالق الإلهي، لم تجعل قانون الجاذبية وحده هو المسيطر في الكون، وإلا انجذب الأصغر إلى الأكبر، ولانجذبت الأرض وكواكب المجموعة الشمسية إلى الشمس، وصاروا كتلة واحدة، ثم انجذبت الشمس وجميع الكواكب التي التصقت بها إلى الكتلة الأكبر، وهي إحدى النجوم الأكبر. وهكذا، حتى يصبح كل شيء كتلة واحدة. . . وهذا مَا حَدَثَ أبداً، ولم يحدث، ولن يحدثَ. وللسائل أن يسأل: ولماذا؟

ذلك أن اللَّه سبحانه وتعالى وضع قانوناً آخر في الكون، وهو قانون (القوى النابذة) وهو الذي يحول بين تكتل الكون في كتلة واحدة. . وهذا القانون هو قانون القوى النابذة، يأتي من دوران الكواكب والأقمار والنجوم حول نفسها وحول بعضها. . فالأرض لا تنجذب إلى الشمس، ذلك أنها تدور حول نفسها في كل يوم مرة، بسرعة ٣٠ كم في الثانية، هذا الدوران هو الذي يحفظها في مدارها دون أن تنجذب إلى الشمس، وما ينطبق على الأرض ينطبق على القمر، وعلى كواكب المجموعة الشمسية، وكل نجوم الكون وكواكبه وأقماره ونيازكه ويبقى السؤال. . . طالما أن الأرض تدور حول نفسها، وفي دورانها تصنع القوة النابذة التي تخلصها من الانجذاب إلى الشمس فما فائدة الجاذبية إذاً؟

والجواب على هذا السؤال: أن لكل نجم وكوكب وقمر موقع في السماء يجب أن لا يحيد عنه ولو بقدرٍ بسيط، فالذي يحفظ كل كوكب في موقعه ليس قانون الجاذبية وحده وليس قانون القوة النابذة وحدها، ولا بد من اجتماع الاثنين للمحافظة على موقع الكوكب أو القمر أو النجم. . فلو أن قانون القوى النابذة هو المسيطر لوحده لانحرفت الكواكب والأقمار والنجوم عن مسارها، ولاختل نظام الكون واستحالت الحياة في كل مكان من هذا

الكون، ولاصطدم كل شيء في كل شيء، فقد جعل اللّه سبحانه وتعالى القوة المتكافئة في الحفاظ على مواقع النجوم والكواكب، وهي معادلة الجاذبية مع القوة النابذة فيبقى كل في مساره دون أي خلل. . فالشمس بقوة جاذبيتها تحاول بقوة أن تشد الأرض إليها، ولكن دوران الأرض حول نفسها تصنع قوة نابذة بدورانها حول نفسها تتعادل مع قوة الجذب، فيبقى الكوكب في مكانه فلا ينجذب إلى الشمس ولا ينحرف عن مساره.

نعم كل شيء في السماء يدور ويدور بمسار مغلق يدور ويرجع، وهذه الحركة الدورانية المستمرة ينشأ عنها قوة نابذة هي التي تكافئ القوة الجاذبة، ومن هذه الحركة المستمرة ينشأ ما يسمى التوازن الحركي، وهذا كله من آيات اللّه في الكون ودليل عظمة الخلق ودقته المتوازنة، والتي ليس فيها تفاوت ولا فطور ولا خلل.

يقول تعالى:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾

[سورة الملك، الآية: ٣]

هذه القوة المتكافئة من أوجدها؟ وهل صنعت ذاتها بذاتها. . بكل هذه الدقة المتناهية، ولو كانت جزءاً من سنتيمتر أو جزءاً من ثانية ـ دقة متناهية وقانون عظيم مضى عليها (١٣,٥) مليار سنة ونصف، ما اعتراه خلل وما أصابه وهن، ولم يعيَ اللّه بخلقها وإيجادها، ولم يتعب ليستريح وليس بحاجة إلى عَمارةٍ أو تصليح أو تصويب. يقول تعالى:

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾

[سورة الملك، الآية: ٤]

. . . ولو توقف العمل بهذا القانون (الجاذبية) و(القوة النابذة) ساعة واحدة من أصل عمر الكون البالغ (١٣,٥) مليار سنة ونصف المليار، لاختل كل شيء ولاصطدمت الكواكب والنجوم مع بعضها، ولانتهى الوجود الكوني والحياة على الأرض وحياة الناس، ولم يعد هناك حياة ولا وجود ولا كون ولا سماء.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

[سورة فاطر، الآية: ٤١]

سبحان اللَّه العليم القادر الذي خلق وقدَّر وهدى.

كل شيء على الأرض يتبع قانون الجاذبية فينجذب إليها ولا أحد يستطيع أن يردَّها أو أن يخرج من قانونها، لا من سفينة فضائية ولا من إنسان إلا إذا استطاع أن ينطلق بسرعة ٢٣,١ كم في الثانية، وليس في الدقيقة.. وهذا علم قائم أيضاً من رحمة اللَّه له حديث آخر مفصل.. أقول كل شيء على الأرض منجذب إليها، أي: للجاذبية. فالبحار وماؤها منجذب إلى الأرض بقانون الجاذبية، والأنهار وماؤها منجذب إلى الأرض بقانون الجاذبية، والإنسان الذي يعيش على كوكب الأرض منجذب إليها ويقف عليها بقانون الجاذبية، ولولا قانون الجاذبية لطار كل شيء من سطح الأرض الماء، والإنسان، والأشياء. يقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾

[سورة غافر، الآية: ٦٤]

أي جعل اللَّه الأرض قراراً تستقر عليه الخلائق، وكل شيء خلقه على هذه الأرض منجذب إليها بقانون الجاذبية.... وتصور، والكرة الأرضية تدور حول نفسها كل ٢٤ ساعة، فلولا قانون الجاذبية لأصبح الأعلى في الأسفل والأسفل يصبح في الأعلى مع الدوران، ومع ذلك لا نحس بشيء ولا نطير ولا تطير المياه ويبقى كل شيء ثابت في مكانه. وسبحان القائل:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾

[سورة القمر، الآية: ٤٩]

عمر الكرة الأرضية كما يقول علماء الفلك (٤,٥) مليار ونصف المليار سنة، وحال الأرض هو هو لم يتبدل ولم يتغير، تدور حول نفسها وتدور حول الشمس وكل في فلك يسبحون.

يقول تعالى:

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس، الآية: ٤٠]

فسبحان الخالق الذي لا يعبد سواه، سبحان الحي القيوم القائم والمشرف على خلقه ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات.

والملاحظ في هذه الآية الكريمة: أن اللّه سبحانه وتعالى قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ وبأن اللّه سبحانه وتعالى لم يقل: (اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السماء بغير عَمَدٍ)، وكذلك في الآية الثانية ذات الموضوع ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ طبعاً، المقصود بخلق السماوات أي المجرات وما فيها من نجوم وكواكب وأقمار، فلماذا لم يقل اللّه السماء بالمفرد؟ حيث تعني السماء الأولى، وجعل جميع السماوات وأن ما فيها من نجوم وكواكب وأقمار تسبح في ملك اللّه دون عمد تستند إليها كما تستند الأشياء على الأرض.. فهل في السماوات السبع نجوم وكواكب وأقمار؟... نحن جميعاً نتساءل عمّا يوجد في السماء الثانية والثالثة إلى السابعة، على مبدأ ما نشاهده في السماء الأولى، ولكن هنا الآيتان تشيران إلى أن ما في السماء الأولى والثانية والثالثة والرابعة إلى السماء السابعة، لأن اللّه سبحانه وتعالى قال ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ والتي تحتاج إلى عمد هي المجرات والنجوم والكواكب، أما الملائكة فلا تحتاج إلى أعمدة فلها قانونها الخاص بها.. فربما تكون السماء الأولى هي محيط السماء الدنيا، والسماء الثانية لمسافة ٢ مليون سنة ضوئية... والسماء السابعة هو ما اكتشفته التلسكوبات الفضائية الحديثة إذ اكتشفت المجرة الأبعد حتى الآن، والتي تبعد ١٥ مليار سنة ضوئية، وهناك ما يماثلها تعيش في جزر كونية قد تكون السماء الثالثة أو الرابعة على مبدأ أن العلم يسير في الاكتشافات وربما تتطور التلسكوبات والسفن، وتكتشف مجرات أخرى يصل بعدها إلى ١٠٠ مليار سنة ضوئية أو أكثر، فتكون هي السماء السادسة والسابعة.

فالسماء خلقها كلها اللّه سبحانه وتعالى ولكن بعد أن خلقها قسّمها وسوَّاها سبع سماوات، وجعل في كل سماء أمرها وملائكتها وأبوابها. قال تعالى:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۞ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾

[سورة فصلت، الآيات: ١١ ـ ١٢]

توسع الكون

يقول تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

[سورة الذاريات، الآية: ٤٧]

آية كريمة يحق لنا أن نقول عنها: قمة الإعجاز، وقمة البيان، وقمة الدلالة على أن القرآن كتاب اللّه تعالى، أنزله على عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ.

... ولو نزل تفصيل لهذه الآية الكريمة في ساعة نزول القرآن الكريم، لما فهمها الناس مطلقاً، لأنها علم عظيم من إله عظيم قادر مقتدر.

﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ كلمتان، ولكن تحملان من المعاني ما لا يعلمه إلا اللّه، وما أراد أن يعلمه خَلْقه.. لقد صدق اللّه سبحانه وتعالى إذ يقول:

﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾

[سورة ص، الآية: ٨٨]

وحق للقرآن الكريم أن يكون معجزة خالدة، خالدة في تجددها الدائم وليس في إعجازها يوم نزل القرآن الكريم، وصدق من قال: إن القرآن الكريم بحر زاخر لا تنتهي نفائسه.. وفي هذه الآية الكريمة نقول الحمد للّه الذي أرانا آياته فعرفناها، والحمد للّه الذي خصَّ هذا الجيل فظهرت تباعاً دلائل قدرته.

يقول تعالى:

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

وهي آيات القرآن الكريم والتي لم تفسر في وقت نزول القرآن الكريم، وفسرت تباعاً وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ ﴾ تبقى دائماً، والحمد دائم ومعرفتنا بآيات اللّه دائمة ومستمرة دون انقطاع إلى

أن يتبين للبشرية جميعاً أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، وهو الخالق ولا إله سواه.

يقول تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

... من أجل هذه الآية الكريمة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ طفت في كتب التفسير قديمها وحديثها، لأرى كيف فسرت هذه الآية الكريمة؟ وما مدى علم المفسرين كلٌ في عصره عن هذه الآية الكريمة؟

ولنقرأ في بعض كتب التفسير ما كتبه المفسرون عن هذه الآية الكريمة؟

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾

[سورة الذرايات، الآية: ٤٧]

يقول ابن كثير:

يقول تعالى: منبهاً على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ أي: جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً، ﴿بِأَيْي۟دٍ﴾ أي: بقوة، قاله ابن عباس ومجاهد. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: وسعنا أرجاءها بغير عمد حتى استعلت كما هي.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ أي: وشيدنا السماء وأحكمنا خلقها بقوة وقدرة، قال ابن عباس: ﴿بِأَيْي۟دٍ﴾ بقوة. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: وإنا لموسعون في خلق السماء، فإن الأرض وما يحيط بها من الهواء والماء بالنسبة لها كحلقة صغيرة في فلاة كما ورد في بعض الأحاديث، وقال ابن عباس ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي لقادرون، من الوسع بمعنى الكافة.

ويقول الزحيلي في التفسير الوسيط: لقد بنينا السماء بقوة ومقدرة وإنا لذوو قدرة وسعة على خلقها وخلق غيرها فنحن قادرون، ولا نعجز عن ذلك، ولا يمسنا تعب، فقوله: ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ نوسع الأشياء قدرة وقوة.

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة: والسماء بنيناها بقوة وقدرة وإنا لقادرون على خلقها وخلق غيرها، وذوو سعة على كل شي.

وفي تفسير السعدي يقول: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ أي: خلقناها وأتقنّاها

وجعلناها سقفاً للأرض وما عليها، ﴿ بِأَيْيْدٍ﴾ أي: قوة وقدرة عظيمة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لأرجائها وأنحائها، وإنا لموسعون أيضاً على عبادنا في الرزق.

وفي الجلالين للسيوطي: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ بقوة، ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قادرون. يقال: آد الرجل يئيد، أي قوي، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوة.

هذه بعض التفاسير والتي كانت جميعاً مقتضبة في التفسير، ولم أجد تفسيراً واحداً يتوسع في معاني هذه الآية الكريمة. وكأني أراهم جميعاً أجمعوا على أن: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ أي بقوة وقدرة ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي لأرجاء السماء وأنحائها مع اختلاف بسيط في التفسير.

نعود إلى التفسير العلمي المعاصر ومعجزة هذه الآية الكريمة، ولماذا يوسع الله سبحانه وتعالى هذا الكون؟

وفي البداية نقول الآية معجزتها بكلمة ﴿ لَمُوسِعُونَ﴾ ولغة: ليس هناك اختلاف في التفسير، إذ أن المعنى يشير إلى التوسع والتمدد لهذا الكون ولا تغير في المعنى، وليست كلمة موسعون سوى أنه توسيع لأرجاء السماء وأنحائها.

. . . الكون أمام ناظرينا ثابت ولا شيء يتبدل ولا يتغير، ولا نرى أنَّ نجوماً في صفحة السماء ذهبت وأتى غيرها أو نرى في كل يوم نجوماً جديدة ومواقع جديدة، لذلك كانت النظريات إلى حين من الزمن قريب تشير إلى سكون الكون وثباته، حتى عندما ظهرت النظرية النسبية للعالم الرياضي الإنكليزي أنشتاين واكتشف سرعة الضوء، إلا أنه لم يتحدث عن تمدد الكون واتساعه، وبقي أنشتاين على نظرية سكون الكون وثباته.

. . . ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن تفسر هذه الآية الكريمة ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ هيأ لهم ما يستطيعون به كشف تمدد الكون واتساعه.

وأول الاكتشاف تم في الدراسات التي أجريت على طيف المجرَّات.

وفي كتاب موجز تاريخ الكون يقول مؤلفه:

لا بد منذ البداية تأكيد حقيقة محورية تشكل مركز الثقل في نظرية الانفجار الأعظم أو النموذج المعياري. . . وتتمثل هذه الحقيقة في أن توسع

الكون حدث ولا يزال يحدث بسبب قوة الانفجار (لحظة نشوء الكون) فإذا كانت المجرَّات تندفع بتباعد بعضها عن بعض، والكون يتوسع باستمرار، فإن ذلك يرجع إلى قوة الانفجار الأعظم التي سببت توسعاً لفقاعة الانتفاضة الأولى، وشكلت الجزر الأولية للكون الوليد، وأدت وتؤدي باستمرار إلى تباعد المجرَّات وتوسع الكون.. ويقول: مما لا لبس فيه أن الفضل في التنبؤ بتزايد قطر الكون يرجع إلى الرياضي الفيزيائي الروسي (ألكسندر فريدمان)، الذي وضع نماذجه الرياضية (بناء على قراءة صحيحة للنسبية العامة، ووضع حلولاً تنبثق عن هذه القراءة) وبرهن بوساطتها على وجود بداية لهذا الكون حدث فيها الانفجار الأعظم، وعلى أن هذا الكون يتوسع باستمرار، وكما يمكن الاستنتاج من قراءة أبعد لنماذج (فريدمان)، أن الكون ربما لا يعاني ارتصاصاً أعظم بل قد يبقى بتوسع دائم، إما بمعدل ثابت متوازن، أو بمعدل متسارع[١].

وفي كتاب القرآن الكريم والعلم الحديث[٢]

يقول مؤلفه: توسع أو تمدد الكون أعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث، ولقد أصبح هذا التوسع مفهوماً ثابتاً وحقيقة لا جدال فيها، لدرجة أن المناقشات العلمية تدور فقط حول الطريقة التي يتم بها هذا التوسع أو التمدد! ويقول: لقد تنبأت النظرية النسبية العامة لأينشتاين بهذه الظاهرة وأجريت قياسات عملية كثيرة على (أطباق المجرات)، ولقد استخدمت ظاهرة (دوبلر) لِلإزاحة الطبقية لتدعيم هذه النظرية، وتنشأ ظاهرة (دوبلر) عندما تتغير المسافة بين المصدر الضوئي والرَّاصد، وإذا زادت المسافة بينهما عندما يتحرك أحدهما أو كلاهما فإن الطيف الضوئي الصادر تحدث له إزاحة معينة نحو الطول الموجي الأكبر، بحيث تتناسب الازِاحة الطبقية طردياً مع سرعة التحرك، وتدعى في هذه الحالة بالإزاحة الحمراء.

... ولقد درس (دوين هابل) خطوط طيف الامتصاص للمجرَّات،

---

(١) موجز تاريخ الكون د/ هاني رزق صفحة ٣٨.

(٢) القرآن الكريم والعلم الحديث د/ منصور محمد حسب النبي رئيس قسم الفيزياء في جامعة القاهرة صفحة ٢٤٠.

فتبين له أن جميع المجرَّات خارج مجموعتنا المجرِّية (درب التبانة). . والتي تتبع لها مجموعتنا الشمسية وكوكبنا الأرضي ـ تعطي إزاحة حمراء، وبهذا استنتج (هابل) أن معظم المجرات تتباعد عنا وكلما ابتعدت المجرَّات ازدادت سرعة ارتدادها أو تراجعها عنا!

ولقد تبين أن سرعة التراجع تزداد بمقدار ١٧ كم/ ثانية لكل مسافة قدرها مليون سنة ضوئية.

ما معنى هذا؟ معناه: أن المجرة التي تبعد عنا ١٠٠ مليون سنة ضوئية تتراجع أو ترتد عنا بسرعة قدرها ١٠٠ ط ١٧ = ١٧٠٠ كم في الثانية الواحدة. . ومثل آخر إن (عنقود كوما) وهو تجمع مجري يبعد عنا ٣٥٠ مليون سنة ضوئية، فإنه يتراجع عنا بسرعة ١٧ ط ٣٥٠ = ٥٩٥٠ كم في الثانية الواحدة، وهكذا فالمجرة التي تبعد عنا مليار سنة ضوئية تتراجع عنا بسرعة ١٧٠٠٠ كم في الثانية الواحدة، وثابت التناسب هنا وقدره ١٧ كم في الثانية لكل مليون سنة ضوئية، وهذا الاكتشاف (بثابت هابل).



مجرات تتباعد عن بعضها وعن مركز الأرض بسرعات متفاوتة
حسب بعدها فالمجرة التي تبعد عنا مليون سنة ضوئية تتباعد في الثانية الواحدة ١٧٠٠ كم

وقانون هابل هذا ظاهرة تستدعي الانتباه.. فكل المجرات تتباعد عنا، وكلما ابتعدت المجرَّات ازدادت سرعة تمددها وارتدادها وهذه الظاهرة تدعى ظاهرة تمدد الكون.

... ومما يدل على دقة خلق الكون، ومنذ الانفجار الكبير، وأن توسع الكون الناتج عنه وعلى مدى ثلاثة عشر ونصف المليار سنة هو بمنتهى العلم والحساب الدقيق.

يقول العالم البريطاني المعروف (**بول ديفز**):

(لقد دلت الحسابات أن سرعة توسع الكون تسير في مجال حرج للغاية، فلو توسع الكون بشكل أبطأ بقليل جداً عن السرعة الحالية، لتوجه إلى الانهيار الداخلي بسبب قوة الجاذبية، ولو كانت هذه السرعة أكثر بقليل عن السرعة الحالية لتأثرت مادة الكون وتشتت الكون، ولو كانت سرعة الانفجار تختلف عن السرعة الحالية بمقدار جزء من مليار ط مليار جزء، لكان هذا كافياً للإخلال بالتوازن الضروري، لذا فالانفجار الكبير ليس انفجاراً اعتيادياً، بل عملية محسوبة جيداً من جميع الأوجه وعملية منظمة جداً).

وماذا نستنتج من كل هذه الشواهد والمعلومات العلمية؟

يشرح (**بول ديفز**) النتيجة الحتمية لهذه الدلائل والتي لا تقبل النقاش فيقول: (من الصعب جداً إنكار أن قوة عاقلة ومدركة قامت بإنشاء هذا الكون المستندة إلى حسابات حساسة جداً.. إن التغييرات الرقمية الحساسة جداً والموجودة في أسس الموازنات في الكون، دليل قوي جداً على وجود تصميم على نطاق الكون)

أما العالم الفيزيائي المشهور (**ستيفن هوفكن**): فهو يتناول في كتابه (التاريخ المختصر للزمن) الدقة المذهلة الموجودة لسرعة توسع الكون في الثانية الأولى الحرجة من الانفجار الكبير، فيقول: (إن سرعة توسع الكون سرعة حرجة جداً، إلى درجة أنها لو كانت في الثانية الأولى من الانفجار أقل من جزء واحد من مليون × مليار جزء، لانهار الكون حول نفسه قبل أن يصل إلى وضعه الحالي).

إذاً هذا هو مبلغ الدقة المذهلة في تنظيم هذا الانفجار الكبير في تصميم سرعته.

والنتيجة الحتمية التي يصل إليها عالم الفلك الأمريكي (جورج كرنشتاين) في كتابه (الكون التكافلي) هي: (كلما دققنا الأدلة واجهتنا على الدوام الحقيقة نفسها، وهي أن هناك قوة عاقلة فوق الطبيعة تدخلت في نشوء الكون)[١].

حقاً إنها آية عظيمة لا يمكن أن تصدر عن بشر ولو اجتمعوا لها، فإذا كان العلم لم يكتشف حقيقة توسع الكون إلا بعد عام ١٩٣٠م أي: منذ أقل من مائة عام، ونحن دخلنا أبواب القرن الواحد والعشرين فكيف ينزل في كتاب حقيقة توسع الكون في وقت كانت البشرية كلها تعيش جهلاً حقيقياً عن علم السماء وما فيها، فسبحان رب السماوات ورب الأرض رب العرش عما يصفون، يقول تعالى:

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ٣٧]

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يوسف الحاج أحمد.

انفصال الأرض عن السماوات

يقول تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٠]

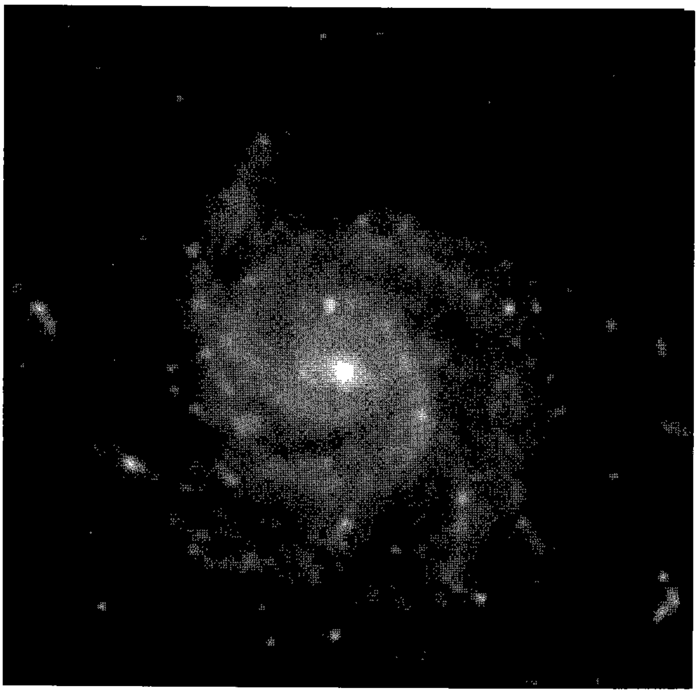
سبحان اللّه لكل آية معنى ودلالة وعلم.. وهناك من الآيات ما يصعب تفسيرها، ليس على المفسرين السلف بل على المفسرين المعاصرين رغم ما ملكوا بين أيديهم من علوم ساعدتهم على التفسير العلمي لكثير من الآيات الكريمة، والتي عجز السلف من المفسرين عنها... والحقيقة أن في هذه الآية الكريمة إشارة علمية، ولكن تحمل في مضمون معانيها حديثاً مطولاً عن نشأة الخلق أو بداية الخلق.

... فكثير من النظريات العلمية اليوم بيِّنة وواضحة ومتفق عليها كنشأة الكون، وكيف بدأ الخلق، وقدر العلماء عمر هذا الكون (١٣,٥) مليار سنة وعمر الأرض (٤,٥) مليار سنة وأن بداية نشأة الكون بدأ بما يسمى (الانفجار الكبير)، هذه النظرية التي كانت نتيجة جهد كبير من العلماء الذين يبلغ عددهم الآلاف، وقد عملوا (١٥٠) عاماً متواصلة حتى توصلوا إلى هذه النظرية (الانفجار الكبير) واتفقوا عليها، فقد أثبت العلم الحديث بعد تجارب ونظريات امتدت كما قلنا إلى ١٥٠ عاماً، وأن الكون نشأ من جراء الانفجار الكبير الذي أدى إلى تناثر المادة فكون الدخان وهو الغاز الكوني الأول، كان يتميز بحرارة عالية جداً وظلام أسود ملأ الفضاء الكوني، وتكون من نفس العناصر التي تكونت منها النجوم والنيازك والمجموعة الشمسية كلها بما فيها الأرض (وهي الأوكسجين والهيدروجين والآزوت والكربون.. الخ).

ثم انقسم الغاز (الدخان) إلى كتل كبيرة وهي المجرات التي انفتقت، أي: تجزأت إلى كتل نجمية، ومن ثم مجموعات شمسية، ثم انبثقت

الكواكب عن الشمس، ومنها الأرض، ثم بدأت تدور وتبتعد حتى بردت وتجمد سطحها الخارجي. ومما يدعم هذه النظرية، نظرية الانفجار الكبير التوسع الكوني المستمر الذي يتمدد ويتمدد ومنذ نشأته الأولى منذ (١٣,٥) مليار سنة ونصف، وكذلك مما يؤكد هذه النظرية وجود الإشعاعات الكونية في الفضاء الخارجي.

. . . إذاً هذه الآية الكريمة تخبرنا أن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً، وذكر الأرض أمام السماوات لا شيء يذكر، ولكن أليست هذه الأرض التي نعيش عليها وخلقنا اللّه سبحانه وتعالى عليها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام، لذلك كلما أراد اللّه سبحانه وتعالى أن يخبرنا عن السماوات وخلقها يذكر الأرض حتى ندرك المعنى المراد، وكون السماوات والأرض كانتا رتقاً وكانتا شيئاً واحداً يؤيده العلم اليوم، الذي قرر بعد رحلة طويلة مع عالم الفلك استمرت مائة وخمسون عاماً (العالم المعاصر) الذي قرر أن الكون كله شيئاً واحداً من غاز (دخان)، ثم انقسم إلى سدائم وعالمنا الشمسي الذي فيه أرضنا كان نتيجة تلك الانقسامات.



مجرة سماها العلماء الردمة وهي تدور بسرعة هائلة ومن الدوران يتم الفتق ربما انفصلت الأرض عن الشمس بسرعة دورانها ـ اللّه وحده يعلم.

ولنقرأ في كتب المفسرين حول هذه الآية الكريمة، والتي يستحيل أن تكون من بشر أو من البشر جميعاً في زمن لم تكن العلوم قد أخذت تقدمها كما هو الحال عليه اليوم، ورغم كل هذا التقدم الهائل في شتى مجالات العلوم إلا أنه لم يتم اكتشاف أن السماء والأرض كانتا رتقاً، أي: شيئاً واحداً إلا من بضع سنوات.

يقول ابن كثير في تفسيره:

يقول تعالى منبهاً على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء وقهره لجميع المخلوقات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أي: الجاحدون لألوهيته العابدون معه غيره، ألم يعلموا أن اللّه هو المستقل بالخلق، فكيف يليق أن يعبد معه غيره، أو يشرك به ما سواه، ألم يروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً، أي: كان الجميع متصلاً بعضه ببعض متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السماوات سبعاً، والأرض سبعاً، وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئاً فشيئاً عياناً، وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء. ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

قال سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة قال: سئل ابن عباس: الليل كان قبل أو النهار؟ فقال: أرايتم السماوات والأرض حين كانتا رتقاً، هل كان بينهما إلا ظلمة؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن حمزة، حدثنا حاتم عن حمزة بن أبي محمد، عن عبد اللّه بن دينار عن ابن عمر أن رجلاً أتاه يسأله عن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما. قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعال فأخبرني بما قال لك، قال: فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال ابن عباس: نعم كانت السماوات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: الآن قد علمت أن ابن عباس قد أوتي في القرآن علماً، صدق هكذا كانت، قال ابن عمر: قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة

ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن علمت أنه قد أوتي في القرآن علماً. وقال عطية العوفي: كانت هذه رتقاً لا تمطر فأمطرت، وكانت هذه رتقاً لا تنبت فأنبتت، وقال إسماعيل بن أبي خالد: سألت أبا صالح الحنفي عن قوله: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ قال: كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سماوات، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أراضين، وهكذا قال مجاهد، وزاد: ولم تكن السماء والأرض متماستين. وقال سعيد بن جبير: بل كانت السماء والأرض ملتصقتين، فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض، كان ذلك فتقهما الذي ذكر اللَّه في كتابه. وقال الحسن وقتادة: كانتا جميعاً ففصل بينهما بهذا الهواء. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي أصل كل الأحياء[(١)]

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ استفهام توبيخ لمن ادعى مع اللَّه آلهة ورداً على عبدة الأوثان، أي: أولم يعلم هؤلاء الجاحدون أن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً ملتصقتين ففصل اللَّه بينهما، ووضع السماء حيث هي، وأقرَّ الأرض كما هي[(٢)].

وقال القرطبي في تفسيره:

قال الحسن وقتادة: كانت السماوات والأرض ملتصقتين ففصل اللَّه بينهما بالهواء[(٣)].

وفي زاد المسير:

قال: قال ابن عباس: كانت السماوات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات[(٤)].

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة:

أو لم يعلم الكفار باللَّه والمشركون الذين أشركوا مع اللَّه إلهاً آخر، أن

---

(١) تفسير ابن كثير صفحة ١٧٣ الجزء ٣.

(٢) تفسير الصابوني صفحة ٨٢٨.

(٣) تفسير القرطبي ١١/ ٢٨٣.

(٤) زاد المسير ٥/ ٢٤٨.

السماوات والأرض كانتا ملتصقتين شيئاً واحداً ففصلناهما وميزناهما عن بعضهما بكتلة الهواء[١].

. . . التفاسير التي قدمناها مشتركة بأن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً، وفصل اللّه بينهما بالهواء أو بكتلة الهواء، فتفسير اللغة ساعدهم على تفسير المعنى، من دون علم كما علمنا بعد الاكتشافات العلمية المعاصرة، أن السماء والأرض وكل نجوم السماء وكواكبها وأقمارها كانت سديماً غازياً (دخاناً) ثم انفجرت الانفجار العظيم، وانفصلت الأرض وجميع كواكب المجموعة الشمسية، وكونت بأمر اللّه سبحانه وتعالى مدارات خاصة لها في موضع اختاره اللّه سبحانه وتعالى بقدرته.

. . . ولكن السؤال أن اللّه سبحانه وتعالى يقول ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ فإن الخطاب بهذه الآية العظيمة قد توجه اللّه سبحانه وتعالى به إلى الكافرين، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ فكيف يرىٰ الكافرون أن السماء والأرض كانتا شيئاً واحداً وهل يعلمون شيئاً عن علم الفلك أو شاهدوا من قبل؟! وما تفيد هذه الآية حسب الظاهر أولئك الكافرين والمشركين ولم يروا وما علموا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقهما اللّه سبحانه وتعالى؟؟ والجواب على هذا التساؤل:

١ ـ أن القرآن الكريم لم ينزل فقط لكفار مكة أو الجزيرة العربية وإنما نزّل إلى البشرية جمعاء وحتى يرث اللّه الأرض ومن عليها، فقد نزلت آيات كثيرة تخصهم ورأوا وشاهدوا والقرآن الكريم لم ينزل كله لهم فقط، فاللّه سبحانه وتعالى يعلم أن الكفر سيستمر إلى يوم القيامة كما يستمر الإيمان إلى يوم القيامة، والقرآن الكريم حجة على البشرية جمعاء في كل الأزمان والأماكن، وها هو اليوم حجة على الكافرين الذين رأوا وتأكدوا أن السماء والأرض كانتا رتقاً شيئاً واحداً ثم فصلهما اللّه سبحانه وتعالى بقدرته وهذا من وعد اللّه سبحانه وتعالى.

---

(١) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة ٣٢٥.

قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

٢ ـ يكفي أن اللَّه سبحانه وتعالى شهيداً على ما أنزل وهو الحق.

قال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

ألم يقل اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

ألم يقل اللَّه سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

٣ ـ هذه الآية كما هي خطاب موجه للكافرين فهي أيضاً للمؤمنين الذين آمنوا وعلموا أن اللَّه هو الحق، وأنه على كل شيء شهيد، وأنه خالق السماوات وهو أعلم كيف خلقها وصيرها وفتقها ويفتقها أخرج الأرض وأصبحت كياناً مستقلاً بعد أن كانت هي والسماء شيئاً واحداً. . . فسبحان اللَّه كيف عرف سيدنا محمد ﷺ أن السماوات والأرض كانتا رتقاً. . ولو دققت الآية كلمة كلمة ولو عدنا إلى الوراء وإلى زمن رسول اللَّه ﷺ إلى اليوم الذي كان قبل نزولها، فلا يمكن للبشر أن يخطر بفكرها مثل هذا أبداً، وخاصة في بيئة أمية وأمة أمية.

قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

[سورة الجمعة، الآية: ٢]

قال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾

هذه الآية تخبرنا أن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً ثم انفصلتا. . هذه معجزة من معجزات القرآن الكريم يؤيدها العلم الحديث، الذي قرر أن

الكون كان شيئاً واحداً من غاز ثم انقسم إلى سدائم. . وعالمنا الشمسي كان نتيجة تلك الانقسامات.

ومما يؤيد هذا القول أن العلماء استدلوا على أن الشمس سبع وستون (٦٧) عنصراً، وسيزيد المستدل عليه من العناصر في الشمس إذا ذللت الصعوبات التي تقوم في هذا الشأن.

والعناصر الشهيرة في الشمس شهيرة بيننا نحن معشر أهل الأرض، وهي: (الهيدروجين ـ الهيليوم ـ الكربون ـ الآزوت ـ الأوكسجين ـ الفوسفور ـ الحديد. .)

استدل العلماء على كل هذا بالتحليل الطيفي ـ وهو الذي استدل به الكيميائيون اليوم في مختبراتهم على ما تحتويه المواد الأرضية من عناصر يكشفون عن نوعها ومقدارها.

والشمس نجم يتمثل فيه سائر النجوم، والنجوم هي الكون. . . وهذا يعني أن العناصر التي بني منها الكون على اختلافها عناصر واحدة.[(١)]

ومن ناحية أخرى لاحظ العلماء أن النيازك والصخور والأتربة القمرية التي حصل عليها العلماء من الفضاء الخارجي تحتوي من العناصر ما هو شائع في الأرض.

. . . إن الكون بناء على ما قررته الآية القرآنية الكريمة كان منضماً ومتماسكاً (رتقاً: ملتصقتين بلا فصل). . ثم بدأ يتمدد في الفضاء.

وهذه هي الفكرة العلمية الجديدة عن الكون. . فقد توصل العلماء خلال أبحاثهم ومشاهداتهم لمظاهر الكون، أن المادة كانت جامدة وساكنة في أول الأمر، وكانت في صورة غاز ساخن كثيف متماسك. وقد حدث انفجار شديد في هذه المادة قبل (٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) سنة على الأقل، فبدأت المادة تتمدد وتتباعد أطرافها. . ونتيجة لذلك أصبح تحرك المادة أمراً حتمياً لا بد من استمراره طبقاً للقوانين الطبيعية القائلة: إن قوة الجاذبية في

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة يوسف الحاج أحمد صفحة ٣٣.

هذه الأجزاء من المادة تقل تدريجياً بسبب تباعدها، ومن ثم تتسع المسافة بينها بصورة ملحوظة.

إن مادة الكون واحدة. سبق علمي في كتاب اللّه جاء به العلم متأخراً لكنه مطابق لما جاء به الدين:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٠]

فأصل الكون واحد في كتاب اللّه سبحانه وتعالى ثم انفصلت وتبردت مادته.



هكذا تتولد النجوم.. وربما هكذا تخلق الكواكب وكلها تنفتق من السحابة الكونية (الدخان)

تسوية السماء سبع سماوات

يقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

التحدث عن السماوات أمر يكتنفه الكثير من الغموض حتى مع أكبر علماء الفلك السابقين والمعاصرين.

والحقيقة: أن الغموض الأول هو قضية الخلق الأول، وأما الغموض الثاني، فهو السماء ذاتها، وأما الغموض الثالث فهو العقدة الرئيسة بالنسبة لعلم الفلك وعلمائه، وهو الكون الثاني في مصطلحهم أو السماء الثانية بالنسبة لمفهومنا، والذين يبحثون عنه في أقمارهم الصناعية، وأحدث ما توصلت إليه علومهم في صناعة التلسكوبات الفضائية.

والقرآن الكريم إن استعانوا به لأفادهم في تعميق بحوثهم ودراسة نظرياتهم التي يتخبطون فيها، علماً بأن القرآن الكريم اكتفى بالإشارات نحو خلق السماوات والأرض وترك البقية إلى هذا العقل المخلوق في البحث والدراسة، ورغم أن القرآن الكريم لم يتوسع في تفصيل الآيات العلمية توسعاً يكفينا عناء البحث والدراسة، إلا أنه أعطانا مدلولات عظيمة ورائعة كانت مدخلاً عظيماً لكل الباحثين في علم الكون.

وأستطيع أن أعبر عن هذه المدلولات القرآنية أو هذه الإشارات العلمية بأنها على حد التعبير الشائع (المختصر المفيد).

العلماء الآن قد وصلوا إلى درجة الهذيان وهم يبحثون، أيوجد كون آخر أم سماء أخرى أم لا يوجد؟!

ولكن القرآن الكريم رغم عدم توسعه في هذا إلا أنه أشار إلى أن هناك سبع سماوات وسبع أراضين.

ثم أشار إلى أن لكل سماء أمرها وساكنيها، فالأمر الذي ينزله اللّه في كل سماء، ينزله على من؟ إذا لم يكن هناك خلق يسكن هذه السماوات، لقوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

وأعود إلى الآية الكريمة من سورة البقرة، والتي هي في حقيقة الأمر قضية تنظيم الخلق وترتيبه وتنسيقه، فكل شيء في الخلق كان موجوداً.

فالآية تتحدث عن التنظيم الإلهي لعملية الخلق الموجودة، وإذا أردنا أن نقربها إلى الذهن فنوضحها بمثال: كاتب ألف كتاباً مسبقاً، ثم عمد بعد التأليف إلى تنظيم كتابه وتبويبه وتقسيمه إلى أبواب وفصول حسب الموضوعات.

فالكتاب قد ألفه صاحبه مسبقاً، أما التبويب والتنسيق بين الموضوعات فهو الذي عمد إليه ليكون جاهزاً للطبع والقراءة.

ونفهم من سياق الآية القرآنية الكريمة أن الأرض والسماوات.. موجودة مسبقاً ولكن اللّه تعالى يقول إنه جهز الأرض لتكون جاهزة للحياة فخلق فيها كل سبل معيشة ساكنيها.

فالأرض كوكب كان هو والسماء شيئاً واحداً، ففتقهما اللّه بعضهما عن بعض وجعل الأرض منفصلة عن السماء، كما قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٠]

وحين فصلها اللّه سبحانه وتعالى عن السماء، كانت كوكباً لا حياة فيه ولم تكن سكناً وقراراً لأي من المخلوقات، وأستطيع أن أعبر عن هذا بأنها

كانت عبارة عن عمارة على الهيكل فقط عندما فصلت وفتقت عن السماء، فالكوكب الأرضي كان أرضاً وصخوراً وتراباً.

فاللّه سبحانه وتعالى أراد ـ وهو فعال لما يريد ـ أن يكون عليها خلق من خلقه، للّه ملك السماوات والأرض يفعل ويخلق ما يشاء.

واللّه أراد لهذه الأرض التي فتقها عن السماء أن يعيش عليها خلق من خلقه وهم البشر كما علمنا ورأينا.

فلا بد أن يجهزها اللّه بأمره تجهيزاً يتوافق مع نوعية الخلق الذي شاءه وأراده.

فالذي أراده على الأرض هم البشر، وأراد لهذا الخلق أن يتوالد ويتكاثر من ذاته، وأراد لهذا الخلق أن يعيش ليس كما تعيش الملائكة، فجعل فيهم غرائز كغريزة الطعام والجنس وسائر الشهوات.

وأراد أن يكون في هذه الأرض أشعة شمس ونور قمر وهواء وأوكسجين ونبات وجيوان وجبال وبحار وأنهار ووديان تتناسب مع حياة هذا الخلق الذي أراده.

فاللّه سبحانه وتعالى يقرر في هذه الآية الكريمة أنه خلق لنا ما في الأرض جميعاً، أي كامل أقوات الأرض بما تحمل كلمة أقوات من معاني لا حصر لها.

وماذا تعني هذه الآية؟ وماذا أراد اللّه سبحانه وتعالى بذلك؟.

يعني هذا الكلام من اللّه سبحانه وتعالى: أنه جهز الأرض لتكون قراراً وسكناً لخلقه، فوضع فيها كامل ما يوجب القرار والسكن والحماية، فقد فرض اللّه بقدرته الحماية المطلقة لهذه الأرض ودرأ عنها كامل أخطار السماء والمخلوقات الأخرى.

إذاً فالأرض فصلت وفتقت عن السماء أولاً ثم جعلت فيما بعد سكناً محمياً لخلقه، والسماء كانت سماء واحدة، وبعد أن خلق أقوات الأرض وسبل معاشها أتى أمره إلى السماء فسوَّاها ورتبها وجعلها سبع سماوات بعد أن كانت سماء عظيمة واحدة.

وأعود إلى بداية الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾

ومعنى هذا: أن اللَّه سبحانه وتعالى أعطى الأمر للأرض بأن تكون جاهزة لاستقبال ساكنيها.

وكيف تكون الأرض جاهزة لاستقبال ساكنيها؟ وأول ما يجب معرفته أن اللَّه سبحانه وتعالى جهز الأرض لسكن مؤقت، وليس المهم الوقت إنما لأجل مسمًّى على عكس الجنة، فالجنة خلقت للديمومة، لذلك جعل اللَّه فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن اللَّه سبحانه وتعالى جعل في الأرض جمالاً من نوع آخر يتناسب مع الخلق ولمرحلة مؤقتة، فأعطاها شيئاً من الجمال المؤقت الزائل.

وكوكب الأرض من كواكب السماء التي لا تعد ولا تحصى، اختصها اللَّه هي وست أراضين أخر ليكون عليها خلق وحياة، وإن كنا لا ندرك كنه ونوع الحياة التي هي على الأراضين الأخرى إذا وجدت، لقوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

وإذا أردنا أن نعرف كيف أن اللَّه خلق لنا ما في الأرض جميعاً، فلنقارن بين كوكب الأرض وأحد كواكب المجموعة الشمسية القريب منا وكلاهما يتبعان الشمس هما الأرض والمريخ.

١ ـ الأرض محمية بسبع طبقات هوائية، وكأنها أسقف من الفولاذ تحمي الأرض، لذا نرى النيازك الهابطة على الأرض تصبح كغبار يطير في الهواء أو تراب، والمريخ غير محمي بمثل هذه الطبقات الدقيقة، فتهوي عليه النيازك فتحدث فيه خراباً.

٢ ـ الأرض مغلفة تغليفاً جيداً بطبقة هوائية فيها الأكسجين والآزوت والكربون بنسب دقيقة جداً، وذلك من أجل حياة الخلق، والمريخ غير مغلَّف.

٣ ـ الأرض مجهزة بطبقة الأزون التي تحمي الأرض من أشعة الشمس الحارقة، والمريخ غير مجهز بهذه الطبقة.

٤ ـ الأرض محمية بطبقة هوائية تفتت وتحرق جميع النيازك والشهب القادمة من السماء، والمريخ غير محمي، لذلك نرى فيه فجوات تمتد أحياناً لكيلو مترات من أثر هجوم النيازك والشهب.

هذا عن الحماية الخارجية، وهذا أول الخلق على الأرض أن حماها الله من الأخطار الخارجية.

يقول تعالى:

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾

[سورة الحج، الآية: ٦٥]

فأنت إن أردت أن تبني بيتاً وتجعله سكناً لك، فلا بد أن توفر له سبل الأمان والحماية، فتصنع له الأبواب والنوافذ وتشبكه بالحديد وتجعل له أساساً متيناً حتى يحميك من الميد والاهتزاز والانهيار.

ولكن كيف يعيش هذا الذي اسمه (الإنسان) على كوكب الأرض؟! وإن كان قد حماه الله من الأخطار الخارجية؟! فلا بد من توفير باقي سبل المعيشة والحياة، فلا بد من وجود النبات والأشجار والماء العذب والمالح والحيوان والتربة الصالحة للبناء، ولا بد من وجود الحشرات والهوام والجراثيم والبكتريات، والأهم من ذلك خلق الأضداد والأزواج من كل شيء، وصدق الله إذ يقول:

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة يس، الآية: ٣٦]

لِنَعُد إلى الآية الكريمة﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ .

فكلمة (جميعاً) كلمة لا حدود لها فالخلق لا يحسب ولا يعد، ولكن بقدر، ومهما أحصينا فلن تقف على حد معين، لقوله تعالى:

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾

[سورة النحل، الآية: ١٨]

فقد خلق النباتات مثلاً بأنواعها التي لا ينتهي عددها من البذرة إلى التكوين النهائي لكامل الأنواع فحصره، وإحصاؤه أمر غير هين ولو اجتمعت لذلك البشرية جميعاً.

ومن حين أن يأخذ النبات ثاني أكسيد الكربون المطروح من الإنسان والحيوان، ويطرح الأكسجين الذي هو المادة الأساسية لمعيشة الخلق، أمرٌ يتم بمنتهى الدقة والروعة ولا تدركه عقولنا الصغيرة، وطرح الأكسجين وأخذ ثاني أكسيد الكربون، عملية قائمة منذ بداية الخلق ولكنّا لا نعلم عنها شيئاً حتى نهاية القرن التاسع عشر.

اللَّه سبحانه وتعالى خلق النبات أولاً، وهذا ما أكّده العلم أيضاً، ثم خلق الإنسان بعده.

فكيف تمت عملية خلق ما يمكن أن يتذوقه الإنسان ليكون له غذاء؟ ومن أجرى عملية التذوق هذه؟ ومن برمج هذا التوافق وجعل هذا النبات المخلوق هو الذي يحمل في أوراقه وثماره وأغصانه ما يكون غذاء للإنسان وضامناً لاستمرار حياته على الأرض؟

وأما هذا الحيوان الذي جعله اللَّه على أنواع، فمنها المفترس الذي خلقه اللَّه، وجعل مهمته القضاء على ما يزيد من الحيوانات، للمحافظة على البيئة دون زيادة ولا نقصان.

ومنها ما جعله اللَّه للركوب والحمل، ومنها خلق اللَّه لنا في بطونها غذاءً وطعاماً، ومن جلودها وفرائها وأشعارها لباساً.

ليضمن به استمرار النوع والمخلوق وهو البشر، ومن أعظم ما في الخلق أنه خلق الأنواع جميعاً بقدر دقيق موزون وزناً إلهياً، وجعل أمر استمرار بقائها بما لا يزيد عن حاجة الأرض أو ينقص، وخلق منها أضداداً يفني بعضها بعضاً بما يحمي النوع ويحافظ على الإنسان.

فعملية خلق ما في الأرض وتجهيزها التجهيز الكامل لحياة الخلق البشري، وتأمين معايشهم بدقة، عملية معقدة جداً لا يقدر عليها إلا اللَّه سبحانه وتعالى. يقول تعالى:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾

[سورة القمر، الآية: ٤٩]

ويقول تعالى:

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾

[سورة المؤمنون، الآية: ١٤]

ويقول تعالى:

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۞ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾

[سورة الحجر، الآيتان: ١٩ ـ ٢٠]

وأعود إلى السماء في الآية الكريمة ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ فإذا استطعنا وبما هيأ اللَّه تعالى لنا على هذه الأرض، أن ندرك شيئاً عن معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لأننا لمسنا معجزات اللَّه تعالى في خلقه لما في الأرض.

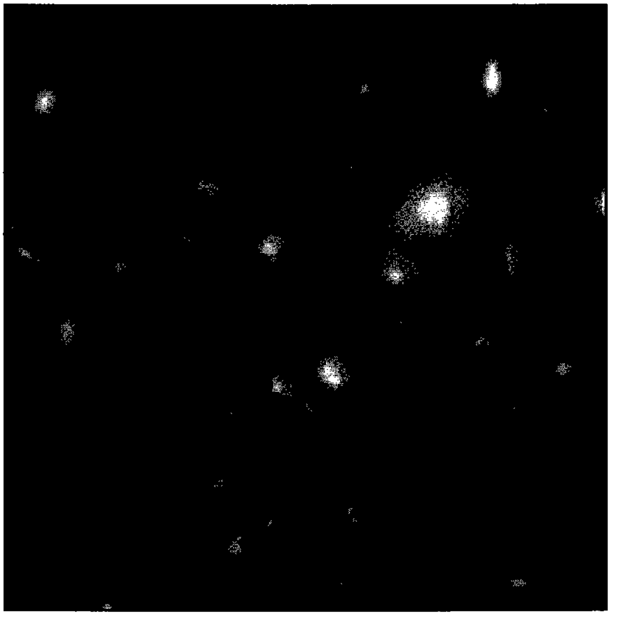
* ولكن كيف لنا أن نعرف كيف خلق اللَّه سبع سماوات بعد أن كانت سماء واحدة؟
* وكيف لنا أن نعرف ما الأمر الذي يتنزل إلى كل سماء؟
* وكيف لنا أن نعرف ماذا يوجد في كل سماء؟
* وهل يوجد في السماء الثانية مثل ما هو موجود في السماء الأولى؟ أم هو خلق آخر وحياة أخرى، وكذلك السؤال عن السماء الثالثة وحتى السماء السابعة؟
* وكيف لنا أن نعرف ماذا فوق السماء السابعة؟ وكيف لنا أن نعرف ما الكرسي الذي وسع السماوات والأرض؟ وما العرش الذي قال عنه رسول اللَّه ﷺ: (**ما السماوات السبع للكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**)(١)

---

(١) رواه البيهقي وابن أبي شيبة في كتاب العرش (١/ ٦٨).

* وكيف لنا أن نعرف ما الجنة التي قال عنها سبحانه وتعالى ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]



صورة للتلسكوب هابل تمثل كل نقطة ضوء، فيها مجرة فيها مليارات النجوم والكواكب والأقمار، والسؤال هل هذه المجموعة الهائلة من المجرات في السماء الثانية أو الثالثة أم هي ثابتة للسماء الأولى من يعلم سوى الله سبحانه؟؟

* ثم ما النار وما الكيفية التي عليها، وهل مساحة النار مثل مساحة الجنة أم أنها أصغر أم أكبر؟

* وهل سنرى كل هذا وهل سنشاهد ملك الله سبحانه؟.

* وخير الجواب عن هذه الغيبيات التي تساءلنا عنها.

قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ ﴾

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

ومعنى سيريكم آياته في الآية الكريمة فهي كل ما ذكرت وتساءلت عنه، فإذا كان الله وعد بأننا سنراه هو نفسه أفلا نرى آياته؟!!

يقول تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

[سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣]

ولكن هذا حينما يشاء ويريد، فماذا عنّا الآن؟

١ ـ إن علم الإنسان عن هذه الغيبيات محدود جداً، فالإنسان له سقف معين وحدّ معين بالمعرفة والعلم، وما فوق هذا السقف وهذا الحد يدخل في علم الغيب الذي اختصه اللّه لنفسه، لقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الحجرات، الآية: ١٨]

وإذا أردنا أن نعرف شيئاً عن الغيبيات، فليس لنا إلا القرآن الكريم والسنة الصحيحة، حيث كشفا عن بعض الغيبيات الغطاء لنعرف قدرة الإله المعبود.

فالعلم لا نهاية له مطلقاً، ومهما وصل إلى درجة عالية جداً من الرقي والدقة لا يستطيع أن يعرف شيئاً عن السماء الثانية أو الثالثة ولا عن الكرسي أو العرش ولا عن الجنة والنار ولا عن ملكوته وملائكته.

إلا ما أورده القرآن الكريم أو بينته السنة النبوية الشريفة التي هي إلهام كامل من اللّه سبحانه وتعالى، فالرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، كما يقول تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾

[سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤]

واللّه سبحانه وتعالى وعد في قرآنه الكريم بقوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

أن يُري البشرية آياته في الآفاق، أي أنه سيري هذا الإنسان بعض قدرته التي هي في السماء الأولى.

لذا أتاح للبشرية بإرادته وهيأ لهم ما يستطيعون به أن يصعدوا به إلى

السماء ليروا قدرة اللّه، ثم هيأ لهم مواد أوجدها اللّه في الكون ليصنعوا منها عدسات تكبر آلاف المرات، والتي أسموها التلسكوبات ليشاهدوا بأعينهم قدرة اللّه وبعض ملكه، لأن الوصول والصعود إلى ملك اللّه له حد معين، لذا جهز لهم الرؤيا بالتلسكوب لأن اللّه يعلم أنهم لن يصلوا إلا إلى جزء يسير من ملكه.

فإذا كان الإنسان وقد وصل إلى نهاية أوائل القرن الواحد والعشرين، ولم يستطع أن يصل بجسده إلا إلى القمر الذي يبعد عنا ١٨٣ مائة وثلاثة وثمانين ألف ميل، فكيف سيصل الإنسان إلى كوكب نبتون والذي يبعد عنا أربعة مليارات كم، وهو ضمن مجموعتنا الشمسية وضمن عدد أبناء لأم واحدة وهي الشمس؟.

إذاً كيف يستطيع الإنسان أن يصل إلى كوكب آخر في مجرة أخرى تبعد عنا مئات الملايين من السنوات الضوئية، فهذا يدخل في نطاق المستحيل والمستحيل القطعي، فالإنسان محدود بإمكانياته وقدراته التي رسمها له اللّه سبحانه وتعالى ولن يستطيع الإنسان أن يفعل شيئاً أو يوجد شيئاً من عدم، إنما هو يطوّر ويستخدم ما هو متاح له بأمر اللّه وقدرته.

وعندما اكتشفت البشرية أن هناك مجرات تبعد عن مركز الأرض مليارات السنوات الضوئية، علموا وتأكدوا أنهم محدودون جداً جداً أمام قدرة هذا الخالق العظيم.

ومع ذلك فإن روعة الإنسان تكمن في أنه وإن لم يستطع الوصول إلى هذه المجرات الهائلة البعد، فقد استطاع أن يحوي هذا الكون بعقله وأدرك عظمة اللّه فيه دون الوصول إلى شيء، وهذا وعد اللّه ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ ولم يقل اللّه إنه سيوصلهم إليها، فالرؤية شيء والوصول شيء آخر.

فالعلماء كلما ظنّوا أن تلسكوباتهم وصلت إلى نهاية السماء الدنيا أو الكون الأول حسب تعبيرهم، تفاجئهم تلسكوباتهم الجديدة أن هناك بعداً آخر للسماء الأولى فيزداد هذيانهم واستغرابهم من هذه

القدرة الإلهية الهائلة وهذا الكون الفسيح الذي لا نهاية له. فتراهم يرجئون عملية البحث عن كون آخر إلى حين آخر.

إذاً اللّه خلق ما في الأرض جميعاً من سبل الحياة ثم أتى السماء فجعلها سبع سماوات بقدرته وعلمه.

ولكن إن كنا سنرى أو لا نرى فهذا في علم اللّه وحده.

تسخير
السماوات والأرض للإنسان

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

ويقول تعالى:

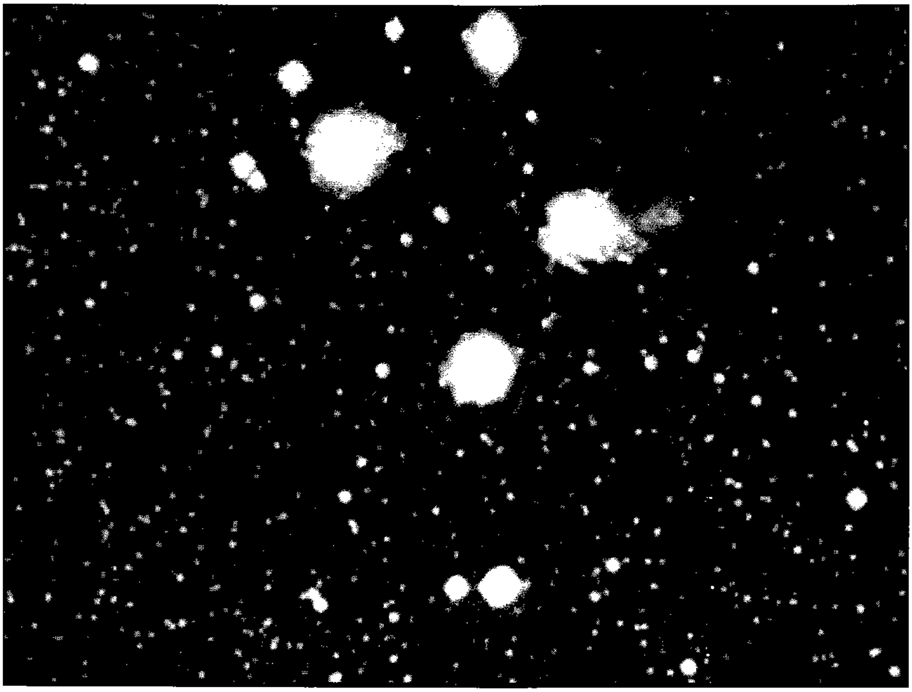
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٣]

... لقد أحببت أن استفتح الحديث عن آيات اللَّه في السماء، التي ذكرها اللَّه سبحانه في كتابه الكريم بتلك الآيتين الكريمتين، اللتين يؤكد اللَّه سبحانه خالق السماوات والأرض فيهما ـ تسخير هذه السماوات جميعاً للإنسان المخلوق، وإن ذلك لأمر عظيم يستوجب الوقوف عنده وقوفاً فيه تفكير عميق.. وسؤال.. لماذا سخَّر اللَّه سبحانه للبشر تلك السماوات العظيمة بما تحوي من ملايين المجرات ومليارات النجوم والكواكب والأقمار؟؟

فكوكب الأرض جرم صغير جداً، يسبح في هذا الكون اللامتناهي، يعيش عليه هذا (الإنسان المخلوق).. في عالم الكواكب والنجوم والمجرات، فإن كوكب الأرض ليس له حيز كبير ولا يشكل أكثر من حبة رمل واحدة على شاطئ بحر طويل.. وليس كوكب الأرض هو وحده الذي لا قيمة له في عالم المجرات والنجوم والكواكب، بل والمجموعة الشمسية التي ننتمي إليها، بل ومجرة درب التيانة التي تنتمي إليها مجموعتنا الشمسية، لا قيمة لها تذكر أمام عظمة المجرات

وأعدادها الهائلة وما فيها من نجوم وكواكب وأقمار.



في السماء مليارات المجرَات وفي كل مجرة مليارات النجوم
والكواكب كلها سخرها اللّه سبحانه لنا ـ الحمد للّه على ما أسبغ علينا من نِعَم.

. . . وتبقى الأسئلة:

. . كيف تسخر هذه السماوات للإنسان، وعمرها كما يقول علماء الفلك أكثر من ١٣,٥ مليار سنة ونصف، وعمر الإنسان في أكثر النظريات إغراقاً في الزمن، لا يتجاوز بضعة ملايين من السنين!

. . . كيف تسخر هذه السماوات بمليارات المجرَّات، لإنسان يعيش على كوكب صغير واحد في عالم هذه المجرَّات، ومجرتنا التي هي واحدة من مليارات المجرَّات، يوجد فيها كما يقول علماء الفلك ١٠٠ مائة مليار نجم غير الكواكب والأقمار والنيازك.!

. . . وهل معنى ذلك أنه لا توجد حياة (مخلوقات) في هذه المجرَّات على عظيم اتِّساعها وأعدادها الهائلة، ولا يوجد مخلوقات كرَّمها اللّه سبحانه إلا على هذا الجرم الصغير (الأرض)، حتى يسخر الجامد للحي وهو الإنسان؟؟

... وما معنى هذا التسخير، ونحن لا نستطيع أن نصل بأجسادنا إلى أقرب تلك النجوم، أو المجرات أو حتى كواكب المجموعة الشمسية التي ننتمي إليها.

... وما معنى كلمة (سخَّر) لغة؟ هل تفيد معنى الخدمة أو الطاعة أو الاستجابة، أو تؤمر فلا تمنعنا من الوصول إليها، أو حط رحالنا عليها إذا ما اقتربنا منها بسفننا الفضائية؟ أو تفيد معنى كلمة (سخَّر) أنها لا تؤذينا ولا تضرنا، ولا ترسل أشعتها فتحرقنا، أو تصطدم بنا فتنهي حياتنا على الأرض.

والحقيقة أن هناك أسئلة كثيرة تدور حول معنى (سخَّر)، والجواب على جميع هذه الأسئلة، كائن في إعمال العقل والتبصر والتحليل، بما ملكنا اللّه سبحانه من فكر وعقل.

* الملائكة الذين ربما يكون خلقهم أكبر وأعظم من خلق السماوات وخلق الإنسان، ومع ذلك فاللّه سبحانه لمَّا خلق آدم عليه السلام، أمر الملائكة جميعاً أن يسجدوا لآدم سجود تحية وتقدير؛ يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾

[سورة الحجر، الآيات: ٢٨ ـ ٣٠]

* عرض اللّه سبحانه (الأمانة) أمانة التكليف، والعبادة على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وعرضها على الإنسان فقبلها، وهذا دليل تميزه وفضله على السماوات والأرض والجبال.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

[سورة الأحزاب، الآية: ٢٨]

* الإنسان: وصفه تعالى بأنه عبد مخلوق يفكر في قدرة اللّه وفي خلقه للسماوات والأرض، والتفكير في قدرة اللّه نوع من أنواع العبادة.

يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

* السماوات والأرض مخلوقات جامدة ـ ولا أقصد ما فيهن من الملائكة والمخلوقات الأخرى التي لا نعلم عنها شيئاً ـ فإنها تسبّح ولا تفكر ولا تعبد، لقوله تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

وأما الإنسان فإنه يسبّح ويفكر، ويعبد اللّه سبحانه.

* لقد كرَّم اللّه سبحانه الإنسان وفضله على كثير مما خلق تفضيلاً يقول تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

* في كتاب اللّه سبحانه أن هذه السماوات، وما فيها من مجرات هائلة ونجوم وكواكب بالمليارات، هي إلى زوال وطي، ويخلق اللّه سبحانه غيرها.

يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

[سورة إبراهيم، الآية: ٤٨]

ويقول تعالى:

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]

ولكن الإنسان ليس إلى زوال، وما الموت إلا مرحلة ينقل اللّه سبحانه الإنسان من الدنيا إلى الآخرة، والإنسان خالدٌ في كتاب اللّه سواء في الجنة

أو في النار، فلم يخلقه اللّه سبحانه للفناء، ولكنه خلق للبقاء والديمومة.

* الدنيا كلها وما فيها من سماوات وما تحوي من مليارات المجرّات، لا تعدل عند اللّه جناح بعوضة كما قال رسول اللّه ﷺ:

ـ عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

(لو أن الدنيا تعدل عند اللّه جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء)(١)

ولقد جعل اللّه سبحانه موضع سوط أحدنا في الجنة، خير من الدنيا وما فيها.

يقول رسول اللّه ﷺ:

فيما جاء عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:

(موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها)(٢)

وكذلك فإنه عند اللّه سبحانه، أن يصلي العبد لربه. ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها.

يقول رسول اللّه ﷺ:

فيما جاء عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ:

(ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها)(٣)

. . . إذاً ركعتان يصليهما العبد المؤمن للّه سبحانه، خير من كل جماد خلقه اللّه سبحانه سواء في الأرض، أو في السماوات. . والمقصود من حديث رسول اللّه ﷺ

(ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) أي ما فيها من الجماد، فهو أي رسول اللّه ﷺ لم يقل: (ومن فيها) لأن (ما فيها) لغير العاقل (ومن فيها) للعاقل.

---

(١) رواه الترمذي رقم الحديث ٢٣٢٦.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم والترمذي رقم الحديث ٤١٤.

. . . لذلك أقول: إن المؤمن باللَّه ـ العابد الساجد والموحد لربوبيته، وما يقدمه من طاعة وعبادة وصلاة وصيام وتسبيح ـ لا يعدله شيء في كون اللَّه سبحانه، فهو عند اللَّه سبحانه أفضل من هذه الجمادات كلها، لذلك سخَّر اللَّه تلك السماوات وما فيها للإنسان تسخير خدمة وتقدير.

غيب السماوات والأرض

يقول تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة هود، الآية: ١٢٣]

.. لقد مرَّت معنا آيات كريمة كثيرة يتحدث اللَّه سبحانه فيها، أن له ملك السماوات والأرض، وأن له ما في السماوات والأرض.

يقول تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾

[سورة النور، الآية: ٤٢]

ويقول تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾

[سورة النساء، الآية: ١٣٢]

ومثل هذه الآيات الكريمة كثيرة في كتاب اللَّه سبحانه، والتي يخاطب فيها خلقه أنه هو المالك لما في السماوات والأرض جميعاً... ونحن بدورنا فهمنا ما معنى الملكية، وما معنى أن اللَّه سبحانه مالك السماوات والأرض، فهي ملكه وحقه ولا ينازعه في هذا الملك أحد أبداً... ولكن هذه الآية الكريمة ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ هي محل التساؤل عن معنى غيب السماوات والأرض.

فهل للسماوات والأرض غيب؟ أم السماوات والأرض كلها غيب؟ أم أجزاء فيها غيب؟ وما معنى الغيب أولاً؟ وما المقصود به هنا في هذه الآية الكريمة؟



مجرة أندروميدا قال العلماء أنها أكبر بكثير مما كان يعتقد عنها فيها مليارات النجوم تبعد ٢ مليون سنة ضوئية والإنسان لم يصل إلا إلى القمر وهو يبعد فقط ثانية ضوئية فأنى لنا أن نعرف غيب اللّه؟

ثم ما معنى ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾، فأين دورنا نحن البشر المختارون لأفعالنا وأعمالنا؟. بمشيئة اللّه؟

ولنسمع أولاً إلى ما قاله المفسرون في هذه الآية الكريمة، ثم نرتحل في عالمها اللامتناهي من قدرة اللّه سبحانه وتعالى

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي علم ما غاب وما خفي فيهما، كلٌّ ذلك بيده وعلمه، ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾ أي إليه يردُّ أمر كل شيء، فينتَقم ممن عصى ويثيب من أطاع، وفيه تسلية للنبي ﷺ، وتهديد للكافرين بالانتقام منهم، ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ أي اعبد ربك وحده وفوض إليه أمرك، ولا تعتمد على أحد سواه، فإنه كافي من توكَّل عليه، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أي لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد، ويجازي كلاً بعمله.

ويقول ابن كثير في تفسيره:

يخبر اللّه تعالى أنه عالم غيب السماوات والأرض، وأنه إليه المرجع

والمآب، وسيؤتى كل عامل عمله يوم الحساب، فله الخلق والأمر، فأمر تعالى بعبادته والتوكل عليه، فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه، وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ أي ليس يخفى عليه ما عليه مكذبوك يا محمد، بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة، وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين.

.. إذاً علم الغيب هو علم ما غاب وخفي عنّا.. وقد جعل اللّه سبحانه من صحة الإيمان وصحة الاعتقاد، الإيمان بالغيب، فلا يستقيم إيمان المؤمن إلا إذا آمن بالغيب، وقد تعددت الآيات الكريمة التي وصف اللّه سبحانه المؤمنين بأنهم أولئك الذين يؤمنون بالغيب...

وفي أول سورة البقرة، أي أول آيات القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾

[سورة البقرة، الآيات: ١ ـ ٣]

والسؤال لماذا جعل اللّه سبحانه الإيمان بالغيب شرط لصحة الإيمان باللّه سبحانه وتعالى؟ والذين لا يؤمنون بالغيب لا يصح اعتقادهم.؟

.. ذلك أن الإيمان بالغيب: يعني الإيمان بقدرة اللّه سبحانه وتعالى فوق ما تراه أعيننا، ويصل إليه علمنا.. وذلك أننا لا نعلم عن اللّه شيئاً إلا ما أخبرنا اللّه سبحانه وتعالى عن نفسه، وما أخبرنا به رسول اللّه ﷺ وهو نذْر يسير.. فعلم اللّه سبحانه فوق مستوى عقل وتفكير الإنسان، لا لأنه لم يكتشف بعد، ولكن حدود طاقة العقل في أعلى قدرته على الاكتشاف والمعرفة لا تصل إلى علم اللّه سبحانه إلا بما يشاء اللّه.

يقول تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

فكل ما في هذا الكون المنظور، وغير المنظور من علم اللّه سبحانه وتعالى.. وبعد آلاف السنين على وجود الإنسان على الأرض، ورغم كل هذا التقدم التكنولوجي الهائل، ما استطعنا أن نصل إلا إلى نذر يسير جداً من

علم اللّه سبحانه وتعالى، وهو بحدود ما أتاح اللّه للجنس البشري أن يعلمه حتى يعلم من هو اللّه سبحانه وتعالى، الذي يعبده، يقول تعالى:

﴿ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٣٩]

ويقول تعالى:

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

[سورة العلق، الآية: ٥]

فالإنسان يُخلق لا يعلم شيئاً، لا يبصر ولا يتكلم ولا يعي ما يسمع، ثم يبدأ يعلمه اللّه سبحانه وتعالى إلى الحدود التي رسمها اللّه سبحانه وتعالى.

. . . فإذا تناولنا الغيب من منظور الكون؛ أي السماوات السبع التي تكلم اللّه سبحانه عنها في كتابه العزيز في مئات الآيات الكريمة. . هو علم عظيم بقي غامضاً على البشرية إلى فترة قريبة من الزمن، فلا أحد يعلم من قبل كم يبعد القمر عن الأرض، وكم تبعد الشمس عن الأرض، وكم يبعد النجم الذي يبدو عقدة الإصبع الذي يسبح في السماء، ولا أحد يعلم ما القمر، وما الشمس، وما النجم، بالصفة العلمية المعاصرة. . كانوا يعلمون أن هذه السماء فيها نجوم وكواكب وشموس وأقمار، ولكن لا يعلمون كم هي الأعداد؟ وما هي الأعداد؟ كم هي المسافات؟ وما هي الأحجام؟. . ولكن المؤمنون كانوا يدركون عظيم أمر السماء، وعظيم أمر السماوات السبع، وقدرة اللّه سبحانه وتعالى فيها، ويعتبرون أن هذه القدرة هي من غيب اللّه سبحانه. . ولكن لا يعلمون أن اللّه سبحانه وتعالى سيسمح لمن يأتي بعدهم من الأجيال بما سيملكهم اللّه من علم أن يصلوا إلى بعضها، سواء بالمناظير الفلكية، أو المركبات الفضائية، أو حتى بأجساد البشر.

. . . وحتى نستطيع أن نفهم معنى غيب اللّه سبحانه، نقول بناءً على ما اكتشفته المراصد الفلكية عن بعض علم السماء:

اكتشفوا أن هناك كواكب ونجوماً وأقماراً في السماء، تؤلف فيما بينها مجموعات اسمها المجموعات الشمسية، وهي تتألف من عدد من الكواكب

وعدد من الأقمار والشموس، واكتشفوا أن هناك نظاماً فلكياً كونياً أكبر من نظام المجموعات الشمسية، وهو نظام المجرة، حيث تضم كل مجرة عشرات ومئات المليارات من النجوم، وربما لكل نجم مجموعة من الكواكب والأقمار حتى وإن لم يروا أكثرها، ذلك بأنهم يرون بالمراصد الفلكية النجوم الهائلة رغم بُعدها، لأن النجم كوكب مضيء بذاته، وأما الكواكب التابعة لتلك النجوم، فهي كواكب صغيرة إذا ما قيست بنجومها، وهي غير مضيئة بذاتها فهي لا ترى من هذا البعد الشاسع تماماً كالأرض التي نعيش عليها، فهي ومجموعة من الكواكب تتبع إلى الشمس التي تبلغ بحجمها حجم الأرض (١,٣٠٠) مليون وثلاثمائة ألف مرة.

فلو افترضنا أن خلقاً يعيشون على كوكب في مجموعة شمسية أخرى، غير تلك التي نعيش فيها، فإنهم لا يستطيعون رؤية الأرض التي نعيش عليها ولا يستطيعون رؤية أي كوكب من كواكب مجموعتنا الشمسية لصغرها أمام الشمس، ولأنها كواكب غير مضيئة بذاتها بل تكتسب النور من الشمس، فهم لا يستطيعون رؤية إلا الشمس لكبرها (١,٣٠٠) مليون وثلاثمائة ألف مرة عن حجم الأرض، ولأنها نجم يضيء بذاته من النار الملتهبة في جوفه، وعلى سطحه، وهذا ينطبق على تلك النجوم التي نراها في كبد السماء.

وأعود فأقول: إن الكون يتألف من مجموعة من الأنظمة، نظام المجموعات الشمسية، ونظام المجرات التي تضم مليارات المجموعات الشمسية، ونظام العناقيد المجرية التي تضم آلاف بل ملايين المجرات.

وقبل أن أدخل في المراد وهو (غيب اللّه سبحانه) أقدم معلومة بسيطة حول أبعاد أفراد مجموعتنا الشمسية التي نعيش فيها.

الأرض تبعد عن القمر	٢٩٤	ألف ك م.
الأرض تبعد عن الشمس	١٤٩	مليون ك م.
الأرض تبعد عن المريخ	٧٧ ـ ٤٩٨	مليون ك م.
الأرض تبعد عن المشتري	٦٢٨	مليون ك م.
الأرض تبعد عن نبتون	٦٠٠٠	مليون ك م.



كواكب ونجوم وثقوب سوداء ومجرات لا يعلم عددها إلا الذي خلقها وعنده غيبها وعلمها

ولكن إذا خرجنا من حدود المجموعة الشمسية، لم نعد نستطيع أن نحسب المسافات كما هي بين أفراد المجموعة الشمسية بملايين الكيلو مترات، بل تحسب لبعدها الهائل بالسنوات والدقائق الضوئية. وقد حدد علماء الفلك بأن الثانية الضوئية هي (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف كم.

وعلى رغم من هذا التقدم العلمي الهائل، والتكنولوجي الكبير، إلا أن الإنسان لم يستطع أن يصل بجسده أبعد من القمر، الذي يبعد عنا أقل من ثانية ضوئية واحدة ١٨٣ ألف كم.

فإذا خرجنا خارج حدود المجموعة الشمسية، فإن أول نجم أو قل أقرب نجم إلينا خارج حدود المجموعة الشمسية هو (قنطاريوس)، ويبعد عنا (٤,٥) أربع سنوات ونصف سنة ضوئية، ولكي تعرف المسافة بين الأرض وأقرب نجم خارج حدود المجموعة الشمسية فاضرب:

٣٠٠ ألف × ٦٠ × ٢٤ × ٣٦٥ × ٤,٥ سنة فيكون الناتج رقم مهول لا نستطيع أن نسطره.. وكي أقرِّب المسافة إلى العقول، أقول: لو أننا توجهنا بأحدث مركبة فضائية صنعت حتى اليوم، وبسرعتها المعهودة، ومن

دون توقف، فإننا بحاجة إلى (مليون سنة) حتى نستطيع أن نصل إلى أقرب نجم لنا خارج حدود مجموعتنا الشمسية، وهو (قنطاريوس). فما بالك بأبعد نجم، والذي قدر بعض العلماء أنه يبعد عن الأرض (١٥ مليار) سنة ضوئية.. وهذا ما اكتشفه العلماء حتى هذه الساعة.. فهل علمت ما معنى غيب اللّه، وعلم اللّه، وقدرة اللّه، ولماذا أوجب اللّه سبحانه وتعالى علينا أن نؤمن بالغيب، وبقدرة اللّه سبحانه وتعالى، وجعله شرطاً لصحة الإيمان.؟

كل ذرة في السماء والأرض بعلم اللَّه سبحانه

يقول تعالى:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

[سورة يونس، الآية: ٦١]

إنها آية الإعجاز والتحدي والعلم، وآية القدرة الإلهية، التي لا يحدها حدٌّ، وليس لها مبتدأ ولا آخر... وإنها الآية المعجزة التي يتوقف عندها القلم أو قل الأقلام، التي تريد أن تفسر فيها وتتكلم عنها، وتبين وجوه الإعجاز فيها.. فأين وجوه الإعجاز في هذه الآية الكريمة؟! أهي في كلمة ﴿ مِّثْقَالِ ﴾؟ أم في كلمة ﴿ ذَرَّةٍ ﴾؟(١) أم في كلمة ﴿ وَلَآ أَصْغَرَ ﴾؟ أم في ﴿ وَلَآ أَكْبَرَ ﴾؟ أم في الكلمات التي تفسر بعضها بعضاً؟! وبدورنا لا نستطيع أن نبين الإعجاز وعظمته، وقدرة الخالق العظيم مجرداً عن البيان لمعاني السماء، وما وصل إليه العلم في معرفة بعض علم أو أجزاء عن السماء، التي حيرت علماء الفلك، رغم ما ملكوه من أدوات الرصد الهائلة، والسفن الفضائية والتلسكوبات الضخمة، والمناظير الكبيرة بأعدادها الكثيرة....

والحقيقة أن هذه الآية الكريمة، هي من الآيات التي استوقفتني كثيراً، وتأملت فيها كثيراً، لأنك كلما تكلمت عنه ازددت إيماناً بهذا الإله العظيم، لأنه في النهاية لا يمكن لعقلك أن يتخيل كيف تكون هذه القدرة الإلهية التي نجهلها، وسنبقى نجهلها من مبدأ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

---

(١) انظر تعريف الذرة علمياً في الجزء الأول من الموسوعة.

فسيبقى بحثنا وتفسيرنا دائماً مرتبطاً بمفهوم القليل من العلم، الذي وهبنا اللّه سبحانه وتعالى إياه، وسيبقى أيضاً في معاني الآية الكريمة.

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

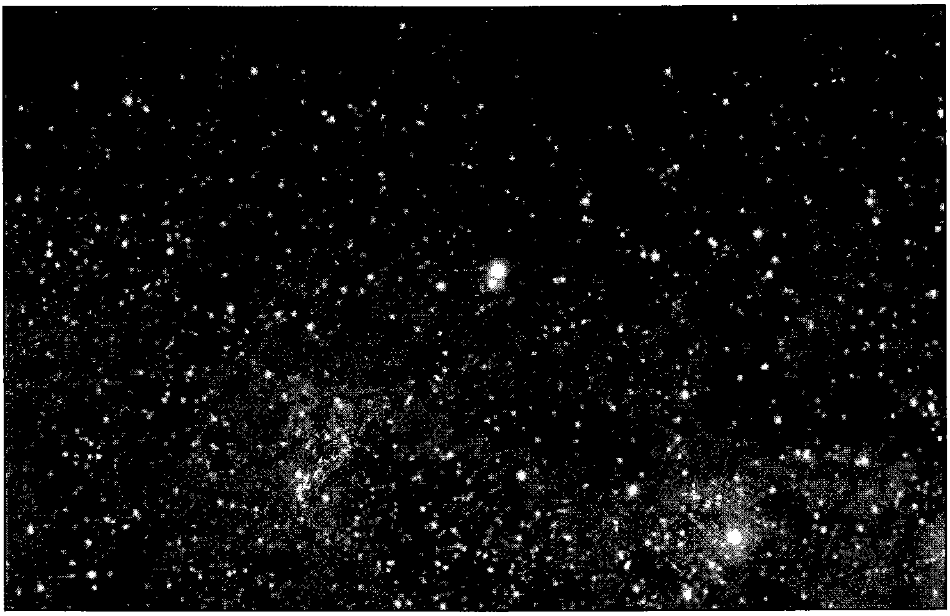
[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

نحن لا ننكر أن العالم اليوم عرف الكثير من عظمة الخلق، وعظمة الكون، وعظيم خلق الإنسان، والحيوان، والنبات، والبحار، والأنهار..الخ فإننا نعلم عموم الشيء، ولكن لا نعلم تفاصيله، فمثلاً رغم كل هذه الآلات الجبَّارة، وأدوات الغطس، والغواصات والبحار المحدودة لعلم الأرض وليس علم السماء، فإن العلم والعلماء وأدوات الغطس تكتشف حيواناً جديداً كل يوم أو أكثر في عالم البحار والمحيطات والأنهار، وإذا ما اكتشفنا حيواناً بحرياً جديداً فهو اكتشاف على العموم، وإذا أردنا أن نعرف تفاصيل هذا الحيوان، الجديد خلقه ودورته وولادته وحياته وموته وعمره وطعامه..الخ فإننا نحتاج إلى أشهر طويلة في المراقبة لهذا الحيوان وهذا يحتاج إلى جهد ومال وعلماء وآلات... فكيف بمن لا يعزب (لا يعجز) عنه مثقال ذرة واحدة في هذه السماء التي لا نعرف مبتداها ونهايتها؟!

... فهل حين نزل القرآن الكريم كانت البشرية تعرف (الذرة) ومم تتألف؟! وهل كانوا يعرفون أن أي شيء أمامهم سواء أكان خلقاً من إنسان وحيوان وطير ووحش، أم نبات، أم من جماد كحجر وصخر وحديد يتألف من مجموعات ذرات؟! وهل قدروا لهذا الآية الكريمة معناها وهل فهموها حق الفهم؟!

في البداية يجب أن نطلع على رأي المفسرين في معاني هذه الآية الكريمة، حتى نستطيع أن ندخل مدخل الإعجاز الإلهي لهذه الآيات بكلماتها المعجزة ومدلولها ومفهومها، ولنقارن بين تفسير قديم كتفسير ابن كثير، وبين تفسير حديث كتفسير الصابوني، أو التفسير الوسيط للزحيلي، ثم نبسط فيما بعد العلم الحديث بين يدي هذه الآية، لنرى كيف نستطيع أن نفهم معنى هذه الآية دون أن نصل إلى معاني القدرة الإلهية، التي اختصها اللّه بعلمه الذي

أعطانا منه القليل، لتستقيم الحياة على هذا الكوكب وهو الأرض.



نجوم بالمليارات في أحد المجرات الحديثة التي تم اكتشافها
بواسطة التلسكوب هابل في القرن الواحد والعشرين، وما هذه النجوم للسماء إلا كحبة
رمل في صحراء... فهل خلق اللّه سبحانه هذا لاعباً؟ حاشى للّه ذلك؟

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة:

يقول تعالى:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾

[سورة يونس، الآية: ٦١]

يخبر تعالى نبيه ﷺ أنه يعلم جميع أحواله، وأحوال أمته وجميع الخلائق في كل ساعة، وأوان ولحظة، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقال ذرة في حقارتها وصغرها في السماوات، ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين. كقوله ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ فأخبر تعالى:

أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات، وكذلك الدواب السارحة في قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ الآية؛ وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ الآية؛ وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء، فكيف علمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة؟! كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راؤون سامعون، ولهذا قال ﷺ: لما سأله جبريل عن الإحسان (أن تعبد اللّٰه كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك)[(١)].

هذا تفسير ابن كثير، فهو لم يخرج عن حدود تفسير قدرة اللّٰه من خلال معاني الآية الكريمة، دون أن يتطرق إلى معاني الإعجاز والذرة وعلمها ومما تتألف الأشياء المخلوقة، وذلك لسبب بسيط حيث لم تكن معاني الذرة أو أن كل شيء في هذا الكون مخلوق من ذرات تجتمع مع بعضها لتؤلف المخلوق، سواء أكان جماداً، أم روحاً، أم نباتاً. ونحن بدورنا لو لم يصل العلم إلى معاني الذرة ومفهومها وحقائقها، لظللنا ندور في فلك ذلك التفسير ببعض الزيادة وربما ببعض النقصان.

ولننظر في تفسير معاصر للدكتور الزحيلي:

القصد من الآية تبيان إحاطة علم اللّٰه بكل شيء، والإخبار بأنه يعلم جميع أحوال الناس، ومعنى اللفظ: وما تكون يا محمد وغيرك في شأن من جميع الشؤون وأمر من الأمور الخاصة والعامة، وما تتلو من أجل ذلك الشأن من قرآن ينزل عليك لنشر دعوة اللّٰه في الأرض، إلا ونحن شهود عليكم، حين تفيضون فيه أي: تقومون فيه بجد ونشاط. ولا يغيب عن علم اللّٰه شيء ولا يخفى عليه ولو كان مثقال ذرة أي وزن نملة، أو هباء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، أي: إلا ومعلوم له ومدوّن في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه مقادير الموجودات كلها. وقوله سبحانه وتعالى

(١) تفسير ابن كثير مجلد ٣ صفحة ٢٢٨.

﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ جعله اللّه مثالاً، إذ لا يعرف في الحيوان المتغذي المتناسل المشهور النوع والموضع أصغر منه(١).

فهذا تفسير قديم وآخر حديث ولكن يبقى ما أردنا بيان إعجازه غير واضح.

فقول اللّه سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

[سورة يونس، الآية: ٦١]

وقبل أن أبدأ الحديث أقول: أنه لو اجتمعت البشرية كلها على إحصاء ذرات جبل صغير أو تلة صغيرة لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً... فما رأيك بذرات جبال الأرض جميعاً، وذرات البحار وما فيها، والأنهار وما فيها، وتراب الأرض وما فيه، وباطن الأرض وما فيها، وخلق اللّه على هذه الأرض من البشر الذين يتجاوزون المليارات عدداً، والدواب والوحش والطير والحشرات والهوام والجراثيم والبكتريا والشجر والورق وأعداد غير متناهية من الخلق.. فلو أنك مسكت بقطعة حجرية لا تتجاوز الكف حجماً، ولا تتجاوز الكيلو وزناً ثم فتتها إلى جزيئاتها وذراتها لكانت بالملايين... فما بالك بجبل واحد من جبال الأرض مثل الهملايا أو سلسلة جبال الألب أو طوروس أو غيره كثير، فكم من عدد الذرات فيه؟ ومن القادر على إحصاء ما فيه من الذرات ولو وضعت البشرية كلها وما لديها من أدوات صناعية تكنولوجية ضخمة وعلى مدى سنوات طويلة، لما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. فما رأيك بجبال الأرض وسهول الأرض ووديان الأرض وصخور الأرض وبحار الأرض ومحيطات الأرض، وما خلق فيها من أعداد هائلة من الخلائق والحيوانات، والأسماك والطيور والهوام والفراش ودواب الأرض، والإنس والجن إلى ما لا يعد من خلق اللّه سبحانه وتعالى... يقول علماء الطب: إن في الإنسان ١٠٠ مليار خلية، وكل خلية أصغر من الذرة، وعلى الأرض يعيش ٦,٥ مليار إنسان. وكم هناك من الأغنام والبغال والحمير والخيل والدجاج والطيور أعداد لا يمكن أن يحصيها إلا خالقها... وكل هذا على

(١) التفسير الوسيط د/ وهبة الزحيلي جزء ٢ صفحة ٩٨٦.

كوكب واحد يسبح في ملكوت اللَّه سبحانه وتعالى. . فأرضنا ومجموعتنا الشمسية تنتمي إلى مجرة درب التبانة، وقد قدر العلماء أن في مجرة درب التبانة، ٢٠٠ مليار نجم ما عدا الكواكب، والأقمار، والنيازك والمذنبات والشهب. . ما رأيك بشمسنا والتي تبلغ حجم الأرض التي نعيش عليها ١,٣٠٠ مليون وثلاثمائة ألف مرة. . ولقد اكتشف علماء الفلك بواسطة التلسكوبات العملاقة في جنوب فرنسا، شمساً في إحدى المجرات قدروا حجمها حجم شمسنا بـ ٢٥ مليون مرة. . والحديث في هذا يطول بل يطول كثيراً. . لأنك لن تصل إلى ملك اللَّه وغيب اللَّه وما عند اللَّه سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٧]

أي أن قدرة اللَّه سبحانه وتعالى وعلمه لا ينتهي، وعلمه في كونه لا ينتهي، ولن تصلوا إليه ولو كان البحر مداداً أي حبراً لأقلامكم وأنتم تكتبون، ونفد مداد البحر وأمده بحر ثان وثالث إلى سبعة أبحر ما نفدت كلمات اللَّه أي: علم اللَّه وما عنده وقدرته.

فتصور مليارات المليارات من النجوم والكواكب، والمجرات وأحجامها الهائلة، وما فيها من جبال عظيمة ووديان ونار وغاز وبراكين وكل ذرة منها في علم اللَّه وفي كتاب مبين، مسطورة ومسجلة ومحفوظة عند اللَّه بعلمه وملكه. . .

فكيف يستطيع عقلك أو عقول البشر جميعاً أن تتخيل قدرة هذا الإله العظيم، وأي إعجاز هذا في هذه الآية الكريمة؟ فلو اطلعنا على حقائق الأمور وكيف أن اللَّه سبحانه وتعالى بعلمه، أي ذرة في جميع السماوات والأرض، وشاهدنا الكتاب المحفوظ، لأدركنا معاني الآية الكريمة سيدة الإعجاز أو فوق الإعجاز. . فهل كل هذا الكون في علم اللَّه. . وكم هي الذرات في جبل واحد؟ وهل يستطيع رقم أن يحملها أو رمز لرقم، فما بالك

بذرات الكون كله محصية ومسجلة ومعروفة عند اللّه سبحانه وتعالى، (ولا يعزب) أي: لا يغيب علم واحدة من هذه الذرات عن ربك، فهي تحت رقابته وعلمه.

. . . أحدنا يؤلف كتاباً ويكتبه بيده وعلى مدى سنوات، ويكون مع كل كلمة يكتبها أو مع كل شاهد يذكره في كتابه من آية كريمة، أو حديث شريف أو قول لأحد العلماء أو نظرية علمية، فإذا أنهى الكاتب عمله ومضى على كتابه سنوات ينسى الكثير مما كتبه.

فما رأيك بمن قال: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

يقول تعالى عن حوار بين موسى عليه السلام وفرعون:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ * قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾

[سورة طه، الآيات: ٤٩ ـ ٥٢]

فقوله تعالى: ﴿فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ أي: لا ينسى بهما هذا الكتاب المسطور، الذي سطر فيه العلم والمقادير وكل ذرة خلقها وأوجدها، ولا ينسى القرون الأولى، أي: البشر الذين عاشوا من قبلكم، فإنه أحصاهم وعدَّهم وسطر أعمالهم في صحائف أعمالهم، ولو كان مثقال ذرة. يقول تعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾

[سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]

. . . كذلك نجد الكثير من الخلق من البشر لا يقدرون للّه قدره، لأنهم لا يعلمون عن خالقهم هذا العلم، ولا يدركون هذه القدرة الإلهية وهذه الرقابة الشديدة، حتى لو كانت مثقال ذرة يأتي بها اللّه سبحانه وتعالى يوم القيامة عند الحساب كي لا يظلم نفساً شيئاً.

فكل شيء في علم اللّه. وإذا كان يوم القيامة والحساب خرجت هذه الذرات التي لا يعزب عنها اللّه سبحانه وتعالى، وسيفاجأ الإنسان من دقة التسجيل ولو قدر حبة من خردل وقدر ذرة من الذرات التي لا وزن لها بل أشبه بالهباء. يقول تعالى:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٤٧]

. . . فإذا لم ندرك معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

[سورة يونس، الآية: ٦١]

فسندرك يوم القيامة، معناها وسندرك عظمة هذا الخالق والذي تقف بين يديه مليارات البشر للحساب، لا يعزب عنه فيهم من مثقال ذرة ولا أدنى منها، بل تصرخ الناس وتدعو بالويل والثبور على أنفسها من دقة هذا الحساب، ودقة معرفة اللّٰه ودقة معرفته بما يعدل الذرة من عملهم.

يقول تعالى:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

[سورة الكهف، الآية: ٤٩]

فحري بنا أن يزداد إيماننا بهذا الإله العظيم، ونتقيه في أعمالنا لسعة قدرته في رقابتنا ومعرفة أدق التفاصيل عنا، في أعمالنا وحركاتنا وسكوننا وتفكيرنا وحتى في ما تحدثنا به أنفسنا، لأن اللّٰه سبحانه وتعالى سيكشف هذا كله يوم القيامة ويحاسبنا، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾

[سورة ق، الآية: ١٦]

ويقول تعالى:

﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٤]

فيغفر لمن يشاء، وهو أرحم الراحمين، ويعذب من يشاء، فإنه يفعل ما يريد، وما رجاؤنا إلا أن نكون ممن ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فهو الحليم الغفور.

ما نفدت كلمات اللّه

يقول تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٧]

آية من آيات اللّه سبحانه وتعالى العظيمة التي تدل على سعة علم اللّه، وقدرة اللّه، وملك اللّه، وعظيم خزائن اللّه سبحانه وتعالى.. وهذه الآية ليست تعجيزية، إنما هي آية بيان لقدرة اللّه سبحانه وتعالى وعلمه، ليعلم الناس من هو اللّه سبحانه وتعالى المعبود والمطاع.

وهي آية تمثيل وتشبيه على سبيل عرض المثال والفكرة، ليدرك الإنسان المعنى من خلال عقله الموهوب من اللّه سبحانه وتعالى.

.. فلقد أراد اللّه سبحانه وتعالى أن يخاطب الإنسان ويعلمه من ربه، وما هو علمه، وقدرته، فضرب هذا التشبيه والمثال ليعقل الإنسان أن اللّه سبحانه وتعالى ليس لقدرته وعلمه حدود.



من آيات اللّه في تقدير الأقوات وإنزال المطر
وإنبات النبات. انظر إلى آثار رحمة ربك كيف يحيي الأرض بعد موتها؟

لأن اللّه سبحانه وتعالى يعلم أن الإنسان أكثر شيء جدلاً في هذا الكون، يجادل في الحق ويجادل في الباطل، وأكثر الناس تجادل في الباطل، وما قدروا اللّه حق قدره، ويجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

[سورة الكهف، الآية: ٥٤]

ويقول تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

[سورة الحج، الآيتان: ٨ ـ ٩]

ويقول الصابوني في تفسير هذه الآية الكريمة:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاماً ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ أي: وجعل البحر بسعته حبراً ومداداً، وأمدَّه سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات اللّه الدالة على عظمته وصفاته وجلاله ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ أي: لانتهت وفنيت تلك الأقلام والبحار، وما انتهت كلمات اللّه، لأن الأشجار والبحار متناهية وكلمات اللّه غير متناهية(١).

وقال القرطبي في تفسيره:

لما ذكر تعالى أنه سخر لهم ما في السماوات والأرض في الآية التي قبلها وأنه أسبغ عليهم النعم، نبه على أن الأشجار لو كانت أقلاماً، والبحار كانت مداداً فكتب بها عجائب صنع اللّه، الدَّالة على قدرته ووحدانيته لم تنفد تلك العجائب(٢).

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

وفي الكلام محذوف تقديره: فكتب بهذه الأقلام وهذه البحور

(١) تفسير الصابوني صفحة ١٠٥٧.
(٢) القرطبي ١٤/٧٦.

كلمات اللَّه لتكسرت الأقلام ونفدت البحور ولم تنفد كلمات اللَّه أي لم تنقطع[١].

. . . فأي إعجاز هذا! فكل ما نتكلم به عن علم السماء والأرض والنجوم والمجرَّات، فإنها أمام هذه الآية الكريمة وأمام علم اللَّه يضمحل وينقضي. . . أشجار الأرض بالمليارات

. . . ومداد البحر الواحد بمليارات المليارات من الأمتار المكعبة. . . ولو اجتمعت البشرية منذ خلقها، وحتى يوم القيامة، وهي تنفق من الأقلام وتستعمل من المداد لما نفد منهما إلا اليسير لما موجود في الأرض. . فأي خلق هذا الذي يستطيع أن يبقى يكتب حتى تنفد أقلام الأرض، ومداد البحر معه سبعة أبحر. . . فلو جمعنا كل ما تستعمله البشرية من الأقلام والمداد منذ خلقها الأول إلى انقضائها يوم القيامة، ما كان حجم ما تستعمله من المداد والأقلام ما سعته جزء يسير من بحر، وليس بحر. . . ويقول تعالى ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي لو أنكم استطعتم أن تستعملوا كل أشجار الأرض وأقلامها وكل ماء البحر مداداً ومعه سبعة أبحر، ما انتهت كلمات اللَّه وعلمه وبيان قدرته وما عنده وسعة خزائنه وملكه. . . فكم بحر وأقلام بعد أقلام أشجار الدنيا وبحرها وسبعة أبحر مثله تحتاج إلى أن تصل إلى علم اللَّه. . . فهب أننا استطعنا أن نكتب ونستعمل مائة بحر مداداً وقدر الأرض بأشجارها مائة مرة، فهل تنفد كلمات اللَّه وتنتهي أم أن العدد لا متناهي، كون علم اللَّه غير متناهي وليس له حدود؟؟

. . فأي علم هذا، وأي قدرة هذه التي تسجد لها أجسادنا وعقولنا وأفكارنا؟ وما أعظم هذا الإله الذي سيعيدنا إليه يوم القيامة ونعيش في رحمته وجناته. . فكم يملك من القدرة والعلم والملك. . وماذا في جناته التي أعدَّها لعباده الصالحين، والتي خرج مفهوم جمالها وبنائها وما فيها من حدود وعقول البشر والتفكير الإنساني، وذلك لقوله تعالى في الحديث القدسي:

(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر

---

(١) زاد المسير ٦/ ٣٢٦ ابن الجوزي.

على قلب بشر واقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

فالجنة التي أعدَّها اللَّه سبحانه وتعالى لنا خرجت عن حدود مستوى العقل البشري، وذلك في قوله: (ولا خطر على قلب بشر) أي: على عقله وفكره.

... وإذا أدخلنا اللَّه سبحانه وتعالى جنته يوم القيامة برحمته.. فإننا سنرى الجنة وندخل فيها ونتمتع بما فيها، ويصبح جمالها بعد آلاف السنين أو مئاتها أو عشراتها، وهذا بعلم اللَّه مألوف لنظرنا... هنا يأتي علم اللَّه سبحانه وتعالى وهنا تأتي معنى الآية الكريمة موضوع العنوان:

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

ذلك أن اللَّه سبحانه وتعالى، وبعد أن تألف أبصارنا نعيم الجنة يأتي المزيد من اللَّه سبحانه وتعالى، هذا المزيد الذي لا يخطر على قلب المؤمن الذي يعيش في الجنة على الرغم من أنه رأى معجزة اللَّه في الجنة، والتي كنا في الدنيا لا نستطيع أن نتخيلها مجرد تخيل.. يأتي المزيد من اللَّه من علم اللَّه الذي لا ينفد ولا ينتهي ولا ينقطع مع مرور المليارات والمليارات من السنين في الجنة.

يقول تعالى:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

أي للمؤمنين في الجنة ما يشاؤون وما يخطر على بالهم وما يحلمون وما يتمنون، فإذا نفدت إرادتهم وتوقف تخيلهم وطلباتهم ومشيئتهم جاء المزيد من اللَّه الذي هو فوق كل علم وفكر... ويبقى هذا المزيد عبر الخلود لا ينقطع، وهذا ما يفسر أن علم اللَّه وقدرته لا تنتهي ولا تنقطع وليس لها نفاد.

---

(١) رواه الشيخان عن عن أبي هريرة رضي اللّه عنه .

فأي دنيا هذه الدنيا التي نعيش فيها، وأي آخرة عظيمة في مقعد الصدق عند مليك مقتدر سنعيشها.

. . . وكيف يستطيع محمد ﷺ أن يأتي بهذا التشبيه وهذا العلم وهذه القدرة وهذا البيان العظيم لقدرة اللّه، لولا الوحي ولولا القرآن ولولا قدرة اللّه سبحانه وتعالى في هذا الكتاب العظيم. . إن هذه الآية من اختصاص اللّه وعلمه، والتي لا يقدر على إنشائها إلا الذي يعلم معاني كلماتها وأنه قادر عليها وعلى تنفيذها دون انتهاء ولا حدود.

واللّه أعلم.

فكم هو العلم الذي نملكه قليل أمام سعة علم اللّه؟ . . وماذا عند اللّه سبحانه وتعالى من العلم الذي لا ينتهي، ولو كان مداد كلماته سبعة أبحر؟ وكم نحن سعداء يوم القيامة، ونحن نعيش في كنف هذا الإله القادر في جناته الخالدة؟ وكم قدر رحمة اللّه التي سنخلد في كنفها، فسبحان اللّه عما يصفون ويشركون، وويل للمشركين والكافرين الذين لم يقدروا هذا الإله العظيم حق قدره.

وصدق اللّه سبحانه وتعالى إذ يقول:

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ .

[سورة الأنعام، الآية: ٩١]

الوعد الحق

يقول تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

الآية وعد من اللَّه سبحانه وتعالى أنه سيري عباده في الأرض آياته في الآفاق، والحديث هنا عن الآفاق... وأول التفسير: ما معنى الآفاق لغة، وما المقصود بها تحديداً في الآية الكريمة.؟ نجد أن المعنى:

الآفاق: أقطار السماوات والأرض.. وجاء في تفسير الجلالين للسيوطي في ذات المعنى، الآفاق: أقطار السماوات والأرض.

... فلو أن الآفاق ومعاني أقطار السماوات والأرض تفهم ويعلم عنها كل شيء من خلال النظر المجرد، والرؤيا المجردة، فلا داعي إذن لمثل هذا الوعد الإلهي ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾، والآية دليل حتمي على أنه لا بدَّ أن يأتي يوم على سكان الأرض يهيئ اللَّه سبحانه وتعالى لهم بقدرته، وبما يعلمهم اللَّه سبحانه وتعالى ما يستطيعون به رؤية الآفاق فيتبين لهم أن اللَّه سبحانه وتعالى الخالق القادر، هو الحق وليس شيء سواه ولا إله سواه ولا شركاء ولا آلهة صنعتها عقولهم الضالة وقلوبهم التي ران عليها.

والسين في الآية للاستقبال وليست لحاضر نزول القرآن الكريم، ولو كان لحاضر نزول القرآن الكريم لقال اللَّه تعالى نريهم آياتنا في الآفاق.. فإذا كانت البشرية عجولة بطبعها، فاللَّه صبور حليم، فجعل لكل زمان حقه من العلم والرؤيا والاطلاع، فإذا كان سبحانه وتعالى كفاهم معجزات في زمن نزول القرآن وبعثة رسول اللَّه ﷺ وهي كثيرة فستبقى معجزاته دائمة بدوام الحياة على الأرض.. وها نحن في القرن الواحد والعشرين والشرك والكفر تمتلئ الأرض بهما.. فلابد لأولئك من آيات ومعجزات تعيدهم إلى طريق الحق وتبين لهم أن اللَّه وحده هو الحق وليس الباطل الذي يؤمنون به.

. . . وكم من نظريات اليوم في أوائل القرن الواحد والعشرين، وفي القرن العشرين، حاولت أن تثبت عدم وجود إله خالق لهذا الكون، كنظرية دارون التي حاول بها أن يثبت أن الإنسان ليس أصله إنسان! بل أصله من فصيلة القرود تتطور عبر قرون كثيرة، وأصبح إنساناً، فأراد بنظريته الضالة أن يلغي أصل خلق الإنسان وأنه من آدم، وآدم خلق من تراب. . وغيره كثير كماركس وإنجلز باءت محاولاتهم ونظرياتهم بالفشل بعد أن فتنوا بها خلقاً كثيراً. . . واليوم: هناك جدل قوي بين علماء الفلك والرياضيات، فالعلمانيون منهم يريدون أن يثبتوا بأي وجه كان (أزلية الكون) ويلغون فكرة خلق الكون لينفوا وجود إله خالق، فأكثر علماء الفلك أثبتوا أن الكون ليس أزلياً بل خلق في لحظة، وذلك منذ (١٣,٥) ثلاث عشر ونصف المليار من السنوات، وأن عمر الأرض أربع مليارات ونصف المليار ومع ذلك، فالذين ينتصرون لنظرية أن الكون له بداية وأنه وجد من سديم غازي أول الأمر، لا يدافعون عن القرآن الكريم وما فيه من آيات.

كقوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

ولكن ينتصرون لنظرية علمية مؤكدة، المهم أن هناك بداية خلق، ومعنى أن اللَّه سبحانه وتعالى يقول ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ أي: أنه في لحظة ما قبل الخلق لم يكن خلقاً ولا كوناً ولا سماء ولا سماوات.

وعندما يقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

ومعنى ذلك: أنه هناك بداية لما في الأرض جميعاً وقبلها لم يكن شيئاً. . وهذا ما يريد نفيه دعاة الأزلية، ويقولون أن كل شيء موجود أزلي لا بداية له ولا نهاية، فينفون عن اللَّه سبحانه وتعالى الخلق ويتركون الخلق هذا للوجود الأزلي التلقائي، حيث لم يخلق الكون أحد، ولم يوجده أحد، بل وجد تلقائياً من تفاعل كيميائي وفيزيائي ورياضي تلقائي عشوائي، وكانوا تماماً ضد نظرية (الانفجار الكبير) وهي نظرية خلق الكون في لحظة من عمر الكون. . فهذه النظرية قطعاً سحبت سلاحاً قوياً، وعذراً كان يستند إليه

العلماء الملحدون وكذلك الفلاسفة الملحدون، الذين كانوا يؤيدون نظرية أزلية الكون وأزلية المادة لنفي وجود خالق، وهم دعاة الوجودية، وعندما أكد علماء الفلك أن الكون له بداية (الانفجار العظيم) امتعض دعاة الأزلية من العلماء والفلاسفة الملحدين.

يقول (أنطوني ملوف) وهو أحد الملحدين:

(يقولون: إن الاعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية، وأنا سأدلي باعتراف: إن أنموذج الانفجار الكبير شيء محرج جداً بالنسبة للملحدين، لأن العلم أثبت فكرة دافعت عنها الكتب الدينية... فكرة أن للكون بداية) وكذلك يقول العالم (دونيس سكايما): وكان من أشد أنصار نظرية (الكون المستقر) مثل الكون الأزلي، (لم أدافع عن نظرية الكون المستقر لكونها صحيحة، بل لرغبتي في كونها صحيحة، ولكن بعد أن تراكمت الأدلة فقد تبين لنا أن اللعبة قد انتهت وأنه يجب ترك نظرية الكون المستقر جانباً)[١].

... وهكذا تتلاشى شيئاً فشيئاً نظريات الوجوديين والملحدين والمشركين والكافرين عبر قرون وأعوام وأيام.

... ولا شك أنه كلما تقدم العلم، سواء في الكون أو في الأرض أو في الإنسان، تتلاشى معه نظريات الإلحاد، كنظرية الملحد دارون، الذي جاء بزمن استغل فيه عدم وجود نظريات علمية تدحض أقواله، وقال: أصل الإنسان من القرود. ولكن تبين فيما بعد أن نظريته خاطئة وفاسدة، ولا يمكن أن يتحول خلق إلى خلق ونوع إلى نوع، لأن كل شيء مخلوق له مميزاته وجيناته وأحماضه(يأ) وشيفرته الخاصة التي لا يمكن أن تتحول إلى شيء آخر، وأمر آخر أو خلقٍ آخر.

... والعلماء اليوم يعملون وعلى كل الصعد ويبحثون ويدققون في كل شيء من الذرة إلى المجرة.. ومما اكتشفه العلم اليوم، ووقفوا أمامه حائرين يبحثون عن السبب والأسباب.. وهو أنه لما حدَث (الانفجار الكبير) في بداية الخلق، وتشكلت بعده المجرات والنجوم والكواكب والأقمار، وأضاف أدلة أخرى مؤكدة على أن الكون خلق بتقدير دقيق ونظام رائع..

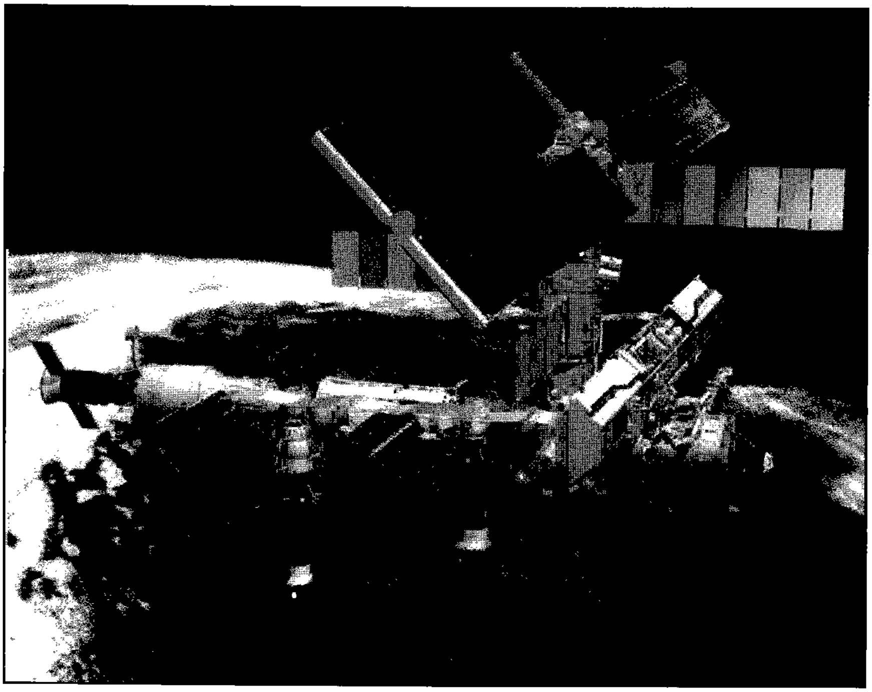
---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة يوسف الحاج أحمد صفحة ٣٧٥.

وذلك أن قانون الأشياء يقول: إن أي انفجار لا يكون إلا مخرّباً ومدمراً ومبعثراً ومشتتاً الأشياء بشكل فوضوي واسع.. ولكن عندما يرى علماء الفلك أن انفجاراً هائلاً عظيماً (الانفجار الكبير) في بداية الخلق يؤدي عوضاً عن الخراب والدمار إلى تشكيل هذا الكون البديع لمجراته ونجومه وكواكبه وكثير من أشكال الحياة المنظمة غاية النظام.. فإن هناك كما يقولون وراءه يد قدرة وعلم وإرادة وتقدير عظيم لا نهائي، وفوق كل الحسابات الرياضية والفيزيائية والكيميائية وفوق كل قانون وعلم.

يقول العالم المشهور الإنكليزي الأصل (فرد هويل):

(تقول نظرية الانفجار الكبير بأن الكون نشأ نتيجة انفجار كبير، ونحن نعلم أن كل انفجار يشتت المادة ويبعثرها دون نظام، ولكن هذا (الانفجار الكبير) عمل العكس بشكل محفوف بالأسرار، إذ عمل على جمع المادة معاً لتشكيل المجرّات.



انظر إلى ما هيأ اللّه سبحانه للبشرية في هذا العصر
من أدوات لكشف وسبر أغوار السماء للقريب والبعيد.. فهل تبين لهم أنه الحق؟

سبحان اللّه بعلمه كل أمر ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾ أنه الوعد ويدور أشهر علماء الفلك والرياضيات حول هذه الآية ومعناها، يبحثون في كل اتجاه حول حقائق هذا الكون، ويقدمون النظريات تلو النظريات، ثم يجدون أنفسهم أمام حقيقة أنه لا يمكن إلا أن يكون لهذا الكون خالق وموجد وقادر، وإن اختلفت تسميتهم حول هذه القدرة وهذه القوة العاقلة العالمة التي هي سبب وجود الكون والحياة.

فالكون بملياراته مجرَّاته ونجومه وكواكبه وأقماره، والذي خُلق كما يقول علماء الفلك: منذ ١٣,٥ مليار سنة ونصف المليار وهو باق على نظامه الدقيق دون أن يصيبه خلل أو زوال، أو خراب أو تشتت أو تبعثر، ودون أن تصطدم هذه المليارات من المجرات والنجوم والكواكب مع بعضها بعضاً.. وهذه الأرض والتي قدر علماء الفلك أن عمرها ٤,٥ مليار سنة ونصف المليار قائمة وباقية لم يَعْتَرِها زوال ولا خراب ولا انهيار، وهي محفوظة من هجوم النيازك والمذنبات أو سقوط أحد الكواكب أو الأقمار عليها.. وما فيها من بحار وجبال وأنهار ووديان منضبطة ومنظمة حيث تؤمن للإنسان حياة مستقرة وهادئة.. كل هذا لا يمكن أن يكون إلا من قوة عاقلة خلقت وقدرت وحفظت، ألا وهي «اللّه الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا ولد» وهذا ما رآه علماء الفلك والجيولوجيا والرياضيات والفيزياء، أبى بعضهم أم لم يأبَ، فالحق هو اللّه سبحانه وتعالى وصدق سبحانه إذ قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

الفصل الثالث

١ ـ خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

٢ ـ هل توجد حياة على غير كوكب الأرض؟

٣ ـ السماوات السبع على عظيم خلقها في علم اللَّه.

٤ ـ ويتفكرون في خلق السماوات والأرض.

٥ ـ قدرة اللَّه وعلم ما في السماوات والأرض.

٦ ـ آية الكرسي (سيدة آي القرآن الكريم) تسعة علوم وحقائق.

خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس

يقول تعالى:

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة غافر، الآية: ٥٧]

ما معنى هذه الآية الكريمة؟ وماذا يريد اللّه سبحانه وتعالى من هذا الخطاب الموجه إلى خلقه من البشر؟

إن ما يدلنا عليه عقلنا وتراه أعيننا يشير بل يؤكد على أن خلق السماوات والأرض، أكبر في هذا الزمن زمن التقدم العلمي، بعد أن اكتشفنا حقيقة السماء وما تحويه من مليارات المجرّات، وأن أرضنا بل مجموعتنا الشمسية لا تشكل بالنسبة للسماء أكثر من ريشة صغيرة تطير في مهب الريح.

.. في طبيعة الحال إذا قارنت بين أمرين فمعنى ذلك: أن الأمرين متشابهين إن لم يكونا متساويين، أو عندما نقول على سبيل التشبيه: (فلان أغنى من فلان فهذا) يعني أيضاً أن الرجلين متشابهين في الغنى، وإن لم يكونا متساويين، أو عندما تقول: بناء المحطة الفضائية الأرضية أكبر من بناء المحطة الفضائية الجوية.. فأيضاً يعني هذا: أن المحطة الفضائية الجوية مهمة وكبيرة وتتشابه مع المحطة الأرضية وإن كانت المحطة الأرضية أكبر.

... وهذا أيضاً يساعدنا على فهم الآية القرآنية الكريمة:

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة غافر، الآية: ٥٧]

ولكن يبقى السؤال: ما وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة، وما أوجه دلالاتها وبياناتها؟

. . . هذه الآية القرآنية هي من القرآن الكريم وبذات الوقت هناك آيات قرآنية كريمة تبين ميزات عظيمة للإنسان، كما بين اللّه سبحانه وتعالى ميزات عظيمة لخلق الكون وما فيه.

يقول تعالى:

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾

[سورة فصلت، الآيتان: ٩، ١٠]

ويقول تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

وكذلك فإن اللّه سبحانه وتعالى فضل الإنسان على كثير ممن خلق تفضيلاً.

يقول تعالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٧٠]

هذه ميزات عظيمة أعطيت للإنسان من أرحم الراحمين، وأعلى هذه الميزات. أن اللّه سبحانه وتعالى سخر له السماوات والأرض وما فيها:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٣]

وبعد هذا الإكرام الإلهي للإنسان ربما ظن نفسه أو خلقه أو تفضيل اللّه

سبحانه وتعالى له أنه أعظم وأكبر من خلق السماوات والأرض.. فالإنسان لا يعلم عن السماوات شيئاً، فإذا علم تماماً كما علمنا سعة السماء وعظيم ما فيها من نجوم ومجرات، وسدم وأقمار ونيازك، وشهب بمليارات المليارات، وأن المجموعة الشمسية التي نعيش فيها ومجرتنا التي نتبع لها لا تشكل في عالم السماء إلا نذراً يسيراً.. أدركنا تماماً أن خلق السماوات أكبر بكثير من خلق الإنسان، حتى ولو سخرها له تسخير إكرام كما أمر الملائكة عندما خلق آدم أن يسجدوا له سجود تحية وإكرام.

وهذا التمييز وبيان الفرق بين خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه وتعالى.. فعندما نزل القرآن الكريم، لم يكن الناس وقتئذ يعلمون شيئاً عن السماء إلا النذر القليل، فهم لا يدركون الفرق بين خلق السماوات والأرض وبين خلق الإنسان، ولا يدركون أيهما أكبر إلا إذا أعلمنا اللَّه سبحانه وتعالى.

وربما يظن الإنسان في وقتها لو ارتفع عدداً من الأمتار مائة أو ثلاثمائة أو خمسمائة أو ألف متر لوصل إلى بعض النجوم، ولكنه لا يستطيع أن يرتفع إلا أمتاراً محدودة... وربما كان الإنسان وقتها يظن أنه أعظم من السماء وما فيها لهوان خلق النجوم والكواكب لعدم علمه فيها.

يقول تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾

[سورة القصص، الآية: ٣٨]

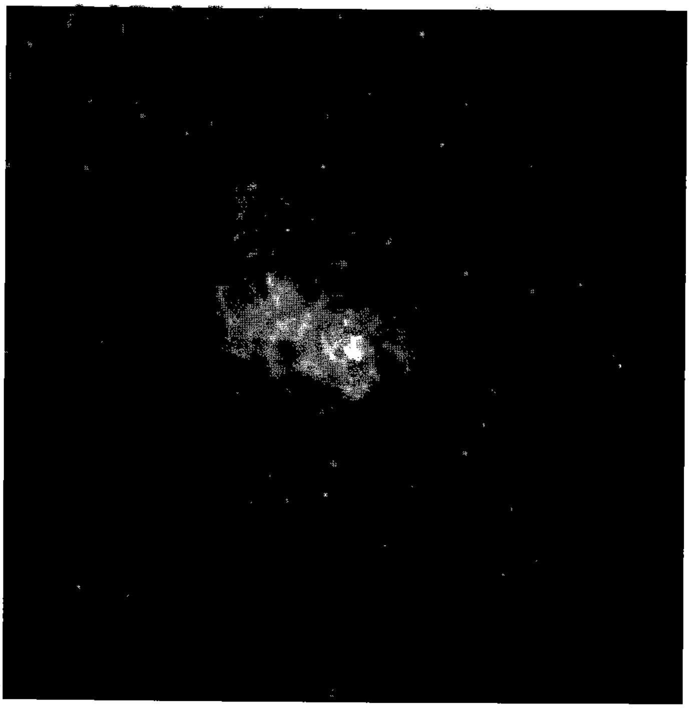
... إذاً معلومات البشر عن الكون قليلة أو شبه معدومة، وإلى وقت قريب كان العالم كله يظن أن الأرض هي محور الكون، وهي ثابتة وكل ما في السماء تابع لها ويدور حولها، إلى أن جاء العلم الحقيقي، فتبين أن الأرض جرم صغير يدور، يدور حول نفسه ويدور حول الشمس، وليست الأرض هي مركز الكون، وتبين أن هذه الأرض والمجموعة الشمسية كلها حبة رمل على شاطئ بحر طويل لعظمة السماء وما فيها.

وحين نزول القرآن الكريم لا يستطيع أحد من البشر ولا حتى البشر

كلها أن تحكم أن الإنسان أكبر وأعظم من السماوات، أو أن السماوات أعظم من خلق الإنسان.. ولا يعرف هذا إلا خالق السماوات وخالق الإنسان.. فلو أن تلك النجوم التي نراها قريبة وليست لها أحجام كبيرة وأن تعدادها لا يتجاوز الآلاف أو المئات.. فلا نستطيع أن نقول: إن السماوات وما فيها من نجوم أكبر من خلق الناس.. ولكن اللّه سبحانه وتعالى يعلم ما في السماء من مليارات المجرات، وكل مجرة فيها مليارات النجوم والكواكب، ويعلم عظيم مواقع النجوم وأحجام الكون وأبعاد النجوم.. لذلك قال سبحانه وتعالى:

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة غافر، الآية: ٥٧]



يقول أينشتاين.. لو قسمنا عدد المجرات
على عدد سكان الأرض لكان نصيب كل فرد ٣٧ مجرة...
فهل خلق الناس أكبر؟ أم السماوات؟؟!

هل توجد حياة على غير كوكب الأرض؟؟

يقول تعالى:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

[سورة النحل، الآية: ٤٩]

هذه الآية حقيقة تختلف كثيراً عن بحث وجوه الإعجاز في آيات أخرى، فمحور الآية الكريمة وما تضمنته من معان عظيمة، يفوق البحث في قضية الإعجاز.. فإن فيها من العلم ما يفوق حد التخيل والتفكير.

ولقد أصبحت هذه الآية الكريمة محل اهتمام سكان الأرض جميعاً، ومراكز علومهم، ووكالات أنبائهم، ومراكز البحوث الفلكية في جميع أنحاء العالم، وعلى مختلف أقطار الدنيا ودول العالم.

والسؤال يدور في كل مراكز الفضاء العالمية هل يوجد حياة أخرى غير حياتنا على هذه الأرض، في كواكب أخرى، سواء في مجموعتنا الشمسية أو مجموعات شمسية أخرى في مجرتنا.. أو في مجرَّات أخرى، أو في أي مكان في هذا الكون الشاسع الأطراف والذي لا يعرف علماء الفلك له نهاية؟

سؤال محير.. هل نحن الخلق العاقلون الوحيدون في هذا الكون، والذي فيه مليارات المليارات من النجوم والكواكب؟

وبعيداً عن القرآن الكريم وما أنزله الله سبحانه وتعالى في كتابه من علم حول هذه المسألة، فإن العلماء يبحثون ويبحثون عن حياة أخرى خارج كوكبنا الأرضي، وإذا ثبت لهم ذلك وتأكدوا فإن هذا الاكتشاف العلمي لا يعدل اكتشاف علمي آخر، بل تتضاءل كل العلوم أمام هذا الكشف وهذا العلم.

. . . دول العالم تنفق ملايين الدولارات بل قل مليارات الدولارات لمراكز بحوث الفضاء من أجل سبر أغوار هذا الكون، ليصلوا إلى حقيقة وجود حياة أخرى عاقلة في هذا الفضاء اللامتناهي.

. . . الكشف عن هذا السر الكبير سيغير العالم كله، فيما لو حدث واكتشف فعلاً وجود حياة أخرى على كوكب ما يسبح في مجرتنا أو مجرات أخرى، وستتغير نظريات وتوضع نظريات، وسيتغير العالم كله علمياً وفكرياً فيزداد إيمان المؤمنين وربما يزداد كفر الكافرين، أو ينقلب كفر الكافرين إلى إيمان قوي باللّه سبحانه وتعالى.

أمر عظيم كبير جلل في البحث عن مخلوقات ذكية عاقلة فوق كوكب ما في هذه السماء العظيمة.



جزء آخر من السماء بلايين النجوم يتوقع العلماء من خلال أجهزة
أعداداً تقريبية ولكن لا يعلم عددها وحجمها ومواقعها إلا اللّه سبحانه فهل في أحدها حياة؟

. . . هذه المسألة التي تؤرق أجفان علماء الفلك في كل أنحاء العالم، تعرض لها القرآن الكريم ولكن ليس بتفصيل علمي متكامل، لأن كتاب اللّه كتاب دعوة للتوحيد والطاعة والعبادة، فيه إشارات علمية من إله عليم ليزداد

إيمان المؤمن بربه العليم القدير القادر الخالق. . . وهذه الإشارات تفتح مجالاً عظيماً للعلوم، لأنها من الخالق الذي خلق هذا الشيء الذي أشار إليه، وهو أعلم به وبأدق ذراته. . ولقد ثبت ومما لا يدع مجالاً للشك مطلقاً، حقيقة وصحة كل الآيات القرآنية التي في مضمونها إشارات علمية، وما اختلف العلم حتى اليوم مع كل ما جاء به القرآن الكريم عن علم الكون والأرض.

. . إن هذه الآية الكريمة تكاد أن تكون رحلة جميلة تطوف بنا في عالم الكون والخلق، عالم السماء وما فيه من خلق إلهي عظيم. . وأرى أن الحديث في هذه الآية الكريمة ممتع ومشوق ومفيد بكل وجوهه العلمية. . ولكي نسبح في فلك هذه الآية الكريمة، ونستكمل فهمها ونخرج بُعدَها باكتساب علمي وفكر عقيدي، وتثبيت لما في صدورنا من إيمان فنزداد هدى بعلم الله، يقول تعالى:

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾

[سورة مريم، الآية: ٧٦]

ويقول تعالى:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٠]

فما أحرانا أن نكون من أولي الألباب، ونسعى بعد أن نفكر في خلق السماوات والأرض إلى فهم هذه الآية الكريمة. يقول تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾

[سورة النحل، الآية: ٤٩]

ولفهمها لا بد لنا من أن نطلع ونتأكد، هل هناك حياة أخرى خارج كوكبنا الأرضي؟ نطلع على:

أولاً: على تفسير المفسرين لهذه الآية الكريمة.

ثانياً: على ما يماثلها من آيات في القرآن الكريم.

ثالثاً: أن نبحث في السنة الشريفة من أحاديث تخص هذه الآية الكريمة.

رابعاً: أن ننظر ونقرأ في ما قاله علماء الفلك في خصوص

الموضوع، وما توصلوا إليه من نتائج، وما فعلوه في هذه الساعة.

خامساً: أن نقدم التفسير العلمي الصحيح والإعجاز الإلهي بعد هذه الدراسات، ولو أننا نملك بعض علم عن هذه الآية الكريمة وحقائقها الخلفية لانفصلت هذه الآية عن هذه الموسوعة، ولكان لها كتاب خاص يفسرها لعظيم أمرها وكثير معانيها وسعة بحثها.

أولًا: تفسير المفسرين لهذه الآية الكريمة:

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

قال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ كما قال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ۩﴾ وقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: تسجد للّه غير مستكبرين عن عبادته.... تفسير موجز جداً لم يشر إلى شيء سوى تفسير اللغة.

وفي صفوة التفاسير للصابوني:

يقول في تفسيره للآية ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي له تعالى وحده يخضع وينقاد إليه جميع المخلوقات بما فيهم الملائكة، فهم لا يستكبرون عن عبادته.

تعليق: تفسير لغوي موجز كما جاء في تفسير ابن كثير.

وفي تفسير السعدي:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ من الحيوانات الناطقة والصامتة، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الكرام، خصهم بعد العموم لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم، ولهذا قال: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: عن عبادته، على كثرتهم وعظمة أخلاقهم وقوتهم. كما قال تعالى:

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾

[سورة النساء، الآية: ١٧٢]

أيضاً هو تفسير يدور في محور اللغة وقول الأقدمين.

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

أي: وللّه يخضع وينقاد جميع ما في السماوات والأرض، من الدواب التي تدب على الأرض والملائكة الساجدون العابدون، وهم لا يتكبرون عن طاعته وعبادته والسجود له. ـ كذلك تفسير يعتمد على اللغة.

ثانياً: الآيات التي تماثل هذه الآية وتشير إلى وجود دابة (خلق غير الملائكة) في السماوات.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾

[سورة الشورى، الآية: ٢٩]

... وهكذا فإننا لا نجد في أكثر التفاسير ما يشير في التفسير إلى وجود الحياة على غير كوكب الأرض.. علماً أن الآية الكريمة واضحة البيان، بأن هناك من يسجد للّه سبحانه وتعالى في السماوات والأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: يسجد للّه سبحانه وتعالى كل ما خلق من الدواب في السماوات والأرض، إضافة إلى الملائكة.. فلو أن اللّه سبحانه وتعالى قال: (للّه يسجد ما في السماوات والأرض من دابة وملائكة) لقلنا إن الدابة للأرض، والملائكة للسماء ولا يكون في الآية إشارة على أن في السماوات خلق من الدواب يسجدون للّه سبحانه وتعالى بل نفهم أن الدواب للأرض والملائكة للسماء.

ولكن اللّه سبحانه وتعالى، هناك فصل بين الدواب والملائكة فقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ إذاً هناك دابة في الأرض ودابة في السماوات تسجد للّه، وهناك ملائكة أيضاً يسجدون للّه غير الدواب الذين في الأرض والذين في السماء... وتقدير الكلام: (والملائكة يسجدون وهم لا يستكبرون) وذلك لأن الدابة لا تقال للملائكة، لأنهم لا يدبون على الأرض، إضافة إلى أن الملائكة خلقت من نور.. بينما الدابة مخلوقات وكائنات حية يدخل في تركيبها الماء. ومما يؤكد هذا:

يقول تعالى:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾

[سورة النور، الآية: ٤٥]

فقد حدد اللّه سبحانه وتعالى أن الماء من صفات خلق الدابة، وهذا يؤكد الفصل بين الدابة والملائكة، وزاد على ذلك أن اللّه سبحانه وتعالى عندما قال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فالملائكة هنا جاءت معطوفة في المعنى على كلمة دابة، والعطف في اللغة يقتضي التغاير. . فلا تقول يسجد الرجال والرجال، ولكن نقول يسجد الرجال والنساء ففي العطف دائماً يجب التغاير، وهذا ما يؤكد أن الدابة في السماوات والأرض غير الملائكة.

ومن الآيات الكريمة المؤيدة لوجود مخلوقات عاقلة في السماوات:

يقول تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾

[سورة الشورى، الآية: ٢٩]

وقد أوضحنا في الآية السابقة أن الدابة لا تكون إلا لمخلوقات عاقلة كالإنسان، أو غير عاقلة كالحيوان فهي تدب على الأرض، ولا تكون أبداً للملائكة المخلوقة من نور، بل هي للدابة التي حدد اللّه صفاتها وهي أنها مخلوقة من ماء، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ وكذلك فإن المقصود تحديداً في الآيتين سورة النمل الآية ٤٩ وسورة الشورى الآية ٢٩ المخلوقات العاقلة، وليست غير العاقلة. . لأن من يسجد للّه هي المخلوقات العاقلة المطلقة، وأما غير العاقلة فإن اللّه سبحانه وتعالى ذكر لنا صفاتها في القرآن الكريم وأنها تسبح اللّه، ولكن لا تسجد. قال تعالى:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

فالآية من سورة الشورى ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ تدل على أن الدابة وهي المخلوقات العاقلة هي السماوات كما هي في الأرض.

وكذلك فإن ﴿مِن﴾ المذكورة في بعض الآيات الكريمة، تشير إلى وجود خلق عاقل في السماوات كما في الأرض، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾

[سورة الرعد، الآية: ١٥]

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٥٥]

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾

[سورة مريم، الآية: ٩٣]

فإن ﴿مِن﴾ الواردة في الآيات الثلاث: لا تستعمل إلا للعاقل، و﴿مَا﴾ تستعمل لغير العاقل، وهذا يشير إلى وجود مخلوقات عاقلة في السماوات والأرض.

.. نعود إلى الآية الكريمة ٢٩ من سورة الشورى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾

وقد قال الصابوني في صفوة التفاسير:

عن هذه الآية ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ومن دلائل قدرته، وعجائب حكمته، الدالة على وحدانيته خلق السماوات والأرض بهذا الشكل البديع، ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: ما نشر وفرَّق في السماوات والأرض من مخلوقات. وقال ابن كثير: وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات، على اختلاف أشكالهم وألوانهم وأنواعهم. وقال مجاهد: هم الناس والملائكة أي المخلوقات العاقلة، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ أي: وهو تعالى قادر على جمع الخلائق للحشر والحساب والجزاء في أي وقت شاء... وفي رأي لبعض المفسرين أن قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ في الدنيا والآخرة، أي: احتمال إذا شاء اللَّه أن يجمع ما بين سكان الأرض العاقلين مع سكان كوكب آخر في مجرتنا: ونحن نعلم أن أهل الأرض اليوم، يسعون بكل ما أوتوا من علم ومال وقدرة إلى التعرف على كائنات عاقلة تعيش على أحد الكواكب غير الأرض في هذا الملك العظيم، وربما يأتي يوم بعد تطور العلوم أكثر وأكثر أن يصبح هناك إمكانية على الاتصال، ولو شاء اللَّه لفعل وتكون من جملة ما أراد اللَّه سبحانه وتعالى، قوله:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

ومن الآيات الكريمة التي من الممكن أن يستدل بها على وجود خلق عاقلين في السماوات، قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٣٠]

السؤال هنا كيف تسنى للملائكة أن تسأل وآدم لم يخلق بعد؟ وأما القول بأنه هناك من سكن الأرض قبل آدم: فهو بعيد عن الحقيقة، لأن ذلك لا يتناسب مع وقائع التاريخ ولا الآثار ولا حتى القرآن الكريم، وذلك لأن القرآن كله يؤكد أن الأرض لم يسكنها بشر قبل آدم. لقوله تعالى:

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾

[سورة الإنسان، الآية: ١]

وهذه الآية تؤكد بأنه قد أتى على الإنسان زمن طويل لم يكن موجوداً على الأرض ثم خلقه اللّه واستخلفه فيها، وذلك بعد أن استكملت الأرض ظروفها الملائمة لوجوده. إذاً لا بد أن يكون للملائكة شواهد على سفك الدماء لأنها لا تعلم الغيب، وذلك في كواكب أخرى غير الأرض، ربما خلقوا قبل خلق الإنسان على الأرض..

ومن الآيات الكريمة التي تشير إشارة واضحة على أن هناك سبع أراضين مثلما هناك سبع سماوات، والأرض: هي الكوكب الذي أعده اللّه سبحانه وتعالى للخلق، وجعل عليه المخلوقات العاقلة.

يقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

وفي فقرة خاصة تحدثنا عن هذه الآية الكريمة وفسرناها وقدمنا

إعجازها العلمي. . كثير من المفسرين فسروا قوله ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ أي سبع طبقات من الأرض، وهذا بعيد جداً عن التفسير. ولكن أمثال ابن كثير والسيوطي والصابوني وفي الموسوعة القرآنية الميسرة قالوا: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ أي: سبع كواكب أرضية مثل كوكب الأرض تسبح في ملك اللّه سبحانه وتعالى في السماوات، لا يعلمهن إلا اللّه سبحانه وتعالى. . . ففي تحديد من اللّه بسبع كواكب أرضية، وبما أن اللّه سبحانه وتعالى خص الأرض للحياة والخلق، فإن أي ذكر للأرض فمعناه وجود الحياة والخلق عليها وطالما أن اللّه سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ فمعنى ذلك: وجود سبع كرات أرضية في السماء عليهن خلق يسبحون اللّه ويذكرون اللّه ويعبدونه، ولا يشترط كونهم مثل الإنسان فقد تكون خلائق مختلفة في البنية والتفكير والعقل والطول والعرض إلى ما هناك من الصفات. واللّه قادر على أن يخلق ما يشاء ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ في الدنيا، وإن لم يكن في الدنيا فسيجمعنا اللّه سبحانه وتعالى يوم القيامة بهم إن شاء، فنراهم ونرى قدرة اللّه في خلقه، كما سيجمعنا مع الملائكة والجن وما لا نعلم يقول تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة يس، الآية: ٣٦]

فاللّه سبحانه وتعالى رب العالمين، ولم يقل رب العالم. . وأول آية في سورة الفاتحة والتي هي السبع المثاني والقرآن العظيم، قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقد تكررت عشرات المرات، أن اللّه سبحانه وتعالى رب العالمين. فنحن نعيش عالماً واحداً على الأرض واللّه رب العالمين، فهو رب عالم الأرض والعوالم الأخرى في السماوات. والتي كما قال تعالى: ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وفي سورة الرحمن دليل آخر على وجود كائنات عاقلة في السماء، تسأل اللّه سبحانه وتعالى كل يوم عطاءه ورحمته ومغفرته. يقول تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾

[سورة الرحمن، الآية: ٢٩]

فالسؤال لا يكون إلا من كائن مكلف عاقل، وإذا قلنا إن في الأرض الإنسان العاقل يسأل وفي السماوات تسأل الملائكة. . . ولكن السؤال للعبادة والطاعة والذكر والتسبيح وهي لا تفتر عن التسبيح والذكر، فليس لها حاجة لأنها لا تملك غرائز الشهوة والجوع والعطش، وليست مكلفة مختارة للفعل وأن تفعل أو لا تفعل كالإنسان، بل هي مخلوقات لا خيار لها خلقت للتسبيح ولا تسأم ولا تفتر ولا تستكبر، ولا يوجد عندها سؤال ولا حاجة مثل حوائج أهل الأرض من الصحة والرزق والعافية والولد والتوبة والغفران. .

يقول تعالى:

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ۩﴾

[سورة فصلت، الآية: ٣٨]

إذاً: الذي يسأل الله في السماوات هم مخلوقات عاقلة، ومن يسأله في الأرض هم مخلوقات عاقلة، أما الملائكة فهم مشغولون دائماً بالذكر والتسبيح ليلاً ونهاراً وفي كل وقت، ولا سؤال لهم إلا العبادة والتسبيح لله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: الأحاديث النبوية الشريفة التي تشير في معناها إلى وجود مخلوقات في السماوات.

يقول رسول الله ﷺ:

(ما السماوات السبع للكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة وما السماوات السبع والكرسي للعرش إلا كحلقة ملقاة في فلاة)(١)

ويقول رسول الله ﷺ في دعائه:

(اللَّهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأراضين السبع وما أقللن)(٢).

وقال رسول الله ﷺ:

(للّه دار بيضاء مشحونة خلقاً كثيراً، مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٤٢.
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٤٢.

مثل أيام الدنيا ثلاثين مرة، لا يعلمون أن اللَّه يعصى في الأرض ولا يعلمون أن اللَّه خلق آدم وإبليس)[١].

تماماً كما لا نعلم عن سكان الأراضين السبع شيئاً، وربما يجمعنا اللَّه في الدنيا إذا أراد أن يكلل محاولات الإنسان في غزو الفضاء، بالنجاح في لقاء خلق آخر على أحد الكواكب، وما ذلك على اللَّه بعزيز ليريهم آياته في الآفاق كما وعد اللَّه سبحانه وتعالى.

. . . وفي الحديث القدسي يقول تعالى:

(يا مَوسَى لو وَزنْت السماوات السبع والأراضينَ السبع بكلمةِ لا إله إلا اللَّه لَوزنتهُمْ)[٢]

رابعاً: ما توصل إليه علماء الفلك في خصوص وجود حياة على الكواكب في مجرتنا أو غيرها، وما توصل إليه العلم الحديث في علم الفلك في هذا الموضوع.

علماء الفلك يقررون حقيقة، وهي: أنه من المنطق وجود حياة أخرى على غير كوكبنا. وقالوا: هذا هو المنطق، ومن غير المنطق أن لا توجد حياة أخرى في السماء، ففي السنوات العشر الأخيرة تم العثور بواسطة المراصد الراديوية، على عدد من الخطوط الطيفية الراديوية التي تشير إلى وجود بخار الماء والأمونيا وأول أكسيد الكربون القادمة من السحب الموجودة بين النجوم، وهذا ما يشير إلى احتمال وجود الحياة خاصة وإن هذه المواد هي الأساسية لتكوين الأحماض الأمينية التي تتكون منه البروتينات الحية المحتوية على DNA.

المراصد الراديوية قد استقبلت إشارات راديوية قادمة من الفضاء، وذلك منذ سنين عديدة. وبالمقابل فإن علماء الفضاء أرسلوا أيضاً إشارات راديوية إلى الفضاء الخارجي عبر المركبات الفضائية في عام ١٩٧٢م وعام ١٩٧٧م وهي تحمل أجهزة كومبيوتر ومولدات نووية للطاقة تمكنها من

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٤٢.
(٢) رواه ابن ماجه.

مغادرة المجموعة الشمسية، كما زودت برسائل رمزية ورسائل صوتية مسجلة بلغات مختلفة. وبلغ حجم الرسالة (٥٠ × ٢٣) سم، وهي مصنوعة من الذهب والألومينيوم وستظل دون فناء لمدة أكثر من مليون سنة. ولكن فلنفترض أننا توصلنا إلى مركبة فضائية تصل سرعتها إلى عشر سرعة الضوء، فإننا سوف نحتاج إلى ٢٠٠ سنة لكي نصل إلى أقرب نجم إلينا يحتمل أن تكون له كواكب يبعد عنا ١٠ سنوات ضوئية.

وأياً كانت الأمور، فلقد تنصت العلماء على أكثر من ألف نجم قريب منا في مجرتنا ـ وتم ذلك خلال ٢٥ محاولة استغرقت ١٥ سنة، ولكن دون أية نتيجة حتى الآن.

أما موضوع الأطباق الطائرة، فما زالت لغزاً حتى الآن. لكن في كثير من المشاهدات كان المشاهدون جماعة وليس فرداً، ومن البلدان التي هبطت فيها الصحون الطائرة الكويت وسلطنة عمان، وجاء وصف هذه الكائنات الحية أن طولها حوالي ٤ أقدام رمادية اللون، بعضها صفراء بدون شعر في الرأس وبدون أظافر. ورأسها أكبر من المعتاد بالنسبة لجسمها، وهي ذات عيون واسعة ومتحركة في عدة اتجاهات، وأنه في إمكان هذه الكائنات إحداث تأثير إشعاعي لا حدود له لمن يتعرض لها، أو التأثير عليه بشكل يجعله يفقد الذاكرة فجأة، كما أنها تستطيع أن تغير مجال الجاذبية أو المغناطيسية[١].

وقد أعلنت مؤسسة (ناسا) في كاليفورنيا للأبحاث والعلوم الفضائية عام ١٩٧٠م، أن النيزك الذي وقع عام ١٩٩٦م في أستراليا تم فحصه وتأكد من وجود حموض أمينية فيه، وهذا يعتبر حجر الأساس في بناء العضوية الحية، حيث يتوقع وجود الحياة خارج كوكبنا الأرضي لذلك أرسلت رسالة إلى الحضارات الكونية عام ١٩٧٤م استغرق بثها ثلاث دقائق تقدم معلومات أساسية عن حضارة الأرض وسكانها، عسى أن يأتي جواب عن ذلك. ولقد أرسلت هذه الرسالة على شكل نبضات لا سلكية بلغ عددها (١٦٧٩) نبضة، وباتجاه قطاع من مجرة درب التبانة يدعى (العنقود النجمي الكروي) الواقع

(١) د/ سمير عبد العظيم ـ الموسوعة العلمية الإعجاز القرآني (صفحة ٢٣).

في برج الجاثي، وكتبت الرسالة بالأرقام العشرية الثنائية التي تتألف من الأصفار والوحدات وتضمنت رموز الأرقام المستعملة على الأرض من ١ ـ ١٠، وتضمنت أيضاً الأرقام أيضاً الأعداد المنفصلة (١ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ١٥) التي تعبر عن الأعداد الذرية لعناصر الهيدروجين والكربون والآزوت والأكسجين والفسفور، وهذه أولى المحاولات للاتصال بالنجوم[(١)]

وقد أورد الفلكي (ستيفن دول) إحصائية تصنف أربعة عشر من النجوم الأقرب إلى الشمس وتقل أنصاف أقطارها عن (٢٢ سنة ضوئية)، وهي النجوم التي اعتقد (ستيفن دول) بوجود الحياة المتطورة فوق كواكبها وفقاً لبعض الاعتبارات[(٢)].

يقول شوقي أبو خليل:

(إن قالت حقائق العلم اليوم أو غداً أن حياة على سطح أحد الكواكب فلا يعني ذلك أن الحياة كحياتنا، فقد تكون أرقى وقد تكون كأنواع من الجراثيم والبكتريا أو النباتات الطحلبية والأشنيات. . علماً أن في كل مجموعة شمسية من مجرتنا ـ والتي تعد بملايين المجموعات الشمسية ـ كوكباً يشبه كوكبنا الأرضي في ظروفه المناسبة للحياة، وعلى كل حال النظريات العلمية لم تجزم حتى يومنا هذا بوجود حياة في الكواكب الأخرى)[(٣)]

لقد اكتشف حديثاً أن تماثل الكون حقيقة واقعة أكدتها مراكز الأبحاث العلمية الكونية في كل دول العالم، وهذا يوضح أن الكون يحتوي في معظم أرجائه، (مجراته ونجومه وكواكبه) على نفس العناصر من الإيدروجين بنسبة عالية، ويليه الهليوم والعناصر الأخرى بنسب مختلفة، وينتشر في الكون نفس القوانين الفيزيائية والقوة النابذة والمجالات المغناطيسية. فما نكتشفه في هذا الكون الصغير (المجموعة الشمسية) هي صورة مكررة في أنحاء

---

(١) مجلة الفيصل العدد ١٤٦ عام ١٩٨٩ ص ٦٢.

(٢) كتاب كواكب صالحة لحياة الإنسان ـ (ستيفن دول الصادر عام ١٩٧٠م عن دار ايلسفيير).

(٣) مجلة العلم والإيمان التونسية العدد ١٨ صفحة ٦ مقال للدكتور شوقي أبو خليل.

الكون. . . وهذا التماثل يقود العلماء دائماً إلى هذا السؤال المتكرر، هل يوجد حياة أخرى في الكون غير الحياة على كوكب الأرض، وطالما أن الكون في تماثل، وما هو في المجموعة الشمسية هو في مجموعة شمسية أخرى في مجرتنا أو مجرة أخرى، وكما تهيأت الحياة على هذا الكوكب ضمن هذه المجموعة تتهيأ في مجموعة أخرى طالما تماثلها في كل التركيبات والعناصر والقوانين الفيزيائية؟؟!

علماء الفلك يتساءلون دوماً، هل هناك كائنات ذكية تعيش في هذا الكون؟؟! وهل في الكون كواكب مثل أرضنا توفرت فيها سبل الحياة؟! وهي غنية جداً بالماء والهواء والأكسجين والنبات والحيوانات ـ الخ من مسببات الحياة، وأهمها توفر الحرارة المناسبة التي تتناسب مع الأجساد المخلوقة. . والعلماء بعد أن قالوا: لو أن نسبة ٥١٠ من النجوم التي تعد بالمليارات الموجودة في المجرات لها كواكب مثل ما للشمس في مجموعتنا من الكواكب، فوجدوا أن الرقم خيالي ثم قالوا: لو أخذ من ٥١٠ عشرها أو خمسها أو أقل من ذلك، حتى قالوا: لو فرضنا وجود عشر العشر من الفرضيات لكان المجموع من الكواكب، المحتمل وجود حياة على ظهرها ٢٠٠٠ كوكب وهذا رقم مختصر جداً، فلو سلموا بمثل هذه الفرضية فإن احتمال وجود الحياة خارج الأرض قائم، وقال علماء الفلك: هذا أمر شديد الاحتمال على الرغم من استحالة وجود ظروف عامة مشابهة لظروف الأرض التي نعيش عليها. . فما هي الوسائل العلمية للبحث عن الحياة خارج الأرض؟

اكتشاف الأحماض الأمينية في النيازك:

اكتشف علماء وكالة ناسا الأمريكية عام ١٩٧٠م لأول مرة، أحماضاً أمينية على نيزك وقع في أستراليا، مما أثار دهشة العلماء. لأن هذه الأحماض هي اللبنات الأساسية في تكوين البروتين الذي يعتبر أهم مركبات الخلية الحية، ولقد تكرر اكتشاف الأحماض الأمينية في نيزكين آخرين عام ١٩٧١م، كما عثر العلماء عام ١٩٧٤م على أحماض دهنية في نيازك أخرى، ورغم أن هذه الاكتشافات لا تعطي دليلاً قاطعاً على وجود الحياة خارج الأرض، إلا إنها تثير لدينا انطباعاً بأن المركبات الرئيسة للحياة التي نعرفها

يمكن تكوينها بطريقة ما خارج الأرض في المجموعة الشمسية.

اكتشاف الجزئيات في الفضاء:

لقد تطورت التليسكوبات الراديوية حديثاً لاستقبال أمواج راديوية بأطوال موجية، مختلفة تمثل خطوطاً طبيعية لعناصر معينة مثل الخط الموجي ٢١ سم المميز لغاز الأيدروجين، الذي يملأ هذا الكون. وهذه الخطوط تبعثها أيضاً الجزئيات الموجودة في الفضاء، ولقد تم فحص الخطوط الطبقية بالتلسكوبات الراديوية، وأمكن التعرف على أكثر من خمسين نوعاً من جزيئات مختلفة في الفضاء، تشمل بخار الماء وأول أكسيد الكربون والفورمالدهيد والأمونيا والكحول المثيل، وقد تم رصد الجزيئات في سحب ما بين النجوم مثل سديم أوريون الواقع في اتجاه (سكة التبانة)، وأكثر الجزيئات إثارة لدهشتنا هي جزئيات بخار الماء وبشائر الأحماض الأمينية مثل ميثيل أمين وحامض الفورميك، ويتوقع الفلكيون أن هذه الجزيئات الأساسية لنشأة الحياة منتشرة على كواكب كثيرة في الكون، مما يعطي انطباعاً تاماً بوجود حياة على كواكب أخرى.

في الكون نظم مجموعات شمسية مماثلة لمجموعتنا الشمسية:

تعطي معظم النجوم القريبة منا خواصَّ مميزة لمسارها، تشير إلى وجود نظم كوكبية مماثلة للنظام الشمسي، وعلى سبيل المثال: فإنه يعتقد أن حوالي نصف مائة مليار نجم في مجرتنا شموس تدور ببطء، مثل شمسنا حول مركز المجرة، وتلك خاصية تدعو إلى التفكير بوجود كواكب تابعة لهذه النجوم في أفلاكها. إن البعد عن هذه النجوم كبير جداً لدرجة أننا لا نستطيع ملاحظة كواكبها التابعة لها والتي يفترض وجودها على الأرجح، نظراً للخواص المميزة لمدارات هذه النجوم، إذ يدل التموج الخفيف في خط مدار أي نجم، على وجود تابع كوكبي مرافق له، ولهذا السبب يعتقد أن لنجم (**بارنارد**) رفيقاً كوكبياً واحداً على الأقل تفوق كتلته كتلة المشتري، بل ربما كان له كوكبان تابعان!

يقول ب جيران: (كما هو واضح فالنظم الكوكبية منتشرة في الكون، وليس النظام الشمسي والأرضي فريدين، ويستتبع ذلك أن الحياة منتشرة في

الكون مثل انتشار الكواكب التي لا حصر لها، وتتوفر فيها الظروف الفيزيائية والكيمائية اللازمة لتفتح الحياة وتطورها).



صورة حديثة للتلسكوب هابل ـ آلاف المجرات تبعد عنا آلاف السنوات الضوئية . . وفي كل مجرة مليارات النجوم والكواكب فأي كوكب من هذه عليها حياة مثلنا؟ هل سنعرف؟ أم هل سنصل؟ ربما

والحقيقة: أنه رغم الإشارات العلمية الثلاث السابقة، فإن التوقعات المستنتجة من هذه الأدلة العلمية غير حاسمة ولا تعطي ردا قاطعاً لوجود الحياة خارج الأرض. ولهذا اتجه العلماء إلى استخدام التليسكوب الراديوي للبحث عن إشارات راديوية قادمة من الفضاء، وتحتوي على شفرات خاصة تدل على أنها مرسلة من كائنات ذكية تعيش على كواكب أخرى. ولقد قام فرانك دراك عام ١٩٦٠م بأول محاولات في هذا الاتجاه، حيث قضى عدة أسابيع في مراقبة أقرب نجمين شبيهين بالشمس باستخدام التليسكوب الذي قطر مرآته ٢٦ متراً والمهيأ لاستقبال الموجة ٢١ سم، وهي الموجة المنبعثة من الأيدروجين الكوني، والتي اختارها دراك باعتبار أنها لابد وأن تكون

مشهورة أيضاً بالنسبة للعوالم الأخرى. ولكن دراك للأسف لم يحصل على نتائج إيجابية، لأنه لم يستقبل أية رسائل ذات معنى لغوي في الفضاء.

وبدلاً من انتظار استقبال رسائل لا سلكية من العالم الخارجي، اتجه العلماء إلى إرسال رسالة على هيئة لوحة تحتوي على صور ورموز معينة، وضعوها في سفينة الفضاء بايونير١٠، وبايونير١١. وهاتان السفينتان سوف تتركان المجموعة الشمسية إلى الفضاء الكوني، ولكن الفرصة للعثور على هذه الرسالة (بوصول هذه السفن إلى عوالم أخرى) ضئيلة جداً، لذلك تم إرسال رسالة لاسلكية من كوكب الأرض في ١٦ نوفمبر ١٩٧٤م من جهاز إرسال قوي قدرته ٤٥٠ ألف وات في محطة تليسكوب راديوي في أربكيو، لعلها تصادف من يستقبلها لاسلكياً في العوالم الأخرى، وكانت هذه الإذاعة موجهة نحو عنقود ٨ ـ ١٣ المعروف بعنقود هيركيليس.

وتبدأ هذه الرسالة الأرضية المذاعة بالأعداد ١ إلى ١٠، ثم تعريف ذرات جزيء DNA . لجسم الإنسان، ثم تقديم مبسط للمجموعة الشمسية وللمحطة الإذاعية التي تبث هذه المعلومات من التليسكوب الراديوي لأربكيو. وحيث إن هذا العنقود المجري الذي تتجه إليه الإشارة اللاسلكية يبعد عنا (٢٥٠٠٠) سنة ضوئية، فإننا معشر البشر لن نتوقع رداً من عوالم ذكية (إن وجدت) قبل مرور ٥٠,٠٠٠، سنة أي: قبل انقضاء أكثر من ألف جيل من الآن!

وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات السابقة، فسوف يستقر البحث العلمي للإجابة على هذا السؤال المدهش المحير، الذي سنردده دائما. هل هناك حياة على الكواكب الأخرى في هذا الكون؟؟!

لقد وصل الإنسان إلى القمر في عصرنا الحاضر، فهل سيتوغل الإنسان أعمق من ذلك في السماوات؟ وهل سنقابل كائنات ذكية في يوم ما؟ وماهي إمكانية الحدث والاتصال بهذه المخلوقات وهي بعيدة عنا بعداً سحيقاً في مجرات مختلفة؟. . وما هي إشارات القرآن في هذا الصدد؟

الواقع أن الاتصالات اللاسلكية بكواكب ما بين النجوم، ستكون من

طرف واحد، لأن أقرب كوكب مسكون ربما يبعد عنا بدرجة تجعلنا ننتظر قروناً أو أحقاباً، لكي نتلقى ردا أثناء المحادثة اللاسلكية بيننا وبين السكان العاقلين في الكوكب المزعوم؟.

ونظراً لصعوبة الاتصال اللاسلكي فقد أرسل الإنسان رسائل في سفن الفضاء **بايونير** ١١، **وفويجير** ٢ التي تحمل شريطاً مسجلاً يحتوي على مختارات موسيقية ووسائل صوتية تحمل تحيات البشر من سكان الأرض، وذلك بحوالي ستين لغة. أيضاً رسالة من الرئيس كارتر تعبر عن أمنيات البشر للانضمام لاتحاد سكان المجرة! وهذه السفن غير موجهة لكوكب معين، ولكنها سوف تستغرق حوالي ٨٠ ألف سنة لكي تصل إلى أقرب نجم بالنسبة للأرض، وذلك إذا قدرنا لهذه السفن نجاح الوصول. وهناك علماء متفائلون يعتقدون أن الإنسان سوف يستطيع المجازفة باختراق السماوات البعيدة بين النجوم خلال القرنين القادمين! ولكن لسوء الحظ فإن السفر فيما بين النجوم مسألة ليست هينة كما يتصور كتاب حلقات الخيال العلمي للأطفال، إن المسافات الفاصلة بين النجوم مسافات هائلة تفوق الوصف والخيال، وهي فعلاً تفوق مستوى إدراك العقل البشري، علاوة على الصعوبات التي تواجهنا عند صنع سفن فضائية مناسبة لتحمل بشراً في فضاء ما بين النجوم، لرحلة تستغرق لأقرب نجم زمنا يقدر بآلاف المرات قدر العمر العادي لأي مسافر، ولهذا يجب أن تحمل مثل هذه السفينة أزواجاً من البشر كسفينة نوح، حيث يتناسل الركاب من ذكر وأنثى وتموت أجيال كثيرة (نظراً لطول الرحلة)، وقد يتبقى في النهاية أحفاد لا يعرفون عن أرض أجدادهم (الرواد الأصليين) شيئاً ويواجهون لأول مرة عالماً جديداً في كوكب آخر، بعقلية تختلف تمام الاختلاف عن عقليتنا نحن سكان الأرض! وللتغلب على مشكلة الزمن لابد من تصميم سفن فضاء عالية السرعة! ولكن كيف يتم هذا التصميم!؟

ما زال العلماء يفكرون في ذلك.. ولكن هناك مشاكل كثيرة بالنسبة للسفن عالية السرعة.. فلو فرضنا أن السفينة ستحمل وقودها

معها، فلا بد من كمية وقود كبيرة جداً لاكتساب سرعات عالية لمدة طويلة. ولقد اقترحت جمعية أصدقاء الفضاء البريطانية مثلاً، سفينة تعمل بالقنابل الهيدروجينية تدعى دايدالوس بحيث تستطيع الوصول لنجم برنارد في ٤٩ سنة! مما يستدعي حمل وقود وزنه ٥٠,٠٠٠ طن! وهذا الوقود ربما لا يكفي لحمل المستلزمات الأخرى في السفينة، لإمداد الرواد بمقومات الحياة من الأغذية والهواء لمدة طويلة خلال هذه الرحلة المزعومة!

ويمكن الوصول إلى سرعات أكبر لولا المشكلات العلمية والهندسية التي تحد حالياً من ذلك، علاوة على أن الحد الأقصى للسرعات هو سرعة الضوء طبقاً لقوانين الفيزياء! وبهذا فإن الرحلة إلى نجم برنارد بسفينة تتحرك فرضاً بهذه السرعة القصوى، سوف تستغرق زمناً قدره (٩,٥) سنة (لأن هذا النجم يبعد عنا (٩,٥) سنوات ضوئية) مع مراعاة الانكماش الزمني بالنسبة للمسافر، واستحالة سفره بسرعة الضوء!

ويزداد الموقف تعقيداً كما شرحنا. ولهذا يسأل الإنسان لماذا لا تقوم المذنبات الأخرى من الكواكب البعيدة بزيارتنا في الأرض؟ والواقع ليس لدينا الآن دليل على مثل هذه الزيارة من العوالم الأخرى، ولكن بعضهم يعتقد أن الأطباق الطائرة تبدو كما لو كانت سفن فضاء قادمة من الكواكب الأخرى لزيارتنا، ولكن معظم العلماء لا يؤيدون هذا الاعتقاد ويعتبرون الأطباق الطائرة وهماً ناشئاً عن بعض الظواهر الجوية النادرة!

لقد باءت كل محاولات الإنسان بالفشل حتى الآن للاتصال بالعوالم الأخرى، فلم يتلق علماء الفلك الراديوي أية رسالة من كائنات أخرى، ومازال السفر للأراضين الأخرى مستحيلاً، كما أننا لم نستقبل أبداً زائراً غريباً من خارج الكرة الأرضية! ورغم هذا فالأمل مازال قائماً والبحث عن وسائل اتصال بالكواكب الأخرى مازال مستمراً، ويبحث العلماء عن أحسن الطرق للاتصال بالعوالم الأخرى الذكية، لأن الالتقاء بآية وسيلة مع هذه العوالم سيكون أمراً هاماً وخطيراً جداً.

ولو افترضنا إن شاء اللّه حدوث مثل هذا الالتقاء، فإن ذلك سيكون بعون اللّه أعظم حدث في تاريخ البشرية كلها! فهل ستنجح محاولاتنا لإتمام هذا اللقاء في المستقبل؟ أو هل ستسبقنا الحضارات الأخرى من الكواكب البعيدة وينجح سكانها في زيارة كوكب الأرض(١).

قد لا يكون عند البشر جواب، ولكن اللّه سبحانه وتعالى دلنا في كتابه.

قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾

[سورة الطلاق، الآية: ١٢]

وقال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ (٢)

[سورة الشورى، الآية: ٢٩]

---

(١) دكتور منصور حسب النبي رئيس قسم الفيزياء جامعة القاهرة القرآن الكريم والعلم الحديث صفحة ٢٢٥.

(٢) راجع في الجزء الأول من الموسوعة فقرة بعنوان: كواكب خارج نظامنا الشمسي.

السماوات السبع على عظيم خلقها في علم الله

يقول تعالى:

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ٢٩]

هذه الآية الكريمة هي بعض رقابة اللّه علينا، والبشر لما خلقهم اللّه سبحانه وتعالى وجعل لهم الأرض قراراً وسكنا جعل رقابته عليهم شديدة جداً وطوقهم تطويقاً كاملاً.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

[سورة ق، الآية: ١٦]

وقال تعالى:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [سورة غافر، الآية: ١٩]

وقال تعالى:

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق، الآية: ١٨]

وقال تعالى:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة الانفطار، الآيات: ١٠ ـ ١٢]

وآيتنا هذه من سورة آل عمران، هي واحدة من الآيات القرآنية التي أوضح اللّه لنا فيها عظيم مراقبته ودقة إحكامه للطوق الذي وضعه حول عباده وخلقه جميعاً.

والرقابة علم اختصها اللّه سبحانه لنفسه، فلا الملائكة ولا الإنس ولا الجن قادرون على معرفة الوسيلة التي تتم بعد رقابة اللّه سبحانه لنا من الداخل.

فالعقل البشري هو مصدر الفكر والقول، وهو خلق اللّه وصبغته، والتكوين العقلي مرده إلى اللّه، وبما أن اللّه هو الخالق لهذا العقل البشري فهو أدرى بدروبه وشعابه وخلاياه التي تجاوزت حسب تقدير العلم أربعاً وعشرين مليار خلية، وكل خلية تعمل بمفردها وهي متشعبة بمسالك وخطوط عرض وطول عجزت البشرية تماماً حتى في هذا العصر المتقدم عن فهم تركيبه ومكنونه وهذا أمر طبيعي جداً.

فإذا كنا نريد أن نفهم عقلنا فإننا بحاجة إلى عقل أكبر من عقلنا ليستطيع أن يدخل في متاهاته وخباياه وخلاياه.

وبما أن هذا العقل الأكبر لا يوجد، إذاً فلن نستطيع إلا أن نستخدم عقلنا، وإمكانياته دون أن نعلم عنه شيئاً.

فأنا كإنسان أركب السيارة دون أن أفهم عنها شيئاً فإذا ما أصابها عطل ألجأ إلى المختص، وهذا المختص من أين تعلم طريقة إصلاحها؟.

لقد تعلم من المهندس، والمهندس من علّمه؟ لقد تعلم عن طريق المخطط الميكانيكي، والكهربائي الذي وضعه المصمم ليفهمه المهندس والصانع، فالمخترع للسيارة علمنا كيف صنعها ورسم لها مخططاً، ولكن اللّه سبحانه وتعالى خلق العقل ولم يرسل لنا رسماً يوضح كيف تعمل خلاياه وكيف تكون دروبه ومخططه.

وللسائل أن يسأل: ولماذا لم يرسل اللّه لنا رسماً يوضح لنا كيف يعمل العقل؟ والجواب لأننا بحاجة إلى عقل أكبر من عقلنا ليفهم هذا الرسم والمخطط، فالسيارة التي تم اختراعها من قبل المخترع، هي بمستوى العقل البشري، ولو كان اختراعها وتصميمها يفوق العقل البشري فلن يستطيع اختراعها.

وليس هذا فحسب، فإن هناك مئات الآلاف من الموجودات الكونية لا نعلم عنها شيئاً، وستقوم الساعة ولا نعلم عنها شيئاً، ونجد أنفسنا إن أرانا

الله إياها حينما يريد، أنها لم تكن تخطر لعقولنا مجرد خاطر فقط، وأما لماذا؟ فذلك لأنها أعلى من مستوى تركيبنا العقلي ومن قدرته على إيجادها أو حتى التفكير فيها.

فالعقل والتفكير الإنساني من اختصاص الله سبحانه.

ويبقى السؤال كيف يعلم الله سبحانه ما في صدورنا وعقولنا وتفكيرنا دون أن نبديه ونظهره ونقوله؟ وعلى هذا نقول إن الله سبحانه وهو الخالق لهذا الإنسان وعقله، وهذا لا جدال فيه أبداً، وهو أعلم كيف خلق هذا العقل وكيف يعمل هذا العقل وما هي مصادر تشغيله، وأين تكون خزائن استيعابه وتفكيره، ألم يقل الله سبحانه وتعالى:

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾؟

[سورة العلق، الآيتان: ١٥، ١٦]

صدق الله سبحانه وتعالى، فالعلم يقول: بعد أن وصل إلى درجة الرقي والتقدم المذهل: إن مركز الشر وشبكته ومصدر تخطيطه يقع في مركز الناصية (الجبهة)، فالله حدد أن الناصية كاذبة وخاطئة فالمعنى أنها مركز الشر، والعقاب والجزاء يوم القيامة الصفع لهذه الناصية التي هي مركز الشر والمكر والخداع.

والله وحده عليم بطرق تفكيرنا، وأين تقع خزائن النية التي تستوعب الشر والخير.

هذه النيات التي اعتبرها رسول الله ﷺ مصدر العمل، وأساس حسابه وعليها يقع القول الفصل.

يقول رسول الله ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)**(١).

ولذا فإن المقصود من هذا الحديث: أن الإنسان مجزى عن عمله من خلال النية، فالسيئة لا تكتب إلا إذا فعلها الإنسان، وهذا من عدل الله المطلق.

---

(١) (رواه البخاري في ٨٣) ـ كتاب الإيمان والنذور رقم الحديث (١٢٤٥) عن (عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وهذا العدل الإلهي العظيم لعلم اللَّه سبحانه وتعالى بالنفوس والنوايا وطرق التفكير، وإلا ضاع الإنسان وسجلت عليه آثام وسيئات لظاهر العمل الذي أراد عكسه، وهذا هو الفرق بين القضاء الدنيوي وقضاء اللَّه، فالقاضي في الدنيا له ظاهر العمل فيحكم به، ولكن اللَّه في الآخرة وصف نفسه وسمى نفسه بأنه الحكم العدل يحاسب الإنسان ليس بظاهر ما فعل إن كان ينوي غير هذا، ثم وقع ما لا يريد، فأنت يوم القيامة أمام محكمة العدل الإلهية التي يوزن فيها العمل بموازيين الذر ولا يظلم الإنسان فتيلاً.

ومن العدل الإلهي والرحمة بالإنسان: إنه إنْ نوى شراً، ولم يفعله لم يسجله عليه، وإن نوى خيراً، ولم يفعله لطارئ ما سجلت له حسنات.

ولكن إن كان يفعل الخير لمصلحة دنيوية فاللَّه أعلم أيجزيه به أو لا يجزيه؟

فلو نوى الإنسان الشر ولظرف ما جاء ما نوى له الشر خيراً فهل هو مجزى به؟ هنا اختلف الميزان فالعدل المطلق يوجب السيئة لأن الإنسان في هذه الحالة كأنه قد فعل الشر فعلاً، ولكن الإرادة الإلهية غيرت الحدث فهل هي شهادة براءة لهذا الإنسان الذي نوى الشر؟ لا: بل شهادة إدانة عند اللَّه يحاسبه بها العليم الخبير وهذا هو التفسير للآية القرآنية الكريمة:

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ٢٩]

ولذا فإن عبداً يوم القيامة يحكم عليه بالذهاب إلى النار فيقول: يا رب، إني استشهدت في سبيلك وأنا من الشهداء فكيف بي إلى النار.

فيجيبه اللَّه تعالى: بل أنت قاتلت ومتّ ليس من أجلي، ولكن من أجل أن يقول عنك الناس: إنك شجاع ومقاتل.

وهكذا من تصدق وهو كاذب، وصلى أمام الناس، وهو كاذب منافق، وهنا تكمن القدرة الإلهية في معرفة النفس وما تخفي وما تبدي، وإلا ما الفرق بين الصادق والمنافق؟.

فتصور أيها الإنسان أن اللَّه لا يعلم ما توسوس به أنفسنا ولا يعلم ما تخفي صدورنا، ولا يعلم خائنة أعيننا، فهل سيكون الحكم عدلاً يوم القيامة؟

وهل يحاكم الناس يوم القيامة على ظاهر العمل كما نحاسب في الدنيا؟ وهل حكام وقضاة الدنيا عادلون في حكمهم دائماً؟ طبعاً لا، وكم من إنسان زج به في السجن وهو مظلوم، وكم من أناس حُكم لهم وهم ظالمون.

وذلك لأن المنهج في حكم الحاكم أو القاضي: يعتمد على ظاهر الفعل وليس له علاقة بالنية والنفس والتفكير، ولا يستطيع الوصول إلى ما تخفي صدور المتحاكمين أمامه، فترى الظالم يخرج من المحكمة بعد أن حكمت المحكمة الإنسانية لصالحه، أو برأته أو جعلته صاحب الحق، فما تراه يقول في نفسه؟ قطعاً يقول: لقد مررتها على القاضي ونلت مأربي ونجحت فيما خططت له، فهل من العدل الحق أن يقول العبد إذا حكم اللّٰه له بالفوز يوم القيامة إن كان اللّٰه يعتمد في حكمه على ظاهر الفعل ثم يخرج العبد الظالم من عند اللّٰه في محكمته يوم القيامة، ويقول: مررتها على اللّٰه ولم ينتبه إلى ما كنت أنوي؟ حاشى للّٰه ذلك.

فالعقل يحكم حكماً قطعياً أن اللّٰه يعلم ما توسوس به النفس، وما تخفي الصدور، ويعلم ما نبدي وما نخفي، ويعلم ظاهر الفعل وباطنه، وليس هذا فحسب: بل يؤكد عليه تأكيداً مطلقاً ولا شك فيه، ولو بمقدار جزء يسير من ثانية واحدة، ولكن إذا وقعت الرقابة الحقة من اللّٰه على عبد من عباده ظاهراً وباطناً، فماذا عن باقي العباد؟ أيراقب مجموعة ويترك أخرى؟ أم الجميع تحت مراقبته الظاهرة والباطنة؟ وما دام اللّٰه يعلم السر في مراقبة إنسان واحد، فالحتمية المنطقية أن جميع المخلوقات تحت مراقبته وهذا عليه هين.

فاللّٰه سبحانه أكدَ لنا هذا بقوله:

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٨]

أتعلمون لماذا؟ لأن الذي يعلم سر خلق الإنسان، وبعثه واحد. وخلق وبعث الناس أجمعين عليه هين.

فلو أن سيارة منذ خمسمائة عام وجدت فجأة في شوارع القاهرة، وهي تسير فإن من يراها سيدهش لأن هذا غير معروف لديه، ولم يكن معروفاً لديه ولم يكن معروفاً سر صنعتها، ولكن لمَّا عُرف سر صنعتها في أيامنا هذه فإن صناعة الملايين منها أصبح أمراً عادياً.

وهذا يعني أننا لما علمنا سر صناعة السيارة الأولى أصبح علينا هيناً، أي عددها مهما بلغ، ولذلك فإن اللَّه حينما قال:

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ .

فالمعنى أن اللَّه يعلم: سر خلق وبعث أي واحد منا، فعملية خلق الجميع وبعثهم مرة أخرى متوقفة على معرفة سر الخلق الأول وبعثه.

وعظمة اللَّه سبحانه وتعالى، تتجسد لنا ظاهراً في قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ . والمعنى: أنه: لستم أنتم أيها البشر وحدكم الذين تحت مراقبتي، وأعلم ما تخفي صدوركم وأعلم ما تبدون وما تكتمون، ولكن علمي وقدرتي ومراقبتي شملت السماوات كلها والأرض وما فيهما وما بينهما، فإن كنتم أيها البشر تبلغون بضعة مليارات، وأنا أعلم عنكم كل شيء، فما أنتم وأرضكم أمام عظيم ملكي وسعته؟ ومن يعلم عدد مخلوقات اللَّه سبحانه لكي يريحنا من التفكير بما عند اللَّه من خلق وكم عددها، أهي كعددنا أم أقل أم أكثر ليريحنا من عناء البحث والجدل بقوله تعالى:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾

[سورة المدثر، الآية: ٣١]

فلم يستثننا نحن البشر بل كل خلقه وحتى ملائكته المقربين وهم أبعد من أن يعلموا عدد خلقه وجنوده.

فإذا كان عدد خلق اللَّه لا يمكن أن تتصوره عقولنا مهما استعملنا من صيغ علمية وقياسية، كاستعمالنا لصيغة السنة الضوئية عوضاً عن استخدام ملايين الأرقام، فلن نصل إلى عدد جنود وخلق اللَّه، وهذا العدد غير المتصور على الإطلاق كله يقع تحت مراقبة اللَّه ظاهراً وباطناً لظاهر الفعل وباطنه والإبداء والإخفاء، فَنِ خَلْقِ اللَّه الملائكة، ولا يعلم عددها إلا اللَّه فهم في كل السماوات السبع كما ورد في الحديث.

عن أبي ذر الغفاري أن رسول اللَّه ﷺ قال: (**أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد**)[1]

---

(١) رواه البيهقي في كتاب شعب الإيمان وكذلك رواه ابن ماجه والبزار.

ومع ذلك فجميعها تحت مراقبة اللّه بما أبدوا وما أخفوا، ولنا دليل على ذلك قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٣٣]

وهذا خطاب موجه إلى الملائكة، فالملائكة في الآية القرآنية يتساءلون ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٣٠]

لم يقولوا هذا قولاً مباشراً، وإنما قالوه في أنفسهم، لذا فإن اللّه أجابهم بقوله: ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ .

فمراقبة اللّه لكل ما خلق من الملائكة والإنس والجن والحيوان والطير والهوام، ألم يقل اللّه تعالى:

﴿ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴾؟

[سورة التكوير، الآية: ٥]

فلِمَ تُحشر الوحوش يوم القيامة؟ إنها تحشر: للحساب والعقاب، ثم يقول لها كوني تراباً. فكيف يتم حساب اللّه للوحوش؟ فهل يحاسبها بغير عدل؟ بل يحاسبها بالعدل كما يقول عليه الصلاة والسلام:

- عن أبي هريرة رضي اللّه عنه: قال رسول اللّه ﷺ:

(لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)(١) .

فليس للحيوانات ظاهر من القول، ومع ذلك فإن اللّه يعلم ما في أنفسها من دوافع الخير، ودوافع الشر، وسيقضي بينهما بالعدل.

فالقدرة الإلهية تكمن في هذا السر العظيم بمعرفة النفس وما تنوي فعله وكيف تفكر والدخول في أعماقها ووضعها ضمن ميزان دقيق أدق من ميزان

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم رقم ٢٥٨٢) .

الذر، والوقوف على هذا العقل وجعله يخضع لسلطة المراقبة الكاملة الإلهية.

ولقد توصل الإنسان إلى سر جعل المكتشفين والعلماء يخرون سجداً بعقولهم لعظمة الإله العظيم.

يقول علماء النفس إن الدماغ يعمل بصورة مطلقة دون توقف، وخلاياه التي تبلغ المليارات تعمل بتناسق رائع، وكل خلية لها برنامج بداخلها يعمل تلقائياً، والدماغ سواء نطق الإنسان بلسانه ليعبر عما في تفكيره فإنه يصدر موجات كهرومغناطيسية في الهواء تخرج من الرأس، هذه الموجات تتجه إلى أعلى ولها شفرة معروفة لدى الخالق، وقد لاحظ بعض العلماء إلى أبعد من هذا، فقالوا: إنَّ الإنسان حينما يتكلم فإن الذبذبات الصوتية المحفوظة بشفرة خاصة تتبع صاحبها تتجه نحو الأعلى وتتجمع في مكان ما في السماء، وربما يستطيع العلم مستقبلاً اختزانها وفك رموزها ومعرفة أصحابها.

فالذي عند الله أجاب عنه في آخر الآية:

﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ٢٨٤]

ويتفكرون في خلق السماوات والأرض

يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبۡحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

إن هذه الآية مفتاح السماء، فالعقل والفكر: هما القدرة الميكانيكية في صنع مفتاح السماء.

وهذا المفتاح لا يمكن أن يفتح لنا السماء، إلا إذا كان معدنه الإيمان وذكر اللّه تعالى.

والآية الكريمة تؤكد العلاقة الوثيقة، بين الذاكرين للّه تعالى، وبين المفكرين في قدرته في خلق السماوات والأرض.

فالذاكر للّه تعالى هو المؤمن، والمفكر: هو ذات المؤمن، فتوحدت النفس مع الذات وكونت بعد عملية ارتقائية نفساً خالصة، تجلت في صفاء ذهني مع الإله القادر والمتحكم في شؤون السماوات والأرض، فقد أحكم اللّه الربط بين الذاكرين له، والمفكرين في خلق السماوات والأرض، وجعلهما نفساً واحدة، وجعل الذين يذكرونه ويسبحونه ويحمدونه لهم شرف التفكير في قدرة اللّه سبحانه وتعالى في خلقه السماء لارتقائها وعلوها، فلا تستطيع النفس اللاهية عن ذكر اللّه سبحانه وتعالى الوصول إلى السماوات من خلال العقل والفكر، فجلال عظمة اللّه سبحانه وتعالى، تظهر وتتجلى في مملكة الذاكرين للواحد الأحد.

فالذين يعيشون حياتهم مع قدرة اللّه سبحانه وتعالى، المتمثلة لهم في

خلق أنفسهم وفي خلق السماوات والأرض، هم الباحثون وراء الحقيقة لمعرفة قدرة اللّه.

وكلما ازداد في نفس الإنسان العمق، وشمولية المعرفة بقدرة اللّه سبحانه وتعالى، ازدادت عوامل الإيمان التي تصبح أصيلة في نفسه وعقله وروحه، وتصبح عملية استئصالها واقتلاعها أمراً مستحيلاً.

فالذي يدرك عظمة اللّه سبحانه وتعالى، يعلم: من هو المعبود الذي يعبده وأنه إلّه قادر عظيم. خلق فأبدع وصبغ الوجود بصبغته وقدرته، فأحسن الخلق والصبغة.

فإن الخشية تقع في قلبه ويسجد عقله لجلال الهيبة والقدرة، وهؤلاء هم العلماء وصدق اللّه سبحانه وتعالى إذ يقول:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾

[سورة فاطر، الآية: ٢٨]

فعمق التفكير بهذه القدرة غير المتناهية لا تأتي من اللاهي عن قدرة اللّه والتفكير فيها، لذا تراه يقع في بحر المعصية والجهل، فيبتعد عن العلم الذي هو نعمة الوجود.

فهل المقصود من قوله تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ عملية تفكُّر دون التدبر والبحث والعلم؟

أم أنها تعني: أن نسعى لنفهم معنى خلق السماوات والأرض، عن طريق الدراسة والعلم؟

الآية القرآنية حقيقة: فيها ربط مذهل وبناء شامخ في طرح أكثر من موضوع، وفيها انسياب لفظي رائع تتدرج بكلماتها نحو هدف عميق يمتلك معاني لا حصر لها.

فأول المعاني الرائعة هذا الربط بين الذاكرين، وخلق السماوات، فكأن الذاكر للّه يصل إلى عمق السماوات في أعاليها عن طريق الصفاء الذهني الذي يملكه، وربما يصل إلى بعض ملكوت اللّه في هذا الصفاء، وكأنه يتجول في هذه السماوات، ويصعد إليها بروحه ونفسه، ويحس بعظمتها وقدرة اللّه سبحانه وتعالى فيها، كما

يحس العالم حينما يدرس ويبحث في السماء عن طريق العلم والمعطيات الحسية التي يملكها بين يديه.

وفي الآية قول فصل: يشير إلى أن خلق السماوات واقع حقيقي، وجد بالحق، والقدرة الإلهية لا زيغ فيها ولا باطل، وهذا أمر واقع، ترون أيها البشر جزءاً منه أمام ناظريكم، بما وهبكم اللَّه من نعمة النظر، وجعل خاصية العين المجردة أن ترى ولمسافة مليوني سنة ضوئية حتى تتمكن من رؤية هذه القدرة الإلهية، وفي الآية القرآنية تأكيد من اللَّه سبحانه وتعالى على دراسة السماوات والأرض بكل ما فيها من عقل وفكر، وذلك لأن الخالق يعلم ما في السماوات والأرض من قدرة، ومن علم وإن وصل إليه، أو بعضاً منه، والإنسان عَلِمَ من هو اللَّه الذي يعبده، فيعمد إلى الطاعة العميقة والمطلقة.

فالسماء الدنيا التي يسعى علماء الأرض بمشاركة كل الدول فيما بينها في دراستها، والبحث عن محتوياتها، وبما تحمل من نجوم وكواكب وأقمار وشهب ونيازك، جعلت الكثير من الذين لا يؤمنون باللَّه سبحانه وتعالى يخرون سجداً لصانع هذا الكون، بعد أن كانوا يصلون إلى درجة الهذيان من خلال اكتشافاتهم عن مكنون السماء، وعلموا أن هذا الذي أوجد هذه القدرة لا بد أن يكون هو اللَّه الواحد، لما رأوا من بديع خلقه وعظيم ملكه.

وهذا ما جعل الكثير منهم يصل إلى درجة الإيمان المطلق، وجعل لنفسه خلوة يومية يعيش من خلالها مع هذه القدرة التي لا يمكن لهذا العقل المخلوق إدراكها، فقد وصل بعضهم إلى معرفة دقة الخلق المصنوع وفق هندسة رائعة متكاملة، لا وجود لخلل فيها ولو بمقدار أنملة.

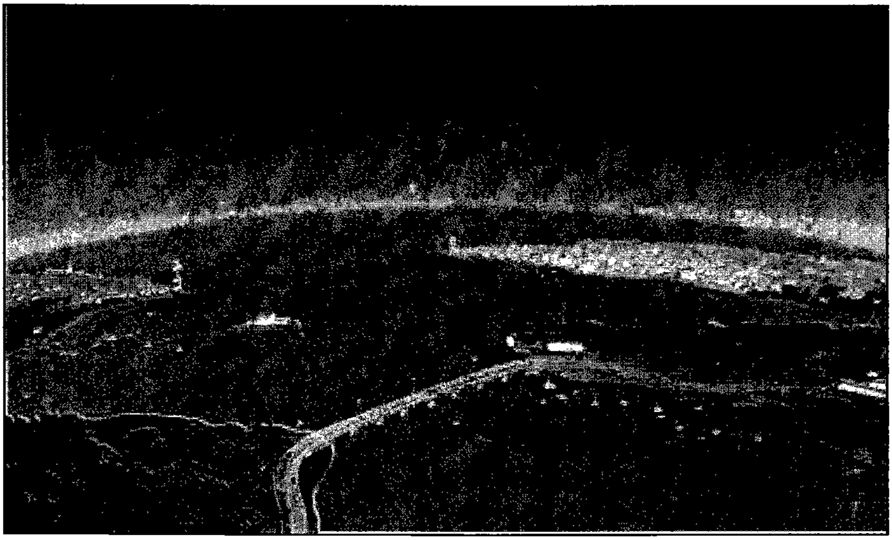
وصدق اللَّه العظيم إذ يقول:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وفعلاً فقد أوصل اللَّه سبحانه وتعالى الذين اكتشفوا السماء وقدرة اللَّه

فيها إلى درجة اعترافهم أن الباني والموجد لهذا الكون العظيم بهذه الدقة الفائقة هو خالق عظيم، ولا يمكن أن يكون له شركاء في الخلق، فهذه الدقة في الخلق من خالق واحد وليس من خالقين!!



ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً..
انظر إلى جمال خلق اللّه في السماء والأرض مجرة درب التبانة وأنت تنظر إليها من الأرض.

إن الذاكرين والحامدين والمفكرين في خلق السماوات والأرض، يدعون اللّه سبحانه أن يقيهم عذاب النار.

فما موقف اللاهين عن ذكر اللّه واللاهين عن التفكير في خلق السماوات والأرض من النار التي وقودها الناس والحجارة، يوم القيامة؟

إنه أمر يدعو الإنسان إلى وقفة في حياته، ليرى من أي الفريقين هو!

ولأهمية هذه الآية الكريمة ما قاله عنها رسول اللّه ﷺ في الحديث الذي روته السيدة عائشة رضي اللّه عنها ـ عندما سئلت عن أعجب ما رأته من رسول اللّه ﷺ، فبكت وأطالت ثم قالت: كل أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي حتى مسَّ جلده جلدي ثم قال:

(ذريني أتعبّد لربي عز وجل) فقلت: واللّه إني لأحب قربك، وإني أحب أن تعبد ربك، فقام إلى القربة فتوضأ، ولم يكثر صبَّ الماء، ثم قام

يصلي فبكى حتى بلَّ لحيته، . ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: (ويحك يا بلال، أفلا أكون عبداً شكوراً، مالي لا أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾

[سورة آل عمران، الآيات: ١٩٠ ـ ١٩٤]

ثم قال: (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)(١)

لذا فإن التفكير في خلق السماوات، وقدرة الله سبحانه وتعالى أمر ذو أهمية عظمى للمؤمن ليدرك عظمة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه ابن مردويه وهو حديث صحيح.

قدرة اللَّه وعلم ما في السـمـاوات والأرض

يقول تعالى:

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٣٣]

هذه الآية الكريمة يتحدث اللَّه سبحانه وتعالى فيها عن خلق آدم عليه السلام وذريته على الأرض، وقد سبق هذه الآية آية أخرى يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٣٠]

فهذه الآية الكريمة غيب عظيم يطلعنا اللَّه سبحانه وتعالى عليه، وهي بداية الخلق، خلق من؟ خلق الإنسان.

وهي بداية لا يمكن للبشر مهما أوتوا من العلم والحضارة أن يعرفوها لولا أن اللَّه تعالى أطلعنا وأخبرنا عنها..

فهي بداية تمت في أعلى عليين وفوق السماوات السبع في ملكوت اللَّه، الذي لن نصل إليه بعقولنا ولن تدركه مداركنا المحدودة من تلقاء نفسها، وللسائل أن يسأل:

لماذا خلق اللَّه الإنسان الذي يحمل غرائز الشر، وغرائز الخير وهو قابل لارتكاب المعاصي بجميع أشكالها وألوانها، وعنده الملائكة الساجدون الحامدون، العابدون، المسبحون الذي لا يعلم عددهم إلا اللَّه سبحانه وتعالى، ومنهم ساجد للَّه منذ أن خلقه اللَّه وأول ما يرفعون رؤوسهم يوم القيامة يقولون (ما عبدناك حق عبادتك).

فالملائكة حين سألوا اللَّه سبحانه وتعالى أتجعل فيها من يفسد فيها

ويسفك الدماء؟ فهم لم يعترضوا، وإن تساءلوا، وهذا صحيح. فابن آدم على الأرض يفسد فيها ويعصي أمر اللّه ويسفك الدماء ويرتكب الفواحش والمنكرات، ولكن اللّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ إذاً: ما الحكمة من خلقه؟ وهل خلقنا اللّه عبثاً؟ أم خلقنا اللّه لشيء هو أعلم به؟!! وما الفرق بين خلق الملائكة وخلق الإنسان؟

١ ـ أبن آدم نوع آخر من الخلق، والحق سبحانه وتعالى بيده الأمر يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء، يقول تعالى:

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾

[سورة يس، الآية: ٣٦]

٢ ـ ابن آدم له غرائز موجودة بأساس خلقه فله غريزة الطعام، وغريزة الجنس، وحب التملك، والسيطرة، والملائكة خلق لا غرائز لهم.

٣ ـ اللّه سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعل فيه عقلاً مع غرائزه استطاع به أن يحتوي الكون كله في هذا العقل المخلوق، وهنا تكمن قدرة اللّه سبحانه وتعالى في هذا المخلوق (الإنسان).

٤ ـ لما عَلَّمَ اللّهُ سبحانه وتعالى آدم الأسماء حفظها واحتواها بعقله، ولما سأله اللّه سبحانه وتعالى عن أسماء هذه الأشياء أجابه إجابة صحيحة وسمعته الملائكة، وقبل ذلك قال اللّه سبحانه وتعالى للملائكة: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۞ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

[سورة البقرة، الآيتان: ٣١، ٣٢]

٥ ـ اللّه سبحانه وتعالى هو: يفعل ما يشاء، خلق عقلاً بجسد له كامل الغرائز التي تغريه، يفعل الشر والمنكر، ثم جعل اللّه سبحانه وتعالى له فوق كل هذا شيطاناً قريناً يزيده في الدلالة على فعل الشر.

٦ ـ الإنسان وقع في امتحان صعب بين فضيلة العقل وقوة الغرائز المتحدة مع قوى الشيطان المضادة لفعل الخير[١]

---

(١) راجع تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب) لسورة البقرة آية ٣١/ ٤٠.

ولكن الملائكة ليست واقعة في هذا المأزق الذي يعيشه الإنسان بوضعه، في تجربة اختبار الشر أو الخير أحدهما عليه.

٧ ـ ومع خلق هذه الغرائز الفتاكة بالإنسان، وضعه اللّه سبحانه وتعالى موضع الحساب والجزاء، إما جنة وإما نار، فإذا أساء استخدام هذه الغرائز الحيوانية في جسده ولم يكبح جماحها واستعمل قوى الشر المتوفرة في نفسه فله سوء العاقبة فربما يكون مصيره إلى العذاب الدائم لقوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾

[سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩]

٨ ـ ومع أن الإنسان خلق بهذه الغرائز الشهوانية، فإن عدداً كثيراً من البشر تكبح جماح هذه الغرائز، وهذه الشهوات كبحاً كاملاً وتسيطر عليها وتعبد اللّه عبادة قد لا يصل إليها أحد من خلقه، وهذا هو إعجاز خلق البشرية ومعرفة اللّه غيب السماوات والأرض.

٩ ـ الإنسان قد يجوع ويريد أن يأكل، والجوع غير الجنس، فالجنس إن كبحه الإنسان فلا يموت ولكن إن كبح شهوة الجوع والطعام قد يموت، والإنسان إذا جاع جوعاً قاسياً ولم يجد ما يأكله فقد توصله إلى ارتكاب أبشع الجرائم في سبيل تأمين غريزة الجوع، ومع ذلك فإن كثيراً من خلقه قد يموت جوعاً إن لم يجد ما يأكله من حلال، فيسيطر على هذه الغريزة المميتة خوفاً من اللّه، وأمَّا الملائكة فلم يوضعوا في هذا الامتحان الصعب.

١٠ ـ الجنس وشهوة النساء قد تدفع الإنسان أحياناً للحصول عليها إلى ارتكاب فاحشة الزنا، وما أكثر الذين يسيطرون على هذه الغريزة الحيوانية إرضاءً للّه سبحانه وتعالى، لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٣٢]

والملائكة كما نعلم بعيدين عن غريزة الجنس ولا يعلمون عنها شيئاً.

١١ ـ لذلك قال اللّه تعالى: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، من ذلك أنكم أيها

الملائكة لم تجربوا هذه الغرائز لتحكموا على خلقي وعبادي، وربما إذا كانت فيكم لعصيتم ربكم في سبيل الحصول عليها، وهذا ما حدث مع الملكين هاروت وماروت(١).

فعلم اللّه بغيب السماوات والأرض موضوع، وخلق السماوات والأرض موضوع آخر.

فقدرة اللّه سبحانه وتعالى لا تقف عند خلق السماوات والأرض وما بث فيها من دابة، ولكن عظمته أتت في خلقه الأشياء كلها ومراقبتها مراقبة دقيقة محسوبة بدقة متناهية.

ونحن كبشر لا نستطيع ولو أخذنا بكل أسباب العلم والقدرة المتاحة لنا في المعرفة أن نتخطى حدود إمكانياتنا وقدراتنا المحدودة والسطحية، وهذا ينطبق أيضاً على كل خلق اللّه سواء أكانوا ملائكة أم جناً.

لكن اللّه حينما خلق السماوات والأرض، جعل كل ما فيها محكوماً ومرهوناً بإرادته، فحجب علمها حتى عن المقربين من الملائكة فهو وحده الذي انفرد بغيب وعلم السماوات والأرض وما فيهما.

فجبريل عليه السلام حينما وصل مع سيدنا محمد ﷺ سدرة المنتهى قال لمحمد ﷺ تقدم، فهذه حدودي رغم أن اللّه سبحانه وتعالى وصف جبريل عليه السلام بقوله:

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

والملائكة الذين لا يعرف عددهم إلا اللّه، وجّه اللّه لهم خطاباً بأنه يعلم ما يبدون وما كانوا يكتمون، وهذا سر عظمة الخلق أن يعرف الخالق ما في نفوس خلقه تكلّموا أو لم يتكلموا أفصحوا عن مرادهم أو لم يفصحوا.

فالملائكة يعرف اللّه سبحانه وتعالى ما في نفوسهم والبشر أيضاً يعلم ما في نفوسهم.

---

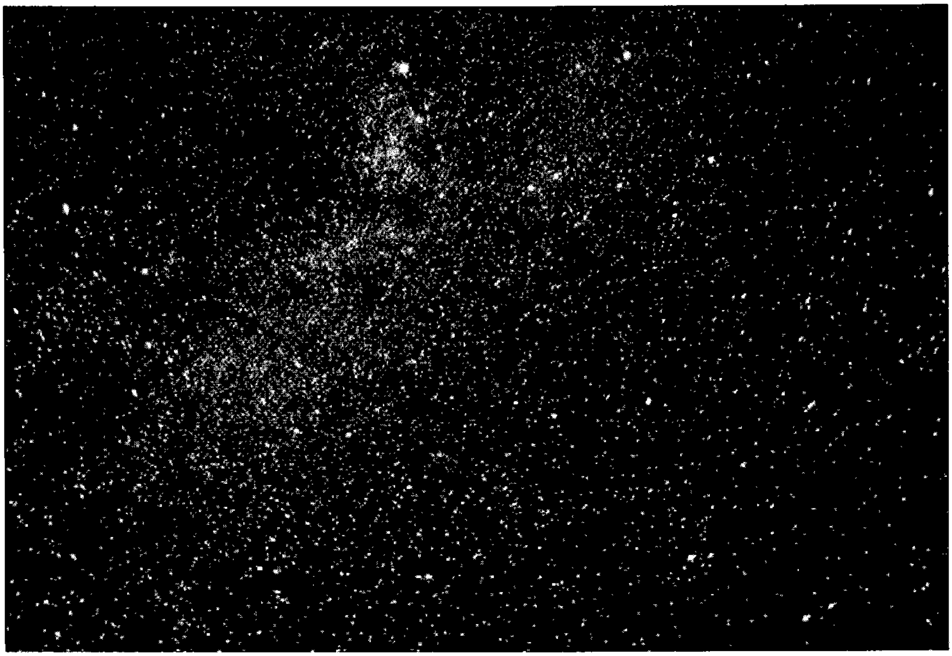
(١) ينبغي الإشارة هنا إلى أن قصة هاروت وماروت على التفصيل المشهور جاءت في روايات إسرائيلية لا ينبغي تصديقها أو تكذيبها، وأما الآيةوَمَا أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ للمفسرين فيها أقوال قد لا يتفق بعضها مع ظاهر الرواية الإسرائيلية.

يقول تعالى:

﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٢٥]

وليس غيب السماوات والأرض عن ما مضى وما هو حاضر، ولكن علم الغيب عند اللَّه عن كل ما سيحدث وعن كل ما نفكر فيه مستقبلاً، وهذا كمال الغيب والعلم لما في السماوات والأرض.



كواكب ونجوم وثقوب سوداء ومجرات لا يعلم عددها إلا الذي خلقها وعنده غيبها وعلمها

فعلم يوم القيامة غيب يعلمه اللَّه ويحدده تماماً في كتابه، وما ستقول الرسل إذا خاطبها اللَّه، يقول تعالى:

﴿ ﴾

سورة المائدة، الآية: ١٠٩

ويعلم ما ستقوله البشر جميعاً، أهل الجنة منهم وأهل النار، فأهل النار يقولون ﴿ ﴾ وأهل الجنة يقولون: ﴿ الذي صدقنا وعده ﴾

[سورة الزمر، الآية: ٧٤]

ويخبر اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن الكثير الذي سيحدث وعن الكثير الذي ستقوله البشرية يوم القيامة، فهذا هو الغيب.

وحينما أنزل اللَّه سبحانه وتعالى سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

[سورة المسد، الآية: ١]

وهي في حياة سيدنا محمد ﷺ وفي حياة الكافر أبي لهب، فماذا لو جاء أبو لهب وأعلن إسلامه على الملأ سواء كان إسلاماً صحيحاً أو للطعن في دين سيدنا محمد ﷺ وما جاء به من القرآن، ألم يكن هذا خطيراً.

ولكن اللَّه يعلم غيب السماوات والأرض، يعلم أن أبا لهب لن يفعلها ولو كان لمجرد تكذيب محمد ﷺ وتقويض دعوته، بل زاد أبو لهب في كفره وزاد في إيذائه لرسول اللَّه ﷺ بعد نزول تلك السورة.

فغيب السماوات والأرض أمر لا تستطيع مداركنا احتواءه، فهذا الخالق الذي يعلم دقائق الأمور، فما من حشرة أو هوام أو ورقة شجرة إلا وهي في علمه، حياتها وغذاؤها وتأمين سبل حياتها وحتى نهايتها.

فغيب السماوات والأرض أن يعلم ما في النجوم وما على الكواكب وما تحويه الأقمار، وكيف هي مواقع النجوم التي بينها ومقادير أحجامها، فالنملة التي تدب على الأرض وهي تسبّح بحمد ربها علمها يساوي العلم بأكبر النجوم التي في السماء.

فعلم الغيب الذي هو في السماوات والأرض، هو في أصغر الهوام وأدق الذرات وأكبر المخلوقات.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾

[سورة سبأ، الآية: ٣]

وغيب السماوات والأرض في الماضي والحاضر، وغيبها في المستقبل، وغيب السماوات والأرض هو علم كل الاحتمالات أنه لو لم يحدث هذا وحدث ذلك فما يكون عليه الاحتمال، فالاحتمالات كلها في

علم اللّه سبحانه وتعالى فإنه دائماً يختار الخير من مجموعة احتمالات، وإن بدا ذلك سيئاً للإنسان، وذلك لقوله تعالى:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢١٦]

يقول تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٧٩]

فالواقع الذي في علم اللّه هو خير، وإن لم نقبله ساعتها، وربما ندرك هذا الخير وهذا الاختيار الإلهي بعد مضي وقت معين، ونقول: الحمد للّه أن كان هذا ولم يكن غيره، فجاء الاعتراف من الملائكة ومن البشر أن علومهم قاصرة أمام علم اللّه وعلمه بالغيب.

وأخيراً إن كان كثيراً من خلق اللّه لا يدرك أكثر مما حوله، ولكن الإنسان استطاع أن يستوعب معاني قدرة اللّه ويفهمها من خلال هذا التركيب الخلقي الرائع الذي منحه اللّه العقل والذاكرة والاستيعاب والذكاء، فكان خلقه في البداية تساؤلاً من الملائكة، أخفوا ذلك أم أعلنوا، فاللّه يعلم ما يبدون وما كانوا يكتمون، وهم لا يدركون قيمته، وحينما خاطب الخالق ملائكته بأنه يعلم غيب السماوات والأرض، وهنا إشارة واضحة أن من جملة هذا الغيب الإنسان الذي تساءلتم عن خلقه، وهو أدرى وأعلم بما خلق اللّه، وللّه الأمر من قبل ومن بعد، فالماضي والحاضر والمستقبل كله بقبضة الرحمن وإرادته ومشيئته.

آية الكرسي
(سيدة آي القرآن الكريم)
تسعة علوم وحقائق

يقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

القرآن الكريم كنز لا تنتهي نفائسه ودرره وجواهره... فقد صنفت عبر تاريخه الطويل آلاف الكتب في تفسيره وتفصيله وشرح مفرداته وبيان معجزاته.

وقف في مسالكه العلماء حائرين وفي بحر كلماته تاه المفسرون.. وزادت أنواره على مر الزمان ضياءً وبهاءً وجلالاً.

سجدت لآياته العقول والنفوس والقلوب والأجساد.. وخضعت لعظمته الجبابرة.. وسجد بين يديه أهل اللغة والعلم والبيان والبلاغة طائعين مستسلمين.

في كل كلمة خشوع، وفي كل آية هيبة، وفي كل سورة علم وقدرة الحكيم الخبير... فهو الكتاب المعجز الذي لا يشبع منه العلماء، ولا يملُّه الأتقياء، ولا يفوز بشرفه إلا السعداء... من تركه من جبار قصمه اللَّه، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله اللَّه سبحانه وتعالى.

وآية الكرسي إحدى أعظم درره وجواهره النفيسة، التي قال عنها رسول اللَّه ﷺ: «**أنها سيدة أي القرآن الكريم**» حظيت باهتمام جميع المسلمين، فحفظها الصغير كما حفظها الكبير وقلما تجد مسلماً لا يحفظها ويرددها،

وقلما تدخل بيتاً مسلماً لا تجد فيه آية الكرسي تتربع في الصدور والقلوب، وكتبت وعلقت في صدور المجالس لتكون حافظاً أميناً.

عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ سأله: «أي آية في كتاب اللّه أعظم؟ قال: اللّه ورسوله أعلم، فرددها مراراً ثم قال: «**آية الكرسي**»، قال: «ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إن لها لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش»(١) وصح في الحديث أنها تجير من الشياطين، وفي المسند عن أنس مرفوعاً «أنها ربع القرآن»، وفيه وفي السنن «أن فيها اسم اللّه الأعظم». وورد في حديث، فضل تلاوتها دبر كل صلاة.

وبعد دراستي لهذه الآية العظيمة وجدت فيها تسع حقائق وعلوم عظيمة كل حقيقة وعلم قائم بذاته، تؤلف بانسجام رائع في ما بينها حقيقة وحدانية اللّه وقدرته وعلمه.

فمع هذه الآية الكريمة التي هي من أسرار اللّه، وواحدة من قدرته وعلمه، الذي ليس له بداية ونهاية.

قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾

[سورة البقرة، آية: ٢٥٥]

إننا أمام آية قرآنية معجزة، جمعت علوماً وحقائق إن حاولنا التفصيل الحق لا يسعها كتاب كامل، وقد وصفها رسول اللّه ﷺ بأنها سيدة آي القرآن الكريم وقد صدق.

فإن هذه الآية القرآنية، تتحدث عن تسعة علوم وحقائق متصلة بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً، ولولا تفصيلها من اللّه سبحانه فأنّى لنا أن نعرف ما فيها مع علم الغيب الذي لا يمكن أن نصل إليه لولا أن أخبرنا اللّه سبحانه وتعالى عنه.

---

(١) ساق الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات جملة من الأحاديث الواردة في فضل هذه الآية (١/ ٣٠٤)

إضافة إلى هذا الانسجام الرائع بين كلمات تنساب بسهولة، ويسر يفهمها البعيد والقريب والعالم والمتعلم، تتألف كلماتها على شكل هرم هندسي رائع التصميم، تبدأ من الأعلى بكلمة الحق وهي وحدانية اللّه، وتتوسع الآية الكريمة حتى تنتهي بقاعدة راسخة، وهي حفظ اللّه المتين لخلقه وما خلق بعلمه وقدرته.

والآية كما قلت تتحدث عن تسعة علوم وحقائق إلهية جمع اللّه فيها الحق والعلم والقدرة، فهو الأول والآخر وهو الحي الباقي القيوم.

ولجمال هذه الآية الكريمة فإنك تجدها على كل لسان، يرددها المؤمن في كل يوم، فقد حفظتها العقول واختزنتها الذاكرة لحاجتهما إلى هذه الكلمات الإلهية ذات التسلسل اللفظي الرائع، والتي تحمل حقائق الوجود والكون؛ وتحس والآية معك أنك مع اللّه وجلال القدرة والهيبة الإلهية، وتحس أيضاً أنك محفوظ من اللّه سبحانه، وأنت جزء من هذا الكون الفسيح الذي حفظه اللّه وما أعجزه حفظه ومتابعته، فالآية أمان للنفس والروح والجسد.

فما هذه العلوم التسعة في هذه الآية المعجزة؟

العلم الأول: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

وهو العلم الأول والأخير: وهو حقيقة وحدانية اللّه سبحانه وتعالى، وأنه لا إله غيره... خلق بالحق وحكم بالعدل، وأوجد من العلم والقدرة بالحق، لا إله إلا هو، هي حقيقة الوحدانية وسرّ الوجود بأكمله.

وسبب الوجود وتوحيد الحي الموجود من أهل السماوات والأرض، فما خلق اللّه الخلق كلهم ملائكته وإنسه وجنه إلا ليعلمهم أنه هو اللّه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد.

يقول تعالى:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾

[سورة محمد، الآية: ١٩]

وكل الخلق الذين في السماوات والأرض متعلقون جميعاً بتلك الرحمة

الإلهية، التي جاءت من وحدانية اللّه سبحانه وتعالى.

فأي شيء في الوجود يعيش على حقيقة (لا إله إلا اللّه)، لأن السماوات والأرض تفسد وتنتهي لو كان في حقيقة الوجود إلّهان أو أكثر، وصدق اللّه تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٢٢]

فكيف يشرك الناس باللّه؟!! وهو الذي وهبهم العقل الذي هو أكبر حجة على من أشرك باللّه، لأن العقل فُطر على وحدانية اللّه، وهو الذي يحكم دون ريب أو شك بوجود إله واحد، ولا يمكن لهذا الكون أن يكون فيه إلّهان أو أكثر.

فهل يقبل إنسان يعيش على هذه الأرض... حقيقة وجود ملكين أو رئيسين لأي دولة وإن وجد أفلا تنهار الدولة التي فيها رئيسان؟! فكيف يقبل عقله إذن وجود إلّهين في هذه الدنيا؟! فحقيقة وحدانية اللّه حقيقة مطلقة لا يمكن حتى مناقشتها، فالحياة بكل صورها في السماوات وفي الأرض قائمة على حقيقة شهادة أن لا إله إلا اللّه، ومن لم يقلها أو أشرك بها فقد خسر نفسه وخسر الدنيا وخسر الآخرة.

واللّه سبحانه يقول في الحديث القدسي:

(يا موسَى لو وَزنْت السماوات السبع والأراضينَ السبع بكلمةِ لا إِله إِلا اللّه لَوزنتهُمْ)[١].

فالسماوات السبع وما فيهن والأرضون السبع وما فيهن، لا تزن ذرة عند اللّه أمام حقيقة لا إله إلا اللّه بمدلولاتها ومفهومها، ومن ثم وزنها الحق.

العلم الثاني: ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾

اللّه سبحانه وتعالى حي، وأنا حي، ولكن حياة اللّه ليست بالمفهوم الذي عليه حياتنا..

---

(١) رواه ابن ماجه والنسائي وابن حبان والحاكم عن (أبي سعيد).

١ ـ إنه الحي الذي لا يموت.

٢ ـ إنه الحي الذي بحياته تحيا مخلوقاته كلها.

٣ ـ إنه الحي الذي بحياته تبقى كل مخلوقاته، ويبقى الجماد حياً بقانونه.

٤ ـ إنه الحي الذي بحياته تبقى السماوات والأرض فلا تزول.

٥ ـ إنه الحي الذي بحياته تبقى الجنة والنار. . . إلخ.

لذا فإن اللّه سبحانه قال ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ ولم يقل الحي العليم، أو الحي الخبير، لأن لفظة الحي متلازمة مع القيوم، والقيوم: القائم والمشرف والمراقب بأعلى وأرقى أنواع المراقبة وأبلغها شأناً.

ولولا أنه القيوم على ملكه وعلى خلقه لفسد كل شيء وانتهت صور الوجود المادية والروحية، وذلك أن اللّه حدد رقابته الشديدة والمبالغ بها بأنها لا تأخذه سنة، وذلك تقدير العزيز الحكيم، فلو أنه حدثت وحاشى للّه سهوة أو غفوة من اللّه لضاعت السماوات والأرض وانتهى الوجود.

فهذا علم لا ندركه ونحن لاهون عن قدرة اللّه سبحانه وتعالى، لذلك رفع اللّه سبحانه وتعالى الذاكرين والمفكرين في خلق السماوات والأرض إلى مرتبة عالية جداً، لأنهم مع اللّه يعيشون في مملكته وهم أقدر الناس على فهم الحي القيوم، ولأن هؤلاء يدركون حقائق الوجود من خلال عرضهم وقربهم للّه في عقولهم وأفكارهم وفي أجسادهم، والآية الكريمة فيها ارتباط رائع من حيث اللغة وانسياب الألفاظ والكلمات المتصلة اتصالاً وثيقاً في المعنى، فلكل كلمة مقام، ومعجزة اللّه سبحانه وتعالى في قرآنه، أن جميع الألفاظ والكلمات مترابطة بالمعنى الصحيح الذي ربما يكون أحياناً خافياً عنا معلوماً من اللّه لأن الخالق هو البارئ الذي له العلم أولاً وآخراً، وحقائق الأمور كلها بيده وهو أعلم بها وأخبر.

العلم الثالث: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

فاللّه سبحانه وتعالى يخبرنا عن نفسه ويطلعنا على فعله الحق وحاله الحق، فالسهو والنوم صفات بشرية يتنزه اللّه عنها كما أنه يتنزه عن كل أفعال وحركات البشر، يقول تعالى عن نفسه:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾

[سورة الشورى، الآية: ١١]

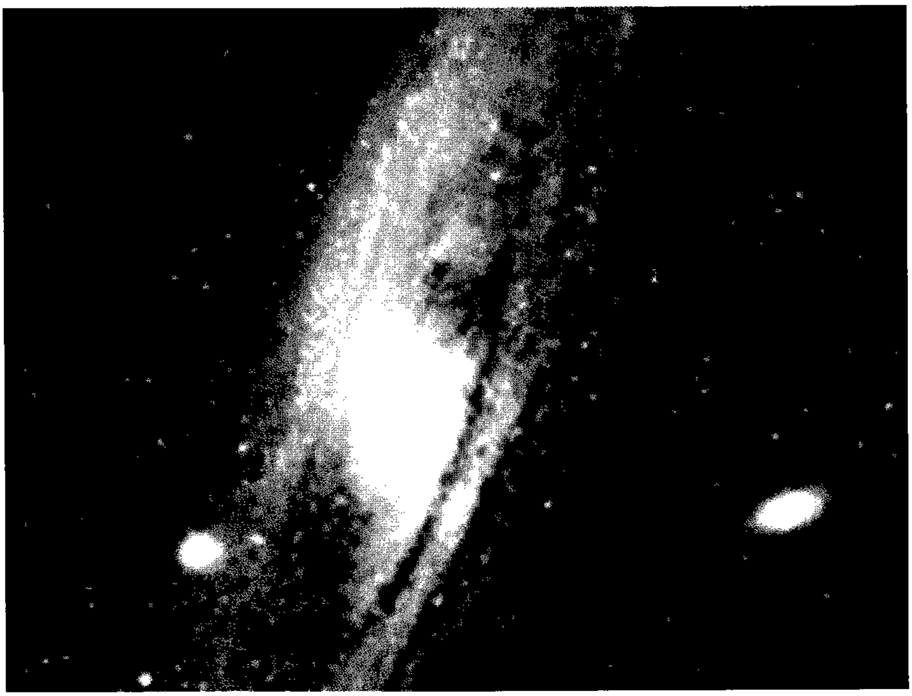
فالسهو والنوم يكون لمن يحل عليه التعب واللغوب، وتظهر عليه أمارات الإرهاق، أو لمن لا يجد وسيلة لمعالجة أموره فيجد النوم خير وسيلة لمعالجة أموره إذا عجز عنها، ولكن اللَّه سبحانه وتعالى منزه عن هذا كله وعن هذه الصفات التي هي لخلقه،

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾

[سورة ق، الآية: ٣٨]

فخلق السماوات والأرض خلق كبير وعظيم، وقد خلقهم اللَّه وأوجدهم وما أصابه تعب ولا نصب.



مليارات المليارات من النجوم وأضعافها من الكواكب والأقمار
وما بين كل نجمين ملايين الكيلومترات كل هذا خلقه اللّه وما مسّه من لغوب يا سبحان اللّه!

إذا فاللَّه ليس بحاجة إلى الراحة أو النوم، فالنوم منشأه التعب

والإجهاد، ثم أي سهوة أو سِنة أو غفوة أو نوم يقع من اللَّه سبحانه وتعالى وحاشا للَّه ذلك، فلو أنه حدث فإن السماوات والأرض وحتى الجنة والنار تهوي على غير قرار.

ولم يعد شيء يسمى كوناً أو وجوداً أو حياة، فإن حدث فإن أي صورة من صور الحياة تختفي ولا يبقى لها أي أثر.

فأنت كإنسان حينما تنام فإنك تفقد الأهلية في مراقبة ما كنت تستطيع أن تراقبه، وأنت بحالة اليقظة، فإن كنت قائداً لسفينة فإنك تستطيع أن تقودها وأنت في حالة اليقظة ولكن هل تستطيع أن تقودها وأنت في حالة النوم؟! وحتى لو كنت تقودها وأنت في حال اليقظة ثم سهوت لثوان فربما تضيع السفينة ومن عليها وتهوي في قرار لا عودة منه.

فكيف بمن يملك زمام السماوات السبع والأراضين السبع وما بينهما وما فوقهما، وأمر الجنة وأمر النار وأمر ما لا نعلم، فكيف يسهو وكيف ينام، ألم يقل اللَّه سبحانه:

﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾

[سورة الحج، الآية: ٦٥]

فالمعنى واضح أن السماء رغم قانونها الانضباطي والجاذبي المتماسك لولا رقابة اللَّه لانفك هذا الربط، وانحلت هذه الجاذبية وضاعت السماء وضاعت الأرض.

فهل أثبت العلم أن جميع هذه النجوم والكواكب والأقمار والمذنبات محكومة بأمر نفسها ليس هناك من يسيرها؟ وهل هذه الشهب والنيازك منضبطة من تلقاء نفسها تسير بحكمة نفسها وتصيب الكواكب والأقمار دون ضابط وإرشاد؟ وهذا النيزك الهائل الذي أصاب كوكب المشتري منذ أعوام قليلة، هل أصابها عشوائياً أم بأمر موجه إليه مضبوط ومحكوم؟

وتصور أن هذه النجوم والكواكب والشهب والنيازك والمذنبات تسير في السماء وقد غفل اللَّه سبحانه وتعالى عنها ثوان فماذا يحدث؟

فلنسأل علماء الفلك عن هذه الكواكب والنجوم والمذنبات إذا ضاعت عنها المراقبة فماذا يحدث؟

يقول علماء الفلك: إن هذه النجوم والكواكب والمذنبات والشهب والنيازك مضبوطة بقانون محكم إحكاماً دقيقاً جداً، لو سها من القوة الخارقة [يقصدون اللّه] عن متابعة هذا القانون لثوان وليس دقائق، فإننا لا نستطيع أن نتابع أي شيء، لأن وجودنا يكون قد انتهى.

ومن ناحية أخرى فإن اللّه سبحانه وتعالى لو سها أو نام لضاع اسمه، إنه الحق والحكم والعدل فكيف يكون تمام العدل والحق وقد سها أو نام عن مخلوقاته؟!

وإذا كنا كبشر عقلاء نستطيع أن نسعى في رزقنا لثوان أو دقائق، فمن يؤمن رزق هذه الدودة ويتابعها التي هي في بطن صخرة صماء.

ثم إن اللّه لو سها أو نام لضاعت عنه لحظات من المراقبة الشديدة على مخلوقاته، فإن حكم علينا يوم القيامة وقد سها عنا ثوان فإن الحكم لا يأخذ صفة الحكم العدل ويبقى الحكم ناقصاً، حتى لو كان جزءاً من واحد من ثانية.

ثم إن اللّه لو سها أو نام فلا بد من إله غيره يدير دفة الحكم في الكون لئلا ينهار أو يسقط، وحاشى للّه أن يكون له شريك في الملك.

وصدق اللّه تعالى إذ يقول:

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٢٢]

فما يراه الإله الأول وهو بحالة المراقبة لا يراه الآخر فتفسد الأمور وتضيع، وحاشى للّه سبحانه وتعالى ذلك..

فأساس الخلق (العدل والرقابة الحقة).

واللّه تعالى يقول:

﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾

[سورة ق، الآية: ١٦]

ثم إن اللّه سبحانه وتعالى يقول في كثير من الآيات، إنه كان رقيباً علينا ويعلم سرنا وجهرنا وما تخفي صدورنا.

وكيف أن اللّه سبحانه وتعالى جعل رقابته الشديدة والحازمة على خلقه أساس عدله ثم يسهو أو ينام؟!

فالمنطق والعقل يشيران فعلاً أن اللّٰه سبحانه وتعالى لو سها. . ولو قَدْرَ جزءٍ من ثانية فإن هذا الكون كله سماءه وأرضه وخلقه سيضيع بلا عودة في هذا الجزء الصغير من الثانية.

العلم الرابع: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾

لو لم تكن السماوات والأرض للّٰه فلمن تكون؟ ومن هو الذي يدعي ملكيتها؟ ومن الذي يدعي خلقها؟ أو خلق جزء منها؟ أو أقل القليل منها؟ بل من يدعي أنه خلق دودة في الأرض؟ ومن جاء بحيوان وقال: لقد خلقت هذا على مرأى من الناس وسمعهم؟

وهذا كله يعلمه اللّٰه سبحانه وتعالى ويدركه ويعرفه حق المعرفة.

يقول تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

[سورة العنكبوت، الآية: ٦٢]

وهذه الآية مخصوصة لمن أشرك وكفر باللّٰه، ومع ذلك فإنهم لا يستطيعون نكران هذا الحق الإلهي بالخلق، وأنه الخالق الوحيد لهذا الكون.

فلا يستطيع أحد أن يقول: أنا الذي خلقت وأن هذا ملكي، إلا مجنون، وإن لم يكن مجنوناً ستشهد عليه البشر كلهم دون استثناء من أحد بالجنون، فلا أحد يستطيع أن يدَّعي أنه الخالق أو أنه يستطيع أن يسير جزءاً من هذا الكون أو جرماً واحداً، وكل من ادَّعى الألوهية في تاريخ الأرض تجنب السماء في ألوهيته حتى لا يكتشف أنه عاجز أو ضعيف، ذلك أنه لا يملك سلطاناً عليها فكيف يدعي خلقها أو خلق جزء منها أو تسيير جزء منها، وهذا ما حدث بين إبراهيم عليه السلام والنمرود.

يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٨]

إذاً، فحقيقة ملك السماوات والأرض وأنها للّه، حقيقة مسلم بها ومثبتة لدى عقول كل الخلائق.



صورة تمثل عدداً من التجمعات والمجرات ومجرة درب التبانة. . .
والصورة تبين موقع وحجم المجموعة الشمسية لمجرة درب التبانة التي لا تشكل بالنسبة للسماء إلا واحدة من مليارات المليارات من المجرات. سبحان اللّه!

ثم إن ملك السماوات والأرض يحتاج إلى أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين القادر العليم، فأول الصفات اللازمة لمن يملك السماوات والأرض ـ الرحمة ـ الكرم ـ القدرة ـ العلم.

فمن يملك هذه الصفات الحميدة، وهو منزه عن صفات القسوة والبخل والغضب إلا اللّه سبحانه وتعالى؟

فأما خلقه، فهم بعيدون عن أحقية الملك لأنهم غير منزهين وغير مؤهلين، ويحملون صفات الأنانية والبخل والجبن والقسوة، فهم غير مؤهلين لهذا الشرف العظيم.

وقد عبر اللّه سبحانه وتعالى عن هذا بقوله تعالى:

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ١٠٠]

إذاً، فهذه حقيقة مطلقة، فلو أننا المالكون لهذه الخزائن التي يملكها اللّه لأمسكنا عليها خوف الإنفاق، وذلك لأننا نحمل عوامل الطمع والجشع والبخل والأنانية، ولكن اللّه الحق، والحق في ملكه للسماوات والأرض منزه عن هذه الصفات، ورحمته سبقت غضبه ورحمته أيضاً وسعت كل شيء.

وقد أعطانا اللّه سبحانه وتعالى مثلاً لذلك (قارون) الذي ملك ما شاء اللّه له أن يملك، ولما طلب اللّه منه أن ينفق أمسك ولم ينفق خشية الإنفاق، لأنه مخلوق يحمل عوامل الأنانية والبخل فخسف اللّه به وبداره الأرض.

قال تعالى:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾

[سورة القصص، الآية: ٨١]

العلم الخامس: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾

وهذا علم من علم اللّه سبحانه وتعالى يغفل عنه الناس ولا يدركون معناه، وهم بعيدون عن معنى الشفاعة وقيمتها، فلو أنهم علموا حقيقة يوم القيامة وما فيه من أهوال الموقف والميزان والحساب والصراط، لأدركوا معنى الشفاعة التي ذكرها اللّه سبحانه وتعالى في كثير من الآيات في كتابه العزيز. فالشفاعة هي الشيء الوحيد الذي نحن بأمس الحاجة إليه يوم القيامة، فلو أنا نعرف حقيقة قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾

[سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧]

وقوله تعالى:

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ * وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ * وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾

[سورة المعارج، الآيات: ١١ ـ ١٤]

لأدركنا قيمة الشفاعة التي هي المنقذ لنا من عذاب اللّه يوم القيامة،

ولو أننا ندرك حقيقة الشفاعة وحاجة الناس إليها يوم القيامة، لما أنهينا دعاء ندعوه للّه ولا صلاة نصليها للّه إلا وقلنا: اللّهم شفع فينا من تحب، وشفعنا يوم القيامة بمن نحب.

ولو ذكرنا بعض الآيات القرآنية الكريمة بخصوص الشفاعة على سبيل المثال لا الحصر، يقول تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾

[سورة النبأ، الآية: ٣٨]

ويقول تعالى:

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٤٨]

وحينما يقف المرء أمام ربه يوم القيامة وحسنة واحدة هي الفيصل إما إلى الجنة وإما إلى النار، سيدرك حاجته لشفيع يشفع له.

ولو علمت البشرية جميعاً وهم يستغيثون من هذا الموقف العظيم يوم القيامة والشمس تدنو من الرؤوس قدر ميل والعرق يغطهم إلى آذانهم، وهم يستغيثون بأنبياء اللّه سبحانه وتعالى، ولكنهم يرفضون ويحولونها إلى سيدنا محمد ﷺ، لفهموا أن الشفاعة هي المخرج الوحيد من هذا الهول العظيم.

ولو أنا نعلم أن الرسل جميعهم يوم القيامة حينما يرون ما يرون من هول يوم القيامة يخرون ويجثون على ركبهم، وكل يقول: (اللّهم نفسي اللّهم نفسي) إلا سيدنا محمد ﷺ الذي يقول **(اللّهم أمتي اللّهم أمتي)** لأدركنا قيمة شفاعة رسول اللّه ﷺ

يقول عليه الصلاة والسلام:

(إن لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)[(١)]

(١) رواه البخاري والإمام أحمد وأخرجه مسلم كتاب باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته رقم ٣٣٤.

وهذه الدعوة هي شفاعته لأمته، والآن لماذا الشفاعة؟

لأن الشفاعة لها قيمة كبيرة جداً عند اللّه فمتى قبلها اللّه فقد غفر.

ولكن من هم الذين يأذن اللّه لهم بالشفاعة؟!

فالشفاعة التي قصدها في كل آيات كتابه الكريم هي الشفاعة ليوم القيامة، وأما الدنيا فلا شفاعة فيها لأنها لا تساوي عند اللّه جناح بعوضة.

فالقيامة حين تقوم ويأمر اللّه بها، يكون اللّه سبحانه وتعالى بحالة من الغضب على عباده الكافر منهم والعاصي، وذلك لأن اللّه أنظرهم في الدنيا وصبر عليهم كثيراً، وأما الآن فقد وقع عليهم عذاب اللّه.

فأول القيامة هذا الموقف العظيم الذي يومه كخمسين ألف سنة مما نَعدُّ، يقف الناس على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي لا علم فيها لأحد، تدنو الشمس منهم فيسيل العرق حتى يصل إلى أفواههم وهم حفاة عراة غرلاً زيادة في العقاب، فتجأر الناس لهول الموقف وعذابه العظيم وتقول: خذونا ولو إلى النار وخلصونا من هذا العذاب العظيم.

فلا ينفع في هذا اليوم العظيم إلا الشفاعة، وهذا ما قصده اللّه تعالى..
﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾

فليس للعباد من ملجأ إلا سيدنا محمد ﷺ، فيشفع للخلائق فيأذن اللّه ويبدأ فصل الحساب، وحينما يبدأ فصل الحساب يعود الناس مرة أخرى إلى طلب الشفاعة لأنهم بأمس الحاجة إليها.

فيأذن أول ما يأذن لسيدنا محمد ﷺ ثم يأذن اللّه بالشفاعة لمن ارتضى له قولاً:

فلا أحد في الخلق يشفع إلاه،
إذا كان يوم العرض والحشر واللقا.
ويسأله فصل القضاء فيعطاه،
فيسجد تحت العرش للّه سجدة.

العلم السادس: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾

والمقصود أن اللّه يعلم ما بين أيدي أهل السماوات السبع والأرض وما

خلفهم، وكلمة يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم شاملة لكل أنواع العلم، ولو أن اللّه سبحانه وتعالى قال يعرف ما بين أيديهم فيكون المعنى: أن اللّه يعرف ما يقدمون من عمل بين أيديهم.

ولكن اللّه سبحانه قال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فالإنسان لا يقدم عملاً من خلفه ولكن يقدم عمله بين يديه، لذا فالمقصود في هذه الآية أن اللّه يعلم كل شيء عن عباده تفكيراً وعملاً وما توسوس به أنفسهم وما يبدونه وما يخفونه، فالمراقبة والعلم الإلهي شامل للجسد والعقل والفكر لكل أهل السماوات وأهل الأرض.

يقول تعالى في آيات أخرى في كتابه الكريم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾

[سورة ق، الآية:١٦]

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٣٣]

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾

[سورة غافر، الآية: ١٩]

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾

[سورة سبأ، الآية: ٣]

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

[سورة ق، الآية: ١٨]

إذاً، فعلم اللّه سبحانه بالمخلوقات والأشياء علم مطلق لا يشوبه نقص، ولو كان مثقال ذرة.

فالذرة وأجزاؤها في علم اللّه وتحت مراقبته لا تغيب عنه، ولقد ثبت علمياً أن الذرة وأجزاءها هي أصغر ما في الوجود حجماً، ومقاساً ومع ذلك فهي في علم اللّه خلقها ودورة وجودها.

يقول تعالى:

﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾

[سورة سبأ، الآية: ٣]

وهذه الآية تنبيه وإنذار لأهل السماوات والأرض، أنكم جميعاً في قبضة الرحمن وتحت مراقبته الشديدة والحازمة، وهذه الآية كأنها بيان لآية الشفاعة لقوله تعالى:

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

فإن الشفاعة لا تكون إلا إذا ارتضى اللَّه وشاء، فهو يعلم عن خلقه كل شيء وهو أعلم بمن يستحق الشفاعة ممن لا يستحق.

وليست الشفاعة في يوم القيامة لبدء الحساب وتخليص الناس من يوم الموقف العظيم، بل الشفاعة تمتد لسيدنا محمد ﷺ فتصل إلى الميزان وإخراج أمته من النار ثم يأذن اللَّه بالشفاعة لكثير من عباده الصالحين فيشفعون لذويهم وأهليهم.

العلم السابع: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن الإنسان لا يحيط من العلم إلا بما أذن اللَّه سبحانه وتعالى وشاء.

وهذه حقيقة ربما لم تدركها الأجيال السابقة بقدر ما أدركها هذا الجيل، الذي استطاع بعلمه أن يكتشف من قدرة اللَّه ما يشاء اللَّه.

وكلما ازدادت اكتشافات العلماء نقص عندهم الأمل في الوصول إلى النهاية، وصدق اللَّه تعالى حيث قال:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

والعلم الحقيقي أن توجد الشيء من العدم لا أن تكتشف سر الموجود أمامك، فالنبات مثلاً يعمل بأمر اللَّه سبحانه وتعالى ويأخذ الكربون من الهواء ويرسل الأكسجين، فهذه حقيقة علمية اكتشفها العلماء مؤخراً ولكنها حقيقة موجودة منذ ملايين السنين عاشتها أجيال كثيرة دون أن يعلموا عن هذه الحقيقة العلمية النباتية شيئاً.

وحين اكتشفوا هذه الحقيقة العلمية فما هم فاعلون، فهل يستطيعون تغيير تلك الواقعة العلمية وجعل النبات يأخذ الأكسجين ويطرح الكربون؟ أم

أنهم اكتشفوا هذه الظاهرة العلمية واعتبروها شيئاً ثابتاً وقانوناً فيزيائياً نباتياً لا تغيير فيه؟

فالإنسان مثلاً، يولد ويسمى وليداً. ثم طفلاً صبياً، ثم شاباً، ثم رجلاً ثم كهلاً، ثم شيخاً، وأخيراً يسمى عجوزاً فانياً.

هذه حقيقة الخلق وجدت منذ أن وجدت البشرية على الأرض وحتى هذه الساعة، هل استطاعت البشرية أن تغير من أمر تطور الإنسان شيئاً؟

وحينما يصبح الوليد شاباً يجد نفسه أنه محكوم بقوانين لا علاقة له بها فلا هو متحكم فيها ولا هو قادر على تغيير أي شيء منها.

إنه وجد الشمس تشرق في الصباح وتغرب في المساء، وتضيء له النهار، وترسل أشعتها التي هي أساس الحياة، ثم وجد القمر يطلع في وسط السماء ينير له الأرض في الليل البهيم، ثم يرفع رأسه قليلاً فيجد أن نجوماً لا حصر لها تسطع في السماء الدنيا مضيئة كعقلة الأصبع فلا هو طائلها ولا هو بفاعل أي شيء معها.

ثم وجد نفسه إذا جاع يجب أن يأكل، وإذا عطش يجب أن يشرب، ووجد له قلباً لا تصرف له معه، يعمل تلقائياً والنَفَسُ يدخل ويخرج ولا يستطيع بدونه أن يعيش دقيقة واحدة.

وأخيراً وجد نفسه يستطيع فقط أن يكتشف الموجود للتعامل معه من أجل حياته ومعاشه.

إذاً، فالإنسان يتعامل مع الموجود بما هو موجود، ولا يستطيع تحويل العدم إلى موجود، ولا يستطيع تحويل الموجود إلى عدم.

وتراه أخيراً ومهما أوتي من العلم رهن الموجود ومحكوماً بقانون لا يد له فيه وعليه أن يلتزم به، فلا يستطيع تحويله أو تغيير صفاته وتراه أخيراً يضطر للانصياع له واحترامه، هذا عن بعض علم أنفسنا وعن الأرض التي نعيش عليها، ورغم كل هذه الإمكانيات العلمية الهائلة، فإن العلماء يعترفون أنهم لا يزالون في بداية طريق اكتشاف الإنسان والكون، فكيف لهم بمعرفة ملكوت اللّه وعلمه واللّه سبحانه وتعالى يقول:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾

[سورة الكهف، الآية: ١٠٩]

ومن ثم فإن الإنسان الذي يعيش على الأرض لا يستطيع أن يتحمل من العلم أكثر مما أراد اللَّه له، فهو خالق عقلنا وجسدنا ويعلم أقصى ما يستطيع هذا الإنسان المخلوق حمله وتحمله أو إدراكه.

فاللَّه سبحانه حينما يقول: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

فهو خالق هذا الإنسان وهو أعلم بعقله ومداركه ويعلم أقصى تجاوزاته ويعلم الحد الأعلى لما يستطيع العقل أن يصل إليه.

فهذا العقل (الدماغ) لا يستطيع الإنسان مهما حاول دراسته أن يصل إلى حقائقه وطريقة عمله ليحول مساره أو يغير من إفرازاته.

فالعقل هو أرقى جزء في الإنسان، وهو المحرك الميكانيكي ولولاه لكان الإنسان أشبه بالحيوان، ولا فرق بينه وبين أي من الحيوانات على هذه الأرض إلا باختلاف الغرائز.

فإذا أردنا أن نكتشف سر هذا العقل لنعرف أسراره أو لنطوره، فلا بد لنا من عقل آخر أكبر من عقلنا وأرقى في المستوى، وبما أنه تعالى الخالق له فهو وحده الأعلم بهذا العقل وحاله ومقدراته.

وحينما يخاطبنا اللَّه بأننا لا نستطيع أن نحيط بعلمه، فإنما يخاطب هذا العقل المخلوق وهو أعلم بأن له طريقاً مرسوماً لا يستطيع تجاوزه، ثم إن اللَّه يعلم أن في هذا العقل قدرات مكبوتة تستطيع ولكن بالتدرج أن تصل إلى علوم وإمكانيات رائعة، ولكن في النهاية هي بالحدود المرسومة(١).

فاللَّه سبحانه الخالق الذي يستطيع بقدرته أن يوصل هذا العقل إلى ما يشاء وبما يشاء وحينما يشاء، وحينما أراد اللَّه أن يصل هذا العقل إلى بعض

---

(١) للإمام الغزالي رحمه الله قول في هذا الموضوع يقول: لا يستطيع الإنسان أن يحيط بعقله عقل آخر مثله، كما أنك لا تستطيع أن تحيط يدك بيدك ذاتها.

علم كما نشاهد في هذا العصر أوصله، ولكن بحدود مرسومة وما يقدر عليه العقل ودون تجاوزات.

والله أعلم.

العلم الثامن: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

وهذه الكلمات الكريمة جواب من غير سؤال بهذا الانسياق اللفظي والجمالي الرائع، فهي تحصيل جوابي لما قبلها ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ وكيف يحيطون بعلمه وقد وسع كرسيه السماوات السبع والأرض؟!!

وإذا أردنا أن ندرك ما معنى (الكرسي) الذي هو في علم الله والذي، وسع في عظمته وحجمه السماوات والأرض، فعلينا أن ندرك حقيقة السماوات والأرض، لنقترب من المعنى فقط لما هو عليه الكرسي.

وهذا دليل العظمة المتناهية والقوة التي لا حدود لها، فإذا كانت الأرض التي نعيش عليها لا تزال وقد بذلنا لها كل ما نملك في دراستها وما علمنا عنها إلا جزءاً يسيراً جداً وهي كوكب واحد في السماء الدنيا، فالسماوات سبع وأولها بالنسبة إلينا السماء الأولى، فهل هذه السماء التي نراها هي بداية السماء الأولى؟ أم هي فعلاً السماء الأولى!

أم هي كما قال بعض العلماء: فلزات للسماء الأولى؟ الحقيقة: أن العلم حتى هذه الساعة، لم يدرك حقائق الأرض والسماء ليضع قانوناً دقيقاً ثابتاً يعمل به البشر (وهو قانون السماء).

فالعلم وبعد أن اكتشف كثيراً من الحقائق العلمية المذهلة في علم السماء، لا يزال بعيداً عن عملية الربط المذهلة للموجودات، وكل الأقوال لا تزال محض نظريات تنتقض بصورة دائمة، ومع هذا فإن هناك حقائق ثبتت ولم تعد مجالاً لشك أو جدل أو تجديد أو تغيير.

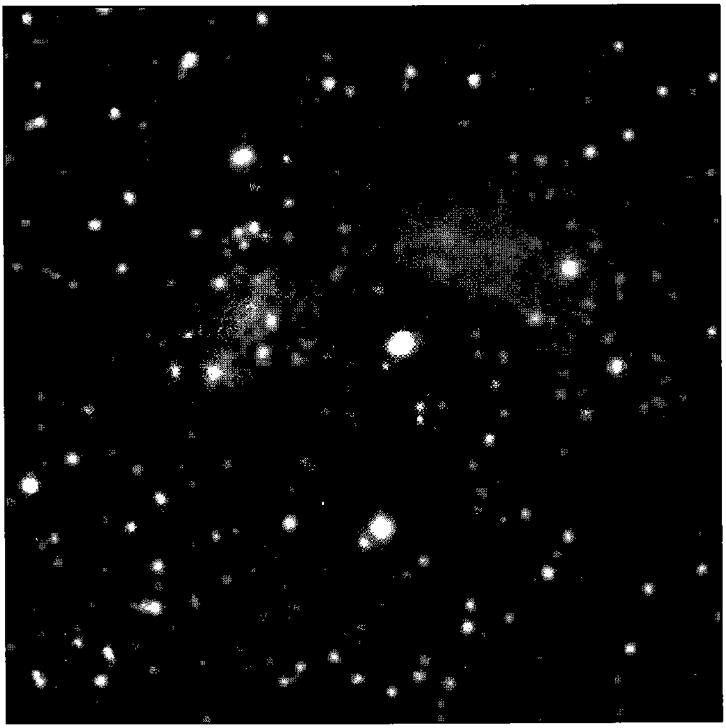
١ ـ أن السماء الدنيا حسب المكتشف حتى هذه الساعة مؤلفة من نجوم وكواكب وأقمار ومذنبات وكوكب أرضي واحد هو الذي نعيش عليه.

٢ ـ أن هذه النجوم والكواكب والأقمار مقسمة تقسيماً بمنتهى الدقة ومربوطة

ببعضها بقانون مغناطيسي وجاذبي حازم شديد ومأمور يعمل بمنتهى الدقة والانضباط.

٣ ـ أن هذه السماء منظومة هندسياً ومقسمة تقسيماً رائعاً يبدأ من التجمع الأصغر وهو المجموعة الشمسية الواحدة المؤلفة من عشرة كواكب وأكثر، ثم التجمع الثاني (المجرة)، وأقل المجرات التي بها مائة ألف مليون تجمع شمسي (مجموعة شمسية)[١]

ثم التجمع الثالث وهو تجمع مجري، ويكون تجمعاً يبدأ من أصغر تجمع وهو واحد وثلاثون مجرة وأكبره يتجاوز عشرات الألوف من المجرات.



آلاف المجرّات ومليارات النجوم وملايين الكواكب
اكتشفت حديثاً من مرصد جنوب فرنسا... وسيبقى الاكتشاف
مستمراً وكان من وسع كرسيه السموات والأرض

(١) جمال الكون ـ يمنى الزهار ـ الهيئة العامة للكتاب، مصر ـ الكون ذلك المجهول ـ جلال عبد الفتاح.

ثم الثقوب السوداء ومقابر النجوم التي تحوي مليارات من المجرات المنتهي عمرها[١]، ثم وجدوا أن قوة السماء تكمن في عظمة اتساعها، فإذا كان المكتشف في السماء حتى الآن يتجاوز ما لا يقل عن آلاف الملايين والمليارات والتريليونات من الكواكب والنجوم والأقمار والمذنبات والنيازك، ومع ذلك فإنهم وجدوا أن أقرب نجمين في السماء بعضهما لبعض لا يقل عن ملايين الكيلو مترات.

فهذه الأعداد الرقمية في أعداد النجوم، وهذا الاتساع الهائل بين أي نجمين تجد نفسك ومهما تخيلت لا تستطيع إدراك حقيقة السماء هذه بدقة، وأخيراً وقف العلماء بعد مئات السنين في البحث والدراسة على نقطتين مهمتين:

الأولى: أن المكتشف حتى الآن على عظيم اتساعه وكبر أرقامه، ليست السماء الأولى بل ربما تكون بداية السماء الأولى.

الثانية: أن هذا الكون الهائل عدداً واتساعاً والذي لا يمكن تحديده في اتساع مستمر دون توقف منذ أن خلقه الله سبحانه وتعالى، وقدره العلماء ١٣,٥ مليار سنة ونصف، والكون يسير نحو المجهول واللانهاية، فمثلاً أرضنا منطلقة نحو الفضاء بسرعة ثلاثة عشر ميلاً في الدقيقة الواحدة منذ أن خلقت.

وصدق الله حيث قال:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٤٧]

هذا ما استطاعه العلم حتى الآن، وإذا اعتبرنا أن الكون كله مسيرة يوم فأنا لا أظن أننا تجاوزنا حتى الآن أكثر من الدقيقة الأولى من مسيرة هذا اليوم الذي هو في علم السماء الدنيا، فماذا عن السماوات السبع وكيف نصل إلى علمها؟!!

فهل نستطيع الآن أن نتصور (الكرسي) الذي ذكره الله وقال:

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾

وإذا أردنا أن نسمع عن هذا الغيب العظيم ونعرف بعض الشيء، فلنسمع رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهو يقول:

(ما السماوات السبع للكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة، وما

(١) تاريخ موجز للزمان ـ ستيفن هونج (دار المعارف) المصرية.

السماوات السبع والكرسي للعرش إلا كحلقة ملقاة في فلاة)[١]

أيمكن لنا الآن أن نتصور شيئاً عن حجم الكرسي أم حجم العرش، أم يعجز عقلنا حتى عن التفكير في هذا الأمر؟!

نعم إن العقل يعجز، فعلم اللّه لا يحده عقل ولا تفكير، ونحن أبعد ما نكون عن الحقيقة، فحقيقة الأمور كلها بعلم اللّه، وكلما اكتشف الإنسان جديداً انطوى هذا الجديد عن جديد آخر[٢].

فإذا كان جبريل الملك المقرب من اللّه والذي وصفه اللّه سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [سورة التكوير، الآيتان: ٢٠، ٢١]

فإذا كان بهذه القوة وهذا القرب، ومع ذلك حينما وصل في المعراج إلى سدرة المنتهى مع سيدنا محمد ﷺ قال له تقدم يا محمد فإن أنا تقدمت احترقت، وإذا تقدمت أنت اخترقت.

فكيف لنا نحن البشر أن نعلم شيئاً عن قدرة اللّه وعن الكرسي وعن العرش، فهذا يبقى في علم اللّه حتى يشاء اللّه.

العلم التاسع: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾

والمعنى أن اللّه سبحانه وتعالى لا يعجزه ولا يتعبه ولا يرهقه حفظ ومراقبة الكرسي والسماوات السبع والأرض وما فيها.

وليس المعنى حفظهما مجردين للحفظ ولكن أن يحفظ ما فيهما، وأما ما فيهما فهو الغيب الحقيقي الذي لا يعلمه إلا اللّه سبحانه وتعالى.

والذى أمامنا نحن البشر أن في الأرض خلقاً، وأخبرنا أن في السماوات خلقاً ولكن كيف هي وما عددها، ففي علم اللّه وصدق اللّه تعالى بقوله سبحانه وتعالى:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥ / ٣٤٢.

(٢) اكتشف علماء الفلك في فرنسا أواخر عام ١٩٩٥ تجمع مجرات جديدة يحتوي على ٢٧ سبع وعشرون ألف مجرة محيطها ٢٩٠ مليون سنة ضوئية وتبعد ملايين السنوات الضوئية ـ مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٤١٦ هـ.

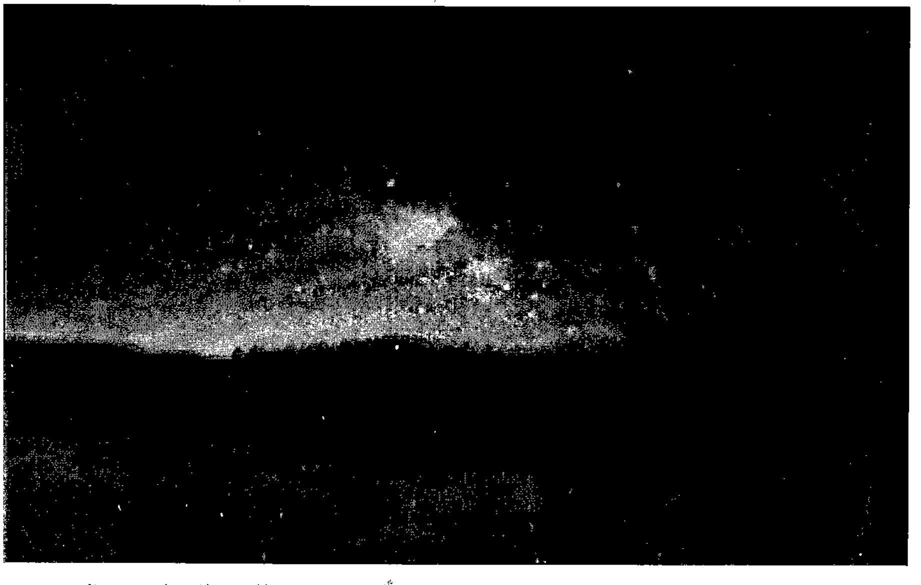
﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة المدثر، الآية: ٣١]

والخلق سواء أكان خلقاً متحركاً كالملائكة والإنس والجن أم خلقاً جامداً كالنجوم والكواكب والأقمار والماء والنبات، فكلها في حفظ اللّه ومتابعته في خلقها ودورة حياتها وانتهائها، فالجماد خلق له حياته التي علمها اللّه، يقول تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

فهذه الآية دليل قطعي على أن كل جماد له حياة خاصة يسبّح فيها اللّه سبحانه، فأي كوكب مكتشف حتى الآن لم يجدوا عليه خلقاً أو حياة في المفهوم البشري، ولكن وجدوا أن في كل كوكب جبالاً وودياناً وهيدروجيناً وأوكسجيناً وغازات وسحباً وربما ماءً، ووجدوا أن لكل كوكب شأنه حيث يختلف في تكوينه عن أي كوكب آخر له تحولات جغرافية وجوية تعتريه بصورة دائمة، فترى كوكباً تهبط فيه درجة الحرارة فيحول إلى كوكب متجمد، وكوكباً آخر تزيد فيه الحرارة ازدياداً مضطرداً، أو كوكباً تحيط به السحب وآخر لا سحب فيه، عالم غريب كبير أسراره في علم عالم الغيب والشهادة.



مجرة درب التبانة التي تنتمي إليها مجموعتنا الشمسية ـ تتألق في سماء الليل بتلك النجوم والمصابيح التي تبهج الأرض وساكنيها وفيها نتأمل قدرة اللّه سبحانه في خلقه وما خلق ولا يؤوده حفظهما

فحفظ الشيء في متابعته ومتابعة دورته في الحياة، وليس في خلقه فقط، وفي تأمين سبل حياته أو بقائه واستمراره، سواء أكان خلقاً أم جماداً، فالفراشة التي تطير في جو الأرض كيف يحفظها اللَّه؟ يحفظها في تأمين سبل حياتها ومعاشها حتى يقضى أجلها ثم يحفظ بيضها حتى تعود إلى دورة حياة جديدة، والدودة التي تعيش في باطن صخرة صماء من يعرف بوجودها إلا اللَّه؟ ومن يؤمن رزقها إلا اللَّه؟

وباطن الأرض من يحفظه ويسيره؟! وما أدرانا ما يحدث كل يوم في باطن الأرض من غليان وثورة وتآلف بين الغازات وتنافر؟! ومن الذي يعرف أين يجب أن تقع براكين الأرض، ما ينفجر اليوم وما يخمد حتى تتم عملية موازنة الأرض وحفظها من الميل والاهتزاز؟!

ومن يحفظ لي حياتي إذا نمت؟! ومن يعيد الروح للنائم؟! ومن يتابعني وأنا نائم فيحفظ قلبي ودماغي وأعضائي؟! من الحفيظ علي إذا نمت ونام جميع أهل بيتي ولم يكن فوقنا من يحرسنا ويحفظنا؟! فمن الرقيب والحفيظ؟! فهل يوجد غير اللَّه؟!!

فكمال الخلق كمال الحفظ ولا يمكن أن يكون الحفظ إلا من اللَّه الحق الذي أوجد وخلق بالحق وحفظ بالحق فهو تمام الكمال في العدل والحق والحفظ، وختام الآية الكريمة تلك الكلمتان الرائعتان اللتان جاءتا لتمام المعنى المراد ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾

فالذي تقدم من الآية الكريمة لا يمكن أن يكون إلا من العلي العظيم، الذي يعلو على كل خلقِه، ولا بد لمن يعلو وهو الأعلى والعلي أن يكون العظيم الأعظم يعلو لعظمته على كل خلقه، مهما كان شأنهم وأمرهم وما جبريل عليه السلام إلا أحد خلقِه، سد الخافقين حينما رآه رسول اللَّه ﷺ له ستمائة جناح ولو وضعت الأرض على طرف أحدها وقذف بها لهوت بلا عودة، وقد وصفه اللَّه سبحانه أنه ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾

[سورة النجم، الآيتان: ٥، ٦]

فلا أحد من الخلق إلا محفوظ بقدرة اللَّه مقهور بقوته وعظمته مهما قويت بنيته أو ظهر في ضعفه وصغر في حجمه، فالجميع في حفظ اللَّه ومراقبته.

واللَّه أعلم.

الخاتمة

قد تم بفضل اللَّه سبحانه الجزء الثالث من الموسوعة. . . ومع كل آية كان لنا وقفة طويلة. . الحديث في الجزءين الأولين اللذين تحدَّثا عن العلوم الكونية الصرفة جهزا القارئ لهذا الجزء الذي من خلال تفسير آياته يتوقف فيه العقل الإنساني خاشعاً للَّه سبحانه على كمال قدرته وإعجازه. . . نعم هذا الفضل الذي وهبنا اللَّه سبحانه إياه هو الذي يوصلنا إلى اللَّه سبحانه القادر العليم.

.. إن هذه الآيات الكريمة التي فسرناها قدر الاستطاعة مستفيدين من معطيات العصر بما قدم لنا من نظريات علمية، وحقائق علمية، وأنباء متواصلة علمية في عالم الفضاء وعالم الكون. . . هذا الجزء الذي يحمل عنوان (آيات اللَّه في خلق الكون ونشأة الحياة) حمل في طياته آيات الكون في القرآن الكريم. . . وعلمنا اللَّه كيف خلق الكون، وكيف بدأ خلق الكون. . . . العلماء وبعد قرون من البحث والاستقراء استقروا على رأي وساعدهم على هذا الاستقرار تلك الآلات الكبيرة الحديثة العلمية الإلكترونية، وتلك التلسكوبات التي وضعت فيها الدول كل إمكانياتها. .نعم استقروا على أن للكون بداية. . . قالوا كون أزلي فنقضت نظرية من قال بأزلية الكون. . وقال الوجوديون الكون أوجد نفسه بنفسه. . فنقضت نظريتهم. . . وقال بعضهم الكون هذا وهم فنقضت نظريتهم نقضاً شديداً لأنها تخالف العقل والمنطق والفهم والوجود. . . استقروا أخيراً أن للكون بداية. . وقالوا عنها. .إنها لحظة (الانفجار الكبير) ومن هذا الانفجار تكونت المجرات والنجوم. . ثم تمدد وهو لا يزال يتمدد إلى هذه الساعة. . . أذهلهم هذا الكون بعد أن اكتشفوا الكثير منه. . أذهلتهم هذه القدرة العظيمة. . أذهلهم هذا الكون الذي لا يعرف له أول ولا

يعرف له آخر . . . أذهلتهم هذه النجوم والكواكب و الأقمار التي تسبح في السماء بالمليارات ليس لها عمد تقف عليها ـ مربوطة بقدرة اللّه . . . بقانون الجاذبية الذي اكتشفه نيوتن . . . سألوا أنفسهم وماذا كان قبل نشأة الكون . . الإنسان كثير الجدل . . . اللّه سبحانه بقدرته وبما هيأ لهم من صناعة أدوات أوجد لهم مادتها وطيع الكون من حولهم . . لو شاء اللّه لما جعل لتلك العدسات التي تركب على التلسكوبات خاصية الرؤية وتقريب البعيد ـ ولكنه شاء ليروا قدرة اللّه . . . ليروا كيف نشأ الكون . . . العلماء يتساءلون ماذا كان قبل الانفجار الكبير قلنا كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴾ . . هم أي العلماء قالوا بنظرية الانفجار الكبير . . كل ما جاءهم من الكون أكد هذا الانفجار الكبير الذي وقع منذ (١٣,٥) ثلاثة عشر مليار سنة ونصف المليار . . ولكن ماذا كان قبل هذه المليارات من عمر الكون ومنذ لحظة الانفجار الكبير . . . عرفوا الانفجار الكبير، ولكن أنّى لهم معرفة ما قبل الانفجار الكبير، إنه سر الأسرار، ولكن اللّه سبحانه رحيم بالمؤمنين قال لهم ماذا كان قبل لحظة الانفجار الكبير قال: ﴿ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ وقال رسول اللّه ﷺ: [**كان اللّه ولم يكن معه شيء آخر**] . . بالانفجار الكبير بدأت الحياة تدب في هذا الكون اللامتناهي نجوم ـ كواكب ـ أقمار ـ سدم غازية ـ نيازك ـ شهب ـ مذنبات ـ أحجار كونية ـ بدأت الحياة تدب ـ بدأت عناصرها بالانتشار غازات الهليوم ـ النيتروجين ـ . . . إلخ . . . خلق الكون أمر عظيم تبين القارئ في هذه الآيات الكريمة في هذا الجزء خلق هذا الكون، تَبين قدرة اللّه، تَبين كيف نشأت الحياة . . لا تجد آية واحدة في القرآن الكريم خالفها العلم . . بل كلها أيدها العلم . . وسيؤيدها وكلما تقدم العلم زادت معرفتهم بالقادر الذي بنى الكون . . . التلسكوبات بعدساتها وقربت البعيد ووصلوا إلى أبعد مجرة حتى الآن والتي تبعد ١٥ خمسة عشر مليار سنة ضوئية ولا يزال البحث جار عن المجرة الأبعد . . كون لا يعلم منتهاه إلا خالقه . . . في هذا الجزء أبحرنا في ملكوت اللّه وكنا ممن يتفكر بخلق هذا الكون . . إنه معجزة المعجزات وقدرة الخالق وعلم العليم . . . . فهل وفقنا بالبيان والتفصيل . . اللّه وحده أعلم . . لأنه ومهما قدمت عن علم

الكون يبقى ناقصاً. . ولكن هبة اللَّه للإنسان هذا العقل وبه وصل إلى هذا الكون السحيق فبالعقل أكرمنا، وبالعقل وصلنا. . ومن هذا العقل سيكون الحساب يوم القيامة. . خلق مكلفون ومحاسبون وأشد الناس حساباً أولئك الذين رأوا قدرة اللَّه وما آمنوا. . اللَّهم اجعلنا مؤمنين مسلمين موحدين وشاهدين واللَّه على كل شي قدير.

د. ماهر أحمد الصوفي

آيات الله

في السماء الدنيا والسماوات السبع

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

١

. . . في الغرب، أو عند علماء الفلك الغربيين ليس هناك من تسمية قبل عنوان هذا الجزء من الموسوعة، فلا يعرفون شيئاً عن شيء اسمه السماء الدنيا أو السماوات السبع . . . وكل ما يعرفونه أن هذه سماء فوقهم . . . أو ما فوقهم هو هذا الكون الشاسع المترامي الأطراف الذي لا يعرف له حدود.

. . . في القرآن الكريم هي سماء ولكن اللّه سبحانه وتعالى سوَّاها سبع سماوات.

يقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة البقرة، آية: ٢٩]

ويقول تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾

[سورة الطلاق، آية: ١٢]

وكذلك في كثير من الآيات القرآنية عندما يتحدث اللّه سبحانه وتعالى عن خلق السماوات أنها سبع سموات.

يقول تعالى:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

وقد سميت السماء الأولى عند رسول اللّه ﷺ بالسماء الدنيا في أحاديثه الشريفة:

* عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي اللّه عنهما قالا: قال رسول اللّه ﷺ:

(إن اللّه تعالى يمهل إذا كان ثلث الليل الأخير نزل اللّه إلى سماء الدنيا فنادى هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من داع؟ حتى ينفجر الفجر)[(١)]

فأين حدود السماء الدنيا أو السماء الأولى بعض العلماء قال: إن حدود السماء الدنيا هي الغلاف الجوي والذي يمتد إلى مسافة ١٠٠٠ ألف كم فوق سطح الأرض أو حدود المجموعة الشمسية بكواكبها التسعة أو العشرة مع الكوكب الجديد المكتشف (إكس) أو أحد عشر مع الكوكب المتوقع الأخير (فولكانو)... ولكن هذا مجرد رأي... لا أحد يستطيع أن يجزم به... وقد تأكد في القرآن الكريم تقسيم السماء إلى سبع سماوات بعد أن كانت سماء واحدة كما في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾

[سورة فصلت، الآيتان: ١١، ١٢]

بل جعل اللّه سبحانه وتعالى لهذه السماوات أبواباً لا تفتح إلا بأمره.

يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ٤٠]

هذه معلومات عامة عن السماوات أنها كانت سماء واحدة ثم جعلها وقضاها بأمره سبع سماوات ثم جعل لكل سماء أبواباً، وجعل على كل باب من أبواب السماء ملائكة تحرس تلك السماء فلا حجم السماء معروف ولا عدد الملائكة الحرس معروف، ولا حدود كل سماء معروف.

---

(١) رواه مسلم.

قال تعالى:

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾

[سورة الجن، الآية: ٨]

وإن كان رسول اللّه ﷺ تحدث عن سُمْكِ كلّ سماء فقال:

* عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال رسول اللّه ﷺ:

(بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام)(١).

* وكذلك قال رسول اللّه ﷺ:

(كثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة)(٢)

وأيضاً في هذين الحديثين الشريفين يبين رسول اللّه ﷺ أن هناك ما يسمّى (السماء الدنيا) وفصلها عن التي تليها بمسيرة خمسمائة عام في قوله ﷺ:

(بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام)

٢

. . . أما العلم فلم يستطع أن يعرف عن هذا الأمر شيئاً فلا هو يعرف عن أبواب السماء شيئاً ولا أين يقع حدود كل سماء ولا يعرف أنها سبع سماوات أصلاً ـ فما هو في القرآن الكريم هو من عند اللّه خالق السماوات السبع والأرضين السبع وهو أعلم بما خلق وأعلم أين حدود كل سماء وأعلم بملائكتها الذين هم حرسها جميعاً وهم على أرجائها يملؤون السماوات السبع.

يقول تعالى:

﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴾

[سورة الحاقة، الآيتان: ١٦، ١٧]

---

(١) رواه البيهقي في كتاب شعب الإيمان.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

. . . ولا أحد ينكر الفضل لعلماء الفلك أو علم الفلك لما وصلوا إليه من علم متقدم في معرفة الكثير عن المجموعة الشمسية أو عن النجوم والمجرَّات في تلك السماوات العظيمة. . . ولكن أمام هذه السماوات العظيمة فإن ما وصل إليه الإنسان اليوم يعتبر قليلاً جداً. . . فإذا قلنا أن الإنسان وصل بمركباته الفضائية إلى بعض كواكب المجموعة الشمسية ولكن ليس كلها فإن بعضها لم تصله سفنه الفضائية وهي البعيدة كأورانيوس - ونبتون، وبلوتون والكوكب الجديد المكتشف (زينة) والذي يبعد عن الأرض عشرة مليارات كم.

فما رأيك بأول نجم خارج تلك المجموعة الشمسية وأسمه قنطاروس والذي يبعد عن الأرض ٤,٥ أربع سنوات ونصف ضوئية أي نحن بحاجة إلى الوصول إليه بسرعة السفن الفضائية الحالية والتي لم تتجاوز ٤٠ كم في الساعة إلى مليون سنة من سنوات الأرض. . . أنَّى لنا الوصول إلى أبعد مجرَّة عن الأرض والتي أعلن عنها فلكياً تحت عنوان (اكتشاف المجرة الأبعد من الأرض) والتي قال العلماء أنها تبعد عن مركز الأرض خمسة عشر مليار سنة ضوئية، والثانية الضوئية ٣٠٠ ثلاثمائة ألف كم. . . علماً أن الإنسان بجسده لم يصل إلى أبعد من ثانية ضوئية (القمر) والذي يبعد عن الأرض ٢٨٤ ألف كم فالإنسان لم يصل إلى أبعد من ثانية ضوئية والمجرة الأبعد عن الأرض تبعد ١٥ مليار سنة ضوئية. .

إذاً المسافات هائلة ولا طاقة للإنسان بها وعظمة اللَّه في سماواته غير متناهية فإذا استطاع الإنسان أن يكتشف المجرة الأبعد عن الكون وقدروا مسافتها بـ ١٥ مليار سنة ضوئية وذلك من خلال ما توصلوا إليه من تصميم التلسكوبات الفضائية المعاصرة فماذا بعد مائة عام أخرى من تطور آلات الفضاء وتطور التلسكوبات والسفن الفضائية فما هي أبعد مجرَّة، وكم تبعد، وكم حجمها. . . فالعلم عند اللَّه ومع هذا الجزء من الموسوعة نبحث في هذه الأمور الكونية العظيمة ومع السماء الدنيا والسماوات السبع ومع آيات اللّه سبحانه وتعالى في كتابه العظيم لنتبين عظمة اللّه سبحانه وتعالى وعظمة الخلق وعظمة هذه السماوات.

واللَّه من وراء القصد والقوة للَّه ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

الفصل الأول

١ ـ قيام السماوات والأرض بأمر اللّه .
٢ ـ مواقع النجوم في السماء .
٣ ـ السقف المحفوظ .
٤ ـ ويمسك السماء أن تقع على الأرض .
٥ ـ إن اللّه يمسك السماوات والأرض أن تزولا .
٦ ـ ظلام الفضاء الكوني .
٧ ـ اللّه نور السماوات والأرض .

قيام السماوات والأرض بأمر اللّه سبحانه

يقول تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾

[سورة الروم، الآية: ٢٥]

عندما يقول اللّه سبحانه وتعالى ومن آياته في أي آية كريمة، فهذا يعني أنها من معجزاته التي لا يقدر عليها أحد من خلقه، ولا يقدر على هذا الأمر سواه.. فكلنا يعلم أن كل ما في السماوات من نجوم وكواكب ليس لها عمد تستند عليها كي تستقر في موقعها في السماء، أو تسير على عجل فتدفعها في مسيرها، أو مربوطة بأكبال هائلة تدفعها في مدارها.. فكلنا يرى بأم عينيه أن تلك السماء وما فيها من نجوم هائلة وكواكب سيارة تسير بقدرة، ولا شيء مما قلت يسيرها أو يثبتها في مواقعها.. وأيضاً فإن الأمر والمعجزة ليست هي في سنة أو مائة سنة أو ألف سنة.. فإن هذه السماء وما فيها من قدرة اللّه من مجرات هائلة ومنذ أن خلقها اللّه سبحانه وتعالى أي منذ ١٣,٥ مليار ونصف سنة كما يقول علماء الفلك، تسبح في كون اللّه، ما اعتراها نقص ولا ضعف ولا تداخل ولا خطأ في مسيرها وسبحها ودورانها، بل هي آية من آيات اللّه سبحانه وتعالى ومعجزة من معجزاته.

نحن نعلم جميعاً، أن اللّه سبحانه وتعالى قادر على أن يقول للشيء كن فيكون وما يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وإن كان مثقال حبة من خردل أو ذرة أو في السماوات كلها.. وبعد أن خلق اللّه السماوات والأرض، واستوى إلى السماء وهي دخان، وقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا: أتينا طائعين؛

يقول تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ١١]

فالسماء تقوم بأمره وتأتي بأمره، والأرض تقوم بأمره وتأتي بأمره.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير في تفسير هذه الآية الكريمة:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾

أي: ومن آياته الباهرة الدالة على عظمته أن تستمسك السماوات بقدرته بلا عمد، وأن تثبيت الأرض بتدبيره وحكمته فلا تنكفئ بسكانها ولا تنقلب بأهلها.

. . . ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾

[سورة فاطر، الآية: ٤١]

ويقول في التفسير: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في اليمين قال: والذي تقوم السماء والأرض بأمره، أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها، وتسخيره إيَّاها.. ثم إذا كان يوم القيامة بُدلت الأرض غير الأرض والسماوات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إيَّاهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾

[سورة الروم، الآية: ٢٥]

أي من الأرض، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٥٢] وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾

[سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤]

هكذا كان تفسير المفسرين القدماء حول كثير من آيات الإعجاز الكوني، وهو تفسير صحيح في معناه العام.. ولكن السماوات تبقى مجهولة أو شبه مجهولة، بقدراتها الهائلة، وأبراجها، ومجراتها، ونجومها، وعظيم مواقعها، والمسافات الهائلة التي لم تعد الأرقام تستطيع استيعابها فرمزوا إليها

بالسنين الضوئية. . وكلما زاد العلم واطلع الناس على القدرات الهائلة في السماوات، وأدركوا تماماً قدرة اللّه سبحانه وتعالى، وأدركوا أنه لا يمكن لمليارات المليارات من النجوم والكواكب الهائلة الحجم وذات المسافات الهائلة أن تقوم في مقامها وتثبت في مواقعها إلا بأمر الخالق، الذي خلقها وأوجدها. . . فليس المعنى: أن تقوم بعض النجوم بأمر اللّه سبحانه وتعالى أو مجرة من المجرات، ولكن أن تقوم هذه الأعداد الهائلة من النجوم والكواكب بأمره في مواقعها تسبح في أفلاكها بأمر اللّه سبحانه وتعالى. . فإذا كانت مجرتنا تحوي كما يقول علماء الفلك: ١٠٠ ـ ٢٠٠ مليار نجم ومجرتنا واحدة من مليارات المجرات، فَهِمْنا ما معنى: أن تقوم السماء بأمر اللّه سبحانه وتعالى.

. . . فنحن نعيش على هذا الكوكب الصغير والضعيف إذ ما قورن بتلك المليارات من النجوم والكواكب، وأي انفراط لواحدة من تلك المليارات من النجوم والكواكب وقربه من الأرض، ولا نقل الاصطدام بها لاختلَّ نظام الحياة على الأرض، فما بالك لو انفرط عقد واحد منها واصطدم بالأرض. فإذا قلنا كما قال علماء الفلك: لو أن نيزكاً من النيازك التي تسبح في السماوات ولا يتجاوز مساحته ١كيلو متر مربع، هوى على الأرض من هذه المسافة الهائلة، لكانت قوة تدميره تزيد على مئات القنابل النووية، ولأحدث في الأرض خراباً تصعب بعده الحياة، فما بالك إذا كان هذا النيزك بحجم ألف كم مربع. فكيف تكون الحياة بعد سقوطه؟؟؟ ومن هنا تعلم ما معنى أن تقوم السماء والأرض بأمر اللَّه، فيمسكها بقدرته وعلمه فلا تهوي السماء على الأرض، وكلٌ في فلك يسبحون بدقة ونظام وقدرة من اللّه سبحانه وتعالى.

مواقع النجوم في السماء

يقول تعالى:

﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥،٧٦]

آيتان من آيات اللّه ومعجزاته وبيان عظيم ملكه واتساعه، وإشارة علمية كبيرة ذات مدلول ومعنى يفوق حدَّ التصور الإنساني والقدرة العقلية، وتدخل ضمن علم الآية الكريمة:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

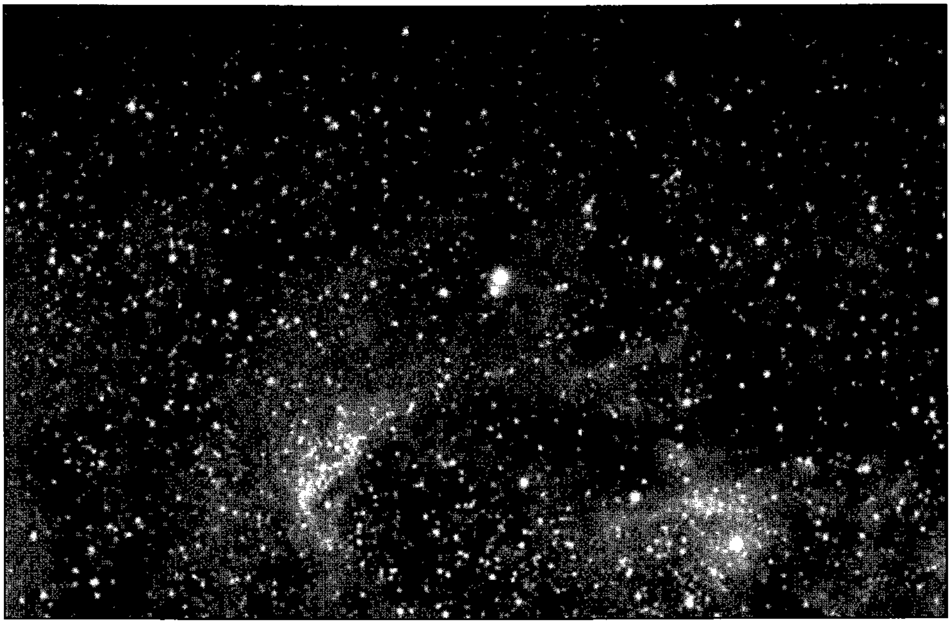
لقد حيرت هاتان الآيتان علماء التفسير في مفهوم علمهما، ولا تزال تحير العلماء المعاصرين على رغم ما فتحه العلم والتكنولوجيا المعاصرة لعلم الفلك من خدمات جليلة وكبيرة لمعرفة سر هذا الكون الواسع الأطراف، إلا أن هناك حدوداً عقلية لصنع الآلات وللفهم بذات الوقت.

. . . ولقد قلنا في تفسير وبيان إعجاز آيات أخرى، أن اللّه سبحانه وتعالى إذا كان الأمر عظيماً والمقسم به كبيراً قدّم لقسمه بلا ﴿ فَلَآ ﴾، وذلك استعداداً للقارئ على أن ما سيقوله اللّه بعدها عظيماً وكبيراً ويفوق حد التخيل والتصور.

. . . واللّه سبحانه وتعالى عندما أقسم فقال: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ يعلم حق العلم أن البشرية جمعاء لن تعلم حقيقة هذا القسم الكبير لما قدّم من شاهد وهو مواقع النجوم، فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾. . . إذاً لن نعلم حقيقة هذا القسم بالكلية وربما علمنا بعض أجزائه أو مقدماته لنقف على حقيقة هذا الخالق العظيم.

واللافت للنظر هو السؤال: لماذا أقسم اللّه سبحانه وتعالى بالمواقع ولم يقسم بالنجوم؟ وهل مواقع النجوم أعظم خلقاً من النجوم.؟

فلنقرأ من كتب المفسرين كمدخل لحقيقة هاتين الآيتين الكريمتين، وبذات الوقت ندرك ونفهم كيف فهم الأقدمون مثل هذه الآيات الكريمة؟ وكيف فسروها؟ وهل اعتمدوا تفسيراً للغة أم اعتمدوا بعض علم؟ وهل تفاوت المفسرون في آرائهم وتفسيراتهم؟



لنسأل علماء الفلك.. هل يستطيعون عدّ نجوم هذه الصورة التي التقطتها إحدى التلسكوبات الفلكية المعاصرة؟.. وهل يستطيعون تحديد مواضع لكل النجوم بكل دقة؟

يقول الفخر الرازي في التفسير الكبير:

مواقع النجوم في قوله تعالى ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ فيه وجوه: **(الأول)**: المشارق والمغارب أو المغارب وحدها، فإن عندها سقوط النجوم. **(الثاني)**: هي مواضيعها في السماء في بروجها ومنازلها. **(الثالث)**: مواقعها في إتباع الشياطين عند المزاحمة **(الرابع)**: مواقعها يوم القيامة، حيث تتعثر النجوم وأما موقع نجوم القرآن فهي قلوب عباده وملائكته ورسله وصالح المؤمنين، أو معانيها وأحكامها التي وردت فيها(١).

---

(١) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للفخر الرازي مجلد ١٥ صفحة ١٨٩.

ويقول ابن كثير في تفسيره:

ويعد تفسيره لكلمة ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ قال ابن عباس: يعني نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقاً في السنين بعد. وقال مجاهد: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ في السماء، يقال: مطالعها ومشارقها، وهو اختيار ابن جرير وعن قتادة: مواقعها: منازلها. وعن الحسن: أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: وأن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظم المقسم به(١).

ويقول الصابوني في تفسيره:

﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

شرع الله تعالى بالقسم على جلال القرآن ورفعة وعلو شأنه ومنزلته، وأنه تنزيل العزيز الحكيم فقال: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ اللام: للتأكيد وتقويته، وزيادة (لا) كثير في كلام العرب ومشهور قال الشاعر:

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة   وكاد نياط القلب لا يتقطع

أي كاد يتقطع، قال القرطبي: (لا) صلة في قول أكثر المفسرين، والمعنى: (فأقسم)، بدليل قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾، أي: قسم بمنازل النجوم وأماكن دورانها في أفلاكها وبروجها، ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: وإن هذا القسم العظيم جليل لو عرفتم عظمته لأمنتم لما في المقسم من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة، ومن مقتضيات رحمته تعالى أنه لا يترك عباده سدى(٢).

هذه التفاسير تشير إلى تفسير اللغة أكثر من التفسير العلمي، وإلى تفسيرات أخرى كنجوم القرآن أو انتشار النجوم يوم القيامة، ولكن أشاروا في بعض الكلام على أن مواقع النجوم منازل النجوم وأماكن دورانها في أفلاكها وبروجها.. وهذا كما قلت تفسير لغوي أكثر من أن يكون علمياً.. ولكن

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد ٣ صفحة ٤٣٩.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني صفحة ١٤٥٣.

اليوم وتلك الحقائق الكونية في علم الفلك التي أصبحت حقائق لا يتطرق إليها الشك وليس فيها لبس، حيث بين علم الفلك ما معنى مواقع النجوم بعد أن تبين لهم هذه الأبعاد الهائلة التي تفصل النجوم عن بعضها والكواكب عن بعضها، والمجرات عن بعضها فالآية ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ تشير إلى حقيقة ومعنى عام وهو: أن سعة السماء لا متناهية.. الأقدمون لم تكن لهم تصورات (الأبعاد) الهائلة التي تفصل بين النجوم أو بين شمسنا وأرضنا أو بين أرضنا وكواكب المجموعة الشمسية.. كانوا يدركون أنها بعيدة ولكن كم هذا البعد؟

ولو أن رسول اللّه ﷺ ذكر لهم بعلم ووحي من اللّه سبحانه وتعالى هذه الأرقام لما استوعبوها مطلقاً.. فإذا كان العصر الحاضر وأجهزة الكمبيوتر بين أيدينا والآلات الحاسبة والانترنت وعالم الاتصال الكبير ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نفهم حقيقة أبعاد النجوم والكواكب إلا إذا رمزنا بالسنوات الضوئية، وإلا أصبحت الأرقام العادية لا تسعها المجلدات الضخمة.

... لذلك واللّه أعلم بخلقه، عندما سئل سيدنا محمد ﷺ عن هذه النجوم والكواكب والقمر.. كان الجواب مختصراً في القرآن الكريم لئلا يشغلون أنفسهم بشيء لن يدركوه ولن يعلموه، وسوف يشغلهم عن الهدف الأسمى من الدعوة وهو الإيمان باللّه ونشر دين اللّه سبحانه وتعالى كرسالة عالمية للبشرية جمعاء.

قال تعالى:

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٨٩]

وليس هذا الجواب ليعرف الناس فحسب بل هو حقيقة علمية مختصرة جداً بذات الوقت، فالشمس والقمر والكواكب التي يسألون عنها هي فعلاً مواقيت للناس ليعرفوا أوقاتهم واتجاهاتهم، حيث يُثبت اليوم أنه لا أثر للحياة على أي منها مطلقاً، فجاء عدم الدخول في التفاصيل والأرقام في القرآن الكريم لعلم اللّه بخلقه حال نزول القرآن الكريم وعدم قدرتهم على الاستيعاب.

. . . ولقد حضرتني قصة ظريفة في هذا الخصوص تنفع في هذا المقام:

. . . في إحدى معارك الفتح، بقيادة خالد بن الوليد أسر أحد الجنود ابنة إمبراطور الفرس كسرى، وكانت زوجة قائد المعركة الفارسي، ومن عادة الحروب أن يحتفظ كل جندي بما أسر من الأسرى، أو تكون من نصيبه. ولما علم كسرى بأسر ابنته وأنها لا تزال حيَّة لم تمت، أرسل وفداً لخالد بن الوليد ليتفاوض معه على فديتها وفكها من الأسر، فأرسل خالد بن الوليد يطلب الجندي الذي أسرها والتي هي بحوزته، وقبل أن يذهب الجندي إلى خالد بن الوليد قال له اصحابه بعد أن علموا أنما أرسل إليه من أجل فداء ابنة كسرى: أطلب ما تشاء وارفع الفدية، وفعلاً فإن الوفد المفاوض قد جاء بمال كثير لفدية ابنة كسرى. . فلما وصل الجندي وجد خالد بن الوليد رضي اللّه عنه والوفد المفاوض ينتظرونه، فسأله خالد بن الوليد أن يفدي أسيرته بما يشاء من المال. . فقال له بعد تفكير: أريد ألفاً من الدنانير الذهبية، فسارع الوفد المفاوض إلى دفع المبلغ قبل أن يتغير الحال، وأخذ الجندي المبلغ وسلم أسيرته للوفد المفاوض الذين ارتحلوا هم سريعاً. . وعندما عاد الجندي إلى خيمته وعلم أصحابه أنه أخذ ألفاً من الدنانير فقط، قالوا له: ألم نقل لك أطلب مبلغاً كبيراً من المال عندما يفاوضك الوفد المرسل لفدية ابنة كسرى. . فقال لهم: ها أنذا طلبت ألفاً من الدنانير الذهبية، قالوا: هذا قليل، قال: (وهل يوجد أكثر من الألف رقماً).

فثقافة الناس يوم نزل القرآن لا يمكن أن تستوعب أن بيننا وبين الشمس ١٥٠ مليون كم، أو أن بيننا وبين أحد كواكب المجموعة الشمسية ٥٠٠ مليون كم، أو بيننا وبين أقرب نجم إلينا خارج حدود المجموعة الشمسية ما يزيد عن آلاف المليارات من الكيلو مترات، فهذه الأرقام هي لغة العصر فقط، أتت بالتدرج وكانت غير مستخدمة ولا لزوم لها في ذلك العصر.

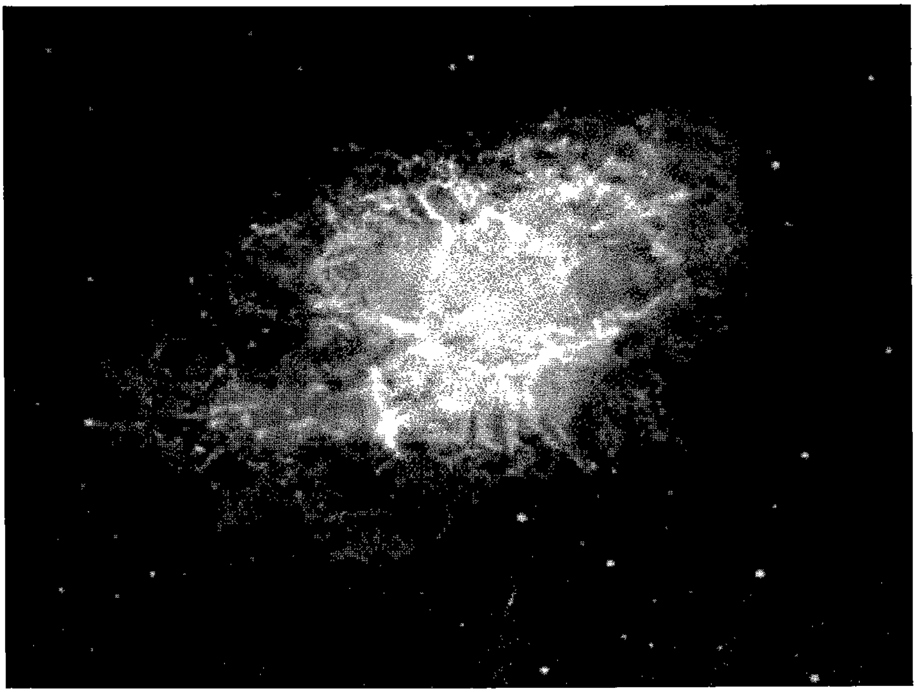
واللّه سبحانه وتعالى بعلمه يعلم أن هذه الآيات الكريمة هي للأجيال القادمة فالقرآن الكريم ليس كتاب نزل لزمان وحسب وإنما هو امتداد إلى الأجيال حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها.

فهذه الآيات الكريمة هي لهذا الجيل بعد أن هيأ اللّه سبحانه وتعالى

بقدرته ما يستطيعون بما صنعوه من آلات وتلسكوبات أن يكتشفوا بعض سرّ السماء كما وعد سبحانه وتعالى:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾

[سورة ص، الآيتان: ٨٧، ٨٨]



مجرّات ونجوم تتباعد وتدور وكل في موقعه وكل في فلك يسبحون
ترى في السماء نجمين متقاربين ولكن ما بينهما ملايين وربما مليارات الكيلومترات

ومع ذلك رغم كل هذا التقدم العلمي الهائل، فإن عدد الذين يعرفون سر النجوم والكواكب والمجرات قلة وليس كثرة، أو بعض الناس وليس أكثرهم مع وجود الشاشة الصغيرة في كل بيت ومئات المحطات الفضائية التي تعرض في كثير من برامجها علم الفلك وأحدث المستجدات والنظريات التي تطرأ على علم الكون، على كل نحن لم نفسر للآن معنى: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ فما معنى مواقع النجوم؟ وما وجه الإعجاز في ذلك؟ ولماذا هو قسم عظيم عند الله سبحانه وتعالى؟ وهل كشف العلم اليوم تلك

المواقع؟ أم اكتشف بعضها؟ وهل يمكن اكتشاف كل تلك المواقع في المستقبل؟

. . . إن أول بيان وتفسير لمعنى الآية، نأخذه من محاضرة ألقاها العالم الرياضي الفلكي المشهور صاحب النظرية النسبية (**أنشتاين**):

. . . فقد ألقى أنشتاين في أواسط القرن العشرين محاضرة له في جامعة هارفارد الأمريكية حول علم الفلك . . والمحاضرة منقولة من مجلة العربي عندما كان يرأسها الدكتور أحمد زكي، وقد وجدتها معبرة تماماً عن معنى الآية الكريمة: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

يقول أنشتاين:

. . . نحن البشر نعيش على هذا الكوكب الأرضي، وهذا الكوكب وثمانية كواكب أخرى وهي عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتون تتبع لأمنا الشمس، والتي تسطع بضيائها على جميع تلك الكواكب، وتسمى (المجموعة الشمسية) وهذه المجموعة الشمسية تتبع إلى شيء أكبر منها وهي المجرة . . ومجرتنا هذه تسمى (درب التبانة)، ومجرة درب التبانة يوجد فيها ما يزيد عن مائتي مليار نجم غير الكواكب والأقمار، وقال أنشتاين: ومجرتنا هذه درب التبانة هي واحدة من مليارات المجرات التي تسبح في هذا الكون، وكل مجرة منها تحوي في داخلها أكثر من مليار نجم غير الكواكب والأقمار والنيازك والكويكبات وما أشبه بذلك . . وقال أنشتاين: لو قسمنا عدد هذه المجرات التي تسبح في السماء على عدد سكان الأرض، لكان نصيب كل فرد منا (٣٧) سبع وثلاثون مجرة . . هنا سأله الحاضرون . . وفي هذا السؤال الذي سأذكره بعد قليل وفي جوابه تفسير وبيان واضح جداً لمعنى (مواقع النجوم).

قالوا: يا أنشتاين ألا تصطدم هذه النجوم على كثرتها الهائلة في السماء بعضها مع بعض . . قال . . تمهلوا في قراءة الجواب لتدركوا معنى المواقع . . قال: لو وضعنا ثلاث ذبابات واحدة في القطب الجنوبي وواحدة في القطب الشمالي وواحدة في خط الاستواء، ثم طيرنا تلك الذبابات الثلاث مع

بعضها، فهل يعقل أن تلتقي هذه الذبابات الثلاث مع بعضها. . جاءه الجواب من الحاضرين أن لقاءها مستحيل. . . قال أنشتاين: إن حجم هذه الذبابات الثلاث للأرض التي نعيش عليها كحجم تلك المجرات الهائلة بالنسبة للسماء.

ما معنى هذا القول؟ معناه أن السماء واسعة جداً جداً جداً وأن المسافات الهائلة التي تفصل النجوم عن بعض تقدر بملايين ومليارات الكيلو مترات. . إذاً العظمة ليست بالنجوم وإنما بهذه السماء الشاسعة البعد ومواقع وأماكن النجوم فيها، إذ إن النجوم لتبدو حقيرة في حجمها بالنسبة للفضاء الهائل والمسافة البعيدة بينها وبين النجوم الأخرى والتي لا يمكن للعقل أن يدركها ويدرك محتوياتها وعظمتها، وهذا جواب اللّه سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ فإذا علمنا بعض السر عن هذه المواقع، إلا أن الذي لا نعلمه ولن نعلمه أكثر بكثير. . والمحاضرة التي ألقاها أنشتاين في جامعة هارفارد كانت في الخمسينيات من القرن العشرين، وكان اكتشاف المجرات في بدايته، فماذا لو قسمنا عدد المجرات اليوم على عدد سكان الأرض بعد أن تم اكتشاف المليارات منها بواسطة أحدث ما توصل إليه العلم في صناعة التلسكوبات الفضائية، فربما يكون نصيب الفرد منها ١٠٠٠مجرة وليس سبعاً وثلاثين مجرة، وربما يأتي اليوم الذي تتزايد فيه الاكتشافات فيكون نصيب الفرد منها ٢٠٠٠ أو ثلاثة آلاف مجرة (١).

معلومات فلكية عن مواقع النجوم (المجرات)

إن المجرات جزر كونية هائلة، تشكل وحدات الكون الأساسية، فالمجرات غبار كوني، وسدم، ونجوم، وكواكب، ومذنبات ونيازك، وشهب، ومجالات مغناطيسية كهربية عنيفة، كل هذا في المجرة الواحدة، والشيء الغريب أن أكبر مرصد على وجه الأرض رصد ألف مليون مجرة، غير أننا لا نرى بالعين المجردة إلا ثلاث مجرات، إذا نظرنا إلى قبة السماء

(١) تم اكتشاف (٢٥) خمساً وعشرين ألف مجرة بواسطة التلسكوب العملاق في جنوب فرنسا في المنطقة السوداء، التي قال ظن علماء الفلك أنه لا أثر فيها لنجوم أو مجرات وذلك ١٢/ ١٢/ ١٩٩٥م وكل مجرة فيها آلاف الملايين من النجوم.

نرى درب التبانة، ومجرة مجلان الصغرى، والكبرى، أما المراصد الكبيرة فقد رصدت ما يزيد على ألف مليون مجرة، غير أن تقديرات العلماء أن في السماء مليون مليون مجرة، وفي كل مجرة بالرقم الوسطي ما يزيد عن ثلاثمائة ألف مليون نجم، لذلك قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

لنأخذ على ذلك درب التبانة وهي مجرتنا، التي نحن جزء صغير منها، طولها يزيد عن مئة وخمسين ألف سنة ضوئية، على حين أننا نبعد عن القمر ثانية ضوئية واحدة، ونبعد عن الشمس ثماني دقائق، المجموعة الشمسية من أقصاها إلى أقصاها لا تزيد عن بضع عشرات من الدقائق الضوئية.

المجموعة الشمسية على سبيل المثال، تدور حول نقطة في مجرتنا، تستغرق دورتها حول هذه النقطة مائتين وخمسين مليون سنة، وسرعتها تزيد على سبعة أعشار سرعة الضوء.

هذه الأرقام، والسرعة، والأعداد، والمسافات الفلكية شيء لا يستطيع هذا العقل تصوره.

تدور الأرض حول نفسها بسرعة ألف وستمائة كيلو متر في الساعة، والأرض تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلو متراً في الثانية والشمس تجري لمستقر لها بسرعة مائتي كيلو متر في الثانية، والمجرة بسرعة ألفين وأربعمائة ألف كيلو متر في الثانية، أي قريباً من سرعة الضوء، ومع ذلك من أجل أن تدور الشمس حول نقطة في المجرة تحتاج إلى مائتين وخمسين مليون سنة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

المعنى الثاني:

أن هذه النجوم ليس لها موقع واحد، بل لها مواقع، إذاً فهي نجوم متحركة، وكل شيء يسبح في فلك خاص به، يقول تعالى:

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾

[سورة يس، الآية: ٤٠]

إن كلمة (بمواقع) في هذه الآية هي سر إعجازها، فالموقع لا يعني أن

صاحب الموقع موجود فيه، فاللّه سبحانه وتعالى لم يقسم بالمسافات التي بين النجوم، ولكنه أقسم بالمسافات التي بين مواقع النجوم، ذلك لأن النجوم متحركة، وليست ثابتة، ولو قرأ عالم الفلك هذه الآية لخر ساجداً للّه سبحانه وتعالى، فقد قال اللّه سبحانه وتعالى:

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾.

تدور الأرض حول الشمس في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، غير أن نجماً آخر في المجموعة الشمسية يدور حول الشمس في سنتين أو ثلاث، وبعضها في أقل من سنة، فكل نجم له مواقعه الخاصة، وله مدار طويل أو قصير، وشكل دائري، أو إهليلجي ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ فكل نجم له موقع في كل ثانية، وأدق ساعات العالم تضبط على بعض النجوم، قد يجد صانعوها أنها تأخرت، أو قدمت في العام ثانية واحدة، فما الذي يضبطها؟ يضبطها مرور نجم لا يتقدم ولا يتأخر عن موعده الدقيق، فهذه المواقع وفق نظام مدهش، ففي كل ثانية يكون للنجم موقع جديد، حتى إن المذنب الذي نحن في انتظار رؤيته يقطع مساره في ستة وسبعين عاماً، وقد رآه الناس في عام ١٩١٠م، ورأيناه في عام ١٩٨٦م، وكان قد رئي قبل الميلاد بألفي عام، لم يتقدم ولم يتأخر، ويكون على بعد ثلاثة ملايين كيلو متر من الأرض، هذا هو المعنى الثاني لمواقع النجوم.

المعنى الثالث: بين النجوم تجاذب، فالكتلة الأكبر تجذب الكتلة الأصغر، وثمة عامل آخر هو مربع المسافة بينهما، فلو أن مواقع النجوم تغيرت لاختل توازن الكون، ولارتطمت النجوم بعضها ببعض، وأصبح الكون كتلة واحدة، هذه المواقع مدروسة بعناية فائقة، حيث يكون محصلها دوراناً واستقراراً.

فالمعنى الأول: المسافات الشاسعة، والمعنى الثاني: حركي، وهو تنقل النجم من موقع إلى آخر، والمعنى الثالث: أن هذه الكتل بعضها كبير، وبعضها صغير، بعضها قريب، وبعضها بعيد، وقد وضعت هذه النجوم المتفاوتة في الأحجام، والمتفاوتة في الأبعاد في أماكن دقيقة، بحيث لو

تجاذبت لكان محصلة هذا كله ذلك النظام البديع الذي نراه[١].



. . صدق الله فلا أقسم بمواقع النجوم . . نجوم بالمليارات أحجام
مختلفة وأبعاد مختلفة ومواقع مختلفة ومسافات هائلة لا يمسكها إلا خالقها

حقاً لقد كان من واجبنا ذكر معطيات علم الفلك الحديث لنستطيع تفسير آيات القرآن الخاصة بالشمس وإثبات التطابق التام مع العلم الحديث!

والآن وقد بحثنا حركة الشمس كأقرب نجم لنا نسأل أنفسنا: (كم تبعد النجوم عنا؟) وهذا سؤال جوهري، كان ولا زال مثار دهشة وتحد لعلماء الفلك، حتى بدأ الفلكي الألماني بازل عام ١٩٣٨ م بأول قياس لبعد النجوم عنا باستخدام طريقة تدعى الزوغان. وفي عام ١٩١٢م استخدم العالم Leavitt النجوم القيفاوية لقياس مسافات لنجوم أبعد.

وللتعبير عن المسافات المقيسة لأبعاد ومواقع النجوم، اضطر العلماء لاستخدام وحدة جديدة مناسبة تدعى السنة الضوئية وهي المسافة التي يقطعها

(١) د/ راتب النابلسي الموسوعة الكونية.

الضوء بسرعته المعروفة (٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ ثانية أي ١٨٦٠٠٠ ميل / ثانية) في زمن قدره سنة أرضية كاملة.

السنة الضوئية = ١٨٦٠٠٠ × ٦٠ × ٦٠ × ٢٤ × ٣٦٥,٢٥ = ٦ تيريليون ميل تقريباً.

ولمناقشة مواقع النجوم على ضوء هذه الوحدة الجديدة المعروفة بالسنة الضوئية، فإن الضوء يصل من الأجرام السماوية بعد رحلة طويلة، فالشمس مثلاً وهي أقرب النجوم إلينا تبعث الضوء من سطحها ليصلنا بعد رحلة ٩٣ مليون ميل أي ٨ دقائق ضوئية. وأما إذا أخذنا في اعتبارنا نجم **ألفا قنطوروس** وهو أقرب نجم إلينا بعد الشمس فإنه يبعد عنا ٤,٣ سنة ضوئية! أي إننا نرى هذا النجم الآن كما يبدو منذ ٤,٣ سنة ضوئية! وبذلك فإننا إذا نظرنا إلى النجوم فنحن في الواقع لا ننظر في الحاضر ولكننا نشاهد الماضي بصورة قديمة كان عليها النجم منذ أجيال!.

وفيما يلي البعد التقريبي لبعض النجوم اللامعة في السماء (بوحدة السنين الضوئية) مرتبة تنازليا طبقا لبريقها الظاهري.

اسم النجم	البعد عنا بالسنين الضوئية	اسم النجم	البعد عنا بالسنين الضوئية
الشعري	٩	الطائر	١٧
فيجا	٢٧	منكب الجوزاء	٥٢٠
كابيلا	٤٦	الدبران	٦٨
أركتوس	٣٦	سبيزا	١٦٠
ريجيل	٩٠٠	أنتاريس	٥٠٠
بروستون	١١	ذنب	٦٠٠

ولقد أتاح لنا مرصد جبل ماونت بالومار في أمريكا تصوير مجرات لا حصر لها تقع على مسافات أكثر من ٣٠٠ مليون سنة ضوئية وذلك باستخدام تليسكوب ذي مرآة قطرها ٢٠٠ بوصة.

والواقع أن معرفتنا بالمسافات الفاصلة بين النجوم لن تكتمل إلا إذا شملت معرفة المكان والزمان معا! ولتوضيح ذلك: فإننا إذا قدرنا المسافة بيننا وبين مجرة معينة بمليون سنة ضوئية، فإن معنى هذا أن موقع هذه المجرة كان منذ بليون سنة يبعد عن وضعنا الحالي بليون سنة ضوئية، فأين كانت المجرة لحظة صدور هذا الضوء منها؟ وأين كنا نحن في الفضاء منذ بليون سنة، وأين موقع المجرة حالياً؟ نحن لا نعرف بالتأكيد! ونحن لا نرى المجرات والنجوم البعيدة إلا بضوء قديم أثري صادر في الماضي من هذه الأجرام، فأين هذه النجوم والمجرات الآن وإلى أين تذهب هذه الأجرام؟ هذه حقاً أسئلة معقدة تحتاج إلى بذل المزيد من البحث الفيزيائي والرياضي الشاق لتحديد الموقع الفعلي للنجوم في الفضاء وتحديد سرعتها واتجاهها، وهذا عمل هائل وصعب ولكنه ضروري للتعرف على هذا الكون.

لقد كان من الواجب ذكر كل المعطيات الفلكية الحديثة لكي نستطيع أن نتأمل الأسرار والعظمة وراء القسم الإلهي التالي في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

والقسم بعظمة مواقع النجوم في السماء إشارة واضحة للعقول الذكية لإنسان المستقبل الذي أمده الله بإمكانيات البحث في أسرار وأبعاد النجوم والعبارة الشرطية في قوله تعالى: ﴿لَوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ تفيد بأن مواقع النجوم لن يتم التعرف عليها وقت نزول القرآن. بل إنها ستكون موضوع دراسة وبحث في العصور المتقدمة، كما هو الحال في عصر العلم الحديث الذي نعيشه الآن(١).

وكل هذا القسم الإلهي بمواقع النجوم من أجل أن تطمئن الناس إلى أن

(١) القرآن الكريم والعلم الحديث د/ منصور محمد حسب النبي رئيس قسم الفيزياء في جامعة القاهرة صفحة ٢١٦.

هذا التراث العظيم هو من عند اللّه سبحانه وتعالى وليس من قول بشر، إنما أنزله الذي يعلم السر في السماء والأرض.. ولقد أقسم اللّه سبحانه وتعالى في آيات أخرى على أن هذا القرآن العظيم هو من عند اللّه سبحانه وتعالى وليس من قول بشر، إنما أنزله الذي يعلم السر في السماء والأرض.. يقول تعالى:

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٦]

ولقد أقسم اللّه سبحانه وتعالى في آيات أخرى على أن هذا القرآن الكريم هو من عند اللّه سبحانه وتعالى، وكذلك بين أنه حق مثلما أننا نتكلم وننطق يقول تعالى:

﴿ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾

[سورة الذاريات، الآية: ٢٣]

فكل هذا من أرحم الراحمين ومن أجل ماذا؟ إنه من أجل الإنسان كي

يؤمن باللّه ويؤمن بالقرآن العظيم ويؤمن بأن هناك يوم مجموع له الناس يحاسب فيه الإنسان على كفره ويجزى على إيمانه لقد أنزل اللّه سبحانه وتعالى بعلمه القرآن ليهدينا إلى صراط مستقيم وأن نؤمن باللّه ونعمل صالحاً ثم تكون لنا جنات اللّه سبحانه وتعالى الخالدة التي وعد عباده المؤمنين بها سبحانه وتعالى فما أكرم هذا الإله وما أعظمه وما أرحمه بعباده المؤمنين.

السقف المحفوظ

يقول تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٢]

الحديث في هذه الآية الكريمة يطول لمعانيها الإعجازية الكبيرة... فكيف جعل اللّه سبحانه وتعالى السماء سقفاً للأرض يحفظها ونحن لا نرى سقفاً؟

فنحن نعلم أن السقف: هو كل ما علاك، وكان له بناء يحفظك من البرد والمطر والصواعق والشمس ومن كل داخلة عليك من أي نوع من الخلق.

... فالآية إعجازية، وبنفس الوقت دعوة إيمانية للناس الذين أعرضوا أن يتفكروا في خلق السماوات والأرض، وهو الذي حثنا في أكثر من آية كريمة على التفكر في خلق السماوات والأرض، وأَكرَمَ وأجلَّ الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض، ذلك أن التفكر والنظر إلى ملكوت اللّه سبحانه وتعالى في السماوات عامل مهم في الإيمان باللّه سبحانه وتعالى، بعد النظر ثم التفكر بقدرة هذا الإله الخالق.

يقول تعالى:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

واللّه سبحانه إذا طلب منا التفكر، ذلك أنه من دافع إكرامه للإنسان الذي سخَّر له هذه السماوات وهذه الأرض، وهذا يوجب التفكر بما سخر اللّه سبحانه وتعالى لنا. يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٠]

وقد جاءت معاني كلمات الآية الكريمة:

السماء: كل ما علاك.

سقفاً: وهو كل ما أظلك وكان فوقك.

وجاء في تفسير معاني كلمات القرآن الكريم لمحمد حسنين مخلوف: ﴿ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾: أي مصوناً من الوقوع أو التغير.

وأما كتب التفسير، فقد جاء فيها المعنى مقتضباً لا زيادة فيه.

فقد جاء في **صفوة التفاسير للصابوني** حول هذه الآية:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ أي: جعلنا السماء كالسقف للأرض محفوظة من الوقوع والسقوط.. وقال ابن عباس: حفظت بالنجوم من الشياطين.

وفي التفسير الوسيط للزحيلي:

جاء حول هذه الآية الكريمة قوله: جعل اللَّه السماء سقفاً محفوظاً، أي جعل اللَّه السماء بمثابة المظلة أو السقف والقبة على الأرض، وذلك السقف محفوظ من الوقوع والاضطراب ومحفوظ من الشياطين التي تحاول استراق السمع ـ سمع الأسرار الإلهية ـ فالحفظ هنا تم في الصون من الشياطين ومن التصدع والشقوق وغير ذلك من الآفات.

وأما في الموسوعة القرآنية الميسرة:

أي: جعلنا السماء فوق الأرض مثل السقف، محفوظاً من الوقوع بقدرته، وهم عن آيات أو أدلة السماء الدالة على توحيد اللَّه وقدرته وحكمته كالشمس والقمر وغيرهما معرضون، لا يتفكرون ولا يتدبرون بها.

وجاء في تفسير تيسير الكريم الرحمن للسعدي:

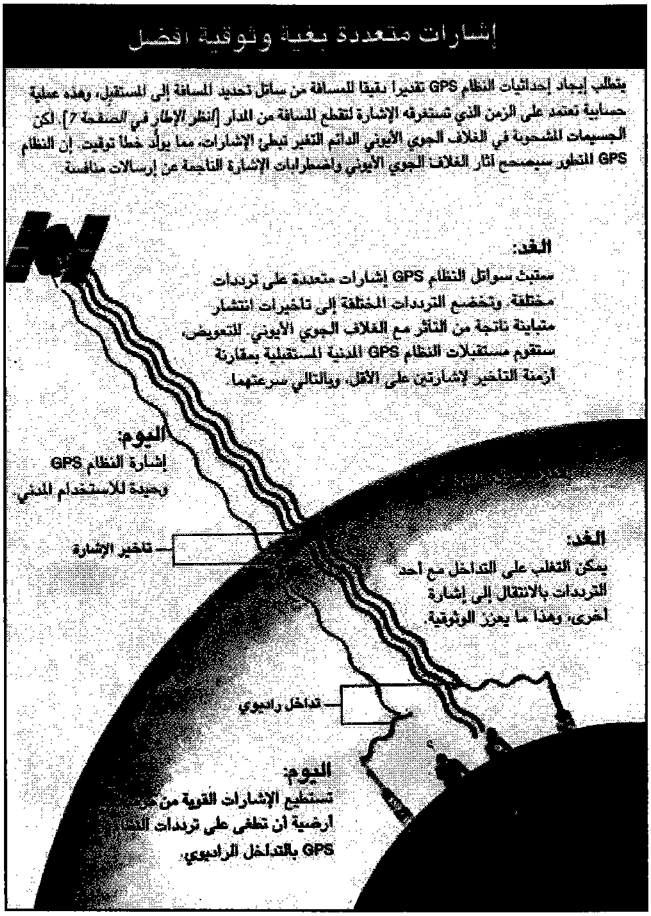
﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾ للأرض التي أنتم عليها ﴿ مَّحْفُوظًا ﴾ من السقوط.

... في كل التفاسير لا نجد التفسير العلمي المعاصر بتفاصيله، ذلك

أن معنى ﴿ سَقْفًا﴾ يحتمل عدَّة تفاسير ووجهات نظر وأن تكون هناك أكثر من نظرية، لأن تلك الإشارات العلمية في القرآن الكريم لا يعلم مرادها إلا اللّه سبحانه وتعالى، فترك رسول اللّه ﷺ تفسيرها بمعنى مراد اللّه سبحانه وتعالى إلى الأجيال القادمة بما ستحمل من علم.

. . . وإذا وضعنا الاكتشافات العلمية اليوم أمام هذه الآية الكريمة فإننا نجد الإعجاز في عدة وجوه:

١ ـ لقد تم اكتشاف أن الأرض محاطة بطبقات متعددة من الهواء، بما يسمى علمياً (الغلاف الجوي)، هذا الغلاف الذي قسمه العلماء إلى عدة أقسام (طبقات)، لكل طبقة منه اختصاصها وذلك باختلاف كل طبقة عن غيرها من حيث النوعية والعمل، ووجد العلماء أن لكل طبقة من الغلاف الجوي الذي يمتد إلى ألف كم في السماء مميزات وعمل دون الآخر، وهي باختصار:



صورة تمثل الغلاف الجوي للأرض وهو السقف المحفوظ الذي يحفظ الأرض من كل هجوم خارجي من هذه السماء التي يكثر فيها النيازك والشهب والمذنبات وغيرها

١ ـ الطبقة

الأولى: وهي طبقة الهواء السفلي التي تعيش فيها الأحياء جميعاً، وهي مؤلفة أيضاً من عدة طبقات وفيها الأكسجين اللازم للحياة والكربون، وهي متقلبة من حالة الحر إلى حالة البرد وارتفاعها ستة عشر كيلو متراً ١٦ كم.

٢ ـ **الطبقة الثانية**: هي طبقة فيها جزيئات غازية كبريتية، مهمتها تلقيح السحاب وتسهيل عملية الأمطار، وفيها أيضاً طبقة الأوزون، وهي: غلاف من الأكسجين الثلاثي الذي يمتص الأشعة فوق البنفسجية، وهذا أول السقف الحافظ.

٣ ـ **الطبقة الثالثة**: من الغلاف الجوي: فهي تشبه فرناً ذرياً شديد اللهب، ولولا هذه الطبقة لكانت الأحجار الكونية، والكويكبات المتساقطة قد دمَّرت كل شيء على الأرض، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الطبقة تصهر كل شيء قبل أن يصل إلى الأرض.

٤ ـ **الطبقة الرابعة**: من طبقات الغلاف الجوي: هي (الأيونوسفير) أي (الطبقة المتأينة)، ومعناها انفصال الكهارب في الذرة عن النواة، وارتفاع هذه الطبقة ثمانون كيلو متراً (٨٠) كم، ولها تفصيل علمي واسع سنتعرض له في حديثنا المفصل عن (الغلاف الجوي)، ولكن باختصار: هذه الطبقة مسؤولة عن الموجات اللاسلكية.

٥ ـ **الطبقة الخامسة**: وفيها تفصيلات وتمتد إلى ١٠٠٠ كم، وقال العلماء: قد يصل سمكها إلى ٦٥ ألف كم، يقل طبعاً الهواء تدريجياً إلى أن ينعدم.

هذه هي طبقات الهواء المانعة الحافظة والتي تشبه السقف، وليس أي سقف ولكنه سقف حديدي منيع شديد المناعة.

ويقول العالم الفلكي (دوس): (إن الجو الأرضي حاجز حقيقي، وهو حقاً قليل الكثافة ولكنه سميك جداً، فهو يوقف الأشعة، ويحرق الشهب، إنه يحمي حياتنا الدنيوية ويحافظ عليها، لأنه لا

يسمح إلا لكل ما هو نافع لنا بالوصول إلى سطح الأرض) [١] . . . .

هكذا هو الغلاف الجوي وهذا ارتفاعه، وتتجلى عظمة اللّه سبحانه وتعالى فيه أن تنظر من خلاله فكأنك لا ترى شيئاً، وترى النجوم المشعة في كبد السماء وهي بالملايين لا يحجبك عن رؤيتها هذا الغلاف والذي هو أشد من الحديد صلابة، ولولا هذه التيارات الهوائية ونشوء الرياح واصطدامها بنا وبما حولنا لما أدركنا ما معنى الهواء والغلاف الجوي، هذا الغلاف الشفاف الرقيق أشد صلابة من سقف الفولاذ والنحاس والحديد. . وقد أثبت العلم هذا الغلاف، كما أنه أثبت أن جو الهواء لا يسمح مطلقاً للنيازك ولا للشهب، ولا للمعادن ولا للأحجار، ولا للكويكبات، ولا للأشعة القاتلة، ولا لكل ما يؤذي الأرض بالاختراق، فالهواء إما يمنعه وإما أن يحرقه، وأما الطبقة الثانية من الغلاف: طبقة الأوزون فهي تمنع الأشعة القاتلة وتمتصها قبل أن تصل إلى الأرض. والطبقة الرابعة التي أعدَّها اللّه سبحانه وتعالى: تصهر كل شيء ولا يصل منه شيء إلى الأرض إلا بصورة تراب وغبار فلا يؤذي أحداً.

وصدق اللّه سبحانه وتعالى إذ يقول: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ومن فضل اللّه سبحانه وتعالى رأينا جميعاً وبأم أعيننا تلك الشهب والنيازك الساقطة والهاوية إلى الأرض، كيف تنتهي وينتهي وميضها قبل أن تصل إلى الأرض، ونحن في المدن نرى منها القليل، ولكن من يعيش في خلاء أو في الصحراء أو في البادية فإنه يرى كل يوم من هذه النيازك والشهب الكثير. . ولولا هذا السقف المحفوظ لدمرت هذه النيازك والشهب الأرض، تدميراً كاملاً ولأحدثت فيها فوَّهات وتجويفات وحفر مما يستحيل معه الحياة على هذه الأرض ولا أَمِنّا على أنفسنا لحظة واحدة من الخطر المستمر القادم من السماء الذي يأتي كالصواعق والقنابل المتفجرة.

. . . عندما نزلت الآية الكريمة ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ما رأى ناظر هذا السقف ولا يعلمون شيئاً عن هذا السقف، ولكن الإيمان أقوى وكلهم يقول اللّه سبحانه وتعالى أعلم بمراده. . فمن أين

---

(١) آيات اللّه في الآفاق: الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي.

لمحمد ﷺ هذا العلم؟! وهل كان من أحد يعلم شيئاً عن هذه النيازك والشهب الساقطة دائماً من السماء؟! إذ تفجر وتدمر على ارتفاع عشرات الكيلو مترات، فكيف يصلون إليها؟! وهل كان من أحد يعلم عن تلك الطبقات الهوائية شيئاً؟! وهل من أحد يعلم أن الطبقة الرابعة أشد من الحديد صلابة ومن الفولاذ متانة ومن النحاس تماسكاً، فتحرق كل شيء وكأنها فرن ذري دون أن يحسسنا الله بشيء ومن دون أن نسمع أصوات الانفجار والاحتكاك، بل نرى شهاباً جميلاً ساقطاً يلمع في كبد السماء ثم ينتهي قريباً من الأرض.

.... فهذا الكلام من عند الله سبحانه وتعالى الخالق والعالم بما خلق، وهو الذي يعلم أن هذه الطبقات الهوائية التي تحيط بالأرض خلقها وأوجدها بأجمل صورة وجعلها سقفاً للأرض وساكنيها.. فهل يعقل أن يكون هذا الكلام من عند سيدنا محمد ﷺ ويتحدث عن سقف للأرض وهو لا يرى شيئاً فوقه ليتحدث عنه؟.. أليست هذه الآية معجزة عظيمة ودليل إعجازي خلقي من الله سبحانه وتعالى؟ أليست هذه الآية الكريمة تندرج في وعد الله سبحانه وتعالى في قوله:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

ويمسك السماء أن تقع على الأرض

يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة الحج، الآية: ٦٥]

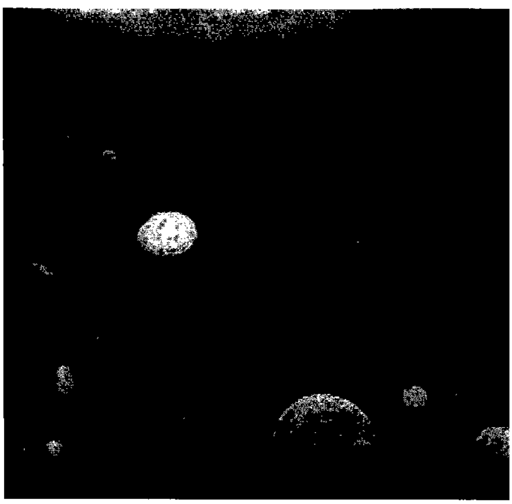
هذه الآية الكريمة في معانيها ومرادها غير الآية الكريمة:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٢]

فالسقف بيناه عند تفصيلنا لهذه الآية: هو الغلاف الجوي وطبقاته، والتي جعل اللّه سبحانه وتعالى واحدة منها كفرن ذري يحرق الحديد والفولاذ ويحوله إلى ذرات ترابية وغبارية دقيقة، وهذه رحمة من اللّه سبحانه وتعالى على الأرض، فالآية مخصوصة بطبقات الغلاف الجوي واللّه أعلم..

ولكن هذه الآية تتحدث عن السماء كلها وما فيها من نجوم وكواكب ونيازك وشهب وأقمار، وما علمنا وما لم نعلم.



انظر إلى الأحجار الكونية الكسف قريباً من الأرض وبين المشتري والمريخ وأعدادها هائلة لو فلتت واحدة منها كبيرة فأصابت الأرض فلربما دمرت جزءاً وإن توالى السقوط فلا يبقى حي على هذه الأرض السؤال من يمسكها فلا تقع؟؟

فالشهب والنيازك وما أشبه بهما، جعل اللّه لهما الغلاف الجوي ليحرقهما ويدمرهما إذا ما هبطا وسقطا على الأرض.. ولكن السؤال: هل هذا الغلاف بمقدرته التي أوجده اللّه سبحانه وتعالى فيه قادر على أن يحرق ويدمر نيزكاً طوله ٥٠ كيلو متراً على سبيل المثال؟ وهل هو قادر لو أن قمراً أو كوكباً أو نجماً فلت لظروف كونية معينة من جاذبيته وهوى نحو الأرض فهل الغلاف الجوي قادر على حماية الأرض من قمر أو كوكب هوى؟! لا ليس بقادر على هذا مطلقاً، فاللّه أوجد الغلاف وله قدرة محدودة.. والسؤال:

هل من المستحيل أن يفلت أحد الكواكب أو النيازك الضخمة من عقاِله وجاذبيته لانفجار ما في السماء ويسقط على الأرض أو يصطدم بها؟ وما أكثر ما يحدث من انفجارات عظيمة في السماء في كل دقيقة وثانية!!

... في مجموعتنا الشمسية ٩ كواكب، ولكل كوكب أقمار، وما بينهما ملايين النيازك والأحجار الكونية التي تسبح تكرير ما بينهما وما بين الأرض.

وأما إذا خرجنا خارج حدود مجموعتنا الشمسية، فهناك المليارات من المجرّات وفي كل مجرة المليارات من النجوم والكواكب، ومليارات المليارات من النيازك والشهب والأحجار وما لا نعلم... هذا كله محفوظ من اللّه ومضبوط بأوامره وممسوك بقانون الجاذبية الذي وضعه اللّه سبحانه وتعالى، مع أن الكون كله بمليارات نجومه يسير في كل ثانية ويتسع، وتتحرك النجوم والمجرات بسرعة هائلة تفوق الخيال، حيث تدور مجرتنا وتتسع بسرعة ٢٥٠ مليون كم في الثانية الواحدة.

وكذلك تدور وتتسع مجموعتنا الشمسية، وتسبح في أفلاكها بسرعة كبيرة، والأرض التي نعيش عليها تسير بسرعة ٣٠ كم في الثانية الواحدة وتدور حول نفسها بسرعة ١٦٠٠ كم في الساعة، وكذلك القمر.

... ولو ضربنا الأمثلة على انضباط السماء بما فيها بقانون الجاذبية التي وضعها اللّه سبحانه وتعالى لطال الحديث، ولكن نأخذ مثالاً القمر (قمر الأرض) فنقول:

إن بعد القمر عن الأرض محسوب بدقة شديدة.. فنحن نعلم أن المدَّ والجزر يعقبان في البحار بتأثير جاذبية القمر، ولكن بتأثير محدود، لذا ترى الجاذبية تتم كما أراد اللّه سبحانه وتعالى بهدوء وانسياب.. فمثلاً لو قَلّت المسافة بين الأرض والقمر لزاد ارتفاع مياه البحر لزيادة الجاذبية، عند ذلك تغطي مياه البحر اليابسة وتستحيل الحياة على الأرض.. ولو اقترب أيضاً أكثر من ذلك لجذبته الأرض إليها وارتطم بها، لأن كتلتها أكبر من كتلة القمر ١/ ٥٠.. فإذا أرتطم القمر بالأرض ومن دون حسابات انتهت الحياة مطلقاً على الأرض، ولكان دماراً لا يعلم مداه إلا اللّه سبحانه وتعالى، فإذا كان على سبيل المثال نيزكاً طوله ١كم سقط على الأرض وفلت من الغلاف الجوي لحجمه، فإن قوته التدميرية تقدر بأكثر من خمسين قنبلة هيدروجينية، فما بالك بالقمر الذي يزيد عن ألف كم.

هذا عن القمر.. وهل خروج القمر عن انضباطه وارد..؟ نعم وارد، فقد يحدث انفجار ما قريباً منه أو في أحد الكواكب أو في مكان في السماء يؤثر على مدار القمر فينخفض أو يرتفع، وما ينطبق على القمر ينطبق على مليارات الاحتمالات الأخرى، وما أكبر الكون وما أعظم اتساعه!

... ونعود إلى الآية الكريمة ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ هنا تعبير من إله قادر عليم بما في السماء وعليم أن احتمال ارتطام أي نجم أو كوكب أو نيزك أو قمر أو شهاب بالأرض وارد، والمراد بـ ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ أي: يمسك أحد نجومها أو كواكبها أو أقمارها، لأنه فيما لو ارتطم أحدها بالأرض لانتهت الحياة على الأرض، عندئذ لا داعي لنجم آخر أو كوكب آخر أن يرتطم بالأرض، لأن الحياة على الأرض تكون قد انتهت، فالمقصود إذاً في الآية الكريمة ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ شيء من السماء أن يقع على الأرض.. وهذا ليس مستحيلاً!! فالذي وضع قانون الجاذبية التي تضع النجوم والكواكب في مدارتها وكل في فلك يسبحون ولا تسبق الشمس القمر ولا القمر الشمس ولا الأرض، ولكن إذا أراد وأذن لحدث، فالذي وضع قانون الجاذبية يرفعه ويلغيه فيصطدم ما شاء بما شاء.. ولكن اللّه سبحانه وتعالى طمأننا وقال: ﴿وَيُمْسِكُ﴾ والأمر عند اللّه سبحانه وتعالى سهل وهين فهو لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ويكفي أن يلغي

جاذبية القمر من هذه السماء فيتقدم نحو الأرض ثم تجذبه الأرض إليها بقوة جاذبيتها وينتهي كل شيء.

ولقد ختم اللّه سبحانه وتعالى الآية بقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، وفعلاً جاء ختام الآية من اللّه العليم، فلولا أن اللّه سبحانه وتعالى بالناس لرؤوف رحيم لجعل السماء تسقط على الأرض ولأنهى الحياة على الأرض، ولكنه بالناس رؤوف رحيم فلو يؤاخذهم بما كسبوا لفعل.

يقول تعالى:

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾

[سورة فاطر، الآية: ٤٥]

ويقول تعالى:

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾

[سورة الكهف، الآية: ٥٨]

إن الله
يمسك السماوات والأرض أن تزولا

يقول تعالى:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

[سورة فاطر، الآية: ٤١]

اللّه وحده يعلم ماذا في السماوات، فقد أقسم بمواقع نجومها، وقال إن قسمي هذا قسم عظيم، ذلك لعظمة ما في السماوات.

يقول تعالى:

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥ ـ ٧٦]

المواقع هي المسافات الهائلة الممتدة ما بين المجرَّات وما بين النجوم، وحتى ما بين الكواكب. فإن طول مجرَّتنا (درب التبانة) ٢٥٠ مليون سنة ضوئية والثانية الضوئية ٣٠٠ ألف كم، فتصور طول مجرتنا وتصور المسافات الهائلة التي تفصل بين نجومها حتى تكون طول مجرتنا ٢٥٠ مليون سنة ضوئية.. وما مجرتنا إلا واحدة من مليارات المجرَّات التي تسبح في السماء بأمر اللّه سبحانه وتعالى.

وهذه الآية بالذات، لها علاقة بقانون الجاذبية الذي وضعه اللّه سبحانه وتعالى في مادة الكون كي يستمر كل شيء في البقاء والوجود، من أعظم المجرات في السماء إلى أصغرها، ومن أكبر النجوم حجماً وإلى أصغرها، وكذلك كل ما في هذا الكون من كواكب ومن نيازك وشهب وأقمار وسواها ممَّا خلق اللّه سبحانه وتعالى.. نعم إن اللّه سبحانه وتعالى يمسك السماء بقدرته وبقانون

الجاذبية الذي وضعه ليحافظ كل شيء على نفسه بمنتهى الدِّقة.. فقدرة اللّه سبحانه وتعالى لا تعني أن اللّه أوجد الأشياء بالعشوائية والفوضى، بل كل ما خلقه اللّه أوجد له قانوناً يعيش فيه حياته ودورته في الحياة، وهذا دافع للبشرية أن تأخذ بالأسباب وتجعل لكل شيء تستطيعه قانوناً تعمل به، لئلا نكون فوضويين أو عشوائيين..

فاللّه سبحانه وتعالى يمسك السماء بقدرته وبالقانون الذي وضعه لربط النجوم والكواكب مع بعضها، فكل صغير يَنشَدُّ إلى الكبير بواسطة قوة جاذبية الكبير.

وفي الأمر تفصيل علمي دقيق، لنرى كيف أن السماوات وما فيها يمسكهما اللّه بعلمه وقدرته وبالقوانين التي وضعها.. صحيح أن قانون الجاذبية هو الذي يربط تلك النجوم الهائلة مع بعضها، ولكنه ليس الوحيد.. نقول:

كل كتلة في هذا الكون تجذب الكتلة الأخرى بقدر كتلتها وبقدر المسافة فيما بينهما، فلو أن هذا القانون وحده كان هو المسيطر، فلا بد أن يجتمع الكون في النهاية في كتلة واحدة، لأنه ما دامت كل كتلة تجذب أختها أو التي أصغر منها فلا بد في النهاية أن يصبح الكون كتلة واحدة[١]، فالقمر تجذبه الأرض، والشمس تجذب الأرض، وشمس أخرى في مجرتنا أكبر من شمسنا تجذب شمسنا وشمس أخرى أكبر من تلك الشمس التي تجذب شمسنا، تجذبها إليها، وهكذا حتى تكون كل شمس كتلة واحدة عظيمة، فما الذي يحول دون تكتل الكون أو بعثرته بشكل فوضوي ويمسكه على حاله هذه التي نراها فلا يصبح كتلة واحدة فيزول ولا يتبعثر بفوضوية فيزول أيضاً.

... اللّه سبحانه وتعالى كي يمسك السماء والأرض فلا تزولا، جعل

(١) آيات اللّه في الآفاق د/ محمد راتب النابلسي.

لهما قانونين ـ الأول: قانون الجاذبية. . حتى لا تتبعثر النجوم في الفضاء، فيبقى كل نجم مشدود إلى آخر بقانون الجاذبية ـ والثاني: قانون (السبح والدوران).

فكل شيء في السماء مع قانون الجاذبية يدور. . ويدور بمسار مغلق، يدور ويرجع هذه الحركة الدورانية المستمرة. . فمثلاً الأرض تدور حول نفسها بسرعة ١٦٠٠ كم في الساعة، فينشأ من هذا الدوران قوة (نابذة) هي التي تكافئ القوة الجاذبة التي تأتيها من الشمس.

سبحان اللّه على هذا العلم وهذه الدقة. ومن هذه الحركة المستمرة ينشأ ما يسمى التوازن الحركي، وهذا فعلاً من آيات اللّه، والتي هي برهان على عظمة اللّه وقدرته، وبهذين القانونين قانون الجذب والنبذ يمسك اللّه سبحانه وتعالى السماوات والأرض أن تزولا. . واللّه سبحانه وتعالى يؤكد لو زالتا، أي: انفك عقدة رباطهما بقانون الجذب والنبذ، فمن إله إلا اللّه يمكن أن يعيدهما إلى مسارهما وضبطهما، ذلك: أنه ليس من إله في هذا الكون إلا اللّه، فهو خالق قانون الجذب (الجاذبية) وقانون النبذ (القوى النابذة)، وبأمره يزولا فتزول السماوات وتزول الأرض. . لو أمرهما اللّه بالزوال أو الخروج عن الانضباط لكان ذلك، وهو وحده القادر على إعادتهما بعد أن خرجتا عن قانون الجاذبية فبيده الأمر من قبل ومن بعد.

يقول الصابوني:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ أي: هو جلَّ وعلا بقدرته وبديع حكمته يمنع السماوات والأرض من الزوال والسقوط والوقوع، كما قال تعالى:

﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾[1]

(١) تفسير الصابوني (صفوة التفاسير) صفحة ١١٣٧.

ويقول القرطبي:

لما بيَّن اللّه سبحانه وتعالى أن آلهتهم لا تقدر على خلق شيء من السماوات والأرض، بين أن خالقهما وممسكهما هو اللّه ولا يوجد حادث إلا بإيجاده ولا يبقى إلا ببقائه(١).

ويقول السعدي في تفسيره:

يخبر اللّه سبحانه وتعالى عن كمال قدرته وتمام رحمته وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالى يمسك السماوات والأرض عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدرتهم وقواهم عنها، ولكنه تعالى قضى أن يكونا كما وجدا ليحصل للخلق القرار والنفع والاعتبار، وليعلموا من عظيم قدرته وسلطانه(٢).

إذاً قدرة اللّه سبحانه وتعالى أن يبقى كل شيء في مكانه وحفظه من الزوال، وحقيقة معنى الآية الكريمة ومعنى كلمة الزوال التي جاءت فيها، وهي أنها تخرج النجوم والكواكب عن مسارها لا أن تفنى، . . فإذا خرجت عن مسارها ارتطمت مليارات النجوم مع بعضها وتفجر الكون ولكن لا تفنى وهذه قضية عظيمة، فإذا أفناها اللّه سبحانه وتعالى أعدمها من الوجود، ولكن إن زالتا تخرج عن قانونها. . فمثلاً الأرض إذا اقتربت من الشمس زادت من سرعتها سرعة دورانها لئلا تنجذب إلى الشمس وترتطم بها، وهذه السرعة الزائدة تعطيها قوة جاذبة تكافئ القوة النابذة فلا تنجذب إليها وتبقى في مكانها.

فهذه الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾

[سورة فاطر، الآية: ٤١]

لها علاقة حتمية بقانون الجاذبية وقانون القوة النابذة والقوة الجاذبة، هذا ما كشفه العلم وتأكد منه، حيث أصبح دليلاً قاطعاً على وجوده ولم يعد

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٣٥٦).

(٢) تفسير السعدي صفحة ٦٩١.

هناك مجالٌ للشك في أن ما يمسك السماء بمليارات نجومها وكواكبها هي قدرة اللّه سبحانه وتعالى في قانون الجاذبية الذي وضعه، أليس هذا كلام علام الغيوب وخالق الوجود والعالم بما خلق، فلا يصدر مثل هذا العلم عن بشر وخاصة في زمن ليس فيه للعلم وجود، ولم يكن قانون الجاذبية معروفاً وما عرف إلا منذ فترة عندما اكتشفه نيوتن في القرن التاسع عشر الميلادي. فالحمد للّه على نعم اللّه وفضل اللّه.

قال تعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾

[سورة الكهف، الآية: ١]



صورة لمليارات النجوم والكواكب إن لم يمسكها اللّه
لتصادمت مع بعضها ودمرت وزالت وزلنا معها فمن يمسكها من الزوال؟

ظلام الفضاء الكوني

يقول تعالى:

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾

[سورة النازعات، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩]

إن من الآيات الكريمة آيات يستحيل على البشر الإتيان بها، أو أن تخطر على بالهم إذا كانوا لا يملكون مثل هذا العلم... هذه الآية الكريمة لم يعرف تفسيرها إلا في أواخر القرن العشرين، وتحديداً في عام ١٩٦١م عندما اخترقت أول سفينة فضائية (الغلاف الجوي)، وأصبحت في الفضاء الكوني... فقد انطلقت هذه المركبة أثناء النهار، ونظراً لسرعة المركبة ومسافة الغلاف الجوي والذي لا يزيد عن ١٠٠٠ كم، وصلت إلى خارج حدود الغلاف الجوي بسرعة، فانتقل ركاب السفينة الفضائية فجأة من النهار إلى ليل حالك الظلمة، وإلى سواد يعم أرجاء الكون المحيط بهم.

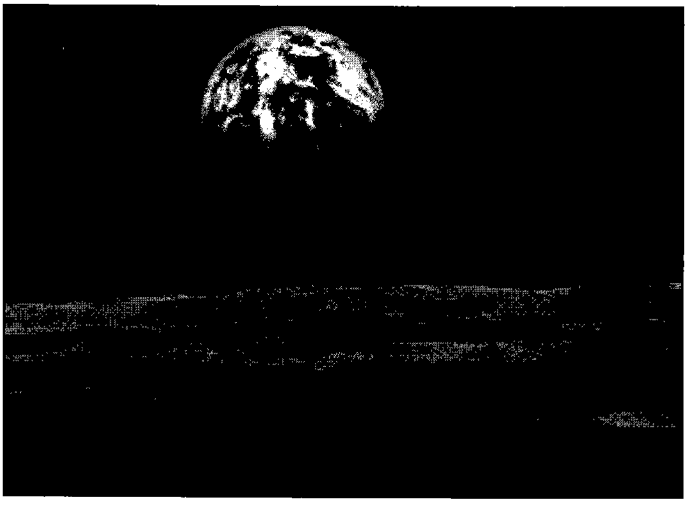
رأوا الشمس ولكنها كرة ملتهبة تميل إلى الاصفرار، وليس حولها ضوء أو نهار، وكذلك رأوا النجوم ساطعة بضوئها في ظلمة السواد الحالك.

.. صحيح أن ضوء الشمس المنبعث منها والتي تشعه على كامل أفراد مجموعتها الشمسية ومنها الأرض، ولكن هذا الضوء لا يجد فاعليته إلا إذا اصطدم بالهواء وذرات الغبار، فعندها يظهر ويشع.. وبما أن الأرض محاطة بالغلاف الجوي والهواء وذرات الغبار، فإنها أي: أشعة الشمس إذا وصلت إلى الأرض وغلافها الجوي يظهر الضياء والنهار لاصطدام الأشعة بالهواء وذرات الغبار، وبما أن الفضاء الكوني خارج حدود الغلاف الجوي لا يوجد فيه لا هواء ولا غبار، فإن أشعة الشمس لا تشع ولا تظهر ولا تضيء ولا تفعل ذلك إلا إذا اصطدمت بالهواء.. فهب أن الفضاء الخارجي هواء مثل جو الأرض... لذلك إذا ركبت سفينة فضائية، وعبرت بك الغلاف الجوي، ونظرت من نافذة السفينة الفضائية الزجاجية فإنك تلاحظ ظلاماً دامساً، لأن

أشعة الشمس لا تجد ما يشتتها ويبعثرها لكي تصل إلى عينك، نظراً لعدم توفر ذرات الهواء والتراب في الفضاء، وبهذا لن ترى النور المنعكس لضوء الشمس ولكنك ترى سماء حالكة السواد مرصعة بالنجوم المتلألئة.

. . . هذه حقائق علمية أصبحت ثابتة، ولا مجال للبس فيها أو الشك، وليست هي نظرية افتراضية أو احتمالية، بل حقيقة واقعة أثبتها العلم من بعد عام ١٩٦٠م.

ومما زاد الأمر وضوحاً أن **رائد الفضاء الأمريكي (أرمسترنغ)** الذي صعد بمركبة (أبولو) عام ١٩٦١م إلى سطح القمر، فإنه لم ير سوى ظلام دامسٍ حتى في النهار. . . وفي كتاب القرآن الكريم والعلم الحديث، يقولُ الدكتور منصور حسب النبي وبالمثل: فإن منظر السماء على سطح القمر يثير الدهشة، لأننا نرى ظلاماً دامساً حتى بالنهار، لأن القمر ليس له غلاف جوي يقوم بعملية التشتت لضوء الشمس، وبذلك لا يظهر اللون الأزرق في السماء كما تعودنا على الأرض، وتظل سماء القمر حالكة السواد وتظهر فيها النجوم نهاراً، إذا ما نظرت إلى أعلى بعيداً عن انعكاس الضوء من سطح القمر، الذي يكون ساخناً بالنهار لتعرضه لأشعة الشمس لمدة طويلة أثناء نهار القمر، الذي يدوم حوالي ١٤,٥ يوماً أرضياً، وتبدو الأرض بمنظر خلاب إذا ما نظرت إليها من سطح القمر(١).



إذا خرجت خارج حدود الغلاف الجوي فكل شيء ظلام دامس والسماء ظلام دامس وليس من نور إلا في نصف الكرة الأرضية التي تشع عليها الشمس. . فهل هذا العلم إلا من خالق هذه السموات والنجوم والكواكب؟!

---

(١) كتاب القرآن الكريم والعلم الحديث صفحة ١٦٤.

وبعد هذا البيان العلمي لهذه الآية الكريمة العظيمة الدالة على صحة كتاب اللَّه تعالى، وأنه أنزله العليم الخبير، في كل ما خلق في السماوات والأرض لنقرأ في تفسير بعض المفسرين لنقف على هذه الآية من كل جوانب العظمة فيها.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ الاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ، والمعنى: هل أنتم يا معشر المشركين أشق وأصعب خلقاً أم خلق السماء العظيمة البديعة. ﴿بَنَىٰهَا﴾ أي: رفعها عالية فوقكم محكمة البناء بلا عمد ولا أوتاد. ثم زاد في التوضيح والبيان فقال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: رفع جرمها وأعلى سقفها فوقكم، فجعلها مستوية لا تفاوت فيها ولا شقوق ولا فطور. ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: جعل ليلها مظلماً حالكاً. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي جعل نهارها مشرقاً ومضيئاً[(١)]

وفي التفسير الوسيط:

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ جعل ليل السماء مظلماً. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أبرز ضحى النهار بإضاءة الشمس[(٢)].

وفي الموسوعة القرآنية الميسرة:

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ جعل ليلها مظلماً. ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أبرز نهارها بضوء الشمس، والضحى: النهار. وفي الأصل أول النهار[(٣)].

في التفاسير الثلاثة التي ذكرت نجد إجماعاً على نقطتين. **الأولى:** ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ جعل ليلها مظلماً ـ أي السماء كلها وفي عمومها، **والثانية:** ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أبرز ضحى النهار بإضاءة الشمس. فالأصل سواد الليل الحالك في السماء والنهار لا يظهر إلا على الأرض فقط، وذلك بإضاءة الشمس على الأرض وغلافها، أما خارج حدود الأرض وغلافها فلا خلاف

---

(١) تفسير الصابوني (صفوة التفاسير) صفحة ١٦٤٢ ـ ١٦٤٣.

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي جزء ٣ صفحة ٢٨١٨.

(٣) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة ٥٨٥.

على أنه سواد في سواد، وظلام في ظلام دامس. . . ومع ذلك فإن المفسرين جميعاً احتاروا في كلمة ﴿ لَيْلَهَا﴾ أهو ليل سماء الأرض أم ليل السماء برمتها؟ ومن التفسير يتضح لنا أنهم اعتبروه (ليل الأرض).

ونحن الآن نعيش عصر الفضاء الذي كشف سر هذه الآية، وأوضح لنا أن السماء حالكة السواد رغم بزوغ الشمس، وعندما نهبط على القمر نلاحظ أيضاً أن السماء بالنهار تكون مظلمة لانعدام الغلاف الجوي، وهذا أمر مخالف لما يحدث في جو الأرض حيث يسطع نور النهار بفضل تشتت ضوء الشمس على ذرات الغلاف الجوي. وظلام الفضاء الكوني بعد مغادرة الغلاف الجوي للأرض حقيقة علمية، عبر عنها القرآن الكريم في آيات أخرى مشيراً إلى دهشة الكفار (كفار مكة) إذا ما أتيح لهم ارتياد الفضاء؛ في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾

[سورة الحجر، الآيات: ١٤ ـ ١٥]

وتعبر هذه الآيات عن الدهشة لمنظر غريب لا يعرفه إلا من يرتاد الفضاء لأول مرة، فالناس لم يألفوا سواد الفضاء الكوني رغم بزوغ الشمس، ولو أتيح لهم الصعود لقالوا:

﴿ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ وتبدأ هذه الآيات بحرف الشرط، (ولو) بما يفيد الامتناع ليدل على استحالة ارتياد الفضاء بالنسبة لكفار مكة، ولكنه حدث يمكن أن يتم بالنسبة لغيرهم من البشر، كما نلاحظ ذلك من معنى الآيات يقول تعالى:

﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

[سورة الرحمن، الآيات: ٣٣ ـ ٣٤]

أما الآيات هنا فتصف مشاعر من يرتاد الفضاء، وكأنه سكران أو مسحور، وهذه المشاعر والأوصاف مطابقة تماماً لما وصفه رواد الفضاء عقب اختراقهم للغلاف الجوي عام ١٩٦١م، حيث لاحظوا أن السماء فقدت

لونها الأزرق الجذاب وأصبحت سوداء مظلمة، وتبدو الأرض من بعيد على هيئة كرة سابحة في الفضاء المظلم، وهي محاطة بلون أزرق، أما الشمس فتصبح أقل اصفراراً (لاحتواء الضوء على مزيد من الأشعة فوق البنفسجية في الفضاء) ومحاطة بخلفية سوداء من جميع الجهات. أي: أن جميع الأجرام تسبح في ظلام الفضاء الكوني[١].

فمن علم سيد المرسلين محمد ﷺ هذا؟! وكيف عرف أنك لو خرجت خارج حدود الغلاف الجوي لكانت السماء ظلاماً دامساً؟!

(١) القرآن الكريم والعلم الحديث (منصور محمد حسب النبي، صفحة ١٦٥ ـ ١٦٦.

اللّـه
نور السماوات والأرض

يقول تعالى:

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

[سورة النور، الآية: ٣٥]

آية كريمة فيها أسرار عميقة للكلمات لغةً ومعاني، ولكن باطن هذه المعاني سر دفين من اللّه سبحانه وتعالى.. تعددت الأقوال والشروحات في هذه الآية الكريمة، وأدلى فيها تفصيلاً وشرحاً كثير من العلماء.. ولكن تبقى هذه الآية علماً عظيماً وسرّاً إلّهياً عظيماً.

كل كلمة من هذه الآية لها وصف ولها معنى، والكلمات متتابعة تشكل مع بعضها سرّاً من أسرار الخلق وسرّاً من أسرار التشبيه، وسرّاً من أسرار العلم.. فهل في الآية إعجاز يصنف تحت اسم (آيات الإعجاز في القرآن) أم ما ورد في الكلمات تشبيه تعرفه العرب فحدَّثهم اللّه سبحانه وتعالى بما يعرفون من معاني اللغة، وأنهم كانوا يستعملون الزيت والمشكاة والزجاجة.. أم وراء هذا التشبيه أمر آخر.

كلنا يعلم أن النور الذي يصيب الأرض من ضياء الشمس، فإذا حجبت الشمس بسحاب داكن أسود، أو حجبت الشمس بالكسوف الكلي، ذهب هذا النور الذي يصيب الأرض.. وإذا ما

ذهب ضياء الشمس تحول النهار إلى ليل.

...وكذلك فإنك إذا خرجت خارج حدود الأرض وغلافها الجوي، لم يعد هناك نهار وضوء، فالسماء خارج حدود الغلاف الجوي والذي يرتفع فوق سطح الأرض إلى نحو (١٠٠٠) كم مظلمة وقاتمة وشديدة الظلمة، وهذا ما عرفه الإنسان بعد صعود مركبات الفضاء بروادها خارج حدود الغلاف الجوي، وكذلك إذا صعدنا إلى القمر فإن الجانب المضيء فيه هو الذي أصابته الشمس بضيائها.. وكذلك إذا صعدنا ووصلنا إلى كواكب المجموعة الشمسية فإن الجانب المضيء فيها هو ما أصابته الشمس بضيائها، وما حول كواكب المجموعة الشمسية ظلام دامس مثل ما حول الأرض بعد غلافها الجوي.

... كثيراً من الآيات الكريمة العلمية منها على وجه الخصوص، تستطيع أن تتناولها اليوم بالذات بما لديك من علوم أصبحت جلية وواضحة فتساعدك على التفسير، كقوله تعالى:

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا * وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا * مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾

[سورة النازعات، الآيات: ٣٠ ـ ٣٣]

وقد تكلمنا في تفصيل علمي عن مثل هذه الآية في الجزء المخصص للأرض، وساعدنا على تفسيرها النظريات العلمية الحديثة التي أثبتت كروية الأرض وأنها دحية مثل بيضة النعام، فهي ليست كروية تماماً لنقص قطبها الشمالي والجنوبي ٤١ كم عن خط الوسط الاستواء.

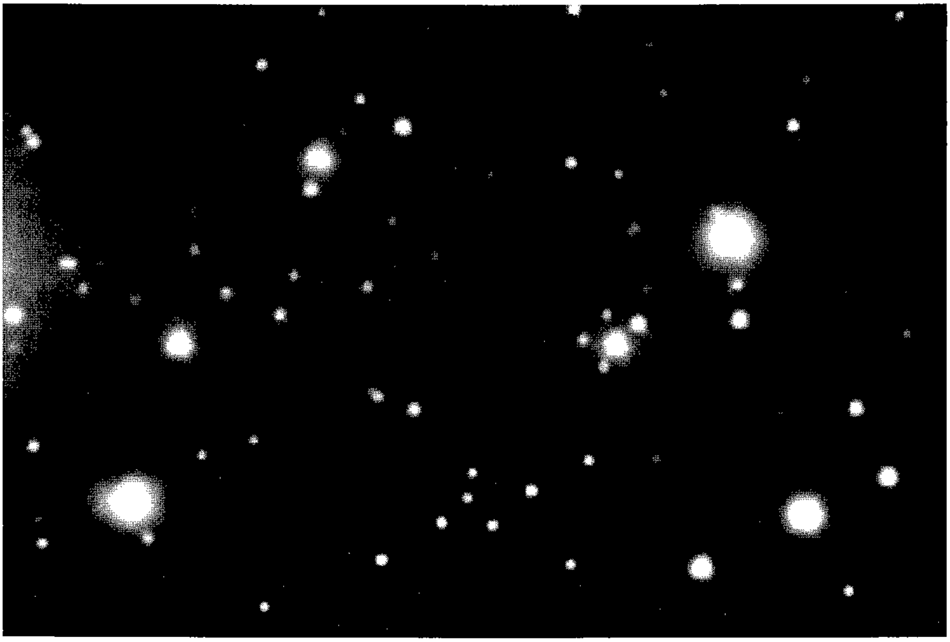
ولكن هذه الآية أكبر بكثير من الموضوعات الجزئية، وهي تكوير الليل على النهار أو تقليب الليل على النهار أو في قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾

[سورة غافر، الآية: ٦٤]

أوفي قوله تعالى:
﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ﴾

[سورة طه، الآية: ٥٣]



كل الكواكب في السماء معتمة لذلك يصعب رؤيتها بالعين
وبالتلسكوب وكل النجوم مضيئة ولكن من أضاءها. فلو أطفأها اللّه سبحانه لأصبح الكون
كله ظلاماً بظلام وانعدم كل شيء فلا نور إلا نور اللّه منور الأكوان.

. . . فمعاني هذه الآية تذهب بعيداً وتحلق في سماء المعرفة العلمية العظيمة، لذا تحتاج دراسة هذه الآية إلى تأن وروية وإطلاع على كثير من كتب المفسرين، ثم نرى وجوه الإعجاز لهذه الآية الكريمة وكيف شبه اللّه سبحانه وتعالى نوره بمشكاة فيها مصباح! ولماذا شبه سبحانه نوره بالمشكاة وهو مثال صغير جداً أمام عظمة اللّه وعلمه وقدرته؟! وقبل كل شيء علينا استعراض معاني كلمات الآية لتساعدنا عندما نقرأ التفاسير، وعندما نتحدث علمياً عن تفصيل هذه الآية الكريمة ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: منورهما أو هادي أهلهما أوموجودهما.

كمشكاة: كنور كوة غير نافذة.

مصباح: سراج ضخم ثاقب.

زجاجة: قنديل من الزجاج صاف أزهر.

كوكب دري: مضيء متلألئ صاف[١].

وفي تفسير الجلالين للاختصار شرح معاني الكلمات لتلك الآية الكريمة:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي منورهما بالشمس والقمر

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾: أي صفته في قلب المؤمن.

﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾: الطاقة غير النافذة.

﴿ٱلْمِصْبَاحُ﴾: السراج أي الفتيلة الموقودة.

﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: مضيء[٢]

... وفي الموسوعة القرآنية الميسرة:

جاء تفسير الآية الكريمة:

الله منور السماوات والأرض وأهلهما، والعالم كله يهتدون بنوره، صفة نوره العجيبة لتنوير قلوب المؤمنين الذين يهتدون إلى الحق والرشاد، كمثل كوة في جدار غير نافذة (وهي الطاقة)، تجمع النور وتعكسه، فيها سراج مضيء، والسراج نور ما فوق الأرض والسماء والجنة والنار، العرش في زجاجة صافية (كريستال)، الزجاجة والنور فيها كأنه نجم مضيء في صفائه وإشراقه، والدري منسوب إلى الدر: نوع من الأحجار الكريمة، ... يُوقد السراج (القنديل)، من زيت شجرة مباركة هي الزيتونة التي تتعرض للشمس طوال النهار لأنها في موضع متوسط بين الشرق والغرب، مما يجعل زيتها من أطيب الزيوت، يكاد زيتها يضيء بنفسه من غير نار لصفائه ولمعانه، نور على نور، المصباح نور، والزجاجة نور، وصفاء الزيت نور، فاكتمل الإشعاع... يوفق الله لإتباع قرآنه، ويبين الله الأمثال للناس: تقريباً لإفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا، والله عليم بكل شيء: لا تخفى عليه خافية وفيه

---

(١) معاني كلمات القرآن الكريم: حسنين محمد مخلوف صفحة ١٩٢.

(٢) تفسير الجلالين.

وعد ووعيد، وعد لمن تأمل ذلك، ووعيد لمن أهمل ذلك.

وفي صفوة التفاسير للصابوني:

جاء التفسير بوضوح وتوسع ودراية... ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي الله جل وعلا منور السماوات والأرض، أنار السماوات بالكواكب المضيئة والأرض بالشرائع والأحكام وبعثة الرسل الكرام.

قال الطبري: أي هادي أهل السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبنوره من حيرة الضلالة يعتصمون[١].

وقال القرطبي: النور عند العرب: الضوء المدرك بالبصر، واستعمل مجازاً في المعاني فيقال كلامٌ له نور قال الشاعر:

نوراً ومن فلق الصباح عموداً   نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى

وقال جرير: (وأنت لنا نورٌ وغيثُ وعصمة) والناس يقولون: فلانٌ نور البلد، وشمسُ العصر وقمره، فيجوز أن يقال: اللَّه نور على جهة المدح لأن جميع الأشياء منه ابتداؤها، وعنه صدورها، وبقدرته استقامت أمورها[٢]،

وقال ابن عطاء اللَّه:

(الكون كله ظلمة أناره ظهور الحق فيه، إذ لولا وجود اللَّه ما وجد شيء في العالم)[٣]. وفي الحديث (**اللَّهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن**)، **وقال ابن مسعود**: (ليس عند ربكم ليلٌ ولا نهار، نور السماوات والأرض نور وجهه). وقال **ابن القيم**: سمَّى اللّه سبحانه وتعالى نفسه نوراً وجعل كتابه نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور، وقد فسرت الآية: بأنه منور السماوات والأرض، وهادي أهل السماوات والأرض، وما قاله ابن مسعود أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادي أهل السماوات والأرض، وأما من فسرها بأنه منور السماوات والأرض فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود[٤]: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي مثل نور اللّه سبحانه وتعالى في قلب

---

(١) الطبري ١٨/ ١٠٥ وهذا قول ابن عباس ومجاهد واختاره الطبري.
(٢) القرطبي ١٢/٢٥٦.
(٣) الحكم لابن عطاء اللّه السكندري.
(٤) نقلاً عن محاسن التأويل.

عبده المؤمن، ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ أي ككوة في الحائط لا منفذ لها، ليكون أجمع للضوء وضع فيهاسراج ثاقب ساطع.

قال في التسهيل: المعنى: صفةُ نور اللّه في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة، وإنما شبه بالمشكاة ـ وإن كان نور اللّه أعظم ـ لأن ذلك هو ما يدركه الناس من الأنوار ضرب لهم به المثل(١). ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ أي: في قنديل من الزجاج الصافي ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ أي: تشبه الكوكب الدري في صفائها وحسنها. ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ أي: يشعل ذلك المصباح من زيت شجرة مباركة ﴿ زَيْتُونَةٍ ﴾ أي هي من شجر الزيتون الذي خصه اللّه بمنافع عديدة ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي: ليست في جهة الشرق ولا في جهة الغرب، وإنما هي صحراء منكشفة تصيبها الشمس طوال النهار لتكون ثمرتها أنضج، وزيتها أصفى. قال ابن عباس: هي شجرة بالصحراء لا يظلها شجر، ولا جبلٌ، ولا كهف، ولا يواريها شيء وهو أجود لزيْتها(٢). ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ مبالغة في وصف صفاء الزيت وحسنه وجودته، أي: يكاد زيتُ هذه الزيتونة يضيء من صفائه وحسن ضيائه ولو لم تمسَّه نار، فكيف إذا مسته النار؟ ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ أي: نور فوق نور فقد اجتمع نور السراج، وحسن الزجاجة، وصفاء الزيت، فاكتمل النور الممثل به ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ أي: يوفق اللّه لاتباع نوره ـ وهو القرآن ـ من يشاء من عباده ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ﴾ أي يبين لهم الأمثال تقريباً لأفهامهم ليعتبروا ويتعظوا بما فيها من الأسرار والحكم ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أي: هو سبحانه واسع العلم لا يخفى عليه شيء من أمر الخلق، وفيه وعدٌ ووعيد. قال الطبري: ذلك مثل ضربه اللّه للقرآن في قلب أهل الإيمان به فقال: مثل نور اللّه الذي أنار به لعباده سبل الرشاد، مثل كوة في الحائط لا منفذ لها، فيها مصباح أي سراج، وجعل السراج مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات البينات، ثم قال: ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ وذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن الذي أنار اللّه

---

(١) التسهيل ٣/ ٦٧.
(٢) مختصر ابن كثير ٢/ ٦٠٦.

صدره فخلص من الكفر والشك، ثم قال ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي: كأن الزجاجة في صفائها وضيائها كوكب يشبه الدر في الصفاء والضياء والحسن ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: تَوَقَّد هذا المصباح من دهن شجرة مباركة هي شجرة الزيتون، ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشي دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب فيكون زيتها أجود وأصفى وأضوأ ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ أي: يكاد زيت هذه الزيتونة يضيء من صفائه وحسن ضيائه، وعني بها أن حجج الله على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر، ولو لم يزدها الله بياناً ووضوحاً بنزول هذا القرآن، فكيف وقد نبههم به وذكرهم بآياته فزادهم به حجة! وذلك بيانٌ من الله ونور على البيان، ثم لما ذكر تعالى هدايته لمن يشاء من عباده، ذكر مواطن هذه الهداية(١).

ويقول ابن كثير في تفسيره:

قال ابن عباس: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي هادي أهل السماوات والأرض، يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما. وقال ابن جرير: عن أنس بن مالك قال: إن الله يقول نوري هدايتي، واختار هذا القول ابن جرير، وقال أبي بن كعب: هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فبدأ بنور نفسه، ثم ذكر نور المؤمن، فقال: مثل نور من آمن به. فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره. **وعن ابن عباس:** أنه قرأها (مثل نور من آمن بالله) وقرأ بعضهم: (الله منور السماوات والأرض) **وقال السدي:** في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فبنوره أضاءت السماوات والأرض، وفي الحديث: **(أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات)**(٢). وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول: **(اللّهم لك الحمد. أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن)** الحديث. وعن ابن مسعود قال: إن ربكم

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني صفحة ٩٠٧.

(٢) ذكره ابن إسحاق في السيرة من دعائه (ﷺ) يوم آذاه أهل الطائف

ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ في هذا الضمير قولان: **(أحدهما)** أنه عائد إلى الله سبحانه وتعالى، أي: مثل هداه في قلب المؤمن، قاله **ابن عباس** ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾. **(والثاني)**: أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام، تقديره: مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة. فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه: بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري، وما يستهديه من القرآن والشرع: بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف؛ فقوله ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ قال **ابن عباس ومجاهد**: هو موضع الفتيلة من القنديل، هذا هو المشهور؛ ولهذا قال بعده ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو الذبالة التي تضيء. وقال مجاهد: هي الكوة بلغة الحبشة، وزاد بعضهم فقال: المشكاة الكوة التي لا منفذ لها. وعن مجاهد: المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل؛ ولهذا قال: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ وهو النور الذي في الذبالة. قال **أبي بن كعب**: المصباح: النور، وهو القرآن والإيمان الذي في صدره. **وقال السدي**: هو السراج. ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ أي: هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية. وهي نظير قلب المؤمن. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ أي: كأنها كوكب من در. قال أبي بن كعب: كوكب مضيء. وقال قتادة: مضيء مبين ضخم. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أي: يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: ليست في شرقي بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار، ولا في غربيها فيقلص عنها الفيء قبل الغروب، بل هي في مكان وسط تعصرها الشمس من أول النهار إلى آخره، فيجيء زيتها صافياً معتدلاً مشرقاً، عن **ابن عباس** في قوله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: هي شجرة بالصحراء لا يظلها شجر ولا جبل ولا كهف، ولا يواريها شيء، وهو أجود لزيتها، وقال عكرمة: تلك زيتونة بأرض فلاة إذا أشرقت الشمس أشرقت عليها، فإذا غربت غربت عليها. فذلك أصفى ما يكون من الزيت، وعن سعيد بن جبير في قوله: ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ قال: هو أجود الزيت. قال: إذا طلعت

الشمس أصابتها من صوب المشرق، فإذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس. فالشمس تصيبها بالغداة والعشي فتلك لا تعد شرقية ولا غربية.

وفي التفسير الوسيط د/ وهبة الزحيلي يقول:(١)

لأذهان الناس وتصوراتهم المحدودة، شبَّه اللَّه نوره بنور مصباح في زجاجة موضوعة في كوة أو طاقة غير نافذة من الخلف، لينبعث النور في اتجاه معين نحو المنزل مثلاً، وكل ذلك منير، فكأن زجاج هذا المصباح في إضاءته وصفائه كوكب عظيم من الكواكب السيارة، وزيت المصباح مستخرج من زيت زيتون شجرة مباركة كثيرة المنافع، وزعت في جبل عال أو صحراء، ليست فقط متعرضة لنور الشمس وقت شروقها، ولا وقت غروبها، بل هي في مكان الوسط، تتعرض للشمس وقت الطلوع ووقت الغروب، ومن أول النهار إلى آخره.

ويكاد زيتها لصفائه وبريقه يضيء بنفسه، قبل إضاءته ومسّ النار له، لأن الزيت الصافي يرى من بعيد كأنه ذو شعاع، فإذا مسَّته النار، ازداد ضوءاً على ضوء، ومثل ذلك قلب المؤمن، يعمل بالهدي الإلهي قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم، ازداد نوراً على نور، وهداية على هداية، لأن اللَّه تعالى هو الذي أبدع الموجودات، وخلق العقل نوراً هادياً، فالعاقل يدرك عظمة المخلوقات، ويهتدي إلى خالقها، فإذا اكتملت الهداية بالكتاب الإلهي المنزَّل، واستنار الإنسان بإرشادات الرسول المرسل، وضحت الأمور وضوح الشمس. اهـ.

بعد أن قرأنا هذه التفسيرات التي أوضحت لنا الأمر وأجلت لنا ما خفي عنا من التفسير، نسأل أين معجزة هذه الآية الكريمة؟؟

. . . أراد اللّه سبحانه وتعالى أن يبين لخلقه وإلى أن تقوم الساعة من هو اللّه سبحانه وتعالى الذي نعبده في الليل والنهار، وأن كل ما فيهم من نعمة فمن اللّه سبحانه وتعالى، ومن جملة هذه النعم هذا الضياء والنور الذي نتمتع به نعمة عظيمة، وأنه سبحانه وتعالى لو أراد أن يجعل الليل سرمداً

(١) التفسير الوسيط للزحيلي الجزء ٢ الصفحة ١٧٥٢.

لفعل، وما أرانا من نور ولا ضياء وما جعل الشمس تطلع علينا.

يقول تعالى:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾

[سورة القصص، الآية: ٧١]

ولقد تحدثنا عن هذه الآية الكريمة مطولاً في الجزء الثاني من الموسوعة.

. . . فاللّه نور السماوات والأرض أي منورهما كما قال المفسرون بقدرته وعلمه، بأن خلق فيها آلاف المليارات من النجوم (الشموس) التي تضيء بواسطة النار الملتهبة فيها كشمسنا التي يقول علماء الفلك: أنها ترسل ألسنة من اللّهب على مسافة منها تبلغ نصف مليون كم، وقالوا: أكثر من ذلك. وذلك حتى يصل ضياؤها إلى كامل مجموعتها الشمسية والأرض منها.

. . . وأما نور اللّه سبحانه وتعالى بذاته العلية فقد حجبه عن السماوات وما فيها من دابة، لأنه كما يقول المفسرون: لو رفع اللّه سبحانه وتعالى الحجاب الذي يحجبه عن كل ما خلق، لأحرقت سبحات نور وجهه ما انتهى إليه من خلقه وربما دمر كل شيء، لذلك عندما سأل موسى عليه السلام أن يرى اللّه سبحانه وتعالى قال له: انظر إلى هذا الجبل فإن رأيته استقر في مكانه فسوف تراني، فزال الجبل من مكانه وتفجر، فخرَّ موسى صعقاً من هول ما رأى.

يقول تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ١٤٣]

. . . فنور اللّه سبحانه وتعالى لا أحد يستطيع أن يتحمله لأن جسد ابن آدم فيزيولوجياً غير مستعد لرؤية اللّه سبحانه وتعالى، ولكن يوم القيامة يتغير الحال وتصبح أبصارنا حديداً بقدرة اللّه سبحانه وتعالى، ويتغير الخلق

والجسد وتصبح الأجساد بقدرة اللّه سبحانه وتعالى قادرة على رؤية اللّه سبحانه وتعالى ورؤية نوره.

يقول تعالى:

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

[سورة ق، الآية: ٢٢]

وإذا صار البصر حديداً أي قوياً جداً وأنشأنا اللّه نشأة أخرى.

يقول تعالى:

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦٠ ـ ٦١]

فإذا ما أصبح البصر حديداً وتغيرت الأجساد بما يتناسب ورؤية اللّه سبحانه وتعالى والعيش في الجنة. يقول تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

[سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣]

وحول هذا الأمر تفصيلات دقيقة في موسوعة الآخرة(١).

(١) موسوعة الآخرة الجزء ٥ البعث والنشور ماهر أحمد الصوفي.

الفصل الثاني

١ ـ بروج السماء.

٢ ـ فروج السماء.

٣ ـ العروج إلى السماء.

٤ ـ الصعود إلى السماء.

٥ ـ السماء ذات الحبك.

٦ ـ والسماء ذات الرجع.

٧ ـ النجم الثاقب.

٨ ـ والنجم إذا هوى.

٩ ـ كسف السماء.

١٠ ـ النجم الشعرى.

١١ ـ حجارة السماء.

بروج السماء

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ * وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾

[سورة الحجر، الآيات: ١٦ ـ ١٨]

ما ذكر اللّه سبحانه وتعالى من شيء أو امتدحه في كتابه، أو عظم أمره في كتابه، أو نسب العظمة إليه كما في الآية القرآنية إلا كان أمراً عظيماً، ويدل على الصانع والخالق العظيم الذي خلق وأوجد.. نعم، أوجد مثل هذه البروج العظيمة الجميلة، وقد ورد معنى كلمة (بروج) عند **حسنين محمد مخلوف** في كتابه كلمات القرآن الكريم، بأنها منازل للكواكب السيارة.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ أي: جعلنا في السماء منازل تسير فيها الأفلاك والكواكب، ﴿ وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ أي: زيناها بالنجوم، ليُسَّر الناظر إليها. ﴿ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ أي: حفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين مطرود من رحمة اللّه. ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: إلا من اختلس شيئاً من أخبار السماء فأدركه ولحقه شهاب ثاقب فأحرقه(١).

ويقول الفخر الرازي في تفسيره (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ قال: قال الليث: البرج الواحد من بروج الفلك، والبروج جمع، وهي اثنا عشر برجاً. ونظيره قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ

(١) صفوة التفاسير للصابوني تفسير سورة الحجر صفحة ٦٨٢.

﴿ٱلۡبُرُوجِ﴾ ووجه دلالتها على وجود الصانع المختار، وهو أن طبائع هذه البروج مختلفة على ما هو متفق عليه من أرباب الأحكام. . وإذا كان الأمر كذلك، فالفلك مركب من هذه الأجزاء المختلفة في الماهية والأبعاض، المختلفة في الحقيقة. . . فثبت أن كون السماء مركبة من البروج، يدل على الفاعل المختار. وأما قوله: ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ أي: بالشمس والقمر والنجوم، ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾: أي للمعتبرين بها المستدلين بها على توحيد صانعها، ﴿وَحَفِظۡنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَـٰنٖ رَّجِيمٍ﴾ من أن يصل إليها الشياطين فيسترقون فيها السمع، كما جاء في سورة الجن فقد حفظ السماء من مقاربة الجن(١).

. . . ولقد عمد الفلكيون القدماء إلى تقسيم النجوم إلى مجموعات من البروج حسب مواعيد ظهورها وتجمعاتها، وأعطوها مع النجوم المعروفة بشدة الضياء واللمعان أسماء تتفق مع مخيلاتهم، ويقولون: إن هذه الأسماء عربية في الأصل فقد أطلقها الفلكيون العرب القدامى وحتى الآن لا تزال مستعملة تحت اسم لاثني عشر برجاً نقدم توضيحاً زمنياً لظهورها في السماء.

البرج	التاريخ التقريبي لظهوره	البرج	التاريخ التقريبي لظهوره
١ ـ القوس	٧ يوليو	٧ ـ التوأمان	٥ يناير
٢ ـ الجدي	٨ أغسطس	٨ ـ السرطان	٣٠ يونيو
٣ ـ الدلو	٢٥ أغسطس	٩ ـ الأسد	١ مارس
٤ ـ الحوت	٢٧ سبتمبر	١٠ ـ العذراء	١١ إبريل
٥ ـ الحمل	٣٠ أكتوبر	١١ ـ الميزان	٩ مايو
٦ ـ الثور	٣٠ نوفمبر	١٢ ـ العقرب	٣ يونيو

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) الفخر الرازي مجلد ١٠ صفحة ١٧٧.

نعود إلى الآية الكريمة:

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ [سورة الحجر، الآية: ١٦]

وكلمة بروج ذكرت في ثلاث آيات كريمة، منها ما قدمناه من سورة الحجر الآية ١٦.

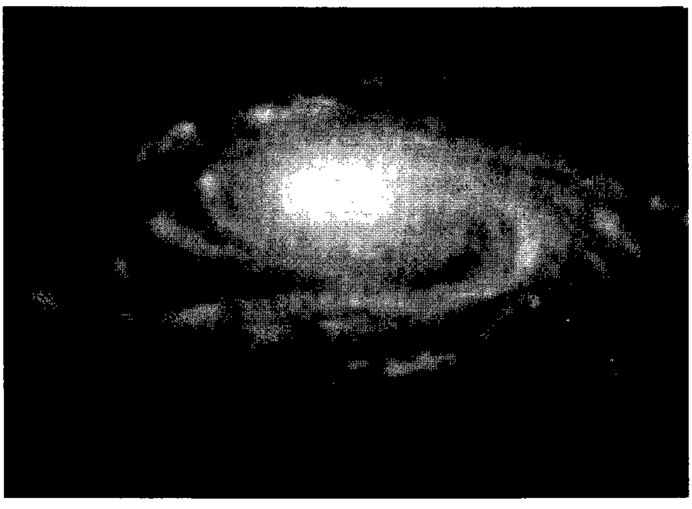
- وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٦١]

- وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ [سورة البروج، الآية: ١]

... ومن خلال هذه الآيات الكريمة، وإذا أمعنا النظر وأعدنا قراءتها مرات ومرات، ندرك أن هذه الآيات الكريمة تشير إلى أكبر بكثير مما فسره الفلكيون القدماء، عندما كانوا لا يملكون أي أدوات ترصد السماء، ويعرفون من خلالها أعداد النجوم في السماء، ويعرفون أيضاً أن هذه النجوم ليست مستقلة بذاتها إنما هي تتبع إلى نظام دقيق محكم مربوطة فيه بإحكام، وهو نظام المجرة التي تضم في تجمعها أكثر من (٢٠٠) مليار نجم غير الكواكب والأقمار، وكذلك أن المجرة وغيرها من المجرات تتبع إلى نظام آخر وهو (العناقيد المجرية)، والعنقود المجري الواحد قد يضم أكثر من خمس وعشرين ألف مجرة... نظام كوني محكم محبوك من إله خالق يقول تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٧]



هل البروج كما ذكرها القدماء والعلماء وهي برج الحوت والعقرب أم هي المجرات الهائلة والعناقيد المجرية؟

. . . والقول أن كلمة بروج الواردة في الآيات الثلاث تشير حتماً إلى المجرات وإلى العناقيد المجرية، ولا يمكن أن نبقى نعتمد على نظرية قديمة لا تستند على علم وإنما على تخمين ووجهة نظر، قالوها عندما لم يكن للعلوم الفلكية وجود إلا لتقديرات النظرية، وما يعتمد على رؤية العين المجردة. . . تماماً مثلماً قدمنا آراء المفسرين في تفسير قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾

[سورة الرعد، الآية: ٤١]

والذين قالوا فيما مجمله: أن الآية تشير إلى موت العلماء، لأنه يؤدي إلى فساد عظيم في الأرض، أو ظهور المشركين على المسلمين، أو نقصان الأنفس والثمرات. . فأمام الحقائق العلمية اليوم لم تعد هذه التفسيرات مقبولة، بعد أن ثبت علمياً أن الأرض تنقص من أطرافها بفعل الضغط المستمر، حيث قدر العلماء أن الأرض لحظة نشوئها كانت أكبر (٢٠٠) مرة عما عليه الآن، وظلت تنقص عبر ملايين السنين حتى صارت بوضعها الحالي الذي نعيش عليه.

وكذلك هذه الآيات الكريمة:

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾

[سورة الرعد، الآية: ٤١]

ففي هذه الآية الكريمة تعظيم للَّه سبحانه وتعالى، الذي جعل في السماء بروجاً وجعلها زينة للناظرين. . فهل يزين اللّه سبحانه وتعالى السماء فقط بتلك البروج الاثني عشر، والتي لا يتعدى عدد نجومها العشر، بينما في السماء مليارات المليارات من النجوم وآلاف المليارات من المجرات، ومئات الآلاف من العناقيد المجرية.

وهل الزينة في السماء لهذه البروج الاثني عشر وغيرها ليس للزينة، وهي شموس تدور حولها الكواكب وربما على بعضها خلق وفيها مياه؟؟

وكلمة ﴿ وَزَيَّنَّـٰهَا ﴾ الواردة في الآية الكريمة ليست الوحيدة في القرآن الكريم، فقد وردت في عدة آيات كريمة والتي تدل على أن كل النجوم التي في السماء في مجراتها هي زينة. قال تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾

[سورة ق، الآية: ٦]

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك، الآية: ٥]

﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ١٢]

هذه الآيات الكريمة تشير إلى مجموع النجوم التي زين اللّه سبحانه وتعالى بها السماء الدنيا، وليست محدودة بنجوم معينة كما سمَّوها بالأبراج التي تختص بعدد من النجوم.

كذلك الآية الثانية والتي فيها كلمة البروج يقول تعالى:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٦١]

وفي هذه الآية الكريمة تعظيم للّه وعلمه وقدرته الذي جعل في السماء هذه البروج، فهل قدرة اللّه وعظمته أنه جعل في السماء هذا العدد المحدود من النجوم، التي سمَّوها بالأبراج، وأطلقوا عليها أسماء شتى: كبرج الدلو وبرج السرطان، كما بيناً في الجدول.

وكذلك الآية الثالثة.

يقول تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾

[سورة البروج، الآية: ١]

وفي هذه الآية الكريمة دليل قاطع أن هذه البروج التي أقسم اللّه سبحانه وتعالى ليست هي عشرات النجوم فقط، والتي تتجمع في أبراج مسمَّاة من قبل بعض الناس.. واللّه سبحانه وتعالى لا يقسم إلا بعظيم ولا يقسم بعشرات النجوم فقط، والسماء فيها مليارات ومليارات المليارات من النجوم، والمجرَّات التي تسبح في كون اللّه سبحانه وتعالى.

فكلمة ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ﴾ هذه الواو للقسم، أي: قسم بالسماء ﴿ ذَاتِ ﴾ صفة للسماء، أي: الموصوفة بأن فيها هذه البروج، فهل معنى قوله أقسم بالسماء

التي فيها هذه البروج أنه في البروج الاثني عشر، وفي السماء ملايين الملايين من المجرَّات؟. فلا يتناسب القسم إلا مع عظمة الخلق التي تمثل حقيقة الخلق لتلك المجرات العظيمة.

. . . فمعنى البروج الواردة في الآيات الثلاث هي المجرات، وكان من الممكن أن يسمي علماء الفلك هذه المجرات باسم البروج، ومفردها برج والتي يساوي في المعنى المجرة.

فعندما أقسم اللّه سبحانه وتعالى وقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾، فالقسم يتناسب مع عظمة الخلق تماماً، كما أقسم اللّه سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥، ٧٦]

فالقسم في هذه الآية يشير إلى عظمة الخلق، فهل المعنى في قوله: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ هو لنجوم دون نجوم، أو القسم لكل النجوم التي خلقها وأوجدها اللّه سبحانه وتعالى. . . نعم، إن القسم لكل النجوم التي في السماء.

. . . ويمكن أن نذهب إلى أكبر من هذا، فنقول: أن كلمة (البروج) الواردة في الآيات الثلاث تشير إلى (العناقيد المجرية)، والتي تتألف من عدة آلاف من المجرات.

إذاً نقول: إن البروج هي إمَّا (**المجرات**) وإما (**العناقيد المجرية**)، وهذا قول، واللَّه أعلم هو أقرب بما يتناسب مع عظمة الآيات الكريمة ومع عظمة الخالق. وعلم المجرات والعناقيد المجرية التي لم يعرف إلا بعد أن استطاع أن يكتشف الإنسان المجاهر والتلسكوبات الكبيرة، والتي يصل قطر بعضها إلى أكثر من ثلاثين متراً، حتى يتسنى لهم كشف المزيد من تلك المجرات التي تسبح في كون اللّه سبحانه وتعالى. . فمن علم سيدنا محمد ﷺ بهذا الأمر العظيم الذي لم يعرفه العلم، وباشتراك دول بذاتها إلا من وقت قريب، ونعود ونقول: واللَّه أعلم. لأن هذا رأي في التفسير وقد لا يكون صحيحاً، وقد تكون هذه البروج وهي فعلاً البروج التي فسَّرها المفسرون وذكرها العلماء، وأثبتوا وجودها كما هي في الجدول الذي تقدَّم. . وفوق كل ذي علم عليم.

الشقوق والفرجات في السماء

(فروج السماء)

يقول تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾

[سورة ق، الآية: ٦]

الحديث في هذه الآية الكريمة يدور حول كلمة ﴿فُرُوجٍ﴾، فما معنى كلمة فروج لغة؟

فروج: فتوق وشقوق[١].

... فروج السماء لا ترى فحقيقةً يكون مكانها سواد حالك، وهذا السواد نحن نراه بأعيننا، ذلك إذا أتينا السماء في مكان مظلم ونظرنا إليها فإننا نجد درب التبانة وكثافة النجوم في وسط السماء، ولكن إذا ملنا بأعيننا إلى أقصى الشرق والغرب أو الشمال أو الجنوب فإننا نجد أماكن كبيرة المساحة لا يوجد فيها نجوم أو مجرات، وتراها منطقة سوداء خالية من أي تجمع مجري فيه نجوم كمجرتنا، التي نراها في وسط السماء.

فماذا في هذه الأماكن من السماء التي تتشح بالسواد الحالك فهل هي فروج وفجوات؟.

وقبل النظر في النظريات العلمية والتحقيقات العلمية، علينا أن ننظر في كتب التفسير عن معنى هذه الآية الكريمة، وعن معنى كلمة فروج.

في التفسير الوسيط للزحيلي يقول:

استدل الله سبحانه وتعالى على قدرته العظيمة على البعث بدليل حسي مشاهد لهم.. أفلم ينظر هؤلاء الكفار نظراً واضحاً إلى هذه السماء المخلوقة

---

(١) كلمات القرآن الكريم حسنين محمد مخلوف.

العجيبة، فهي مرفوعة بلا عمد ومزينة بالكواكب ومبنية بناء راسخاً، ليس فيها شقوق وصدوع وفتوق.

ويقول الفخر الرازي:

لا تحتاج الآية إلى دليل على أن السماء لا تقبل الخرق، وكذلك في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ وقوله: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ ولقفوا فيه أي: الكفار، لأن قوله تعالى ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ صريح في عدم ذلك والإخبار من الشيء لا يكون إخباراً من عدم إمكانه.

وفي صفوة التفاسير للصابوني:

﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ أي: كيف رفعناها بلا عمد وزيناها بالنجوم، ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: صدوع وشقوق.



صورة لإحدى المجرَّات الحلزونية وتظهر فيها ملايين الشموس فكل نقطة بيضاء هي شمس ولا أحد يدري كم لكل شمس عدد كواكب وكم من الكواكب الشاردة في هذه المجرَّة.

وهكذا فإن فروج السماء لا ترى بالعين وما نراه سواد حالك، . . . . في السنوات القليلة وبالتحديد في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، عرف

بوجودها على أثر القيام بمسح جديد للسماء لعمل خرائط كونية ذات ثلاثة أبعاد. فعندئذ فوجئ الفلكيون بوجود العديد من الفجوات، وكأن السماء قد ملئت بها. وأعيد إنشاء هذه الخرائط بدقة أكثر لتشمل مجرات ذو انزياح أحمر، المسافات بينها أبعد من بليون سنة ضوئية، وأصبح الشك يقيناً عندما اتضح أن الغالبية منها إن لم تكن كلها تتبع المضيء من المجرات، ومنها تكون على جوانب فجوات فضائية هائلة ـ يبلغ قطرها (١٥٠) مليون سنة ضوئية ـ قد لا تحتوي على أي شيء إطلاقاً من المواد المضيئة وقد اكتشفت فجوات عملاقة في عام (١٩٨١م) في برج بونيس قطرها (٢٥٠) مليون سنة ضوئية، ويحفظها حائط من المجرات، ويعتبر مركزها خالياً من المجرات وفي عام (١٩٨٩م) اكتشف أضخم حائط مجرات يزيد طوله على ٥٠٠ مليون سنة ضوئية، ويبلغ عرضه (٢٠٠) مليون سنة ضوئية، وسمكه حوالي (١٥) مليون سنة ضوئية، ويحتوي هذا الحائط الذي سمي (بالسور العظيم) على عدد من الفجوات الهائلة، وقد أدت هذه الاكتشافات المتتالية إلى الاعتقاد بأن الكون يتكون من فجوات أو فقاعات تقع المجرات على أطرافها، مثله في ذلك مثل قطعة الإسفنج الطبيعي التي تتكون من فجوات يحيط بها جدار من الإسفنج. ويحاول الفلكيون والفيزيائيون الآن حل لغز الفجوات أو الفروج السماوية وتفسير وجودها[(١)].

والاقتراح المرشح لتفسير هذه الفروج هو ما يسمى بالمواد الباردة، فهي تتكون من مواد تتكثف أو تتوهج بعد في صورة نجوم ومجرات، وقد تحتوي هذه الفجوات ثقوباً سوداء تبتلع كل ما يقترب منها من مادة مضيئة أو غير مضيئة، حتى أشعة الضوء لا تستطيع أن تفلت من جاذبيتها القوية. ولن نتعمق أكثر من ذلك في وصف طبيعة المادة الباردة المظلمة، فحتى الآن لم يتمكن أحد من التأكد من كينونتها.

وقد يتمكن العلم من معرفة المزيد عما تحتويه هذه الفجوات أو

---

(١) في ١٢/١٢/١٩٩٥م اكتشف أكبر تلسكوب أوروبي مشترك يقع بجنوب فرنسا في هذه المنطقة التي يظن أنها خالية أو هي فروج على تجمع مجري هائل، قدروا عدده بخمس وعشرين ألف مجرة، وهذا الخبر أوردته جميع وكالات الأنباء العالمية في الصحف والتلفاز والمجلات العلمية.

الفروج من مادة، كذلك من معرفة ما إذا احتوت على ثقوب سوداء أو لم تحتو عليها، وذلك بدراسة أدق وأطول لحركة المجرات التي تكوّن حائط الفروج، وما إذا كانت هذه المجرات تدور حول مراكز الفروج أو تنجذب إليها، وسرعة دورانها أو انجذابها [1].

وعودة إلى ذكر فروج السماء في الآية الكريمة:

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾

[سورة ق، الآية: ٦]

فبعد أن اكتشف التلسكوب الضخم في جنوب فرنسا والذي أشرنا إليه في الهامش أنه ليس للسماء فروج، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ وهذه ﴿ وَمَا ﴾ نافية تنفي وجود الفروج والشقوق في السماء.. وهذا كان له نفس المعنى في سورة الملك.

يقول تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

[سورة الملك، الآيات: ٣أ ٤]

فليس في السماء تفاوت وليس في السماء فطور، وليس فيها فروج، ولا شقوق بل هي محكمة البناء، ليس فيها خلل ولا فراغ ولا منطقة سوداء خالية من خلق اللَّه من مجرات.. كل علماء الفلك قالوا: إن هذه المناطق السوداء الواسعة في السماء خالية من أي مجرات ونجوم وكواكب.. خالية ولكن التلسكوب في جنوب فرنسا أثبت لهم عدم صحة نظريتهم، أو أن في السماء مناطق خالية من الخلق والنجوم.

وصدق اللَّه تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٧]

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾

[سورة النبأ، الآية: ١٢]

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي ـ يوسف الحاج أحمد صفحة ٣٦٣.

العروج إلى السماء

يقول تعالى:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾

[سورة الحجر، الآية: ١٤]

إن لكل كلمة في القرآن الكريم معنى لأنها من الله سبحانه وتعالى، لذلك نقف عند كل كلمة فقد تكون علماً قائماً بذاته.. وهنا في هذه الآية الكريمة كلمة ﴿يَعْرُجُونَ﴾ لها دلالاتها العظيمة، فلماذا قال تعالى هنا: ﴿يَعْرُجُونَ﴾ ولم يقل: يرتفعون أو يصعدون أو يطيرون.. ذلك أن لها معنى ولها علم ولها مراد، لأنها من الصانع الخالق للسماء، ويعرف أن الإنسان إذا صعد في السماء لا يصعد مستقيماً تماماً.

بل يعرج في صعوده.. في الماضي ربما لا يكون لها كبير معنى، لأنهم لم يصعدوا إلى السماء ويكتشفوا أن الصعود لا يكون إلا بطريقة العروج، ولكن العلم اليوم بين لنا بعد أن سبر الإنسان بعض أغوار السماء أن الصعود لا يكون إلا بالعروج.. وقبل أن ندخل المدخل العلمي أردنا أن نسمع **ما قاله أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة** حول هذه الآية:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ أي: لو فتحنا على هؤلاء المشركين باباً من السماء، ومكناهم من الصعود إليه فصاروا يصعدون إلى السماء.... التفسير تفسير لغوي فقط.... وكذلك كثير من التفاسير، إذاً فالسماء ليست فراغاًكما كان يعتقد، بل بنيان محكم يتعذر دخوله إلا عن طريق باب يُفتح، ونقف عند قوله تعالى من الآية الكريمة: ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ **والعروج لغة: سير الجسم في خط منعطف منحن**، وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة أن حركة الأجسام في الكون لا يمكن أن تكون في خطوط مستقيمة، بل لا بد لها من التعرج والانحناء، نظراً لانتشار المادة والطاقة في كل الكون. فأي جسم مادي ـ مهما عظمت كتلته أو تضاءلت ـ لا يمكنه التحرك إلا وفق خطوط منحنية.

وقد أصبح من الثابت علمياً أن كل جرم متحرك في السماء ـ مهما كانت كتلته ـ محكوم بكل من قوى الجذب والطرد المؤثرة فيه، وهذا ما يصفه القرآن الكريم بالعروج.

ولولا معرفة حقيقة عروج الأجسام في السماء، لما تمكن الإنسان من إطلاق الأقمار الصناعية، ولا استطاع كذلك ريادة الفضاء.

وبيان ذلك: أن حركة أي جسم مندفع من الأرض إلى السماء لا بد وأن تكون في خطوط منحنية، وذلك تأثيراً بكل من الجاذبية الأرضية، والقوى الدافعة له إلى السماء، وكلتاهما تعتمد على كتلة الجسم المتحرك، وعندما تتكافأ هاتان القوتان المتعارضتان يبدأ الجسم في الدوران في مدار حول الأرض مدفوعاً بسرعة أفقية تعرف باسم (سرعة التحرك الزاوي) أو (سرعة العروج).

وهذا التوازن الدقيق الذي أوجده الخالق سبحانه وتعالى بين كل من قوى الجاذبية والقوى الدافعة الناتجة عن عملية الفتق الذي حدد المدارات، والتي تتحرك فيها كل أجرام السماء، والسرعات التي تجري بها في تلك المدارات التي يدور بها كل منها حول محوره.



برج صممته الولايات المتحدة ويظهر من خلفه النجوم والمجرَّات ـ
قال العلماء إن هذا البرج سيصعد ولكن سيصعد متعرجاً!!

ولما كانت الجاذبية الأرضية تتناقص بزيادة الارتفاع عن سطح الأرض، فإن سرعة الجسم المرفوع إلى الفضاء تتغير بتغير ارتفاعه فوق سطح ذلك الكوكب، وبضبط العلاقة بين قوة جذب الأرض للجسم المنطلق منها إلى الفضاء والقوة الدافعة لذلك الجسم (أي سرعته)، يمكن ضبط المستوى الذي يدور فيه الجسم حول الأرض، أو حول غيرها من أجرام المجموعة الشمسية أو حتى إرساله إلى خارج المجموعة الشمسية، ليدخل في نطاق جرم أكبر يدور في فلكه.

وأقل سرعة يمكن التغلب بها على الجاذبية الأرضية في إطلاق جرم من فوق سطحها إلى فسحة الكون تسمى (سرعة الإفلات من الجاذبية الأرضية)، ولها حساب تعرف به وهي ٢٣,١ كم في الثانية.

وقد وصف القرآن الكريم عروج الأجسام في السماء في مواضع من القرآن ـ غير الآية التي بين أيدينا ـ منها:

يقول تعالى:

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾

[سورة سبأ، الآية: ٢]

وقوله تعالى:

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة السجدة، الآية: ٥]

وقوله تعالى:

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾

[سورة الزخرف، الآية: ٣٣]

وقوله تعالى:

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

[سورة المعارج، الآية: ٤]

وبعد: فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء، وصدق الله القائل في محكم كتابه:

﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾

[سورة السجدة، الآية: ٧]

والحمد لله رب العالمين.

وأما الفخر الرازي فقال في تفسيره مفاتيح الغيب عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ﴾ لو ظل المشركون يصعدون في تلك المعارج وينظرون إلى ملك الله سبحانه وتعالى وقدرته وسلطانه وإلى عباده الملائكة لشكوا في تلك الرؤية، وبقوا مصريين على الكفر والعناد كما كذبوا سائر المعجزات(١).

وأخيراً نقول: لقد تضمن القرآن الكريم العديد من الحقائق العلمية التي أثبتها العلم الحديث، ولا يزال يثبتها يوماً بعد يوم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ * لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾

[سورة الحجر، الآيتان: ١٤، ١٥]

وقد وردت هاتان الآيتان الكريمتان في سياق الحديث عن عناد ومكابرة كفار قريش لرسول الله ﷺ، وتكذيبهم لما جاءهم من البينات والهدى.

وتمثل هاتان الآيتان نموذجاً صارخاً لمكابرة أهل الباطل وعنادهم في مواجهة الحق، إذ إنهم حتى لو فتح الله تعالى عليهم باباً من السماء، وأعانهم على الاستمرار بالعروج فيه بأجسادهم، كي يطلعوا ويقفوا على بديع صنع الله سبحانه وتعالى، وعظيم قدرته في إبداع خلقه.. لشكوا في تلك الرؤية المباشرة، ولكذبوا أبصارهم وعقولهم، ولاتهموا أنفسهم بالعجز التام عن الرؤية، ولخيل إليهم أنهم في حالة من السحر!! كل ذلك محاولة منهم لإنكار الحق من فرط مكابرتهم وتكبرهم وعنادهم.

---

(١) الفخر الرازي مفاتيح الغيب تفسير سورة الحجر.

ولسنا في مقام تحليل موقف المعاندين والمشركين من قريش ومن كان على شاكلتهم، بل كل ما نرمي إليه الوقوف على بعض ملامح وجوه الإعجاز العلمي في هاتين الآيتين الكريمتين، وفق ما يسمح لنا المجال.

وأول ملمح إعجازي علمي في الآية، قوله تعالى ﴿ بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ فقد أثبت العلم بما لا يدع مجالاً للشك أن السماء ليست فراغاً، كما كان يعتقد الناس إلى عهد قريب، بل هي بناء محكم، لا يمكن ولوجه إلا عن طريق باب يفتح يتم الدخول منه.

وإلى سنوات قريبة، لم يكن في علم أحد من الناس أن السماء ـ على اتساعها ـ ليست فراغاً، ولكنها مليئة بالمادة على هيئة رقيقة للغاية، تشكلها غازات مخلخلة، يغلب على تركيبها غاز الهيدروجين والهليوم، وقليل من الأوكسجين والنيتروجين، وبخار الماء، مع انتشار هائل للإشعاعات الكونية بمختلف صورها.

ويعود السبب الرئيس في تصور أن الكون فراغ تام، هو التناقص التدريجي لضغط الغلاف الغازي للأرض مع الارتفاع عن سطحها، حتى لا يكاد يدرك بعد (ألف كيلو متر) فوق سطح البحر.

وكما سبق القول، فقد أثبت العلم مؤخراً أن السماء بناء محكم، تملؤه المادة والطاقة ولا يمكن اختراقه إلا عن طريق أبواب تفتح، وهذا ما ذكره القرآن من خلال الآية التي نحن بصدد الحديث عنها وغيرها من الآيات، وفي هذا شهادة على صدق هذا القرآن، وأنه تنزيل من رب العالمين، وأن كل ما في الكون[1] ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

[سورة النمل، الآية: ٨٨]

(١) الدكتور زغلول النجار نقلاً عن جريدة الأهرام المصرية العدد ٤١٨٧٤.

الصعود إلى السماء

يقول تعالى:

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ١٢٥]

الإرادة الإلهية محور أي حركة سواء في الأرض أو في السماوات، بدءاً من الذرة ونهاية بأعظم وأكبر النجوم التي تسبح في السماء.

واللّه لا يُسأل عما يفعل، ونحن الذين نسأل عما اقترفنا في حياتنا الدنيا ونقف للحساب والجزاء يوم القيامة أمام محكمة العدل الإلهية.

فليس بعد اللّه من يحكم وليس بعد اللّه عدل وحكم، وكلنا يعلم أنه ليس من أحد يملك العدل المطلق إلا اللّه حتى ولو أوتي مجامع الحكمة والعقل والذكاء والعلم.

فالمشيئة الإلهية الفيصل في الرأي والحكمة والإرادة، وكل إنسان خلق على وجه هذه الأرض وحتى يرث اللّه الأرض ومن عليها، مرهون لمشيئة وإرادة اللّه تعالى في قوته وضعفه، وفي غناه وفقره، وفي رضاه ونقمته، وهدايته وضلالته.

فكل من في الدنيا محكوم بقانون اللّه، وكلهم محكوم عليهم بالآخرة بعدل اللّه المطلق.

ولكن العسف في القرار والإرادة لا يأتي من اللّه الذي اختص نفسه بتسعة وتسعين جزءاً من الرحمة، وليس معنى الآية أن اللّه يختار بالعشوائية أقواماًفيهديهم ويجعل أقواماً آخرين يعيشون في الضلال والظلم والفساد.

يقول تعالى:

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [سورة ق، الآية: ٢٩]

ويقول تعالى:

﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾

[سورة النحل، الآية: ١١٨]

فالذي خلق هؤلاء جميعاً هو اللّه، وهو أقرب للجميع من أنفسهم يقول تعالى:

﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٢٥]

فالرسول محمد ﷺ حينما دعا ربه بأن يعز الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام،

عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: أنّ النبي ﷺ قال **(اللّهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام)**(١)

فاللّه سبحانه وتعالى استجاب لسيدنا محمد ﷺ واختار للإسلام عمر بن الخطاب، ولكن هل جاءت إرادة اللّه دون عدل أو حكم؟

فهل يعقل أن يكون عمرو بن هشام قابلاً للهداية والتوبة فيرفضه اللّه سبحانه وتعالى ويطرده من رحمته؟.

والدليل على مشيئة اللّه العادلة، ما رأينا وسمعناه عن عمر بن الخطاب الذي أراده اللّه سبحانه وتعالى فشرح قلبه للإسلام، وفعلاً فإن عمر بن الخطاب أعز الإسلام وما حكمه وعدله وتثبيته للإسلام وفتوحاته إلا أكبر شاهد على مشيئة اللّه الحكيمة العادلة.

فالآية القرآنية حكمة وإرادة وعلم من قادر أعلم وأخبر بنفوس عباده من أنفسهم، فاللّه يريد منا جميعاً أن نؤمن.

ومن كان يملك مؤهلات الإيمان ودلائله وإن كان بعيداً عن الهداية، فاللّه في لحظة من اللحظات قد يشرح صدره للإسلام لما يحمل هذا العبد

(١) أخرجه الترمذي برقم (٤٧١) وقال حسن صحيح وأخرجه الطبراني في الأوسط.

من أسباب ومؤهلات الهداية، والنفس الطيبة وإن حادت عن الطريق لفترة معينة، فاللّه هو خالق العباد جميعاً يعلم ما يبدون وما يكتمون، فاللّه لا يترك عبداً في قلبه ذرة من الإيمان إلا شرح صدره وهداه للإيمان والعمل الصالح.

وأما كيف يكون هذا واللّه يقول: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾!!

وهل يضل اللّه عباده؟ وكيف يكون هذا من اللّه الرؤوف الرحيم؟!!

وبيان ذلك أن النفس تحمل في داخلها الفجور كما تحمل التقوى، وهذا عدل اللّه أن جعل الفجور والتقوى في الإنسان وجعل بينهما العقل صاحب السيادة والريادة في الأمر والفعل، فإما أن يحمل هذا العقل هذه الفطرة الإيمانية على الفجور، وإما أن يحملها على التقوى.

فلا يقع الجزاء يوم القيامة على إنسان إلا إذا تحكم العقل بالفعل وأجبر النفس والجسد على الميل نحو الفجور ويكون ميلاً شديداً لا يصح معه الإصلاح والهداية.

فالنفس الخبيثة التي يسيطر عليها العقل الفاسد والقلب المقفل بمعاونة القرين السوء، فإنه يصعب معها الهداية، لأن سيطرة النفس الخبيثة حينما تميل ميلاً شديداً نحو العصيان والفجور تنزع في طريقها أي أثر للتقوى فيخرج من الجسد ليحترق صاحبه بنار الخبث والفساد، بل ويعمل على إذكاء نار الفجور حتى يصبح الفساد متأصلاً بالنفس والجسد.

وإذا تأصل هذا الفساد، في النفس فإن هذه النفس الأمارة بالسوء لا ترضى أن يقتصر عليها الفجور والفساد، بل تعمل على إذكائه بكل النفوس المحيطة وتعمل قوتها على تدمير أي نفس طاهرة تميل إلى التقوى والصلاح.

وهنا تكون إرادة اللّه مع هذه النفس الخبيثة بأن يضيف عليها فوق ما هي عليه من الفساد فيحرمه من الحب الإلهي فيخرج من رحمة اللّه ويخرج من باب الهداية التي تشرح الصدر، بل يزيد عليها ساعتها في خبثه وفساده حتى يصبح صاحبها ذا نفس مخنوقة لأنه يشاقق اللّه ويعصيه، لأنه يحارب اللّه محاربة قوية فلا بد أن يرد اللّه عليه حربه ومكره ويضيق عليه، كما يفرج على المؤمن لأن اللّه مع المؤمن، وهذا الكافر الفاسق الذي أبت نفسه

الإيمان فيزيده اللَّه ضلالاً وعصياناً، ولا يزال يضيق عليه حتى يجعله يحس إحساساً كاملاً بأنه يصَّعد في السماء.

وهذه الآية الكريمة تشير إلى ناحيتين علميتين:



انظر إلى رائد الفضاء هذا وماذا يلبس؟؟ ولولا هذا اللباس لاختنق وهو يخرج من مركبته

الأولى:

أنه ثبت لدى العلماء أنه من يصعد إلى السماء أو إلى أعلى دون واق يقيه أو حصن يتحصَّن به كسفينة الفضاء مثلاً أو الطائرة فإنه يشعر وهو على ارتفاع ثلاثين ألف قدم بحال اختناق ونزف للدم من أنفه وقيء وصعوبة

التنفس، وقد قام (**فرانشيسكو**) الإيطالي بمحاولة للصعود عن طريق البالون ١٨٠٥ فتعذر عليه الصعود لأكثر من ثلاثين ألف قدم للحالات المذكورة سابقاً وأعيدت المحاولة من قبل (**جليشر**) الإنكليزي عام ١٨٦٣م بواسطة منطاد هوائي، وعادوا من الرحلة مؤكدين أنه لا يمكن للإنسان أن يرتاد الفضاء دون تحصين متين، وصمموا بعدم ارتيادهم مرة أخرى لإصابتهم بضيق كامل في الصدر وحالة من الاختناق شبه الكامل فعادوا أدراجهم بسرعة[١]

الثانية:

أنه لم يسبق عصر سيدنا محمد ﷺ لأحد أن صعد إلى السماء ولم تكن هناك أية علوم على الإطلاق ولم يثبت في التاريخ أن قام بهذه المحاولة فمن أين علم سيدنا محمد ﷺ أن الذي يصعد إلى السماء يصاب باختناق في الصدر وكآبة في النفس، وهذه حالة علمية، فالإنسان إذا زاد ضغط الجو عليه لسبب من الأسباب فإنه يحس بالضيق وسيلان الدم والقيء، وهذه حالة لا تكون إلا في صعود السماء دون تحصين كامل.

فاللّه سبحانه وتعالى يعلم هذا لأنه هو الذي خلق السماوات والأرض ويعلم تماماً ماذا يحدث لو صعد الإنسان إلى السماء، ولذا جاءت هذه الآية تعبر عن حالة الكافر الذي لا يؤمن باللّه وشبهه برجل يصَّعد في السماء، وكلاهما يصاب بضيق في الصدر.

---

(١) عن محاضرات الدكتور منصور حسب النبي رئيس قسم الفيزياء ـ جامعة القاهرة ١٩٩٥.

السماء ذات الحبك

يقول تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ * إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾

[سورة الذاريات، الآيات: ٧ ـ ٩]

اللّه سبحانه وتعالى يقسم بالسماء ذات الحبك، واللّه سبحانه وتعالى لا يقسم إلا بعظيم فهذه الواو للقسم، والمعنى: أقسم بالسماء ذات الحبك.

فإذا كنا نعرف معنى السماء فما معنى الحبك؟ وما فيها من العلم؟ وما فيها من الإعجاز العلمي في آيات اللّه سبحانه وتعالى.؟ فهذه الآية الكريمة ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ من كلمات ثلاث، إلا أن فيها من المعنى العظيم الذي لا يدرك حقيقته إلا خالق الخلق، فإذا كان اللّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ فإنه يقول عنها عند قيام الساعة: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾

[سورة الحاقة، الآية: ١٦]

فالسماء في الدنيا ذات حبك، وعند قيام الساعة واهية، أي ضعيفة بعد أن تتشقق وتنفطر وتنفجر وتصبح وردة كالدهان.

يقول ابن كثير في تفسيره:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ قال: قال ابن عباس: ذات الجمال والبهجة والحسن والاستواء. وقال الضحاك: الرمل والزرع إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضاً طرائق فذلك الحبك. وعن أبي صالح ﴿ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ الشدة وقال خصيف: ﴿ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ ذات الصفاقة، وقال الحسن البصري: ﴿ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ حبكت بالنجوم.. وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي اللّه عنهما.

فإنها من حسنها شفافة صفيقة، شديدة البناء، متسقة الأرجاء، أنيقة البهاء مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات موشحة بالكواكب الزاهرات[(١)].

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ أي: وأقسم بالسماء ذات الطرائق المحكمة والبنيان المتقن. قال ابن عباس: ذات الخلق الحسن المستوي[(٢)].

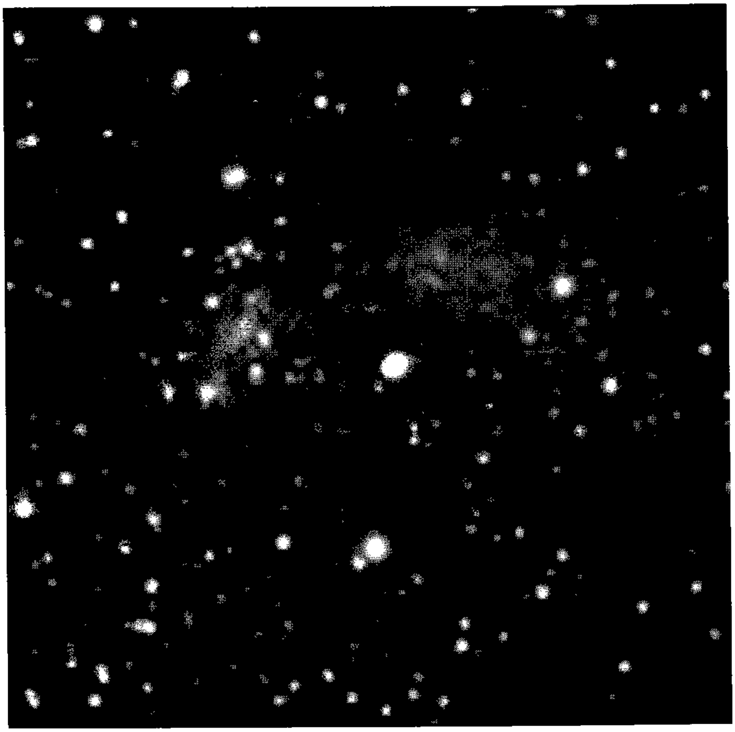
ويقول الفخر الرازي في التفسير الكبير:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قيل: الطرائق، وعلى هذا يحتمل أن يكون المراد طرائق الكواكب وممراتها كما يقال في المحابك، ويحتمل أن يكون المراد ما في السماء من الأشكال بسبب النجوم، فإن سمت كواكبها طريق التنين والعقرب والنسر الذي يقول به أصحاب الصور ومنطقة الجوزاء وغير ذلك كالطرائق، وعلى هذا فالمراد به السماء المزينة بزينة الكواكب، ومثله قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ وقيل: حبكها، أي: صفاقها، يقال في الثوب الصفيق: حسن الحبك، وعلى هذا فهو كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ لشدتها وقوتها هذا ما قيل فيه[(٣)].

من هذه التفسيرات الثلاثة تخلص إلى ما مفاده.. أن معنى قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ أي السماء ذات الحسن والجمال والبهاء والكمال، وأنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متسقة الأرجاء أنيقة البهاء مكللة بالنجوم.. وإن ما يلفت النظر في هذه التفاسير وهو التعبير عن السماء ذات الحبك أنها مثل الثوب الصفيق أي المحبوك والمنسوج حبكاً ونسجاً محكماً، فخيوطه محبوكة ومنسوجة بإتقان وإحكام لا فراغ في النسج ولا خلل ولا ضعف لذلك بدا الثوب بهياً جميلاً مكتمل الحسن.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير جزء ٣ صفحة ٣٨٢.
(٢) صفوة التفاسير للصابوني صفحة ١٣٩١.
(٣) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للفخر الرازي صفحة ١٩٨ الجزء ١٤.



التلسكوبات المعاصرة كشفت أنه لا يوجد في السماء خلل أو فراغ.. بل السماء محبوكة حبكاً جيداً.. انظر إلى هذه الصورة الحديثة لجزء يسير من السماء مجرات ـ نجوم ـ كواكب ـ أين هو الفراغ أو الخلل.. إنها حقاً سماء ذات حبك.

... ما معنى هذا؟ معناه أن السماء كالثوب المنسوج نسجاً محكماً مترابطاً لا خلل في خيوطه بل خيوطه متماسكة عرضاً وطولاً ومتداخلة بحيث لا تترك فراغاً في أي قطعة من الثوب أو القماش المنسوج، فلا يستطيع أحد أن يعيبه في نسجه وحبكه، لأن الصانع أتقن نسجه وحبكه.

وعلى هذا فالسماء لا خلل فيها ولا يوجد فيها مساحة فارغة من بناء محكم من المجرات والنجوم والكواكب والأقمار، فأينما جلت بنظرك في السماء، يجب أن تجد سماء ممتلئة بالنجوم ولا تجد أي مساحة سوداء أو كتلة مفقودة... ولكن الناظر إلى السماء في ظلمة الليل يجد النجوم تسطع في وسط السماء ثم إذا جال ببصره إلى أقصى الجنوب وأقصى الشمال فإنه يجد بعض النجوم المبعثرة التي بينها فراغ كبير ثم سواد لا أثر فيه لأية نجوم، وكذلك في شرق السماء وغربها.. فهل هذا يتنافى مع قوله سبحانه وتعالى ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾؟ فبيان الآية واضح، أن السماء مثل الثوب المحبوك حبكاً متقناً، فكما أنك لا تجد في الثوب فراغاً كذلك يجب أن لا

ترى في السماء فراغاً فمجرة درب التبانة تسطع في وسط السماء ولكن عيوننا لا تجد شيئاً في أطراف السماء. .

علمياً هذا ما حير العلماء وسموه بالكتلة المفقودة في الكون، والتي أطلقوا عليها المادة القاتمة فهي معتمة ولا يمكن رؤيتها، رغم أنها تمثل ٩٠٪ من كتلة الكون المفقودة.

. . . يا سبحان اللَّه كل هذه الاكتشافات العظيمة عن علم السماء وأن في السماء ملايين بل ملايين البلايين من المجرات، وكلها رصدوها في تلسكوباتهم الفضائية إلا أن هذا لا يشكل سوى ١٠٪ من الكون، والمفقود ٩٠٪ من الكون حسب ما يرونه من فراغات هائلة في السماء.

فلنقرأ ماذا يقول علماء الفلك عن هذا الأمر:

تعتبر مشكلة الكتلة المفقودة من أعقد المشكلات التي تواجه علماء الفلك، ويطلقون على هذه الكتلة اسم المادة القاتمة، فهي معتمة ولا يمكن رؤيتها رغم أنها تمثل ٩٠٪ من كتلة الكون المفترضة.

فحسب تقديرات العلماء يضم الكون المنظور حوالي (١٠٠) ألف مليون مجرة، وكل مجرة تحوي على الأقل (١٠٠) ألف مليون نجم، ولكن هذا كله لا يشكل سوى (١٠٪) من الكتلة المفترضة للكون، وفي ظل هذا الوضع تُعد كثافة الكون طبقاً للمتوقع المرصود قليلة جداً عن الكثافة الحرجة، وهي نموذج محدد بالحسابات الرياضية مقداره من (٣ ـ ٤) ذرات هيدروجين، لكل متر مكعب من الفضاء، حتى يمكن للمادة بهذا المقدار الحفاظ على مستوى من الجاذبية لوقف تمدد الكون.

ولكن كثافة الكون الحالية لا تزيد عن (١ ـ ٢) ذرة هيدروجين في المتر المكعب من الفضاء الكوني، وهذا يعني أن هناك كتلة مفقودة في الكون، ولا نعلم عنها شيئاً، قد تكون كما يقول الباحث **نبيل عبد الفتاح** في كتابه **(الكون ذلك المجهول)**: عبارة عن جسيمات أو عناصر كيمائية لا نعلم عنها شيئاً، ولا تخضع لقياس الأجهزة الحالية المستخدمة في قياس العناصر الكيمائية أو نظائرها، لأنها مصمَّمة أصلاً طبقاً للنظرية الذرية الحديثة[1].

---

(١) جلال عبد الفتاح (الكون ذلك المجهول)

ولا أحد يعرف طبيعة تكوين هذه المادة القاتمة، فبعض العلماء يقول: إنها باردة إلى الحد الذي لا تطلق معه أية إشعاعات أو أضواء يمكن رصدها مثل النجوم والمجرات التي تموج بالتفاعلات النووية، مصطلح الجسيمات الباردة في علم الفيزياء يعني: أنها جسيمات بطيئة الحركة، فإذا كانت كذلك فلا يمكنها بالتالي جمع ملايين النجوم في المجرات، وجمع آلاف المجرات في تجمعات ضخمة.

أما إذا كانت المادة القاتمة ساخنة فهذا يعني: أن جسيماتها سريعة الحركة، وأنها حقاً تقوم بالمهمة، ويتولد عنها جاذبية كبيرة تشد النجوم داخل المجرات، وتعمل على توازن الكون، ولكن لو كان هذا صحيحاً لتم اكتشاف جسيمات هذه المادة بما يخرج منها من إشعاعات وحرارة، وهذا لم يحدث، وهنا وجد العلماء أنفسهم أمام مأزق حرج.

وأعاد العلماء حساباتهم بالنسبة لكتلة مادة الكون المنظور، فأضافوا إليها المادة الموجودة في الثقوب السوداء المنتشرة في الفضاء الكوني، والمادة الناشئة عن انفجار النجوم بين المجرات، وجسيمات النيوترينو السابحة في الكون، وكذلك الأشعة الكونية، وبعد هذه الإضافات لم تزد كتلة الكون المنظور عن ٥٣٠ في أحسن الافتراضات من الكتلة التي ينبغي أن يكون عليها الكون، حيث هناك ٥٧٠ من الكتلة مفقود.

وأمام استمرار هذا المأزق اقترح بعض العلماء تفسيراً لطبيعة تكوين المادة القاتمة، مفاده وجود جسيمات من نوع جديد تدخل في تركيبه، وتعرف باسم الجسيمات الثقيلة ضعيفة التفاعل، ولكن هذه الجسيمات لم تُكشف بعد بكافة الأجهزة المتاحة.

واقترح علماء آخرون أن هذه المادة قد تكون نوعاً من الأربطة الكونية وهي تشبه إلى حد ما الأشرطة الطويلة للحامض النووي التي تحمل العوامل البشرية للجنس البشري داخل كل خلية، فكذلك الأربطة الكونية تربط بين المجرات وبين النجوم داخل المجرات[١].

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة يوسف الحاج أحمد صفحة ٣٦١.

ومنذ أوائل الثمانينيات أخذ العلماء في البحث عن أشياء غير مألوفة قد تدخل في تركيب هذه المادة القاتمة، وترتب على ذلك ظهور نظرية (الثقوب البيضاء) على أساس أن كل مجرة تحوي في قلبها ثقباً أبيض ذا كثافة عالية جداً، تعمل على مد المجرة بالمادة، ولكننا لا نرى هذه الثقوب أو نلاحظها بعكس الثقوب السوداء التي نلاحظها خاصة الإشعاعات العارمة التي تنطلق عند حافتها عند ابتلاعها لنجم عملاق مجاور.

فالثقوب البيضاء لا نراها ولا نلاحظها، لأن كثافتها لا نهائية تأسر الضوء، ولكنها تمد المجرة بالتوازن والاستقرار والجاذبية اللازمة للاحتفاظ بالنجوم في مجالها، ولكن المشكلة أن هذه النظرية لم تشرح لنا كيف تكونت الثقوب البيضاء مثلما نعرف عن الثقوب السوداء.

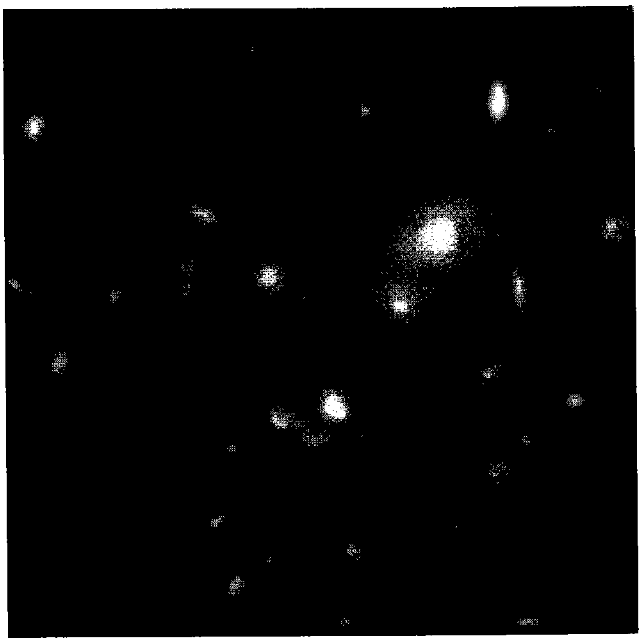
وتبقى مشكلة المادة القاتمة والكتلة المفقودة لغزاً لا زال يحير علماء الفلك ويبحثون عن تفسير له. والله تعالى أعلم وأحكم.

إذاً، ومن أوائل الثمانينيات من القرن العشرين، دخل البحث عن هذه الكتلة المفقودة أبعاداً أخرى... ولا شك أنه تطور بعد فترة الثمانينيات من القرن العشرين التلسكوبات الفضائية حتى وصل قطر أحدها إلى ٣٢ م.. وصنعت الولايات المتحدة تلسكوباً فضائياً كبيراً ومتقناً أطلقت عليه اسم العالم الفلكي (هابل) ووضعته على إحدى السفن الفضائية، ثم وضعته في الفضاء الخارجي ليتمكن من دراسة هذا الكون العظيم.. وفي كل يوم يأتي هذا التلسكوب بجديد عن علم الكون.

المهم.. أن أوروبا تعاونت فيما بينها على إنشاء أضخم التلسكوبات لدراسة هذه السماء وما فيها من المجرات الهائلة ووضع هذا التلسكوب في جنوب فرنسا، وفي نبأ تناقلته وكالات الأنباء العالمية وجميع المجلات العلمية المختصة ومحطات البث الفضائي والتلفاز والإنترنت وتحديداً يوم ١٢/ ١٢/ ١٩٩٥م أن هذا التلسكوب

في جنوب فرنسا استطاع أن يكشف ويصور في هذه الكتلة المفقودة أو في هذه المساحات المعتمة من السماء تجمعاً مجرياً يضم (٢٥) خمساً وعشرين ألف مجرة، في كل مجرة ما يزيد عن ١٠٠ مليار نجم غير الكواكب والأقمار[١].

. . . وأرى أن هذا أول الاكتشاف وسيكون في هذه المنطقة المعتمة أو الكتلة المفقودة والتي تشكل كما قال علماء الفلك ٥٩٠ من مساحة السماء، ما لا يعد من المجرات والتجمعات المجرية والعناقيد المجرية. . . يا سبحان اللّه. . . إذا كان المكتشف من المجرات قبل هذه الاكتشافات الجديدة كما قال أينشتاين: ما لو قسم على سكان الأرض لكان نصيب الفرد منها ٣٧ مجرة. . فكم يكون نصيب الفرد إذا استمرت هذه الاكتشافات في تلك المنطقة المفقودة والتي تشكل ٥٩٠ من الكون المنظور.



من أحدث اكتشافات هابل التلسكوب الأمريكي العملاق آلاف المجرات الحديثة اكتشافاً وكل نقطة في هذه الصورة تمثل مجرة فيها مليارات النجوم. إحداها والتي عليها إشارة تبعد عن الأرض ١٥ مليار سنة ضوئية هذه ظنوها مناطق معتمة وإذا بها تعج بالحياة والمجرات والنجوم.

(١) تناقلت الخبر جميع وكالات الأنباء العالمية، وُكتب في أكثر المجلات العلمية ومنها مجلة أكاديمية البحث العلمي القاهرة والمعارف وعرض الخبر في الانترنت وعلى شاشات التلفاز العالمية.

وأخيراً أليست هذه السماء ذات حبك تماماً كما قال تعالى وأقسم بها وقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ . . . ألا يأتي اليوم الذي يقف فيها علماء الفلك جميعاً دون استثناء إجلالاً لهذا الخالق العظيم؟

والسماء ذات الرجع

يقول تعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ * وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [سورة الطارق، الآيات: ١١ ـ ١٢]

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ أي: أقسم بالسماء ذات الرجع، فهذه الواو واو القسم.

﴿ذَاتِ﴾ صفة للسماء.

﴿ٱلرَّجۡعِ﴾ كما يقول حسنين مخلوف صاحب كتاب كلمات القرآن: (المطر: لرجوعه إلى الأرض مراراً)

... في أي قسم يقسمه اللّه سبحانه وتعالى فإنه لا يقسم إلا بعظيم، وقد أقسم اللّه سبحانه وتعالى بالسماء ذات الرجع... فلماذا وصف السماء بذات الرجع وما معنى الرجع؟؟! وما وجه الإعجاز لكلمة ﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾، وهذا وصف من صفات اللّه، فقد أقسم اللّه سبحانه وتعالى بالسماء في آيات أخرى بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾، وكقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾.

.. إذاً السماء تحمل صفات كثيرة، وهذا صحيح على عظيم اتساعها ومواقع نجومها ومجراتها... وقد بينا في فقرات سابقة ما معنى ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾، وكذلك ما معنى ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾.. ولكن ما معنى ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ وما تحمل هذه الصفة من معاني؟

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ قال ابن عباس: الرجع المطر، وعنه: هو السحاب فيه مطر وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم.

ويقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ أي: أقسم بالسماء ذات المطر، الذي يرجع على

العباد حيناً بعد حين. قال ابن عباس: الرجع المطر ولولاه لهلك الناس وهلكت مواشيهم.

وقال أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ أقسم بالسماء ذات المطر الذي يرجع إليها بالتبخر من الأرض.

هذه ثلاث تفسيرات، وفي التفاسير الأخرى نجد نفس التفصيل والشرح والبيان، فقد حدد المفسرون المعنى فقط بأن السماء ترجع المطر، أي: ترجع بخار الماء الذي يتصاعد من الأرض فيصير غيوماً فيرجع الماء إلى الأرض مرة أخرى، وهكذا دواليك عملية مكررة دائمة، فالسماء عندهم ذات رجع لأنها ترجع المطر إلى الأرض.

وسندخل في رحاب الآية الكريمة من وجهة نظر ما استجد من علم في هذا الكون وهذه السماء العظيمة.

قال الله تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ [سورة الطارق، الآية: ١١]

التفسير اللغوي:

رجع يرجع رجعاً ورجوعاً: انصرف. وقيل: الرجع: محبس الماء.

والرجع: المطر، لأنه يرجع مرة بعد مرة، وفي التنزيل: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ ويقال: ذات النفع.

قال ثعلب: ترجع بالمطر سنة بعد سنة.

وقال اللحياني: لأنها ترجع بالغيث. وقال الفراء: تبتدئ بالمطر ثم ترجع به كل عام.

وقال غيره: ذات الرجع: ذات المطر، لأنه يجيء ويرجع ويتكرر.

فهم المفسرين:

قال الرازي في تفسيره للآية: قال الزجاج: الرجع المطر لأنه يجيء ويتكرر، وأعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح في أن الرجع ليس اسماً موضوعاً للمطر، بل سُمي رجعاً على سبيل المجاز، ولحسن هذا المجاز وجوه:

أحدها: قال القفال: كأنه من ترجيع الصوت وهو إعادته ووصل الحرف به، فكذا المطر لكونه عائداً مرة بعد أخرى سمي رجعاً.

وثانيهما: أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض.

وثالثها: أنهم أرادوا التفاؤل فسموه رجعاً ليرجع.

ورابعها: أن المطر يرجع في كل عام، إذا عرفت هذا فستقول للمفسرين أقوال:

أحدها: **قال ابن عباس**: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ أي ذات المطر، يرجع المطر بعد مطر.

وثانيهما: رجع السماء: إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأزمان، ترجعه رجعاً أي تعطيه مرة بعد مرة.

وثالثهما: قال ابن زيد: هو أنها ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبها، والقول الصواب هو الأول.

قال القرطبي:

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ أي ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر، كذا قال عامة المفسرين.

حقائق علمية:

تقوم الطبقة الأولى من الغلاف الجوي (التروبوسفير) بإرجاع بخار الماء إلى الأرض على شكل أمطار، وبإرجاع الحرارة إليها أيضاً في الليل على شكل غاز ثاني أكسيد الكربون.

يعتبر الغلاف الجوي للأرض درعاً واقياً عظيماً يحمي كوكب الأرض من الشهب والنيازك والإشعاعات القاتلة للأحياء، وذلك بفضل الطبقة الخامسة من طبقاته وهي الستراتوسفير.

تعتبر الطبقة الرابعة من طبقات الغلاف الجوي وهي (**الثيرموسفير**) ذات رجع، فهي تعكس موجات الراديو القصيرة والمتوسطة إلى الأرض.

التفسير العلمي:

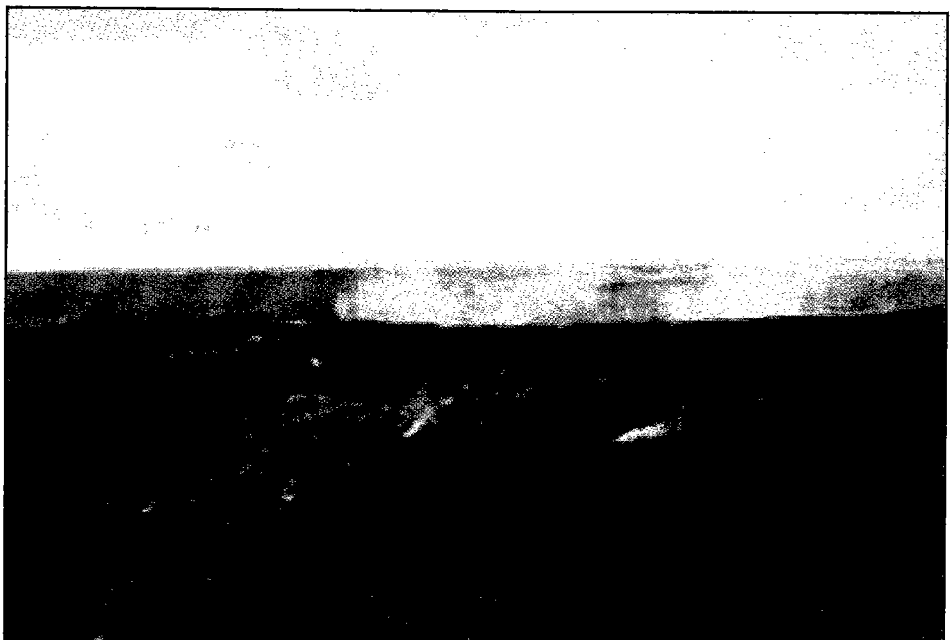
يقول اللَّه تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ [سورة الطارق، الآية: ١١]

تشير الآية القرآنية الكريمة إلى أن أهم صفة للسماء هي أنها ذات رجع، فما معنى الرجع؟

الرجع في اللغة كما يقول ابن منظور في لسان العرب: هو محبس الماء. وقال اللحياني: سميت السماء بذات الرجع لأنها ترجع بالغيث، وكلمة الرجع مشتقة من الرجوع وهو العودة والعكس، ومعنى الآية أن السماء تقوم بوظيفة الإرجاع والعكس.

وقد جاء العلم ليؤكد هذا التفسير، فقد كشف علماء الفلك أن طبقة التروبوسفير التي هي إحدى طبقات الغلاف الجوي للأرض تقوم بإرجاع ما تبخر من الماء على شكل أمطار إلى الأرض من خلال دورة دائمة سميت بدورة تبخر الماء.



والسماء ذات الرجع تتبخر مياه البحار فتشكل سحاباً
ثم يرجع إلى الأرض فأنزل اللّه من السماء ماءً فأحيا الأرض بعد موتها.

كما اكتشف علماء الفلك أيضاً، أن طبقة الستراتوسفير وهي التي تضم طبقة الأوزون تقوم بإرجاع وعكس الإشعاعات الضارة الفوق بنفسجية إلى الفضاء الخارجي، وبالتالي فهي تحمي الأرض من الإشعاعات الكونية القاتلة، فهي تعتبر حاجزاً منيعاً يحول دون وصول كميات كبيرة من ضوء الشمس وحرارتها إلى الأرض، كما نصت على ذلك **الموسوعة البريطانية**(١).

أما طبقة الثيرموسفير فإنها تقوم بعكس وإرجاع موجات الراديو القصيرة والمتوسطة التردد الصادرة من الأرض، وهذا ما يفسر إمكانية استقبال هذه الموجات من مسافات بعيدة جداً. وقد ذكرت ذلك بالتفصيل **الموسوعة البريطانية**.

يتضح مما تقدم أن أهم صفة للسماء كشف عنها العلماء في القرن العشرين هي أنها ذات رجع، فسبحان اللّه الذي قال في كتابه المعجز: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾.

ويقول الدكتور النابلسي في موسوعته حول هذا الموضوع:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۞ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴾

[سورة الطارق، الآيات: ١١ ـ ١٢]

هذا خالق الكون يصف السماء بكلمة واحدة: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾، وكلما تقدم العلم اكتشف حقائق جديدة تدعم هذا الوصف الموجز المعجز، فالقمر يسير في مدار حول الأرض، يذهب ثم يرجع إلى مكانه الأول، والشمس تجري لمستقر لها في مدار حول نجم آخر، وتعود إلى مكانها السابق، والمذنبات أيضاً، فمذنب هالي مثلاً زار الأرض في عام ١٩١٢م بالضبط، وعاد إلينا في عام ١٩٨٦م، تستغرق دورته ستة وسبعين عاماً، فالأرض تدور وترجع، والقمر يدور ويرجع، والشمس تدور وترجع، والمذنبات ترجع، وكل ما في السماء يدور في فلك بيضاوي أو دائري، ويرجع، إذاً ربنا سبحانه وتعالى حينما وصف السماء بكلمة واحدة قال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴾ وهذا وصف خالقها الحق، فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. عن الموسوعة البريطانية.

اتجه العلماء اتجاهاً آخر، هذه الغازات التي أودعها اللّه في الأجواء ذات رجع، فهذا الأوكسجين الذي يستنشقه الإنسان يصبح غاز فحم، ثم يأخذه النبات، فيصبح أوكسجيناً، إذاً حتى الغازات لها دورة طبيعية من أكسجين، إلى غاز الفحم، إلى أوكسجين، حتى إذا أرسْلت إلى السماء أمواجاً كهرطيسية فإنها ترجع، والبث اليوم يقوم على هذا المبدأ، وحتى إذا صعد بخار الماء إلى السماء يرجع أمطاراً، يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾

[سورة الطارق، الآية: ١١]

إن السماء ترجع بخار الماء أمطاراً، وترجع الأمواج الكهرطيسية بثاً، وترجع الغازات في تقلباتها إلى ما كانت عليه، وكل ما في السماء يرجع إلى مكانه الأول، لأنه يدور ويسير، ويتحرك في مسار كروي أو بيضوي، فحينما يقول ربنا سبحانه وتعالى بإيجاز عجيب: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ معنى ذلك: أن هذا الكلام قرآن من عند خالق الكون، وتشعر أن هذا وصف اللّه تعالى، وصف الخالق، وصف الصانع.

من كل ما تقدم يتبين لنا أن معاني إعجاز الآية الكريمة يدور حول ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ هو عودة المطر إلى الأرض بعد تبخر الماء من الأرض، أو بما يتعلق فقط بالغلاف الجوي وطبقاته وعودة البث، وكذلك دوران الأرض والشمس والقمر وعودة كل منهما إلى مكانه.

هذا جزء من الآية الكريمة، ولكن السماء في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ ليست محدودة للمطر والغلاف الجوي والقمر والشمس.. ولكن السماء هي كل ما بداخلها وفي مواقعها من نجوم وشموس وأقمار ومجرات وعناقيد مجرية، وما علمناه حتى اليوم وما سنعلمه في المستقبل وما لم نعلمه إلى يوم القيامة.. هذه هي السماء وليست السماء فقط هي الغلاف الجوي وطبقاته السبعة، وليست السماء هي الغلاف الأول الذي يتبخر الماء من الأرض ثم يعيده مطراً، فالسماء هي التي ذكرها اللّه سبحانه وتعالى في أكثر من آية كريمة.

يقول تعالى:

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [سورة الانشقاق، الآية: ١]

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ [سورة الانفطار، الآية: ١]

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾

[سورة الطارق، الآية: ١]

والآيات كثيرة.. ومما يدل دلالة قطعية أن السماء دائماً في القرآن الكريم تشير إلى السماء الدنيا، وما فيها من مليارات المجرات والنجوم وعظيم الخلق، أن الله سبحانه وتعالى ذكر في آية كريمة.

يقول تعالى:

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾

[سورة الحديد، الآية: ٢١]

... فهل عرض الجنة التي وعد اللّه بها المتقين عرضها عرض الغلاف الجوي أم عرضها السماء كلها بما تحتوي من المجرات وبمساحتها الشاسعة، فاللّه سبحانه وتعالى يقرب إلى أذهاننا معنى وسع الجنة بما علمناه عن سعة السماء.. هذا وإنّ كل شيء عن السماء كما قال تعالى يرجع، ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾.

لنأخذ على ذلك درب التبابنة، وهي مجرتنا، التي نحن جزء صغير منها، طولها يزيد عن مئة وخمسين ألف سنة ضوئية، على حين أننا نبعد عن القمر ثانية ضوئية واحدة، ونبعد عن الشمس ثماني دقائق، المجموعة الشمسية من أقصاها إلى أقصاها لا تزيد عن ثلاث عشرة ساعة ضوئية، أما مجرتنا فطولها يزيد على مئة وخمسين ألف سنة ضوئية، وشكلها كالمغزل.

الشيء الغريب والجديد أن هذه المجرات تدور حول نقطة موهومة في الفضاء الخارجي، تدور بسرعة تعادل ثمانية أعشار سرعة الضوء، والضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر، إن هذه المجرات تسير بسرعة بين سبعة وثمانية أعشار من سرعة الضوء.

المجموعة الشمسية على سبيل المثال، تدور حول نقطة في مجرتنا،

تستغرق دورتها مائتين وخمسين مليون سنة، وسرعتها تزيد على سبعة أعشار سرعة الضوء.

هذه الأرقام، والسرعة، والأعداد، والمسافات الفلكية شيء لا يستطيع هذا العقل تصوره.

تدول الأرض حول نفسها بسرعة ألف وستمائة كيلو متر في الساعة، والأرض تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلو متراً في الثانية، والشمس تجري لمستقر لها بسرعة مائتي كيلو متر في الثانية، والمجرة بسرعة ألفين وأربعمائة ألف كيلو متر في الثانية، أي قريباً من سرعة الضوء، ومع ذلك من أجل أن تدور الشمس حول نقطة في المجرة تحتاج إلى مائتي وخمسين مليون سنة.

وعلى هذا نجد أن كل شيء في السماء له دورة ويرجع إلى مكانه بعد دورانه والله أعلم.

النجم الثاقب

يقول تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۞ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۞ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۞ ﴾

[سورة الطارق، الآيات: ١ ـ ٤]

معاني الكلمات

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ﴾: الواو للقسم، والسماء المقسوم بها، ومعنى ذلك: أقسم بالسماء.

﴿ وَٱلطَّارِقِ ﴾: معطوفة على السماء، أي: أقسم بالسماء وأقسم بالطارق، ومعنى كلمة الطارق: هو النجم الثاقب يطلع ليلاً.

﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾: النجم المضيء المتوهج، أو المرتفع العالي.

يقول الصابوني في صفوة التفاسير:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۞ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ يقول في تفسيره: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ (أي: أقسم بالسماء وما فيها من الكواكب المنيرة، التي تظهر ليلاً وتختفي نهاراً، قال المفسرون: سمي النجم طارقاً لأنه إنما يظهر بالليل ويختفي بالنهار، وكل ما يجيء ليلاً فهو طارق، ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ استفهام للتفخيم والتعظيم، أي: وما الذي أعلمك يا محمد ما حقيقة هذا النجم؟ ثم فسره بقوله: ﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ أي: النجم المضيء الذي يثقب الظلام بضيائه[١].

ويقول المفسرون في الموسوعة القرآنية الميسرة:

أي: أقسم بالسماء والكوكب الطالع ليلاً. وسمي بالطارق لأنه يأتي ليلاً ويختفى بالنهار، وما أعلمك أيها النبي ما الطارق؟ في التساؤل تعظيم

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني صفحة ١٦٧٠.

لشأن الطارق، والنجم الثاقب المضيء بضوئه ظلمة الليل(١).

. . . في السماء مليارات النجوم والله سبحانه وتعالى يقسم بالذات بهذا النجم ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾، فلا بد أن يكون للنجم الذي يحمل هذه الصفة الطارق، والثاقب ميزة تميزه عن باقي النجوم. . وإلا إذا لم يكن هناك ميزة فمعنى ذلك أن كل النجوم وفي كل المجرات لا بد أن تكون نجماً طارقاً ونجماً ثاقباً. . . فهل كل النجوم ينطبق عليها صفة الطارق والثاقب؟. . لا أتصور مطلقاً، لأن الله سبحانه وتعالى طالما اختص بالصفة المعنية (طارق وثاقب) لا بد أن هناك ما يميزهما عن باقي النجوم التي تسبح في هذه السماء اللامتناهية.

وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ أي: ما أدراك يا محمد ﷺ وما أدراكم أيها البشر بالنجم الطارق والثاقب، فهذا يعني تعظيم للقسم وتعظيم للنجم الطارق والثاقب، وأي استخدام لغوي بهذا الأسلوب يدل على عظمة المقسوم به، وعلى سبيل المثال للتقريب نقول: (ومكة المكرمة وما أدراك ما مكة المكرمة)، ونحن لا نقسم إلا بالله، ولكن ضربت مثلاً للتقريب، فهذا بيان على عظمة مكة المكرمة وأنها تختلف عن باقي المدن في الدنيا كلها. . فلو أن النجم الطارق والثاقب مثله مثل باقي النجوم لما خصه تعالى بالقسم.

لقد درج المفسرون على تفسير أشعة النجم بأنها ثاقبة نافذة، أما صفة الطرق فقلما تعرض لها أحد. وهنا لا بد أن نفرق بين هذه الظاهرة وظاهرة الشهاب الساقط، التي تعد ظاهرة يومية لكثرة حدوثها. فالشهب تدخل يومياً في الغلاف الجوي ثم تحترق عندما ترتفع درجة حرارتها، لاحتكاكها بالهواء الجوي، وبعضها يسقط على الأرض.

ولو أراد الخالق أن يقسم بها لأقسم. . إلا أنه جاء ذكر الشهب في أكثر من مكان في القرآن ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾

[سورة الصافات، الآية: ١٠]

---

(١) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة ٥٩٢.

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾

[سورة الجن، الآية: ٨]

فلم يقسم سبحانه بظاهرة الشهاب الساقط بل أقسم بالنجم الثاقب، وقد تمكن الفلكيون في أوائل السبعينيات من رصد عدة نجوم كلها تشترك في خاصية إرسال إشارات لا سلكية منتظمة وعلى درجة كبيرة من الدقة، فالإشارات تصل على صورة متقطعة (بيب. . بيب. . بيب) وتستمر كل إشارة منها كسوراً من الثانية وتتكرر كل ثانية أو أكثر.

فقد أطلق على النجوم التي تصدر هذه الإشارات اسم النجوم النابضة: (النجم الطارق الثاقب) آية من آيات الله، يقسم سبحانه بها ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۞ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾

[سورة الطارق، الآيات: ١ ـ ٣]

فالطارق: هو جرم سماوي له صفتان: وهما (النجم، والثاقب)، ولو قارنا بين تلك الخواص وأي جرم سماوي، لوجدنا أن النجم النيوتروني يستوفي هذه الخواص نجم وطارق وثاقب. . له نبضات وطرقات منتظمة، فالطارق يصدر طرقات منتظمة متقطعة (تك. . تك. . تك. .) تشبه تماماً تلك البيانات التي نقلها لنا اللاسلكي والتي كان مصدرها النجم النيوتروني. وقد توصل العلماء إلى أن النجم له نبضات سريعة لسرعة دورانه وسرعة طاقته. . وأن النجم النيوتروني العجوز له إشارات بطيئة على فترات أطول وذلك عندما تقل طاقته وتنقص سرعة دورانه. **فسبحان الله العظيم حين خص هذا النجم بالثاقب**، وأقسم به فمن عظمة القسم ندرك عظمة المقسوم به، فكثافة النجم الثاقب النيوتروني أعلى كثافة معروفة للمادة ووزنه يزيد عن وزن الكرة الأرضية برغم صغر حجمه، فهو ثاقب، والآن لنتصور ماذا يحدث للأرض أو لأي جرم سماوي آخر إذا وضع هذا النجم عليه أو اصطدم به، فلن تصمد أمامه أي من الأجرام كانت ولا حتى الشمس، وقال أحد العلماء: إن هذا النجم الثاقب على صغر حجمه إذا اصطدم بالأرض أو بأي كوكب آخر أو حتى في الشمس فإنه يثقب ما يصطدم به من أوله إلى آخره، أما نتائج هذا الثَّقْبُ فيما لو حدث فغير معروفة. والسبب أنه ذو كثافة مهولة. . وقد قدر عدد النجوم النيوترونية في مجرتنا بمائة ألف نجم، ومن الطبيعي أن

تحوي بلايين المجرات الأخرى على مئات الآلاف من النجوم النيوترونية الطارئة الثاقبة . .

إذاً هناك بين النجوم اختلاف وبيان، وهي أنواع وأحجام واختصاصات، واللّه سبحانه وتعالى هو الخالق وهو أعلم بما خلق، فتبارك الذي أقسم بهذا ونور عقولنا وعلمنا ما لا نعلم، وسبحانه أنه وعد أنه سيرينا آياته في الآفاق وأننا سنعلم كثيراً مما أخفي عن غيرنا من المفسرين، وهذا يحتاج إلى حمد وشكر للّه سبحانه وتعالى أن بين لنا من قدرته وعلمه وما خلق .



نجم نيتروني في سديم السرطان يدور على محوره ٣٠ مرة في الثانية يرسل أشعة سينية من مركز النجم . . . وهذا النوع من النجوم قال عنه العلماء أنه النجم الثاقب ويتوقع علماء الفلك وجود ١٠٠ ألف كوكب نيتروني في مجرتنا درب التبانة من أصل ٤٠٠ مليار نجم . .
فسبحان الذي يعلم هذا النجم الثاقب من غيره!!

والنجم إذا هوى

يقول تعالى:

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾

[سورة النجم، الآيات: ١ ـ ٤]

يقسم اللّه سبحانه وتعالى بالنجم إذا هوى ليؤكد أن رسول اللّه ﷺ ما غوى وما ضل، ولكن ما ينطق به فهو من عند اللّه سبحانه وتعالى.

وجه الإعجاز قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾

﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾: يقسم اللّه سبحانه وتعالى بالنجم، فالواو واو القسم والنجم مقسوم به

﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: عندما يسقط أو يهوي.

. . . فلماذا يقسم اللّه سبحانه وتعالى بالنجم الذي يهوي؟ وهل يهوي النجم أو أن هناك نجوماً مخصوصة تهوي؟ أم كل النجوم تهوي؟ وما معنى تهوي تحديداًسواء كان عند المفسرين أو عند علماء اللغة.

يقول محمد حسنين مخلوف في تفسيره **(معاني كلمات القرآن الكريم)**

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾: أقسم بالنجم إذا غرب وسقط.

يقول الفخر الرازي في التفسير الكبير حول هذه الآية الكريمة:

﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾: المراد منه الثريا، وقال النجم كنجوم السماء التي هي ثابتة فهي للاهتداء، وقيل: لا بل النجوم المنخفضة التي هي رجوم للشياطين، أو هي نجوم الأرض من النبات ما لا ساق له، أو أنها نجوم القرآن. . وبعد مناقشة يقول الفخر الرازي أقرب التفسير وأن المختار هو: النجوم التي هي

في السماء، لأنها أظهر عند السامع وقوله ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ أي: إذا زال النجم تبين بزواله جانب المغرب من الشرق والجنوب من الشمال: إذ عنده ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: إذا زال.

... نلاحظ أن اللّه سبحانه وتعالى ينوع القسم بالنسبة للنجوم إذا أراد أن يقسم بها، فمرة يقسم بالنجم الثاقب، ومرة بالطارق، ومرة بمواقع النجوم، ومرة بالنجم إذا هوى، وهذا يدل على تعدد مهام النجوم أو تعدد دورها في مولدها وحياتها.... فقطعاً النجم الطارق غير النجم الذي يهوي وكل له معنى، وقد فُسر معنى الطارق والثاقب في فقرة سابقة. ولكن ما معنى ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أتصور أن المعنى كبير، وإلا ما أقسم اللّه به.. فهل معنى ﴿هَوَىٰ﴾ كما أورد المفسرون بأنه النجم الذي غرب وسقط.. فأين غرب؟ وأين سقط؟! فكل النجوم تغرب عنا عندما تشرق الشمس وتسقط تختفي عن ناظرينا، فهذه صفة تشترك فيها كل النجوم.. ولكن اللّه سبحانه وتعالى أقسم بالذات بالنجم الذي هوى.. إذاً لا بد أن يكون له خاصة مخصوصة.

فما وجه الإعجاز الإلهي لهذه الآية بعد مضي أكثر من ألف وأربعمائة سنة.. وهل تغير التفسير...

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ المعنى واضح. وقال أكثر المفسرون ﴿هَوَىٰ﴾ سقط وزال، ولكن العلماء والمفسرين لم يكونوا يعلمون أن في السماء ـ كما لِمَ اليوم ـ نجوماً تولد ونجوماً تموت كل يوم، وتعرض دائماً شاشات التلفزة صورة لنجم هوى أي انتهى ومات وسقط إلى غير رجعة، وأنه عند هَوِيِّه وسقوطه أو موته يحدث انفجاراً هائلاً تلتقطه عدسات التلسكوبات الكبيرة.. ويقول العلم اليوم بظاهرة موت النجوم.. وقد شوهد على شاشة التلفاز وصفحات المجلات العلمية أكثر من مرة صور من الأقمار الصناعية تعرض ظاهرة نجم قد مات وانفجر، وبما أن التلسكوبات المعاصرة تستطيع اليوم تصوير تلك المجرات، فإنها استطاعت تصوير ما يحدث كل يوم عن موت النجوم وانفجارها. يقول علماء الفلك:

النجوم النيوترونية تزداد كتلتها عن كتلة الشمس ما يقارب (١,٤).

بداية عندما يبدأ النجم بالانهيار على نفسه ينكمش بسرعة ويزيد الضغط على ذرات مواده فتتحطم الذرات، ويتكون المانع الالكتروني ويزداد سمكه، فيبقى عاجزاً عن تحمل الضغط الناتج من ثقل النجم وجاذبيته، وتكون النتيجة أن تسحق جاذبية النجم (المانع الالكتروني) كما سحقت من قبل قشرة الذرة، ويستمر انهيار العملاق الأحمر على نفسه.. فتلتصق الإلكترونيات بالبروتينات ثم تتحد معها مكونة نيوترونات جديدة، وتبدأ طبقات النجم، وهي تنهار في التطلع إلى منقذ ينقذها من براثن هذا الوحش المسمى بقوة ثقل النجم الذي يسحق كل ما يجد أمامه، وفي النهاية تتحد كل الالكترونات بالبروتينات فيصبح النجم عبارة عن نيوترونات منضغطة على بعضها بدون وجود أي فراغ، فتصل كثافة النجم إلى رقم قياسي يصعب تصوره، ويتقلص العملاق الأحمر إلى ما يسمى بالنجم النيوتروني[(١)]، الذي يصبح كرة من المادة النيوترونية في حجم كرة القدم يبلغ وزنها خمسين ألف بليون من الأطنان، فإذا وضعت هذه الكرة على الأرض أو على أي جرم سماوي آخر فلن يتحمل سطحه هذا الوزن الهائل فتسقط الكرة من خلال الأرض أو من خلال الجرم السماوي، تاركاً وراءه ثقباً يتناسب مع حجمه. وهذا هو المقصود بالنجم الثاقب الذي تحدثنا عنه في الفقرة السابقة.

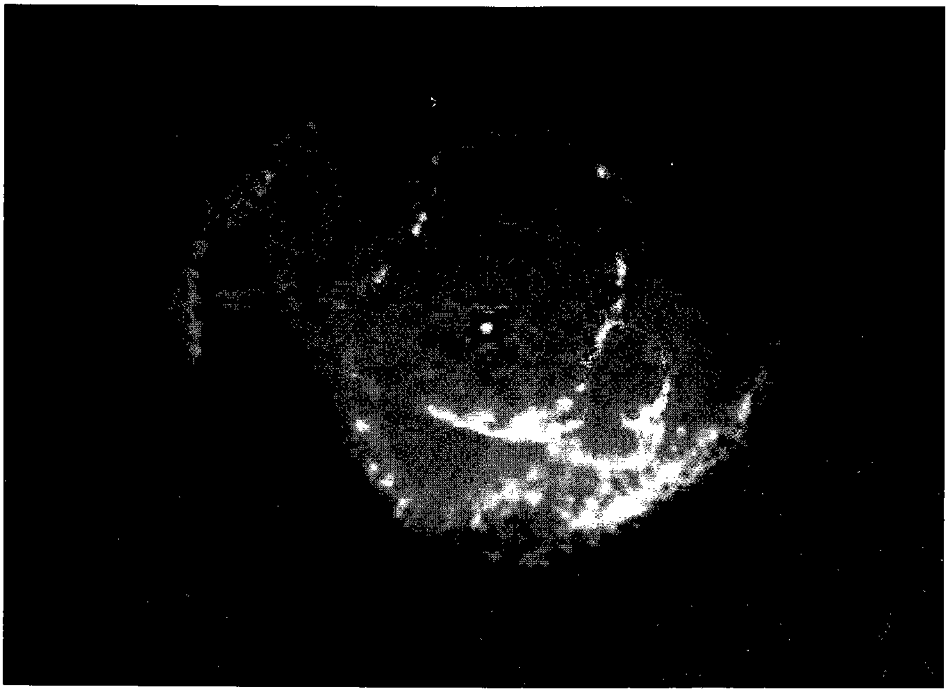
ولقد أثبت العلم الحديث أن لكل شيء في الدنيا عمراً افتراضيّاً ينتهي بالموت،والنجوم ينطبق عليها هذه الظاهرة.فقد قال علماء الفلك:أن لكل نجم دورة حياتية ولادة ثم نمو ونضوج وشيخوخة واحتضار ثم فناء.

وبفضل هذه التلسكوبات الكبيرة الهائلة تبين للعلماء أن مئات النجوم تموت في كل ساعة، وذلك على أعدادها الهائلة فمليارات المليارات من النجوم فكم يموت منها، فعدد سكان الأرض اليوم ستة

---

(١) راجع في الجزء الأول من الموسوعة المعلومات الواردة عن النجم النيتروني.

مليارات نسمة فكم يموت منهم في الساعة أو في اليوم.



سديم عين القطة ـ النجم الميت وهو النجم الذي هوى . . وتظهر هذه الصورة الملونة بنية السديم الكوكبي وهي سحب ضخمة من الغاز قذفها نجم ميت في انفجارات متتالية وفي كل يوم يحدث مثل هذه الانفجارات وموت النجوم بالمئات . . أليس هذا القرآن من عند اللّه العالم بموت النجوم وولادتها؟؟

وقال علماء الفلك: أن أي نجم قبل أن ينطفئ (يموت) يزداد لمعانه وضياؤه فجأة، وقد يصل إلى مائة ألف ضعف لمعان شمسنا العادية ثم يتضاعف حجمها مئات بل ألوف الكيلو مترات في الثانية ثم تنفجر انفجارا شديداً.

(١) عرضت شاشات التلفاز عن وكالة ناسا للفضاء في الشهر الأول من عام ٢٠٠٥ موت وانفجار أحد هذه النجوم والتي تتكرر كل يوم كما قال المعلق.

كسف السماء

يقول تعالى:

﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾

[سورة سبأ، الآية: ٩]

﴿ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾: نُغيِّب بهم الأرض، كقارون.

﴿ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: قطعاً منها، كأصحاب الأيكة.

يقول الصابوني في تفسيره:

أي أسقطنا عليهم قطعاً من السماء كما فعلنا بأصحاب الأيكة فمن أين لهم المهرب.

وقال ابن الجوزي: المعنى: أنهم أين كانوا فأرضي وسمائي محيطة بهم وأنا القادر عليهم إن شئت خسفت بهم الأرض، وإن شئت أسقطت عليهم قطعة من السماء.

... إذاً كسفاً هي قطعة أو قطع من السماء.. وماذا في السماء؟ هل فيها كسف جاهزة لأن تسقط على الأرض؟ وما هو حجم تلك الكسف؟ فهل هي متساوية الحجم؟ أم هي مختلفة الحجم وهل هذه الكسف موجودة في جو الأرض أو قريباً من غلافها الجوي؟ ومن أين مصدر هذه الكسف!؟ وهل هي تابعة لكوكب الأرض أم هي في المجموعة الشمسية؟ وهل كان العرب يعرفون تلك الكسف؟

... **الحقيقة الأولى**: أن العرب لم يكونوا يعرفون أي شيء عن هذه الكسف، وما عرف أن في الجزيرة كسفاً سقطت من السماء وشاهدها العرب.

الحقيقة الثانية: أن هذه الكسف نادرة الوقوع على الأرض.. وما عرف

حتى الآن سوى ثلاثة كسف سقطت على الأرض[١] . . .

الحقيقة الثالثة: أن هذه الكسف هي النيازك أو هي الأحجار الكريمة التي تسبح بين كوكب المشتري والمريخ.

الحقيقة الرابعة: أن هذه الكسف لم يعرف عن وجودها في جو الأرض أو قريباً منها.

والحقيقة الخامسة: أنها غير متساوية الأحجام ودليلها ما سقط.

والحقيقة السادسة: أنه لا يمكن إطلاق اسم الكسف على كواكب من المجموعة الشمسية ولا حتى على الأحجار وهي بعيدة عن النجوم. . إذاً هي أحجار كونية قد لا يتعدى مساحة إحداها ٤ كم.

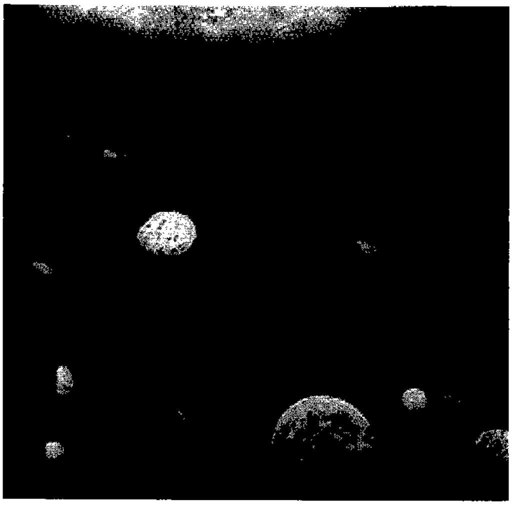
وفي موسوعة الكون والفضاء والأرض عرض حول هذه الأحجار الكريمة:

. . نجد في المنطقة الممتدة بين المريخ والمشتري عدداً كبيراً من الكواكب الصغيرة ذات مدارات متباينة، وقد تم إحصاؤها على وجه التقريب، فبلغ عددها نحو مائة ألف كويكب أكبرها مساحته (٥٠٤) كم وهي تسير مجتمعة في مدارات عدة وتحافظ دائماً على الوضع نفسه من حيث تدرجها، بعضها وراء بعض، وتتواجد دائماً في مناطق معينة بحيث أن الاضطرابات التي تصدر هناك عن الكواكب الأخرى لا تؤثر عليها إلا بشكل هامشي خفيف، وبناء على هذا التحرك فإن الكواكب الصغيرة التي لا تبقى ضمن هذه المنطقة الآمنة يقضى عليها تحت تأثير جاذبية الكواكب الأخرى. ولقد استغرب العلماء وجود مثل هذه الأجسام الكثيرة العدد ضمن النظام الشمسي التي وضعها علماء الفلك لتفسير هذه الظاهرة نقول: أن هذه الكواكب الصغيرة هي بقايا كوكب آخر كان قديماً يدور بين المريخ والمشتري، لكنه تحطم بفعل انفجار كوني جعل بقاياه تتناثر في الفضاء، وهي تدور بالاتجاه نفسه الذي كان يدور فيه هذا الكوكب[٢]

---

(١) راجع الجزء الأول من الموسوعة فقرة أشهر النيازك التي سقطت على الأرض.

(٢) موسوعة الكون والفضاء والأرض د/ موريس أسعد شربل، د/ رشيد فرحات صفحة ٢٨



انظر إلى الأقمار الكونية الكسف قريباً من الأرض وبين المشتري والمريخ وأعدادها هائلة لو فلتت واحدة منها كبيرة فأصابت الأرض فلربما دمرت جزءاً وإن توالى السقوط فلا يبقى حي على هذه الأرض. السؤال من يمسكها فلا تقع؟؟

وجه الإعجاز:

وجود هذه الأحجار الكونية ضمن المجموعة الشمسية، وتحديداً بين كوكب المشتري والمريخ، وهي جاهزة منذ ملايين السنين تدور في فلكها تتبع بعضها بعضاً وهي جاهزة لأمر اللّه سبحانه وتعالى حيث يبعثها كيف شاء ومتى شاء وإذا شاء، وإذا أمرها اللّه سبحانه وتعالى، فإنها تسقط على الأرض بأجزاء من الثانية.

أرانا اللّه سبحانه وتعالى منها ما سقط في كندا وكان طوله ٥ كم، وكذلك نيزك أريزونا في أمريكا وطوله ١,٢ كم، وفي مراكش حيث بلغ وزنه مليون طن، وآخر في بريطانيا يبلغ وزنه فقط ٥٠ كغ ـ وهو صغير جداً ـ فهي متفاوتة الحجم.

الأرض محمية بأمر اللّه سبحانه وتعالى بواسطة الغلاف الجوي من أي شهب ونيازك وأحجار كونية، فعندما تصطدم هذه بالغلاف الجوي فإنها تحترق وتتحول إلى تراب.

وبما أن الكسف أكبر حجماً من الشهب والنيازك والأحجار الكونية، فإنها وعلى كبر مساحتها قادرة على أن تخترق جو الأرض وتحدث فيها دماراً هائلاً، لذلك فهي موجودة بعيداً عن مجال الأرض بين المشتري والمريخ، وكذلك فإن وجودها في مجال جاذبية الأرض

يعرضها إلى جذب الأرض إليها فتحدث فيها دماراً. وهذا لا يكون، لأن الله سبحانه وتعالى حمى جو الأرض منها فأبعدها وهو قادر لو أراد كما في الآية:

﴿ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾

[سورة سبأ، الآية: ٩]

وهذا ما أكدته موسوعة الكون والفضاء والأرض عندما قال مؤلفها حول هذا الموضوع الذي ذكرته في أعلى الصفحة: (فإن الكواكب الصغيرة التي لا تبقى ضمن هذه المنطقة الآمنة يقضى عليها تحت تأثير جاذبية الكواكب الأخرى). فسبحان اللَّه الذي حمى الأرض منها وأبعدها عنها وجعلها ضمن المجموعة الشمسية في منطقة آمنة من الجذب، وإلا أحدثت أثاراً مدمرة على الأرض.

فمن أين يأتي بَشَر بهذا العلم ويتحدث عن هذه الكسف، كما قال تعالى:

﴿ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾.

وقد وردت آيات أخرى في القرآن الكريم تتحدث عن الكسف وسقوطها إن أراد اللَّه تعالى، يقول تعالى:

﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

[سورة الشعراء، الآية: ١٨٧]

﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

وهذه الكسف أو النيازك أو الأحجار الكونية وممكن تسميتها بأي منها، عندما تسقط تحدث دماراً هائلاً يتجاوز العشرات من قوة القنابل الذرية، وهذا ما حدث تماماً مع قوم لوط عندما أرسل اللّه سبحانه وتعالى عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك، وكذلك ما فعل مع أصحاب الأيكة، وما يفعله مع كل قوم عتوا عن أمر اللَّه وجحدوا آياته وفسقوا وضلوا وفسدوا،

وأفسدوا وكذلك ما سيفعله مع كل من تسول له نفسه إيذاء المسجد الحرام أو الاعتداء عليه، يقول تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

[سورة الحج، الآية: ٢٥]

نجم الشِّعْرى

يقول تعالى:

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾ [سورة النجم، الآية: ٤٩]

رب الشِّعرى

إذا رصدنا الشعرى اليمانية، وهو نجم يبعد حوالي (٨,٦) سنة ضوئية، فإننا نراه حيث كان في الماضي منذ تسع سنوات فإن ضوءه ينتقل إليها بسرعته الرهيبة في حوالي ثماني سنوات، ولو فرضنا مخلوقاً عاقلاً قريباً من الشعرى اليمانية يرصد شمسنا سيراها بقعة صغيرة مضيئة لماعة كأي نجم آخر، عندما ينظر علماء الفلك خلال مناظيرهم التي تتعمق في الكون لبلايين السنين الضوئية، فإن الإشعاع الضوئي الذي يصل إلى مناظيرهم كل بحسب زمنه الذي يقطعه، فقد يقطعه، في ألف سنة أو أكثر أو أنقص، فالنظرة الفلكية نظرة إلى الماضي لا إلى الحاضر. من ذلك ثبت صحة نظرية النسبية وقد تنبأت هذه النظرية بأشياء كثيرة وهي تقول: إن كل شيء يتحرك، ويحمل زمنه معه، والزمن مرتبط بكل شيء يتحرك، فله زمنه، فالصاروخ أسرع من الطائرة والطائرة أسرع من القطار وهكذا..

ويعتبر نجم الشعرى ظاهرياً ألمع نجوم السماء، ولقد ورد ذكره في القرآن الكريم ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾..

ولقد عبدت بعض القبائل المشركة نجم الشعرى لسطوعه في السماء ولمعانه، كما عبدت الشعوب الكافرة الشمس والقمر والنجوم الأخرى.. ولبيان موقع نجم الشعرى من بين النجوم، فقد تم فعلاً تقسيم النجوم المرئية في السماء إلى سبعة أنواع طبقاً لألوانها ودرجة حرارتها السطحية، ومن آيات اللّه سبحانه وتعالى للبشرية أنه هو خالق نجم الشعرى وغيره وكل نجوم السماء وكواكبها، ولذلك يجب ألا يعبد إلا اللّه فهو خالق كل الكون والشمس والقمر ولذلك قال تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٣٧]

النوع	الدرجة السطحية	اللون
O	٢٥٠٠٠	أزرق
B	٢٠٠٠٠	أبيض مزرق
A	١٠٠٠٠	أبيض
F	٧٠٠٠	أبيض مصفر
G	٦٠٠٠	أصفر
K	٥٠٠٠	برتقالي
M	٣٠٠٠	أحمر

والشمس من النوع الأصفر G ونجم ريجيل الذي يبعد عنا ٩٠٠ سنة ضوئية من النوع B ونجم الشعرى الذي يبعد عنا ٨,٦ سنة ضوئية من النوع A ويعتبر ظاهرياً ألمع نجوم السماء.

حجارة السماء

يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

[سورة الأنفال، الآية: ٣٢]

عندما نزلت هذه الآية القرآنية الكريمة لم يكن الناس قد رأوا الحجارة من السماء، ولا يعلمون أن في السماء حجارة ولا أحد من البشر يعلم أن في السماء حجارة، وكانوا أكثر ما يرونه شهباً تسقط من السماء تذوب في الغلاف الجوي، وربما شاهدوا أو شاهد أجدادهم وآباؤهم مذنباً كمذنب هالي الذي يظهر لمدة خمس ساعات في السماء كل (٧٦) سنة.. وسمعوا كذلك عن الحجارة التي حملتها الطير الأبابيل التي رمت بها أبرهة الحبشي وجنده فأردتهم قتلى، ولكنها حجارة صغيرة.

ولكن الحجارة هذه المذكورة في القرآن هي غير تلك الحجارة التي أرسلت مع الطير الأبابيل والتي لا تتجاوز سنتيمترات معينة تحملها الطير في أرجلها ومناقيرها، ولكنها أشد فتكاً وتدميراً من الرصاصات القاتلة.

فقوله تعالى: ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، تعني: هبوط الحجارة من السماء بمفردها غير قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ فهذه الحجارة من سجيل أرسلت بواسطة الطير الأبابيل، فهي صغيرة جداً وفاعلة جداً.

وقبل التفسير العلمي لهذه الآية الكريمة لنسمع التفسير في بعض كتب التفسير.

يقول الصابوني في تفسير هذه الآية:

﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: أنزل علينا حاصباً وحجارة من السماء كما أنزلتها على قوم لوط.

إذاً هذه الحجارة ليست هي الحجارة من سجيل، فالحجارة التي أنزلت على قوم لوط كانت كبيرة جعلت سافلهم عاليهم وعاليهم سافلهم، وهذا لا يكون إلا من حجارة لها أحجام معينة قادرة على الدمار والخراب كقنابل هيدروجينية أو ذرية أو كقنابل أقوى ما تكون وأعنف ما تدمر. . إذ أن ارتطام نيزك بحجم كيلو متر واحد على سطح الأرض يسبب قوة تدميرية تعادل مائة ألف قنبلة هيدروجينية كما يقول علماء الجيولوجيا والفلك.

ولقد وصف اللّه سبحانه وتعالى تلك الحجارة بأنها من سجيل منضود، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾

[سورة هود، الآيتان: ٨٢، ٨٣]

وقد ثبت أن هذه الحجارة نوعان: نوع يتألف من الحديد والنيكل وهذا النوع مميز وكثافته عالية أي: أنها مسومة كما وصفها القرآن الكريم ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾.

وأما النوع الثاني فهو حجارة تشبه صخور الأرض وهذه يصعب تمييزها، وقد تكون هذه الحجارة كبيرة الحجم إذا نزلت إلى الأرض تحدث فجوات كبيرة نتيجة لتصادمها الشديد، تماماً كما حدث في ولاية أريزونا في الولايات المتحدة الأمريكية.

وهذه الحجارة إذا كانت كبيرة لا يكتمل احتراقها عند مرورها بالغلاف الجوي للأرض فتسقط إلى الأرض مكونة فجوات ومحدثة خراباً وتدميراً بحسب حجمها، علماً أن اللّه سبحانه وتعالى حفظ الأرض منها وما هبط إلا القليل بعكس ما في كواكب المجموعة الشمسية، التي نرى فيها فجوات كثيرة هائلة من هذه الحجارة أو بما يسمى النيازك التي تسقط عليها.

ويبقى السؤال:

هل في السماء حجارة جاهزة يسقطها اللّه سبحانه وتعالى متى شاء إلى الأرض؟! أم يخلقها اللّه سبحانه وتعالى عندما يريد؟ وإذا كانت موجودة فأين تقع هذه الحجارة؟

هذه الحجارة التي ذكرت في الآية الكريمة ثبت وجودها في الفضاء الخارجي، واكتشف العلماء وجود أكثر من مائة ألف منها يقع ما بين كوكب المشتري وكوكب المريخ، تختلف أشكالها فأكبرها حجماً بحدود ٩٥٠ كم وأصغرها أقل من ١ كم ولها أشكال مختلفة، ويقول علماء الفلك: إن الكثير منها اقترب من الأرض ثم ابتعد عنها ويخشى العلماء منها ومن اقترابها من الأرض فتجذبها الأرض فتحدث دماراً كبيراً.

وكذلك يمكن أن نعتبر أن تلك الحجارة هي النيازك والتي حجمها أقل من حجم تلك الحجارة (الكويكبات) التي تقع ما بين المشتري والمريخ، والنيزك هو عبارة عن قطع منها ما هو صخري ومنها ما هو من الحديد والنيكل.. وهذه جاهزة وموجودة في السماء، والدليل أن علماء الفلك قدَّروا أن النيازك التي تضرب الغلاف الجوي يومياً وتريد أن تدخل الغلاف وتصيب الأرض بنحو (٦٠) نيزكاً يومياً ولكنها صغيرة مما يجعلها لا تستطيع (بأمر اللّه) أن تخترق الغلاف الجوي فتتفتت إلى غبار أو قطع صغيرة جداً، لو هبطت إلى سطح الأرض قد لا تحدث أذى أو خراباً أو دماراً..

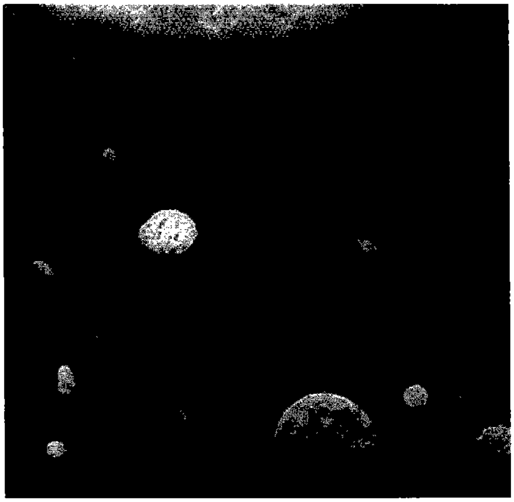
ولكن اللّه سبحانه وتعالى أمر بعضها فنفذ من الغلاف الجوي من فترة طويلة من الزمان، وذلك ليرينا اللّه سبحانه وتعالى آثار ودمار هذه النيازك (الأحجار)، فيما لو أمرها اللّه سبحانه وتعالى باختراق الغلاف الجوي والوصول إلى الأرض.

وكل هذه الأنواع سماها اللّه سبحانه وتعالى في كتابه بالحجارة أو الكسف، ودلتا أنه لو أراد لأسقط عليهم هذه الحجارة إلى الأرض عقاباً كما فعل مع قوم لوط، بل جعل السماء سقفاً محفوظاً للأرض لحمايتها مع وجود تلك الحجارة والكسف والتي تريد أن تدخل الأرض، ولكن اللّه سبحانه وتعالى يمنعها بقدرته وبأمره لأنه جعل الأرض قراراً ومستقراً لخلقه فآمنهم.

فمن أعلم سيدنا محمد ﷺ بوجود تلك الحجارة والكويكبات

الصغيرة والتي تقع ما بين المشتري والمريخ وحول الأرض وحول كثير من الكواكب، وأن اللّه أنذر بها أقواماً وجعلها عقاباً لأقوام آخرين.

واللّه أعلم.



صورة تمثل الغلاف الجوي للأرض وهو السقف المحفوظ الذي يحفظ الأرض من كل هجوم خارجي من هذه السماء التي يكثر فيها النيازك والشهب والمذنبات وغيرها.

الفصل الثالث

١ ـ معجزة الخنس الجواري الكنس والثقوب السوداء.

٢ ـ الإسراء والمعراج والسرعة الكونية.

٣ ـ اختراق أقطار السماوات والأرض.

٤ ـ الكفار بأهوائهم يفسدون السماوات والأرض.

٥ ـ المقارنة والقياس بين السماوات السبع والجنة.

٦ ـ كواكب المجموعة الشمسية ١١ كوكباً.

٧ ـ النجوم التي نراها في كبد السماء مواقع من الماضي وليس من الحاضر.

معجزة الخنَّس الجواري الكنس والثقوب السوداء

يقول تعالى:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۞ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۞ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۞ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۞ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [سورة التكوير، الآيات: ١٥ ـ ١٩]

التفسير اللغوي:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس المتوفي سنة ٣٩٥هـ تحقيق عبد السلام هارون الجزء الخامس، (الطبعة الثانية ١٩٧٢ م، صفحة ١٤١، صفحة ٢٣٢) وفي غيره من معاجم اللغة، تعريف لغوي للفظي الخنس والكنس يحسن الاستهداء به في فهم مدلول الخنس الجوار الكنس، كما جاء في آيتي سورة التكوير على النحو التالي:

أولاً: الخنس:

خنس: الخاء والنون والسين أصل واحد يدل على استخفاء وتستر، قالوا: الخنس الذهاب في خفية، يقال خنست عنه، وأخنست عنه حقه، والخنس: النجوم تخنس في المغيب، وقال قوم: سميت بذلك لأنها تختفي نهاراً أوتطلع ليلاً، والخناس في صفة الشيطان، لأنه يخنس إذا ذكر اللّه تعالى، ومعنى ذلك أن الخنس جمع خانس أي مختف عن البصر، والفعل خنس بمعنى استخفى وتستر، يقال خنس الظبي: إذا اختفى وتستر عن أعين المراقبين، والخنوس يأتي أيضاً بمعنى التأخر، كما يأتي بمعنى الانقباض والاستخفاء، وخنس بفلان وتخنس به أي غاب به وأخنسه أي خلفه ومضى عنه.

ثانياً: الجوار:

أي الجارية، في أفلاكها، وهي جمع جارية من الجري وهو المرُّ السريع.

ثالثاً: الكنس:

كنس، الكاف والنون والسين تشكل أصلين صحيحين، أحدهما يدل على سَفْرِ شيء عن وجه شيء وهو كشفه، والأصل الآخر يدل على استخفاء، فالأول كنس البيت، وهو سُفْرُ التراب على وجه أرضه[(١)]، والمكنسة آلة الكنس، والكناسة ما يكنس، والأصل الآخر الكناس: بيت الظبي، والكانس: الظبي يدخل كناسه، والكنس: الكواكب تكنس بروجها كما تدخل الظباء في كناسها، **قال أبو عبيدة**: تكنس في المغيب، وقيل: الكنس جمع كانس ـ أي قائم بالكنس ـ أو مختلف من كنس الظبي، أي: دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر، وسمي كذلك لأنه يكنس الرمل حتى يصل إليه، والكانس والكناس هو الذي يقوم بعملية الكنس ـ أي سَفْر شيء عن وجه شيء وإزالته ـ لأنه لا يعقل أن يكون المعنى المقصود في الآية الكريمة للفظة الكنس هي المنزوية المختفية، وقد استوفى هذا المعنى باللفظ الخنس، ولكن أخذ اللفظتين بنفس المعنى دفع بجمهور المفسرين إلى القول بأن من معاني ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾: أقسم قسماً مؤكداً بالنجوم المضيئة التي تختفي بالنهار وتظهر بالليل، وهو معنى الخنس، والتي تجري في أفلاكها لتختفي وتُسْتَر وقت غروبها كما تُسْتَر الظباء في كناسها ـ أي مغاراتها ـ وهو معنى الجوار الكنس[(٢)].

قال تعالى:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ * وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾

في القرآن الكريم إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يقسم بأمر عظيم فإن أول الآية يأتي بقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾، أي أقسم قسماً عظيماً مؤكداً... وفي القرآن الكريم نوعان من القسم: القسم بالواو، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ

---

(١) أي رفع التراب من أرض البيت بواسطة المكنسة ونقول: كنست البيت أي إذا رفعت عنه التراب والغبار و ما علق على أرضه من الأوساخ والفضلات التي لا لزوم لها.

(٢) معجم مقياس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، صفحة ١٤١ ـ وصفحة ٢٣٢.

وَٱلطَّارِقِ ﴾ وكقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ وكقوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾.

وقسم آخر: وهو الذي يبدأ ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾، كقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾.

... أو كقوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾.

أو عندما أقسم بيوم القيامة، فقال تعالى:

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

... إذاً الأمر في هذه الآية بغاية الأهمية حتى بدأه اللّه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾، وقسم اللّه سبحانه وتعالى بالكلمات الثلاثة الخنس ـ الجوار ـ الكنس. ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾... فمحور الحديث دلائل الإعجاز والقول الفصل هو في هذه الكلمات الخنس ـ الجوار ـ الكنس.

... فما هو وجه الإعجاز فيها؟ وكيف هو تفسير القدماء؟ وتفسير المحدثين ـ ورأي المعاصرين بعد اكتشاف السرائر والخبايا في مجاهل الكون بما علمنا اللّه سبحانه وتعالى، وأيَّدنا فيه، و ألهمنا وساعدنا في صناعة هذه الآلات لتكشف الحقائق العلمية وبعض علم أراد اللّه سبحانه وتعالى أن نعلمه.

... وهذا لا يلغي تفسير السابقين، فبفضلهم نفسِّر وعلى جهودهم نعتمد، فنحن نضيف على ما علمونا إياه بما علمنا اللّه سبحانه وتعالى في هذا العصر وبما استجد من علم، فرحم اللّه المفسرين السابقين على ما بذلوه من جهد في تفسير القرآن الكريم.. فالقرآن الكريم وآياته كنز لا تنتهي نفائسه وبحر زاخر لا تنتهي عجائبه، فعلم المحدثين لا يستقر ولا يعرف لولا علم الأولين، وهذا كتاب اللّه سبحانه وتعالى كلما فسره المفسرون زاد تألقاً ونوراً، ولكنه يبقى بحاجة إلى مزيد فهو علم اللّه سبحانه وتعالى الذي تحدىٰ فيه الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

... فآيات العلم الإلهي في كتابه وكل كتابه علم تحتاج إلى أجيال متعاقبة في تفسيرها، فالآيات الكريمة لا يشوبها شك ولا نقص فهي من

العليم الخبير، وما يعتريه النقص هو علم البشر لتغير نظرياتهم طبقاً لمستجداتهم، فتقدير عمر الكون تعددت فيه النظريات، فمن قائل ١٥ مليار سنة ومنهم ١٠ مليارات ومنهم ١١ مليار ومنهم ١٣,٥ مليار ونصف مليار سنة، وهذا ما استقر عليه العلماء أخيراً، إلى أن جاء التلسكوب (هابل) فأعطى علماء الفلك صوراً وعلوماً أثبتوا من خلالها أن عمر الكون هو ١٢ مليار سنة، وربما يتغير هذا الرقم باختراع وتصميم تلسكوب جديد أرقى وأدق من التلسكوب هابل، والذي تعتبره الولايات المتحدة مفخرة نتاج علم الفضاء لوكالة الفضاء ناسا.

فالقرآن الكريم يُفسر ثم يُفسر ولن يقف تفسيره لأن علومه كما قلت لا تنتهي فهو من كلام اللّه سبحانه وتعالى.

يقول تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٧]

... صناعة تلسكوب (هابل) لكشف المستور من الفضاء استمرت ١٢ سنة، واشترك فيه ١٠ آلاف إنسان، وتكلف ملياري دولار.. فما بالك بعلم اللّه سبحانه وتعالى(١).

... المهم أن هذه الآية الكريمة ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ فسرها الأولون... ويفسرها اليوم المتأخرون بما هيأ اللّه سبحانه وتعالى بين أيديهم من علم.. فماذا فسر الأولون هذه الآية الكريمة لنعقد النقاش والمقارنة بين تفسير الأولين والآخرين.. ثم نبين وجوه الإعجاز في هذه الآية الكريمة التي أقسم اللّه سبحانه وتعالى فيها قسماً عظيماً ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾، ومن خلالها نطلع على أهم مستجدات العلم محللين ومبينين لأن العقل بالتفسير يكون أحياناً نظرية مهمة في تذليل الصعوبات في تفسير آيات اللّه العظيمة.

---

(١) الاتحاد الإماراتي ١٥/١٢/٢٠٠٤م.

يقول ابن كثير في تفسيره:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ قال علي: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل. وقال ابن جرير: عن خالد بن عرعرة سمعت علياً، وسئل عن ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ فقال: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل. وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن أنها النجوم. وقال بعض الأئمة إنما قيل للنجوم الخنس، أي: في حال طلوعها، ثم هي جوار في فلكها، وفي حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب: أوى الظبي إلى كناسه، إذا تغيب فيه، وروى الأعمش عن عبد اللّه ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ قال: بقر الوحش وقال ابن عباس ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ البقر تكنس إلى الظل، وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء، وقال أبو الشعثاء: هي الظباء والبقر، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله (الخُنَّسِ) ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش؟ قال: ويحتمل أن يكون الجميع مراداً، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ فيه قولان: (أحدهما): إقباله بظلامه، قال مجاهد: أظلم: وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ. وقال الحسن البصري: إذا عشي الناس، (والثاني): إدباره، قال ابن عباس: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾ إذا أدبر، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾، أي: إذا ذهب فتولى، وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾ إذا أدبر. قال: لقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: أضاء، أي أدبر، وعندي أن المراد بقوله: ﴿إِذَا عَسۡعَسَ﴾ إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً، لكن الإقبال ههنا أنسب، كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشرق، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ وغير ذلك من الآيات، وقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ قال الضحاك: إذا طلع، وقال قتادة: إذا أضاء وأقبل، وقال سعيد بن جبير: إذا نشأ، وقال ابن جرير: يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ يعني: إن هذا القرآن لتبليغ رسول

كريم، أي ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر، وهو (جبريل) عليه الصلاة والسلام[١].

يقول الفخر الرازي في التفسير الكبير:

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ الكلام في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ قد تقدم في قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، (الخُنَّسِ) ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ فيه أقوال: **(الأول)** وهو المشهور الظاهرة أنها النجوم الخنس جمع خانس، والخنوس والانقباض والاستخفاء نقول خنس من بين القوم وانخنس، وفي الحديث (الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر اللّٰه خنس) أي انقبض ولذلك سمي الخناس (والكنس) جمع كانس وكانسة يقال كنس إذا دخل الكناس وهو مقر الوحش، يقال: كنس الظباء في كنسها، وتكنست المرأة إذا دخلت هودجها تشبهاً بالظبي إذا دخل الكناس. ثم اختلفوا في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه: (فالقول الأظهر): أن ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيارة واستقامتها، فرجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، ولا شك أن هذا حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة باهرة، **(القول الثاني)**: ما روي عن علي عليه السلام وعطاء ومقاتل وقتادة أنها جميع الكواكب، وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار. **(والقول الثالث)**: أن السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها، على ما قاله تعالى ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ ولا شك أن فيها مطلعاً واحداً ومغرباً وأحدهما أقرب المطالع والمغارب إلى سمت رؤوسنا، ثم إنها تأخذ في التباعد من ذلك المطلع إلى سائر المطالع طول السنة، ثم ترجع إلى كنوسها عبارة تباعدها عن ذلك المطلع، وكنوسها عبارة عن عودها إليه، فهذا محتمل. فعلى القول الأول يكون القسم واقعاً بالخمسة المتحيرة، وعلى القول الثاني يكون القسم واقعاً بجميع الكواكب، وعلى الاحتمال الذي ذكرته يكون القسم واقعاً بالسبعة السيارة واللّٰه أعلم بمراده.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير جزء ٣ صفحة ٦٠٨.

والقول (**الثاني**): أن (الخُنَّسِ) ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ وهو قول ابن مسعود والنخعي أنها بقر الوحش، وقال سعيد بن جبير هي الظباء، وعلى هذا الخنس من الخنس في الأنف وهو تقعير في الأنف، فإن البقر والظباء أنوفها على هذه الصفة، (والكنس) جمع كانس وهي التي تدخل الكناس. والقول هو الأول، والدليل، عليه أمران:

الأول: أنه قال بعد ذلك ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش.

الثاني: أن محل قسم اللّه كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى، ولا شك أن الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش.

كما أن (الخنس) جمع خانس من الخنوس، وأما جمع خنساء وأخنس من الخنس خنس بالسكون والتخفيف، ولا يقال الخنس فيه بالتشديد إلا أن يجعل الخنس في الوحشية أيضاً من الخنوس، وهو اختفاؤها في الكناس إذا غابت عن الأعين[١].

... وكذلك التفسيرات الأخرى حيث يتحدثون إما عن الظباء التي تكنس إلى كنّساها، وإمّا عن الكواكب الخمسة السيارة حيث لم يكن معروفاً لديهم سوى خمسة كواكب من المجموعة الشمسية، حيث ترجع وتستقيم فرجوعها هو الخنوس، وكنوسها هو اختفاؤها تحت ضوء الشمس.

إذاً التفسير القديم يتحدث عن النجوم وأن هذه الآية الكريمة المقصود بها النجوم أو الكواكب.. وهذا يعطينا المفتاح للحديث عن تصورات العصر الحديث وتفسيره لهذه الآية... وإذا عدنا إلى تفسير الفخر الرازي الذي ذكرت ـ وهو المعروف عنه التفسير العلمي ـ حيث أكد أن المقصود بالآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۞ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ هو الكواكب والنجوم. وقال الدليل عليه أمران:

الأول: أنه قال بعد ذلك ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش.

---

(١) التفسير الكبير مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي الجزء ١٦.

الثاني: وهو المهم أن محل قسم اللّه كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى.. ولا شك أن الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش.

... **ولنا نحن في هذا التفسير أمران**:

الأول: أن الثقوب السوداء التي اكتشفها العلم وأصبحت حقيقة واقعة والتي تكنس السماء أعظم وأولى من الكواكب، فهي أعلى رتبة منها لعظمتها.

الثاني: أن العلم وقت التفسير ناقص وهو حسب المتاح، ودليله أن كواكب المجموعة الشمسية عندهم خمسة بينما اليوم بعد اكتشاف بقية النجوم أصبحت (١١) أحد عشر كوكباً.

... كذلك اليوم وبعد اكتشاف الثقوب السوداء، والتي من مهمتها أن تكنس السماء وتنظفها حيث تبتلع في جوفها كل نجم مات إلى قرار لا يعلمه إلا اللّه سبحانه وتعالى... وقبل أن نتحدث عن وجه الإعجاز، لا بد أن نطلع على الثقوب السوداء، وعلمها، وأين هي، ومما تتشكل؟ علماً أننا قدَّمنا في الجزء الأول من الموسوعة بياناً وفقرات خاصة عن الثقوب السوداء.

نظرة حديثة:

ومع جواز هذه المعاني كلها، **إلا أن الدكتور زغلول النجار يرى** الوصف في هاتين الآيتين الكريمتين ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ ينطبق انطباقاً كاملاً مع حقيقة كونية مبهرة تمثل مرحلة خطيرة من مراحل حياة النجوم يسميها علماء الفلك اليوم بأسم الثقوب السود، وهذه الحقيقة لم تكتشف إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين وورودها في القرآن الكريم الذي أنزل قبل ألف وأربعمائة سنة بهذه التعبيرات العلمية الدقيقة على نبي أمي ﷺ في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين دليل على ناحية من نواحي إعجازه الكثيرة[١].

---

(١) د/ زغلول النجار في تعريفه للخنس الجوار الكنس.



ثقب أسود في مجرتنا كما صورته وكالة ناسا الفضائية
وهو قادر على جذب وابتلاع أكبر النجوم حجماً إنه أحد مقابر النجوم

ويرى بعض الفلكيين المسلمين المعاصرين في الوصف القرآني: الخنس الجواري الكنس؛ أنه وصف للمذنبات، وهي أجرام سماوية ضئيلة الكتلة (لا تكاد تصل كتلتها إلي واحد من المليون من كتلة الأرض) ولكنها مستطيلة بذنبها إلى ما قد يصل إلي١٥٠ مليون كيلو متر مما يجعلها أكبر أجرام المجموعة الشمسية حيث تتحرك في مدارات حول الشمس بيضاوية تقع الشمس في أحد طرفيها ونحن نراها كلما اقتربت من الشمس وهذه المدارات لا تتبع قوانين الجاذبية بدقة وتتميز بشيء من اللامركزية وبميل أكبر على مستوى مدار الأرض مما يجعل المذنبات تظهر وتختفي بصورة دورية على فترات تطول وتقصر.

ووجه الشبه الذي استند إليه هذا النفر من الفلكيين المسلمين المعاصرين بين المذنبات والوصف القرآني الخنس الجواري الكنس، هو أن المذنب يقضي فترة تتراوح بين عدة أيام وعدة شهور، مجاوراً للشمس في زيارة خاطفة فيظهر لنا بوضوح وجلاء ولكنه يقضي معظم فترة دورانه بعيداً عن الشمس فيختفي عنا تماما ويستتر فإذا ما اقترب من الشمس ظهر لنا وبان ولكن سرعان ما يقفل راجعاً حتى يختفي تماماً عن الأنظار واعتبروا ذلك هو

الخنوس ولكن الوصف القرآني بالخنس يعني الاختفاء الكامل ولا يعني الظهور ثم الاختفاء.

ولادة النجوم وموتها:

وبالعودة إلى **رأي الدكتور زغلول النجار** حول تطابق المعنى القرآني مع ظاهرة (الثقوب السوداء)، نتعرف قليلاً إلى هذه الظاهرة الفلكية الكبيرة، فما هي الثقوب السود؟:

يعرف الثقب الأسود بأنه أحد أجرام السماء التي تتميز بكثافتها الفائقة وجاذبيتها الشديدة، بحيث لا يمكن للمادة ولا لمختلف صور الطاقة ومنها الضوء أن تفلت من أسرها ويحد الثقب الأسود سطحاً يعرف باسم أفق الحدث. وكل ما يسقط داخل هذا الأفق لا يمكنه الخروج منه أو إرسال أية إشارة عبر حدوده.

وقد أفادت الحسابات النظرية في الثلث الأول من القرن العشرين إلى إمكانية وجود مثل هذه الأجرام السماوية ذات الكثافات الفائقة والجاذبية الشديدة، إلا أنها لم تكتشف إلا في سنة ١٩٧١م، بعد اكتشاف النجوم النيوترونية بأربع سنوات، ففي خريف سنة ١٩٦٧ م **أعلن الفلكيان البريطانيان توني هيويش وجوسلين بل**، عن اكتشافهما لأجرام سماوية صغيرة الحجم (بأقطار في حدود١٦ كيلو متر) تدور حول محورها بسرعات مذهلة، بحيث تتم دورتها في فترة زمنية تتراوح بين عدد قليل من الثواني إلى أجزاء لا تكاد تدرك من الثانية الواحدة، وتصدر موجات راديوية منتظمة أكدت أن تلك الأجرام هي نجوم نيوترونية ذات كثافة فائقة تبلغ بليون طن للسنتيمتر المكعب.

وفي سنة ١٩٧١ م اكتشف علماء الفلك، أن بعض النجوم العادية تصدر وابلاً من الأشعة السينية ولم يجدوا تفسيراً علمياً لذلك إلا وقوعها تحت تأثير أجرام سماوية غير مرئية ذات كثافات خارقة للعادة ومجالات جاذبية عالية الشدة وذلك لأن النجوم العادية ليس في مقدورها إصدار الأشعة السينية من ذاتها وقد سميت تلك النجوم الخفية باسم الثقوب السود وقد سميت بالثقوب لقدرتها الفائقة على ابتلاع كل ما تمر به أو يدخل في نطاق

جاذبيتها من مختلف صور المادة والطاقة من مثل الغبار الكوني والغازات والأجرام السماوية المختلفة ووصفت بالسواد لأنها معتمة تماماً لعدم قدرة الضوء على الإفلات من مجال جاذبيتها على الرغم من سرعته الفائقة المقدرة بحوالي الثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية (٢٩٩٧٩٢,٤٥٨ كم/ ث)، وقد اعتبرت الثقوب السود مرحلة الشيخوخة في حياة النجوم وهي المرحلة التي قد تسبق انفجارها وعودة مادتها إلى دخان السدم، دون أن يستطيع العلماء حتى هذه اللحظة معرفة كيفية حدوث ذلك.

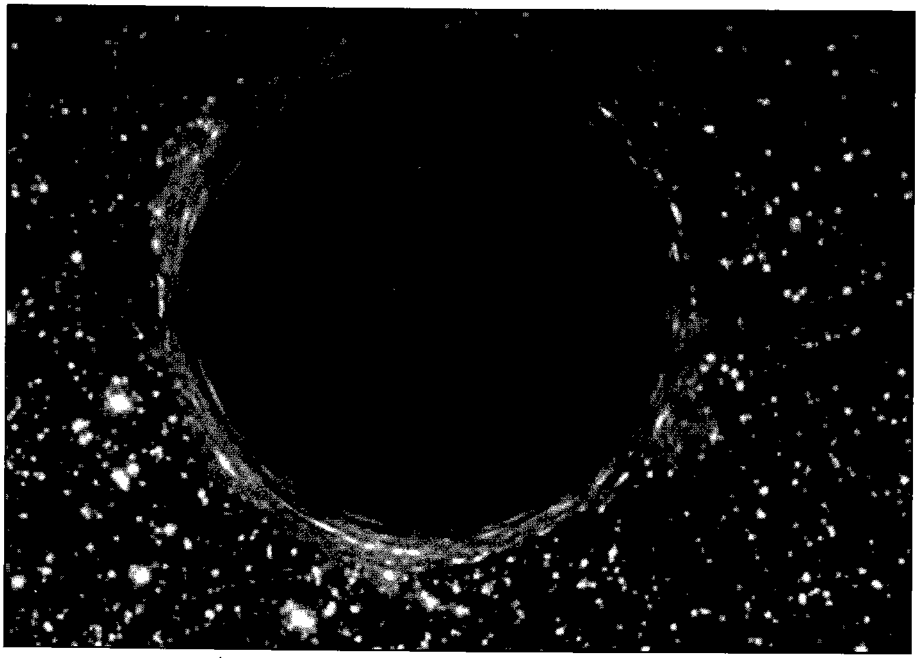
ومن المراحل المعروفة لنا في دورة حياة النجوم ما يعرف باسم نجوم النسق العادي، والعمالقة الحمر والأقزام البيض والأقزام السود والنجوم النيوترونية والثقوب السود.

فعندما تبدأ كمية الإيدروجين بداخل النجم في التناقص نتيجة لعملية الاندماج النووي وتبدأ كمية الهيليوم الناتجة عن تلك العملية في التزايد، تبدأ طاقة النجم في الاضمحلال تدريجياً وترتفع درجة حرارة قلب النجم إلى عشرة ملايين درجة كلفن (الصفر المئوي يساوي٢٧٣ درجة كلفن) مؤدياً بذلك إلى بدء دورة جديدة من عملية الاندماج النووي، وإلى انبعاث المزيد من الطاقة التي تؤدي إلى مضاعفة حجم النجم إلى مئات الأضعاف، فيطلق عليه اسم العملاق الأحمر. وبتوالي عملية الاندماج النووي، يأخذ النجم في استهلاك طاقته دون إمكانية إنتاج المزيد منها مما يؤدي إلى تقلصه في الحجم وانهياره، إما إلى قزم أبيض، أو إلى نجم نيوتروني، أو إلى ثقب أسود حسب كتلته الأصلية التي بدأ تواجده بها.

أسرار كونية:

إلا أن طبيعة تلك الثقوب السود وطريقة فنائها تبقى معضلة كبرى أمام كل من علماء الفلك والطبيعة الفلكية فحسب قوانين الفيزياء التقليدية، لا يستطيع الثقب الأسود فَقْدَ أي قدر من كتلته مهما تضاءل ولكن حسب قوانين فيزياء الكم، فإنه يتمكن من الإشعاع وفقدان كل من الطاقة والكتلة وهي سنة اللّه الحاكمة في جميع خلقه ولكن تبقى كيفية تبخر مادة الثقب الأسود بغير جواب وتبقى كتلته وحجمه وكثافته وطبيعة كل من المادة والطاقة فيه وشدة

حركته الزاوية وشحناته الكهربية والمغناطيسية من الأسرار التي يكافح العلماء إلى يومنا هذا من أجل استجلائها.



. . هذه الصورة من أحدث الصور ومن أروع الصور، ومن أعجب
ما في هذا الكون. . التقطها التلسكوب هابل. . وهي كما قال علماء وكالة ناسا الفضائية
فجوة مظلمة في الكون (ثقب حمائل) قادرة على ابتلاع ٣٠٠ مليون شمس. .
سبحان الله كم عدد مثل هذه الفجوات؟ من عنده الجواب إلا الله؟

فسبحان الذي خلق النجوم وقدر لها مراحل حياتها. . وسبحان الذي أوصلها إلى مرحلة الثقب الأسود وجعله من أسرار الكون المبهرة، وسبحان الذي أقسم بتلك النجوم المستترة الحالكة السواد الغارقة في الظلمة، وجعل لها من الظواهر ما يعين الإنسان على إدراك وجودها على الرغم من تسترها واختفائها وسبحان الذي مكنها من كنس مادة السماء وابتلاعها وتكديسها ثم وصفها لنا من قبل أن نكتشفها بقرون متطاولة بهذا الوصف القرآني المعجز، فقال (عزَّ من قائل):

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾

ومن العجيب أن العلماء الغربيين يسمون هذه الثقوب السود

تسمية مجازية عجيبة حين يسمونها بالمكانس العملاقة، التي تبتلع ـ أو تشفط ـ كل شيء يقترب منها إلى داخلها، وتبقى الثقوب السود صورة مصغرة للجرم الأول الذي تجمعت فيه مادة الكون، ثم انفجر ليتحول إلي سحابة من الدخان وأن من هذا الدخان خلقت السماوات والأرض وتتكرر العملية اليوم أمام أنظار المراقبين من الفلكيين، حيث تتخلق النجوم الابتدائية من تركز المادة في داخل السدم عبر دوامات تركيز المادة ومنها تتكون النجوم الرئيسة، ثم تتفكك هذه لتعود مرة أخرى إلى دخان السماء مباشرة، أو عبر هيئة كهيئة السدم حتى تشهد للّه الخالق بالقدرة الفائقة على أنه وحده الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وأنه وحده على كل شيء قدير.

من هذا البيان العلمي الدقيق ندرك أهمية وجود الثقوب السوداء في عالم المجرات. . وأدركنا من هذا البيان العلمي أن الثقوب السوداء موجودة في كل المجرات، وعلمنا قوة جذبها الهائلة.

. . . نعود إلى الآية الكريمة:

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾

الخنس: هي النجوم التي أصبحت ثقوباً سوداء تتمتع بجاذبية هائلة.

الكنس: التي تكنس السماء من كل النجوم التي شاخت ثم ماتت وتنظف السماء.

. . . هذا التفسير علمي ومنطقي ومقبول إلى درجة كبيرة جداً للاعتبارات التالية:

أولًا: هذه الثقوب والتي تسمى مقبرة النجوم لوضعها الهائل وقوة جذبها الكبيرة وقدرتها على ابتلاع أكبر النجوم تتناسب مع عظمة القسم الذي أقسمه اللّه سبحانه وتعالى في بداية الآية الكريمة ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ ﴾، **أي أقسم قسماً عظيماً. . بماذا؟ بقسم اللّه بالخنس الجوار الكنس.**

ثانياً: إن اللّه سبحانه وتعالى جميل ويحب الجمال، ويحب النظافة والطهارة، وعلمنا كيف نكون نظيفين وطهورين لأن هذا يتناسب مع عظمة خلقه الذي يتمتع بالجمال، وكما أننا ننظف بيوتنا وشوارعنا دائماً لتكون دائماً نظيفة طاهرة، وكما أننا نذهب بكل شيء مستهلك سواء كان من حديد أو خشب أو من أي مادة إلى مدفن النفايات بعد أن تنتهي مدة صلاحيته، وكما أننا ندفن موتانا بعد أن يقضي اللّه وتتوفى الأنفس، وكذلك نفعل بكل الحيوانات التي تموت، فلا بد أن ندفنها لنحافظ على البيئة وطهارة البيئة... كذلك فإن اللّه سبحانه وتعالى الذي زين السماء وجعلها بمنتهى الروعة والجمال والزينة،

يقول تعالى:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾

[سورة الصافات، الآية: ٦]

ويقول تعالى:

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾

[سورة فصلت، الآية: ١٢]

ويقول تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾

[سورة ق، الآية: ٦]

وكذلك بقية الآيات الكريمة التي تشير إلى زينة السماء بتلك النجوم والكواكب، فهل تترك هذا النجوم التي شاخت وماتت في السماء فتقلل من جمالها وزينتها.. فعمر الكون كما قدره العلماء ١٣,٥ مليار سنة ونصف المليار وفي كل يوم تموت نجوم وتولد نجوم فلو تركت تلك النجوم عبر هذه المليارات من السنين فكم يكون عدد النجوم الميتة في السماء ألا تكون بالمليارات.. فتصور مليارات النجوم الميتة تسبح في السماء وهو القائل:

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾

[سورة فصلت، الآية: ١٢]

فهل الزينة تكون بالنجوم الميتة أم بالنجوم الشابة؟ والتي تتقد بضيائها لتكون زينة للسماء وللأرض وللناظرين.

. . . وكما أنه يستحيل أن تترك الناس بعد موتهم على سطح الأرض دون أن تدفن، كذلك يستحيل أن تترك تلك النجوم الميتة دون أن تدفن، لذلك أوجد اللّه سبحانه وتعالى تلك الثقوب السوداء الهائلة والتي سميت مقبرة النجوم والتي جعل اللّه سبحانه وتعالى فيها من قوة الجذب ما تستطيع أن تجذب إليها النجم الميت ومهما كانت كتلته وحجمه فتدفنه في داخلها، ويستحيل بعد ذلك خروجه ويكون في عالم الأموات في تلك الثقوب السوداء واللّه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير. واللَّه أعلم.

الإسراء والمعراج والسرعة الكونية

يقول تعالى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ١]

الإسراء والمعراج أمر حدث وهذا لا شك فيه عند مؤمن موحد للَّه سبحانه وتعالى، وهو أمر تواتر بين الناس، وما هو متواتر تكون فيه الحجة قوية جداً كحادثة الطير الأبابيل وأبرهة الحبشي وهدم الكعبة ونزول المائدة من السماء على سيدنا عيسى عليه السلام والحواريين، والأهم هو نزول القرآن الكريم في هذه الأمور جميعاً.

فالإسراء والمعراج فيه آيات بينات، وفيه تواتر بين الناس.. ومن الناحية العلمية لرحلة الإسراء والمعراج لا نتكلم عن حوادث جرت فيه ولا شك أن الإسراء والمعراج كثر الكلام حوله وعنه، ومنه ما هو صحيح وفيه ما هو حسن وفيه ما هو ضعيف، ولكن الذي لا خلاف فيه مطلقاً هو أن الإسراء والمعراج قد وقع مؤيداً من القرآن الكريم.

يقول تعالى عن الإسراء:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ١]

ويقول تعالى عن المعراج:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾

[سورة النجم، الآيات: ١ ـ ١٠]

فحقيقة الإسراء والمعراج ثابتة في القرآن الكريم، ومن أصدق من اللّه حديثاً؟

. . قلنا إن حوادث الإسراء والمعراج لن نناقشها في هذا البحث وإنما نناقش ونبحث في إعجاز الإسراء والمعراج الذي خرق قوانين الزمن والمألوف والعادة، وخرق الزمن الذي نتعامل به في حياتنا الدنيا.

. . والحقيقة أن الإسراء والمعراج لو حدث في هذا الوقت، ربما لم يكن له مثلما كان في زمن نزول القرآن الكريم وبعثة رسول اللّه ﷺ. فاليوم نرى أمامنا سفن الفضاء التي تسير بسرعة كبيرة وكذلك الطائرات والصواريخ و السيارات والسفن التي جعلتنا نفهم السرعة أكثر بكثير من الذين من قبلنا.

فكيف يتحدث رسول اللّه ﷺ عن رحلته إلى المسجد الأقصى ثم عروجه إلى السماء في ليلة واحدة. . والسفر إلى المسجد الأقصى بوسائل السفر المتاحة وقتئذ الجمل أو الخيل تحتاج إلى شهر ذهاباً وشهر إياباً. . فكيف بالعروج إلى السماء، وإن كانوا لا يعرفون عن السماء شيئاً وعن المسافات الشاسعة والأبعاد السحيقة في الكون وأزمان الوصول في هذه الحالة لا بد من اختراق نواميس وسرعات الكون الموضوعة عندما خلقها اللّه سبحانه وتعالى! وإلا فيستحيل حدوث الإسراء والمعراج.

. . . الناس في عهد رسول اللّه ﷺ أنكروا بشدة رحلة الإسراء، لأن هذا الطريق والزمن الذي يحتاجه لقطع المسافة بين مكة والقدس الشريف بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى هو شهران ٦٠ يوماً. . فكيف يقول رسول اللّه ﷺ: أنه قطعه في ليلة واحدة وأنه صلى بالأنبياء جميعاً عليه السلام.

. . . وإذا أردنا أن نتكلم عن رحلة الإسراء والمعراج لا بدَّ من شمولية عامة وأمور ضرورية نتحدث فيها، حتى نستوعب الإسراء والمعراج بالكلية.

. . . والسؤال لماذا الإسراء والمعراج في وقت كانت الدعوة الإسلامية في أولها والإيمان لازال في بدايته والمسلمون الجدد لم يتعمق الإيمان في قلوبهم بعد؟؟

. . وماذا يقدم الإسراء والمعراج للإسلام كدعوة تدعو إلى اللّه سبحانه وتعالى والإيمان به.

في زمن لا يمكن أن يدركوا معنى اختراق نواميس الكون ولا يمكن للعقول أن تتفاعل إلا مع ما تلمسه بيدها وتراها بعينها؟؟

. . . وما الذي استفاده محمد ﷺ من هذه الرحلة؟ ألم تخلق له الإشكالات وتسبب ارتداد الكثير من المسلمين عن الإسلام، وتجعله في موضع شك من المجتمع الذي حوله؟

والجواب على هذه الأسئلة يتركز في المحاور التالية:

أولاً: الإسلام دين عظيم رضيه اللّه سبحانه وتعالى للبشرية جميعاً، لذلك كانت رسالته للعالمين؛ قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧]

وقال تعالى:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ١]

لذلك لا بد لهذا الإسلام العظيم الذي ارتضاه اللّه للعالمين أن يقوم على أساس متين قوي راسخ، وذلك من رجال لا يوجد في قلوبهم أدنى شك في قدرة اللّه وصدق رسوله ﷺ، وأما الذين في قلوبهم ضعف فالإسلام ليس بحاجتهم وإلا بني الإسلام على ضعف واستمر في هذا الضعف، والرجال الذين ثبتوا عندما سمعوا برحلة رسول اللّه ﷺ كثيرون ومنهم أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه، وذلك عندما جاءه أبو جهل وقال له: أما سمعت ما يزعم صاحبك أي محمد ﷺ، ولم يكن قد علم أبو بكر بعد برحلة الإسراء والمعراج ـ قال ما يقول: قال يقول: إنه أسري به إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السماء. . وكان أبو جهل يتوقع من أبي بكر ألا يصدق هذا ويرتد عن دينه، ولكن أبا بكر رضي اللّه عنه قال صدق. . . قال: كيف تقول هذا يا أبكر، قال: كنت أصدقه بالخبر يأتيه من السماء أفلا أصدقه أنه أسري به إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السماء.

. . مثل هؤلاء الرجال أراد اللّه سبحانه وتعالى أن يكونوا الأساس المتين لدينه الذي ارتضاه للبشرية جمعاء وإلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها. . لذلك قال تعالى:

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٧٩]

ثانياً: وبالنسبة للمشركين الذين لم يكونوا آمنوا من قبل رحلة الإسراء والمعراج. . فإنهم سمعوا بالرحلة وعلموا عنها فإذا أتى أحدهم مؤمناً فيكون قد آمن بالله ورسوله ﷺ وبرحلة الإسراء والمعراج فيكون دخوله إلى دين الإسلام عن قناعة تامة مطلقة وإيمان قوي راسخ.

ثالثاً: أراد الله سبحانه وتعالى أن يسري عن نبيه ﷺ من كثرة ما لاقى من عنت الكافرين والمشركين وذلك بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة رضي الله عنهما، فيبين الله سبحانه وتعالى له أنه معه ومؤيده وما عليه إلا أن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. يقول تعالى:

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

[سورة الأحقاف، الآية: ٣٥]

رابعاً: ليؤكد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين أن رسولهم صادق، ومن صدَّقَ بهذه الرحلة العظيمة التي لم تكن العقول تقبلها فهو من تغمده الله برحمته، فما يأتيهم بعده فهو الصدق من الله سبحانه وتعالى، ومن صدقه في رحلة الإسراء والمعراج ولم يدخل قلبه شك في هذا سيصدقه بكل القرآن الكريم والذي فيه تشريع إلهي عالمي إلى أن تقوم الساعة.

خامساً: أراد الله سبحانه وتعالى أن يخرج الناس من حالة الجهل ويفتح العقول والقلوب المغلقة وينقلهم إلى العلم وإلى بيان قدرة الله سبحانه وتعالى في أرضه وسماواته، ويعلمهم ماذا في السماوات والأرض وما يعني الإسراء الذي خرق نواميس وقوانين الزمن والسرعة، وما يتم عندهم في شهرين يتم عند الله في أجزاء من الدقيقة أو الثانية. أو كن فيكون. . . ثم ليتوجه المؤمنون إلى التفكير في خلق السماوات والأرض ويدركوا معنى الأبعاد والنجوم والأزمان، لأن الله سبحانه وتعالى سينزل عليهم آيات يتحدث الله سبحانه وتعالى فيها عن قدرته في السماوات وخلق السماوات

وخلق الأرض وخلق أنفسهم وخلق الدواب والنبات والجبال والبحار والنجوم والكواكب. . فلا بد أن يستيقظوا أو يهزهم الحدث ليتنبهوا ويفيقوا من سبات طويل، فالذي يؤمن باللّه يجب أن يؤمن بقدراته ويجب أن يتفكر ويتعلم ويدرك ويحس ـ هذه الرحلة أيقظت العقول وجعلتها تتجه نحو السماء، وتتساءل كيف صعد رسول اللّه ﷺ إلى السماء؟ وكيف وصل إلى سدرة المنتهى وقابل جبريل وكيف دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى؟

سادساً: أراد اللّه سبحانه وتعالى أن يوقظ العقول النائمة وينبهها إلى يوم القيامة، وكيف يكون البعث والنشور وانتقال الخلق إلى أرض الميعاد أرض المحشر بآلاف ملياراتها، وكيف سيكون ذلك على اللّه يسير، فكما نقل سيدنا محمد ﷺ وعرج به إلى السماء سينقلنا جميعاً ويعرج بنا إلى السماء بأمر منه وبلا زمن، يقول تعالى:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحِۭ بِٱلْبَصَرِ﴾

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

ويقول تعالى:

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾

[سورة النازعات، الآيات: ١٣ ـ ١٤]

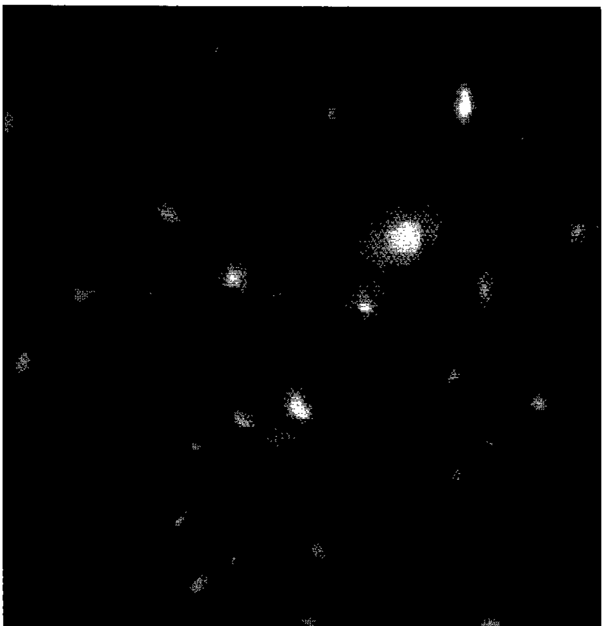
سابعاً: وأما من قال: إن هذا الأمر جنون وأنه لا يمكن أن يكون ويحد من قدرة اللّه والخالق فلم يصدق ولم يطمئن قلبه الكافر، فإن اللّه سبحانه وتعالى ليس بحاجتهم والدين ليس بحاجتهم، وإنما الدين بحاجة إلى أولئك المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأزواجهم من أجل دين اللّه، وإلى أولئك الأنصار الذين آثروا على أنفسهم رغم فقرهم وخصاصتهم يقول تعالى:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة الحشر، الآيات: ٩ ـ ١٠]

الإسراء والمعراج وخرقه لقانون السرعة والزمان:

ليس من شك في أن الإسراء والمعراج كحدث خرق قانون السرعة والزمان الذي يتعامل معه الناس... فإذا قلنا: إنه يستحيل كعادة معروفة وقانون معروف، ولكنه لا يستحيل ولا يعجز خالق هذا القانون قانون السرعة والزمان.. فالذي أوجد الكون بآلاف مليارات المجرات وبليارات المليارات من النجوم والكواكب والذي ضبطها منذ خلقها لا تحيد عن أمره قيد أنملة، فلا تجد في السماء فطوراً ولا خللاً إنما نظام دقيق محكم.. فالذي خلق الكون من عدم لا يعجزه أن يسري بعبده ليلاً ويعرج به إلى السماء ليلاً ويعاد إلى الأرض في زمن لم يستغرق سوى ساعات من ساعات الدنيا معدودة، ولو شاء لجعله في دقائق معلومة أو ثوان معدودة إنه اللّه سبحانه وتعالى خالق قانون الزمان وخالق قانون المكان وخالق قانون السرعة وخالق قانون الأشياء وما حدث على أيدي أنبياء اللّه سبحانه وتعالى ما هي إلا خرق لتلك النواميس بأمر اللّه سبحانه وتعالى، والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم على خرق هذه العادة وهذه القوانين جميعاً ـ والمعجزات على أيدي الأنبياء كثيرة.



هذه الصورة من أحدث ما التقطه أضخم تلسكوب فضائي في العالم هابل.. وهي تمثل لعدد من المجرات التي تبعد عنا ١٥ مليار سنة ضوئية وكلها في السماء الأولى ـ ولا ندري ما بعدها ومع ذلك فإن رسول اللّه ﷺ قطع بقدرة اللّه ليس السماء الدنيا بل السماوات السبع في ليلة الإسراء والمعراج... إن اللّه القادر العليم فلا زمن عنده ولا مسافات إنما كن فيكون.

فهذا عيسى عليه السلام وبشهود آلاف الناس في زمانه يخرق نواميس الوجود والأشياء فيحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن اللّه تعالى:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ٤٩]

وكذلك عندما ضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر ليشق في البحر طريقاً يبساً يمر عليه وفوقه مع بني إسرائيل، فإذا ما تبعهم فرعون وجنوده عاد كما كان فأغرقهم جميعاً. إسمع إلى قوله تعالى وما فعله موسى من خرق لنواميس وقوانين الوجود بأمر اللّه سبحانه وتعالى.

يقول تعالى:

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾

[سورة الشعراء، الآيات: ٦١ ـ ٦٦]

فهذه بعض آيات كريمة يشير اللّه سبحانه وتعالى فيها إلى تغيير المادة المعروفة أو النظام المتبع أو قانون الأشياء بأمر اللّه سبحانه وتعالى وقدرته، فقانون النار أنها تحرق من يلمسها أو يدخل فيها وهذا قانون وضعه اللّه سبحانه وتعالى للنار ولكن بأمره يتغير القانون فتصبح النار برداً وسلاماً، ألم يفعل اللّه سبحانه وتعالى هذا مع سيدنا إبراهيم عندما ألقاه قومه في النار.

يقول تعالى:

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ * قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

لقد خلق اللّه سبحانه وتعالى طبيعة المادة سائلة، وبقدرته في كل لحظة أن يصيرها جامدة، فما هي إلا إشارة من سيدنا موسى بعصاه حتى شق في

البحر طريقاً يبساً، هذا إذا فكرت في آلاء اللَّه، وعرفت عظمته سُبحانه وتعالى، لم تر حينئذ في خوارق العادات شيئاً مستحيلاً عقلاً، بل ربما كان مستحيلاً عادة، تماماً كما ألف الناس أن النار تحرق، وأن الماء سائل، ولكن ربنا سبحانه وتعالى هو خالق القوانين، وهو خالق طبائع الناس، وهو خالق العلاقات الثابتة، التي تظنها أنت ثابتة، إنها ليست ثابتة، فإذا شاء اللَّه لها أن تثبت تثبت، وإذا شاء لها أن تكون غير ثابتة غيرها كيف يشاء، فهو الذي خلق قوانين المكان، وهو الذي خلق قوانين الزمان، فإذا قرأت في كتب السيرة أن النبي ﷺ خرج من بيته إلى بيت المقدس، وعاد إلى بيته في ليلة، فهذا من خرق اللّه سبحانه وتعالى لقوانين المكان.

لقد كذبته قريش، وطالبته أن يصف المسجد الأقصى فوصفه، وكأنه يشاهده، لأنه شاهده حقيقة، ولعلهم يظنون أن النبي ﷺ سمع هذا الوصف من غيره، فنقله إليهم، فطالبوه أن يصف لهم ما رآه في الطريق، فوصف لهم قافلة، وسمى أسماء أصحابها، ولما جاءت القافلة إلى مكة، وسألوا أفرادها، جاءت إجابتهم مطابقة تماماً لوصف النبي ﷺ لذلك فإن حدث الإسراء مستدل عليه بآيات محكمة، صريحة الدلالة، وبأحاديث صحيحة صريحة، وهو من المعلوم بالدين بالضرورة.

وإن أحداث الإسراء والمعراج من الزاوية العلمية ممكنة عقلاً، وغير ممكنة عادة، والناس أحياناً يخلطون بين العادة والعقل، فهؤلاء الذين ما عرفوا اللَّه، وما عرفوا قدرته، وما عرفوا معنى قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، وما عرفوا أن الزمان من خلقه وقد يُلغى، وأن المكان من خلقه وقد يُلغى ما عرفوا هذه الحقيقة، أحياناً ينكرون أن يقع الإسراء والمعراج، وبعضهم يقر بالإسراء، وينكر المعراج، وكلاهما ثابت، لأن هذا الكون برمته، وبمجراته، بكل أفلاكه، وبأرضه وسمائه وجد من عدم، فهل يستطيع عقلك فهم هذه القضية، كن فيكون، كان اللَّه ولم يكن معه شيء، فأيهما أعظم؛ أن يوجد هذا الكون كله من عدم؟ أم أن ينتقل النبي ﷺ بقدرة اللَّه، لا بقدرته، فالفعل هنا (أسري)، وليس (سرى)، الفعل (أسري) متعد؛

طفل صغير ضعيف، أيعقل أن يصعد إلى قمة جبل هملايا؟! لا يعقل، ولكن إذا حمل، وأخذ، وصعد به، حينئذ يعقل، فربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ١]

فهو انتقل بقدرة اللَّه من مكة إلى بيت المقدس، وانتقل إلى السماء بقدرة اللَّه، إذاً فقدرة اللَّه لا يحدها شيء، وهي تتعلق بكل شيء، فالإسراء والمعراج ممكن عقلاً، ممتنع عادة، ولم يألف الناس ذلك وقت النبي ﷺ، أما الآن فقد انتقل الإنسان من الأرض إلى القمر في ثلاثة أيام، وكانت سرعة مركبته أربعين ألف كيلو متر في الساعة، فما كان مستحيلاً وقت النبي أصبح الآن على يدي البشر ممكناً، فكل شيء ممكن عقلاً، ولكنه ليس ممكناً عادة[(١)].

واليوم قطعت المركبة فايندر التي صعدت إلى المريخ وهبطت عليه ٧٧ مليون كم في ستة أشهر، وليس هذا فحسب فإن وكالة ناسا الأمريكية أرسلت مسباراً فضائياً ليخرج خارج حدود المجموعة الشمسية ويقطع ملايين وربما مليارات الكيلو مترات في سنين قادمة.

وفعلاً ما كان مستحيلاً على الناس وقت الإسراء والمعراج أصبح اليوم عادياً وطبيعياً وألفته الناس، وما يدريك أن البشر ستصنع سفينة فضائية بعد سنوات وقل بعد مائة سنة تستطيع أن تصل إلى القمر في ساعة واحدة أو ساعتين. وعلى سبيل المثال لو استطاع الإنسان أن يصل إلى سرعة الضوء ٣٠٠ ألف كم في الثانية فإننا وقتئذ نستطيع أن نصل إلى القمر في ثانية ضوئية.. والسؤال هل هذا مستحيل عقلاً في قابل الأيام.. كان من المستحيل صعود الإنسان إلى القمر، ومن المستحيل الأكبر أن يصل إليه في ثلاثة أيام، وما كان مستحيلاً أصبح واقعاً وربما ما ننظر إليه اليوم على أنه مستحيل ربما يكون واقعاً مستقبلاً.

... أرأيت كيف أن رحلة الإسراء والمعراج لم تكن مستحيلة عقلاً.. أم لماذا؟؟.

---

(١) د/ محمد راتب النابلسي، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة صفحة ٩٠.

. . . ذلك أن العقل استطاع التعرف على بعض قدرة اللّه سبحانه وتعالى في هذه السماء الشاسعة، وقد تحدثنا في فقرات سابقة عن السماء وما فيها من مليارات المجرات والتي تحوي كل مجرة مليارات النجوم والكواكب، وأن البعد بين أي نجمين في أية مجرة تزيد عن الملايين وربما المليارات من الأميال . . فإن قدرة اللّه عظيمة في هذا الكون.

. . فإن أقرب نجم إلينا خارج حدود المجموعة الشمسية اسمه **(قنطاروس)** وهو يبعد عنا ٤,٥ سنة ضوئية ماذا يعني هذا؟ يعني أننا لو سرنا بإمكانية سفننا الفضائية اليوم متوجهين إلى هذا الكوكب **فنحن بحاجة إلى مليون سنة حتى نصل إلى أقرب نجم إلينا**، وهو يبعد فقط ٤,٥ سنة ضوئية، وللعلم فإن سرعة الثانية الضوئية ٣٠٠,٠٠٠ ثلاثمائة ألف كم. فما رأيك بما اكتشفه العلم اليوم أن أبعد مجرة استطاع علماء الفلك اكتشافها تبعد(١٥) مليار سنة ضوئية وربما يوجد أبعد منها بآلاف المرات أرقام لا يمكن للعقل البشري تحملها.

ولكن السؤال من خلق هذه المجرات؟ ومن أوجدها؟ ومن وضع قوانينها؟ ومن أوجد الزمان والمكان وقدر المسافات وجعل لكل هذا مواقع؟ . . كلنا يعلم أنه اللّه سبحانه وتعالى . . حتى المشركون والكافرون لم ينكروا أن اللّه خلق هذه السماوات والأرض لكنهم أشركوا معه آلهتهم.

يقول تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

[سورة الزخرف، الآية: ٩]

فاللّه سبحانه وتعالى خالق هذه السماء، فتصور كيف خرقت رحلة الإسراء والمعراج القوانين تصور! أننا لو استطعنا أن نصمم ونصنع سفينة فضائية تسير بسرعة الضوء وهذا فرض يستحيل عقلاً لأن سرعة الضوء ٣٠٠ ألف كم في الثانية لا يمكن أن يصل إليها الإنسان، ولكن لنقل وصل إليها الإنسان فإنه بحاجة لأن يصل إلى أبعد مجرة مكتشفة حتى الآن (١٥ مليار سنة) وعمر الإنسان في المتوسط لا يصل إلى سبعين عاماً.

. . ومع هذا فإن رسول اللّه ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج وصل إلى

سدرة المنتهى في أقل من ليلة واحدة، ذلك أن اللّه سبحانه وتعالى هو الخالق وهو خالق الزمان والمسافات يطويها جميعاً بقدرته، فهو يملك أقوى قوة ناقلة لا تحتاج إلى زمن في اختراق المسافات. لنقول:

إن رجلاً أراد أن ينتقل من مكة إلى بيت المقدس راكباً الحمار، فإنه يحتاج إلى الوصول إلى شهرين.. وإذا ركب الجمل فإنه بحاجة إلى شهر، وإذا ركب الحصان فإنه بحاجة إلى أسبوع، وإذا ركب السيارة فإنه بحاجة إلى يوم ونصف، وإذا ركب الطائرة فإنه بحاجة إلى ساعتين، وإذا ركب صاروخاً فإنه بحاجة إلى ساعة واحدة فقط أو نصف ساعة أو ربع ساعة.

لاحظ أنه كلما قويت الوسيلة الناقلة نقص الزمن، فاللّه سبحانه وتعالى يملك أقوى قوى ناقلة فلا زمن عنده وهذا ما بينه اللّه سبحانه وتعالى في قوله:

﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴾

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

وقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

[سورة يس، الآية: ٨٢]

هذه التقديرات العلمية والمعرفة الكونية وسرعة الضوء وإمكانيات علم الفلك وظهور الآلات الحديثة والسفن الفضائية، تؤكد لنا جميعاً أن رحلة الإسراء والمعراج لم تكن مخصوصة في علمها بجيل من الأجيال ولا بزمن من الأزمان بل هي معجزة قائمة أراد اللّه أن يسمع بها كل جيل وخاصة هذا الجيل الذي قال عنه اللّه سبحانه وتعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وهذا الجيل رأى بعينه وسمع بأذنه وعلم بفكره قدرة اللّه في السماء وعلم حتماً أن اللّه سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء..

واللّه أعلم.

اختراق أقطار السماوات والأرض

يقول تعالى:

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾

[سورة الرحمن، الآيات: ٣٣ ـ ٣٥]

هذه الآيات القرآنية الثلاث مختلفة عن جميع آيات اللّه تعالى في السماء.

وقد ثار جدل كبير حول هذه الآيات الكريمة بين مؤيد لرأي ومعارض له ومتسائل عنه، وكل يفهم هذه الآيات ويفسرها إما حسب مقدرته وعلمه المعاصر، أو حسب فهمه للتفسير مما أخذه عن السلف الصالح.

والجدل هذا وقع تماماً، حين وصل أول إنسان إلى القمر في الستينيات من هذا القرن عن طريق سفينة الفضاء الأمريكية (أبوللو) وعلى متنها رائد الفضاء (أرمسترونج).

وقام أعداء الإسلام يومها بالطعن في القرآن الكريم لوجود هذه الآيات القرآنية من سورة الرحمن، التي فسروا معناها بأن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى القمر حسب الآية الكريمة وقد وصل الإنسان إلى القمر[١]

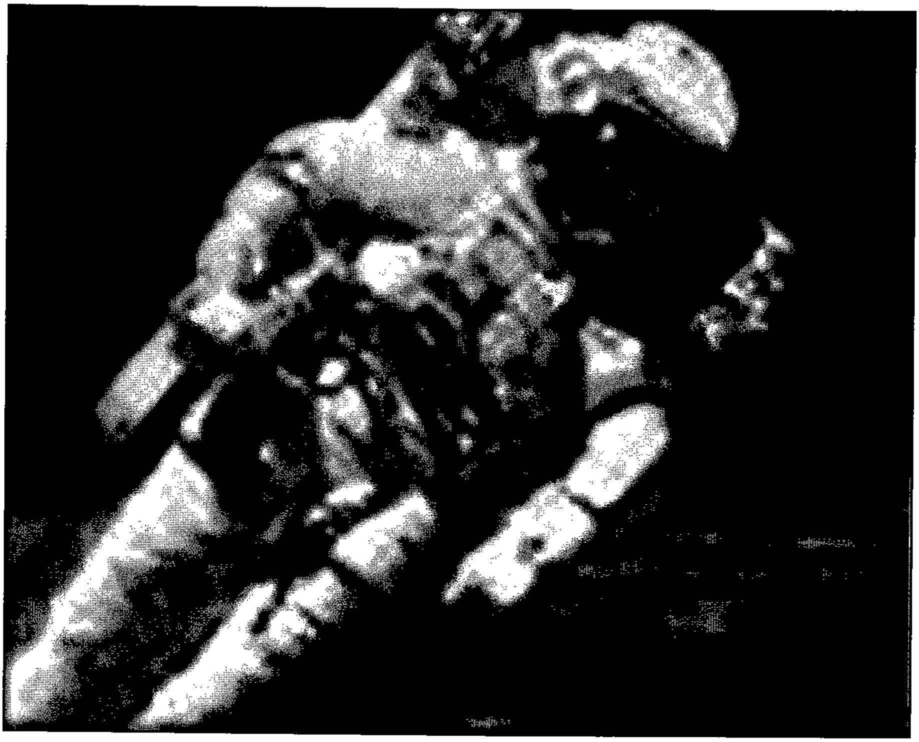
وأما بعض المؤمنين المسلمين فقد عارضوا وصول إنسان إلى سطح

---

(١) يقول عبد اللّه بن مبارك في تفسير هذه الآية: إن ذلك يكون في الآخرة، ويقول: إن معناها إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السماوات والأرض لتهربوا من قضاء اللّه وحسابه فانفذوا لا تنفذون إلا بقوة تملكونها.
وكذلك قال ابن كثير في تفسيره.
تعقيب: ولكن ولما تطور العلم تطور مفهومنا للآيات القرآنية الكريمة.

القمر وجعلوا اعتقاد ذلك كفراً، وقالوا: إن اللّه تعالى قال في كتابه العزيز إن الإنسان لا يستطيع أن يخرق قطر الأرض ليعبر إلى السماء ويصل إلى القمر وكذبوا هذه الحقيقة العلمية الثابتة المرئية رأي العين.

وأما المعتدلون فوقفوا على الحياد فلم ينفوا ولم يؤكدوا، وأما المؤمنون حقاً، فقالوا: يومها يفعل اللّه سبحانه وتعالى ما يشاء وهو قادر عليه.



رجل الفضاء أرمسترونغ الذي اخترق الأرض ووصل إلى القمر بجسده.. ولكن القمر يبعد ثانية ضوئية واحدة وأبعد مجرة تم اكتشافها تبعد ١٥ مليار سنة ضوئية والسؤال إلى أين وصل الإنسان حتى الآن؟؟

ويذكرني حدث نزول أول إنسان على سطح القمر واختراقه غطاء الأرض، بقصة الإسراء والمعراج، فقد استغلها المعارضون استغلالاً بشعاً وجعلوها فرصة لإلصاق تهمة الجنون بسيدنا محمد ﷺ ونقض دعوته وتشويهها قدر ما يستطيعون، لأن مداركهم لا تستطيع أن تتحمل أن اللّه قادر

على كل شيء وأنه قادر على اختراق حواجز الزمن التي هي بمفهوم ابن آدم على الأرض.

وذهبوا إلى أبي بكر أقرب الناس إليه وقالوا: اسمع ما يقول صاحبك: إنه يقول أسري به إلى بيت المقدس وعُرج به إلى السماء وعاد من هذه الرحلة في نفس الليلة.

لكن ثبّت اللّه قلب أبي بكر رضي اللّه عنه وقال: (إن كان قالها فقد صدق) فجن جنونهم في طعن رسالة سيدنا محمد ﷺ، وتشويه صورة أبي بكر رضي اللّه عنه، ولكن هل أفلحوا فيما فعلوا؟!!

وقبل أن أدخل في شرح الآية القرآنية الكريمة، لا بد وأن أذكر شيئاً عن الكرة الأرضية هذه، لنرى ما حدودها؟ وأين تقع أقطارها بالتحديد؟ وهل القمر هو أحد أقطارها؟

الأرض كوكب من كواكب المجموعة الشمسية التسع، والتي تضم في ثناياها: عطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، والمشتري، وزحل، وأورانوس، ونبتون، وبلوتون.

وهذه الكواكب التسعة وأمهم الشمس أطلق عليها العلماء اسم (المجموعة الشمسية)، ومجموعتنا الشمسية هذه وملايين أخرى غيرها تؤلف فيما بينها تجمعاً أسماه العلماء باسم (المجرة).

والمجرة التي تتبعها مجموعتنا الشمسية تقع في درب التبانة، ولكل كوكب من كواكب المجموعة الشمسية المذكورة آنفاً أقمار تسبح حوله، فمن الكواكب ما له قمر واحد ككوكبنا الذي نعيش عليه، ومنها ما له تسعة أقمار تسبح حوله كزحل، ومنها ما له ستة عشر قمراً كالمشتري، وأما الأرض فلها قمر واحد هو القمر الذي نراه دائماً يسطع في سماء الأرض والذي يبعد عن مركز الأرض (١٨٣) مائة وثلاثاً وثمانين ألف ميل.

والأرض التي نعيش عليها محاطة بغلاف جوي متعدد الأغراض

يصل إلى ألف كم يحيط بالأرض من جميع جوانبها.

وإذا أجرينا دراسة سريعة لهذه الأرض التي نعيش عليها وعلى بعض كواكب مجموعتنا الشمسية من حيث الأبعاد والأحجام سنتبين طبقاً لما ذكره علماء الفلك:

الأرض تبعد عن زحل	٦٨٤	مليون ك م.
الأرض تبعد عن الشمس	١٤٩	مليون ك م.
الأرض تبعد عن المريخ	٧٧ ـ ٤٩٨	مليون ك م.
الأرض تبعد عن المشترى	٦٢٨	مليون ك م.(١)
الأرض تبعد عن نبتون	٤٠٠٠	مليون ك م.
الأرض تبعد عن بلوتون	٦٠٠٠	مليون ك م.
الأرض تبعد عن إكس	١٠٠٠٠	مليون ك م.

فأي من هذه هو حدود أقطار الأرض؟! أهي الشمس التي تبعد عن الأرض ١٤٩ مليون كم؟ أم كوكب المريخ والذي يبعد عن الأرض ٧٧ ـ ٤٩٨ مليون كم وهو أقرب كواكب المجموعة الشمسية للأرض؟! أم كوكب بلوتون الذي يبعد عن الأرض ستة مليارات كم؟! أما القمر الذي وصل إليه الإنسان، والذي كان سبب الجدل فهو تابع للأرض بقول جميع علماء الفلك ولا يعد أحد أقطارها.

وأما الإنسان ـ ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين ـ فلم يستطع أن يصل بجسده أكثر من القمر الذي هو تابع للأرض ومنجذب إليها، والذي لا يبعد عنا أكثر من (١٨٣) مائة وثلاثة وثمانين ألف ميل.

فكيف نقيس هذه المسافة اليسيرة جداً بين الأرض والقمر أمام قياس بُعْد الأرض عن الشمس والذي يصل إلى ١٤٩ مليون كم، أو إلى أقرب كوكب لنا من الكواكب التسعة والذي يبعد عنا ٤٩٨ مليون كم، وكم المسافة ضئيلة جداً أمام أبعد كوكب عن الأرض والذي هو ما بين بلوتون والأرض

(١) راجع كتاب (جمال الكون) يمنى الزهار.

والبالغ ستة مليارات كم. أو ما بين الأرض والكوكب المكتشف حديثاً (إكس ويبعد ١٠ مليارات كم).

وبالمقارنة فهل نستطيع أن نقول: إن حدود الأرض ولمسافة ١٤٩ مليون كم، وإذا قلنا نعم.. فكيف تصل أشعة الشمس إلى كوكب بلوتون الذي يبعد عنها ستة مليارات كم؟

إذاً فإن أقطار الشمس وحدودها هو حدود ما تصل أشعتها وهذه حتمية منطقية.

فهل نستطيع مثلاً أن نقول: إن حدود كوكب المشتري هي أقماره الستة عشر؟

وإذا قلنا نعم فكيف تصل إليه أشعة الشمس وهو مرتبط معها وضمن جاذبيتها ومجالها الحراري، وطالما أن أشعة الشمس تصل إلى كل أفراد المجموعة الشمسية هذه، وهي أمّ جميع الكواكب، فعلى الأقل تكون حدود أقطار الأرض هي الشمس التي ترعاها وترسل لها حنانها ودفئها ونورها وأشعتها، أو تكون أقطار أرضنا على الأقل هي أحد أخواتها التسع المتمثلة بالكواكب المذكورة آنفاً والذي يبعد أقربها ٤٩٨ مليون كم.

إذاً، القمر ليس هو حدود أو أحد أقطار الأرض بل هو تابع لها وضمن مجالها المغناطيسي.

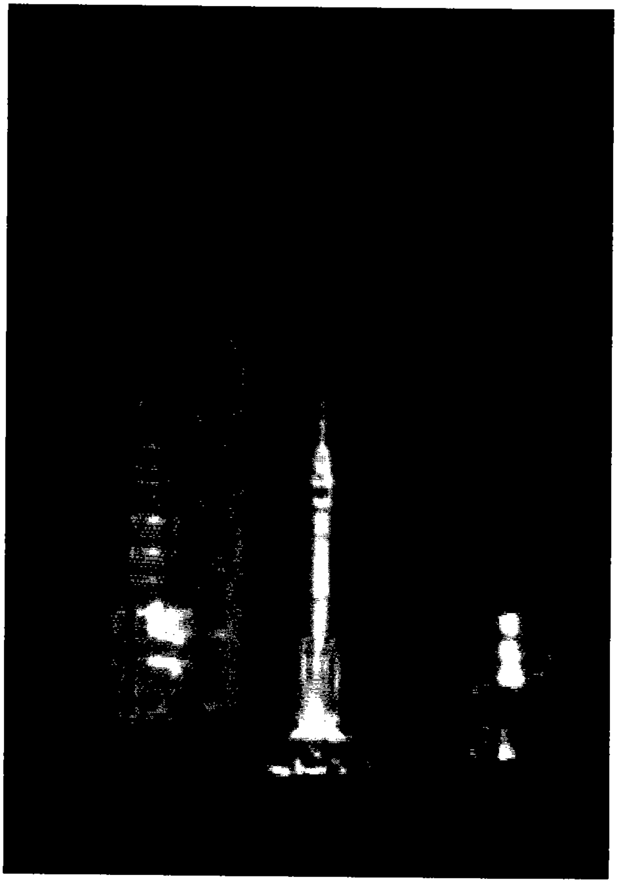
ولما كانت حياتنا على الأرض متوقفة على نجم الشمس، فقد كان من البديهي أن أقل حدود أقطار الأرض هي الشمس والتي تبعد عنا ١٤٩ مليون كم.

وإذا أردنا أن نصل إلى حدود أقطار الأرض، فعلينا الوصول إما إلى الشمس أو أحد كواكبها التسعة.

وعلى فرض أننا وصلنا إلى حدود الشمس أو أحد كواكبها التسعة بأجسادنا ـ وهذا مستحيل في الوقت الراهن ـ فمع ذلك، لن نكون قد نفذنا من حدود أقطار الأرض بل وصلنا إلى حدودها.

أمّا إذا وصلنا بأجسادنا ـ كما وصل أرمسترونج بجسده إلى القمر ـ إلى أقرب كوكب أو نجم خارج حدود المجموعة الشمسية، فنكون ساعتها قد تجاوزنا حدود أقطار الأرض ونفذنا منها.

ولكن ما أقرب نجم أو كوكب أو قمر لنا خارج حدود المجموعة الشمسية التي نتبع لها؟!



إحدى المركبات الفضائية التي ستسير بين أفراد المجموعة الشمسية ووكالة ناسا أطلقت سفينة فضائية خارج حدود المجموعة الشمسية من دون رواد ولكن انقطع الاتصال ـ وأين هي الآن ـ الإنسان بعلمه لا يزال في بداية الطريق.

يقول علماء الفلك: إن أقرب نجم لنا خارج حدود المجموعة الشمسية واسمه (**قنطاروس**)، يبعد عن مركز الأرض أربع سنوات ونصف سنة ضوئية[1].

(١) راجع كتاب (آيات اللّه في الآفاق): د. عبد المجيد الزنداني.

ويقول علماء الفلك: إننا إذا أردنا أن نصل إلى أقرب نجم لنا خارج حدود المجموعة الشمسية، فإننا بحاجة إلى سفينة فضائية تسير بسرعة ٩٥٠ ألف كم في اليوم، ومع ذلك ستصل بعد مليون سنة من سنوات الأرض!!! وإذا سارت بسرعة الضوء، فإننا بحاجة إلى أربع سنوات ونصف للوصول، فهل هذا ممكن أم نكون قد دخلنا في نطاق المستحيل؟! إننا نكون دخلنا في نطاق كل المستحيلات، وذلك لسببين واضحين:

الأول: كيف نصل إلى سرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة ألف كم في الثانية ولم تتجاوز السفن الفضائية في سرعتها إلى أكثر من أربعين ألف كم في الساعة وليس في الثانية، فكيف لنا أن نصل إلى سرعة الضوء؟!

الثاني: هب أننا وصلنا إلى سرعة الضوء فكيف لنا بالاستمرار؟ فهل أجساد الناس على تركيبها الفيزيولجي تتحمل هذه السرعة؟

ثم إن الإنسان محكوم بقدرة معينة لا يستطيع تجاوزها، وكما أن الإنسان محكوم بقدرة معينة كجسد، كذلك محكوم بقدرة محدودة معينة كعقل، وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

فهذه الآية الكريمة ليست محدودة في زمن معين، إنما هي خطاب للإنسان وحتى يوم القيامة والله لم يقلها عبثاً، وذلك لأنه يعلم أن الإنسان الذي خلقه ذو عقل له حدود قياساً لقدرة الله وعلمه.

علماً أن الله تعالى يعلم أن الإنسان سيصل في يوم من الأيام إلى معرفة بعض علم السماء والأرض والنفس، كما قال في كتابه العزيز:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

والسين للمستقبل أي أن آياته في الآفاق الآن وحين نزول القرآن لا يرونها ولكنهم سيرونها في المستقبل وفي الزمن الذي قدره الله تعالى.

حيث أن الله سبحانه وتعالى يعلم أن الإنسان مستقبلاً سيرى آياته، وقد وعد بهذا في قرآنه الكريم، وقد تحقق ما وعد به، فمن الطبيعي أن الله يعلم أن الإنسان محدود أيضاً بقدرات لا تؤهله لاختراق أقطار السماوات والأرض[١] لا حاضراً ولا مستقبلاً، فإننا أمام قرآن كريم قال عنه سبحانه وتعالى:

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٤٢]

ولنعد ثانية للآيات القرآنية الكريمة.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾

[سورة الرحمن، الآية: ٣٣]

فالآية القرآنية شرطية ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾ فإن جواب الشرط هو ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ وتكملة الآية الكريمة هو جواب الشرط ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ فالنفاذ وارد ولكن مشروط بالسلطان. ويبقى السؤال ما معنى كلمة ﴿سُلْطَٰنٍ﴾؟... إذا أخذنا كل وجوه المعاني الممكنة لمعنى كلمة ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ فتكون:

سلطان: أمر

سلطان: قدرة

سلطان: علم

وليس لها أكثر من هذه المعاني المحتملة.

وإذا أخذنا بالمعنى الأول (أمر) فيكون المعنى أنكم تنفذون ولكن بشرط أن يكون بأمر الله.

أليس الله هو الحاكم والآمر والناهي في ملكه؟ وهل ينازعه في ملكه

---

(١) القطر علمياً: هو الخط الواصل بين نقطتين متقابلتين على السطح المنحني أو المسار المغلق ويمر بالمركز.

أحد؟ وهل ادعى أحد من العالمين أنه خلق وأوجد السماوات والأرض؟

واللّه سبحانه يقول في كتابه عن الكفار والذين لم يؤمنوا بالوحدانية الحقة:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾

[سورة لقمان، الآية: ٢٥]

واللّه له ملك السماوات والأرض، فهو فعال لما يريد، إن أرادنا أن ننفذ نفذنا، وإن لم يرد لا ننفذ.

وهذه حتمية عقلية منطقية صحيحة.

وإن أخذنا معنى كلمة سلطان (القدرة) فإن هذا يكون أيضاً من اللّه، فإن لم يعطكم اللّه القدرة على النفاذ فإنكم لا تستطيعون.

وكيف يعطينا اللّه القدرة؟ ذلك بأن يساعدنا ويعلمنا ويهيئ لنا ما نستطيع به أن نعبر وننفذ، كصناعة صواريخ الفضاء وسفنها.

وإذا أخذنا معنى كلمة سلطان أنها (علم) فهذا أيضاً ممكن، فالإنسان لا يستطيع أن يرى آفاق اللّه أو أن يصل إلى بعضها أو أن ينفذ إلى أقطار السماوات والأرض إلا إذا أخذ العلم طريقاً ليستطيع صناعة واختراع الآلات التي تجعله يصعد إلى السماء ليرى ملك اللّه سبحانه وتعالى، لا كما بنى فرعون صرحاً ليطلع به إلى إله موسى، فهذا محض خرافة ويدل على الجهل المطلق في علم السماء والأبعاد والحجوم، فلو أن فرعون عاش معنا بعض الأيام في هذا العصر ـ عصر التكنولوجيا ـ وسمع أن ما بيننا وبين الشمس ١٤٩ مليون كم، لعلم وتأكد أنه كان سخيفاً جداً في تفكيره.

وإذا كانت بمعنى القيادة والسيادة والسلطة فهذا أيضاً طبيعي ومنطقي فالمعنى: لا نفاذ دون أن تتيح لكم سيادة وسلطة وقوة اللّه سبحانه وتعالى أن تعبروا وتنفذوا إلى أقطار السماوات والأرض.

والأقرب إلى اللغة والعقل أن المقصود بقوله تعالى:

﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

أي لا تنفذون إلا بأمر اللّه سبحانه وتعالى وإرادته فإذا شاء اللّه أن لا ننفذ يكون، كما يقول اللّه سبحانه وتعالى في الآية الثانية:

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾

[سورة الرحمن، الآية: ٣٥]

ورغم أن القمر تابع للأرض وليس بأحد أقطارها[١]، فإن لم يشأ اللّه لأرسل على هذا الإنسان الذي صعد إلى القمر بمركبته الفضائية شهاباً رصداً أحرقه ومركبته التي يصعد بها، وإن فعلها الإنسان وحاول مرة ثانية وثالثة ورابعة أرسل اللّه شهاباً رصداً كلما حاول الإنسان، وعندها لن يعيدها الإنسان بعد ذلك.

ولكن اللّه سبحانه وتعالى أراد أن يصل الإنسان حيث شاء اللّه إلى القمر ولحدود محدودة ومتواضعة أمام حدود النجوم والسماوات، وذلك لسببين:

١ ـ إن اللّه يريد لهذا العقل المخلوق والذي ميَّز اللّه به الإنسان عن باقي المخلوقات، أن يبدع ويصنع ويخترع، أليس العقل من صنع اللّه وهبة اللّه للإنسان.

٢ ـ إن اللّه سبحانه وعد أنه سيري الإنسان معجزاته ومخلوقاته في الآفاق، لقوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

فإن لم يتح اللّه لهم التعرف على الآفاق وفي أنفسهم والصعود فيها، فكيف يكون وعد اللّه بتحقيق الرؤية الكونية الآفاقية، وكلنا يعلم أن اللّه لا يخلف وعده أبداً.

إذاً فالآية القرآنية ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ هي للذين لا يريد اللّه لهم أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض، وهذا يكون لعامة

---

(١) عبَّر الدكتور محمد جمال الدين فندي في كتابه (مع القرآن الكريم في الكون) على أن أقطار الأرض هو الاتجاه نحو باطن الأرض واختراق قشرتها الأرضية والوصول إلى باطنها الملتهب والذي يبلغ ٥,٠٠٠ درجة سنتجراد. وهذا رأي خاص به.

الجن كما ذكر اللَّه سبحانه في قرآنه، أن الجن تقعد مقاعد للسمع، ولما لم يشأ اللَّه أمر الشهب أن تتبع كل جني يحاول ذلك فتحرقه، وذلك لقوله تعالى:

﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾

[سورة الجن، الآية: ٩]

والآية أيضاً لعامة الإنس إلا من استثنى اللَّه منهم ليريهم آياته في الآفاق، ليخبروا أقرانهم من عامة الإنس ما رأوا من قدرة اللّه سبحانه وتعالى، وكل ذلك حتى تكون عليهم حجة يوم القيامة بأنهم رأوا قدرة اللَّه بأعينهم وشاهدوا بمراصدهم وأخبروا الجميع بما رأوا وشاهدوا، ومع ذلك لم يؤمنوا باللَّه الواحد القادر العليم الذي لا شريك له ولا ولد.

وإذا أخذنا برأي العلماء والمفسرين، أمثال الزمخشري والطبري والسيوطي: أن هذه الآية تخص يوم القيامة ويوم الموقف العظيم بعد أن تطوق الخلائق جميعاً تطويقاً كاملاً لا يستطيع أي أحد من هذه الخلائق النفاذ والهروب من رقابة اللّه سبحانه وتعالى، فإننا لا نجد أيضاً لهذا التفسير من معارضة عقلية أو فكرية.

وأخيراً فإن الآيات القرآنية من جميع وجوه تفسيرها لا تعارض بينها وبين العلم ولا تخالفه على أي وجه من أوجه التفسير الآنفة الذكر.

الكفار بأهوائهم يفسدون السماوات والأرض

يقول تعالى:

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾

[سورة المؤمنون، الآية: ٧١]

ما معنى هذه الآية الكريمة؟ وهل تفسد السماوات والأرض؟ لنستمع قبل أي رأي إلى تفسير المفسرين لهذه الآية الكريمة ثم نتبين المعنى ووجه الإعجاز فيها.

يقول الزحيلي في التفسير الوسيط:

لوساير الحق أهواء الناس لانقلب باطلاً ولذهب ما يقوم به العالم وعليه، فإن الحق لا يتبع الهوى بل الواجب على الإنسان ترك الهوى واتباع الحق، فإن اتباع الأهواء يؤدي إلى الفساد الشديد، والمراد: لو جاء القرآن مؤيداً الشرك باللّه والوثنية، مُبيحاً الظلم مقراً النهب والسلب، والفواحش، مُهملاً الأخلاق والفضائل لاختل نظام العالم وشاع الفساد والدمار، وتخلفت المدنية، وبادت الحضارة(١).

ويقول ابن كثير في تفسيره:

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ قال مجاهد والسدي: الحق هو اللّه سبحانه وتعالى، والمراد: لو أجابهم اللّه إلى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الأمور على وفق ذلك لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن، أي: لفساد أهوائهم واختلافهم. ففي هذا كله تبيين عجز العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم، وإنه تعالى هو

---

(١) د/ وهبة الزحيلي التفسير الوسيط الصفحة ١٧٠٥.

الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله وتدبيره لخلقه[١]

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة:

ولو وافق الحق أهواءهم، وأيد القرآن رغباتهم، لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن لخروجها عن نظامها المشاهد، بل أتيناهم بالقرآن الذي فيه مجدهم وشرفهم فهم عن هذا الشرف والمفخرة معرضون عنه مهملون له[٢].

وفي صفوة التفاسير للصابوني:

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي: لو كان ما كرهوه من الحق الذي هو التوحيد والعدل ـ موافقاً لأهوائهم الفاسدة ومتمشياً مع رغباتهم الزائفة ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾، أي: لفسد نظام العالم أجمع علويه وسفليه وفسد من فيه من المخلوقات لفساد أهوائهم واختلافهم[٣].

التفاسير متشابهة في التفسير ومتفقة على أن السماوات والأرض خلقها اللّه سبحانه وتعالى بالحق والحق لا يتفق إلا مع الحق، ولا يتفق مع الفساد، فالحق والفساد متناقضان واللّه سبحانه وتعالى ليس عنده إلا الحق.

قال تعالى:

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة الأحقاف، الآية: ٣]

فاللّه سبحانه وتعالى يرسل الرسل وينزل الكتب لهداية الناس، ولكن أكثر الناس فاسقون؛

قال تعالى:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ١١٦]

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير مجلد ٢ صفحة ٥٧٠.
(٢) الموسوعة القرآنية الميسرة صفحة ٣٤٧٣.
(٣) صفوة التفاسير للصابوني.

وسبيل اللّه هو الحق، وهذا يطمئن الناس أن ربهم وخالقهم هو الحق ليس بظلام لعبيده وليس غضوباً ولا يحب الفساد ولا يحب الظلم، أقام السماوات والأرض بالحق والجنة بالحق والنار بالحق، ولا يمكن للسماوات والأرض أن تقوماً على هذا الحال الذي عليه إلا لأن اللّه هو الحق.. فكيف يتبع اللّه سبحانه وتعالى أهواءهم وكيف تكون حال السماوات إذا اتبع اللّه أهواء الفاسدين الفاسقين، لابد أن تتخبط السماوات مع بعضها ويفنى الوجود ونفنى نحن ولا يبقى لنا أثر ولن يكون هناك حساب لأن الحق والسماوات والأرض مطيعة للّه سبحانه وتعالى لأنه الحق، وسيعيدنا اللّه ويجزينا على أعمالنا لأنه الحق. فلا يمكن أن تقوم الدنيا والآخرة على الباطل ولايمكن أن يضيع اللّه سبحانه وتعالى أعمالنا وإيماننا لأنه الحق، ولو كان اللّه غير ذلك وحاشى للّه لضاع إيماننا وضاعت أعمالنا.. فالآية فيها اطمئنان عظيم أننا سننال جزاء أعمالنا وأنه لا يمكن أن تفسد السماوات والأرض، وستبقى قائمة بهذا النظام العظيم إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها، ولن يضيع إيماننا ولا أعمالنا.

يقول تعالى:

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٩٥]

ويقول تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

وكل آية يتحدث اللّه سبحانه وتعالى عن السماء والأرض يذكر أنه خلقها بالحق وأوجدها بالحق وأقامها بالحق، ولا دور للمفسدين في السماوات والأرض ولا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة، ويؤكد اللّه سبحانه وتعالى في الآية الكريمة من سورة المؤمنين أنه لا زوال للسموات والأرض إلا في أجلها المسمى فلتطمئن قلوب المؤمنين إلى رحمة اللّه وعدل اللّه وحق اللّه.

فإعجاز الآية الكريمة أن السماوات والأرض لا تزولا، وستبقى إلى يوم القيامة، وإعجاز الآية إشارة إلى حلم اللّه وصبر اللّه وخلق السماوات والأرض بالحق، وإعجاز الآية اطمئنان لنفوس المؤمنين أن اللّه لن يضيع إيمانهم ولا أعمالهم، وإعجاز الآية أن السماوات والأرض ومن فيهن تجري إلى أجل مسمى ولن يغير كفر الكافرين ولا شرك المشركين ولا فسق الفاسقين ولا معصية المذنبين من واقعها شيئاً؛

واللّه أعلم.

المقارنة والقياس بين السماوات السبع والجنة

يقول تعالى:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٣]

هذه الآية الكريمة قمة العطاء من إله كريم، له ملك السماوات والأرض وما فوقهن وما بينهما.

وهي تمثل خطاباً سريعاً من اللّه الرحمن الرحيم، إلى عبد كسول جحود يركض وراء سراب زائف ودنيا فانية وعمار دنيوي زائل.

إنها آية مهما استطاع أن يكتب عنها الكاتبون ويفسرها المفسرون فإنهم لا يوفونها حقها، فهي أعظم من أي فكر إنساني وأقوى من أي تعبير، ومهما شرحنا وفصلنا في الكلام عنها فإنه يبقى ناقصاً.

إن في هذه الآية الكريمة والتي لا تتجاوز كلماتها إحدى عشرة كلمة، معاني وحقائق علمية مذهلة، وتفصيل لبعض الغيب الذي لا يمكن أن نعرفه لولا إرادة اللّه ومشيئته، فأنّى لنا مهما أوتينا من العلم أن ندرك أن الجنة عرضها كعرض السماوات والأرض؟.

وفاتحة الآية هذه الكلمة الرائعة (وسارعوا) ففيها ثلاثة معان:

المعنى الأول: (وسارعوا) وهي وإن كانت فعل أمر، فهو أمر مبني على الرحمة والمحبة والشوق والرغبة والإرادة الإلهية الرحيمة الممزوجة بالرأفة والعطف والحب لهذا الإنسان الذي يعيش على الأرض، فيأمره بأن يسرع إلى مغفرة ورضوان اللّه تعالى كي يفوز وينجو، مثلما تقف لتشجع أخاً وحبيباً لك في مسابقة رياضية، وحينما يطل عليك هذا الحبيب المتسابق

وأنت واقف على المدرج في الملعب، تنظر إليه وتقول له: سارع، وذلك حباً له ورغبة منك بأن يفوز بالمباراة، فليست كلمة (سارع) الصادرة منك فيها شدة (الأمر)، بل فيها رقة المحبة والرغبة بالفوز، فأنت لا تأمره ولكنك تحثه على السرعة.

ولكن جائزة الأخ الرياضي الذي تأمره بالسرعة معروفة، أما جائزة اللَّه إن أسرعت نحو الهدف فهي أكبر بكثير مما تستطيع عقولنا أن تدركه، فهي جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

المعنى الثاني: كلمة (سارعوا).. إشارة من اللّه سبحانه وتعالى إلى أن الدنيا سريعة الزوال، فإن لم تسبقوا سرعتها إلى الزوال وتصلوا قبلها إلى مغفرة ورضوان اللَّه فإنها ستسبقكم وتزول وتزولون معها دون الوصول إلى الهدف المنشود وهو رضا اللّه ومغفرته، وهي إشارة أيضاً إلى أن الدنيا عمرها قصير وعمركم كبشر في الدنيا أقصر.

المعنى الثالث: اللّه سبحانه وتعالى قال (سارعوا) ولم يقل (أسرعوا) لأن الفعل (أسرعوا) فعل أمر مجرد ولكن (سارعوا) فيها أمر تعاوني، وكأنه فعل للتنبيه والاستعداد، وتصديقاً لهذا فإن اللّه سبحانه وتعالى قال في آية أخرى لنفس الموضوع، يقول تعالى:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾

[سورة الحديد، الآية: ٢١]

ثم انظر إلى هذه الرأفة والحنان والتي لا يمكن أن ننالها إلَّا من اللَّه الرؤوف الرحيم بعباده، فإلى أي شيء يطلب اللَّه منا أن نسارع؟ إنه يطلب أن نسارع إلى رضوانه ومغفرته.

وأي شيء أعظم وأفضل للإنسان من أن يحقق هذا الهدف العظيم، وهو مغفرة اللّه سبحانه وتعالى.

فما المغفرة التي يقصدها اللَّه لنسارع إلى كسبها قبل أن تفوتنا الحياة فنخسر الآخرة ورضوان اللَّه والجنات التي وعد اللَّه بها المتقين من عباده.

المغفرة: لا تكون للعبد إلا من اللّه سبحانه وتعالى، ولكن كيف ينالها الإنسان؟

١ ـ ينالها العبد المؤمن الذي يسير على منهج اللّه سبحانه وتعالى.

٢ ـ ينالها العبد العاصي إن أقلع عن المعصية وسارع إلى التوبة واتبع منهج اللّه سبحانه وتعالى في حياته الذي أضاعه في ما مضى وذلك بأن يبتعد عن محارمه، ويقبل على أوامره بقلب صادق وبنية صافية.

. . . وماذا تقدم لهذا الإله الرحيم أيها الإنسان مقابل هذا العطاء غير المحدود، وجنة عرضها السماوات والأرض تكون لك دار مقام فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين؟.

فحقيقة الحال أنك لا تقدم شيئاً للّه وإنما تقدم لنفسك، فإن أنت أقبلت على منهج اللّه وابتعدت عن محارمه وامتثلت لأوامره فقد قدمت لنفسك استقامة تعصمك من أن تهلكك الدنيا أنت وأهلك ومالك، وتكون لك استقامة تقوّم بها نفسك وتبعدها عن مواطن الفساد والانهيار، وتقوِّم مالك وتبعده عن الضياع بالانسياق وراء الملذات الزائفة، وتقوِّم بها زوجك وأولادك وتأمن عليهم من عواقب الضياع والفساد، وتُنشئهم التنشئة القويمة التي تحفظ دينهم ودنياهم.

إذا فالمغفرة ينالها الإنسان الذي يتمسك بمنهج اللّه أو يعود إليه إن كان قد أضاعه في سالف عمره.

وهكذا يبقى الإنسان بعيداً عن مغفرة اللّه ورضوانه حتى يعود إلى منهج اللّه ويبتعد عن محارمه ويلتزم أوامره، فإن عاد وامتثل فإن طريق الجنة التي عرضها السماوات والأرض يكون مفتوحاً له، ولا يوجد أي عائق يعيقه عن الدخول إليها وأن يكون من أحد سكانها.

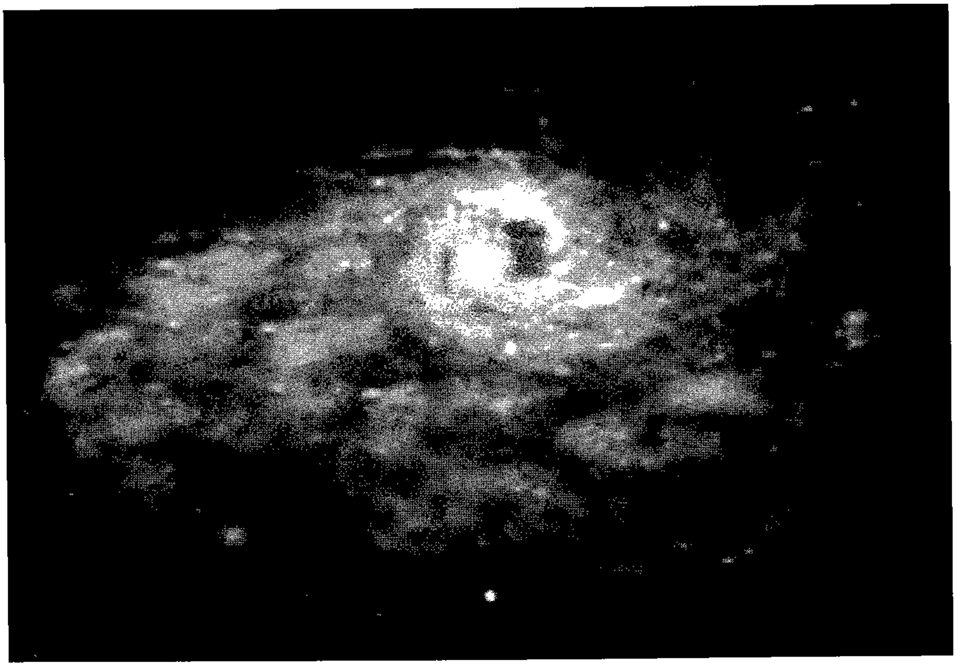
وقبل أن نصل إلى الجنة لنتعرف على ماهيتها وتكوينها وعظيم اتساعها، لا بد أن نلقي نظرة من خلال العلم الحديث عن هذه السماوات والأرض التي لا توازي عرض الجنة التي جعلها اللّه نهاية المطاف للمؤمنين المتقين من عباده.

فما السماء الأولى؟ التي هي السماء الدنيا؟

وما الذي توصل إليه العلماء بعد دراستها وسبر أغوارها خلال قرون، وما مدى علمنا عنها بعد أن وصلنا إلى أوائل القرن الواحد والعشرين.

السماء الدنيا حسب ما اكتشف حتى الآن هي:

١ ـ **مجموعات شمسية**: كل مجموعة مؤلفة من شمس (نجم) يتبع له من تسعة كواكب وحتى عشرين كوكباً، وكل كوكب له من قمر واحد وحتى عشرين قمراً ما عدا الكويكبات والنيازك والمذنبات التي تسبح فيما بينها، وإن البعد ما بين كواكب المجموعة الشمسية بعد سحيق فأقلها ٤٩٨ مليون كم كما البعد بين الأرض وكوكب المريخ(١).



صورة تمت بعد أربع سنوات من الرصد وهي لمجرة درب التبانة وهي ألتي تمثل الوسط في الصورة وفي المجرة ٤٠٠ مليار نجم وأعداد هائلة من الكواكب. وما اكتشف حديثاً هذه النجوم حول مجرة درب التبانة والتي تعد بالمليارات وهذه مجرة واحدة بعد آلاف المليارات من المجرَّات ـ وما قدروا اللّه حق قدره.

٢ـ **مجرات**: كل مجرة مؤلفة من مائة إلى مائتي مليار نجم أو مجموعة شمسية إذا كان للنجم كواكب. وأقرب مسافة بين مجموعتين شمسيتين ضمن المجرة الواحدة من خمس سنوات ضوئية وحتى مئات

(١) على اعتبار أن لكل نجم في السماء كواكب.. فالنجوم ترى في العين أو من خلال التلسكوب، ولكن الكوكب لا يرى لصغره قياساً لحجم النجم، ولأنه كوكب معتم غير مضيء بذاته كالنجوم فلا يرى من هذه الأبعاد السحيقة.

السنوات الضوئية، وأما أبعدها عن بعض فيزيد عن مائة ألف سنة ضوئية.

٣ ـ **تجمع مجرات**: كل تجمع يضم من ثلاثين مجرة وحتى عشرة آلاف مجرة، وربما أكثر أو أقل، يفصل ما بين أقرب مجرتين مئات الملايين من السنوات الضوئية (١).

٤ ـ **عناقيد مجرية**: كل عنقود مجري يضم آلاف التجمعات المجرية، وكل تجمع يضم آلاف المجرات.

الأبعاد: على سبيل المثال وليس دراسة فلكية:

١ ـ أقرب المجرات للأرض مجرتنا، التي تتبع لها كرتنا الأرضية على درب التبانة، وتبعد عن مركز الأرض مليوني سنة ضوئية.

وللعلم فإن الثانية الضوئية مسافتها (٣٠٠) ثلاثمائة ألف كم.

٢ ـ البعد بين أقرب كوكبين في أي مجموعة شمسية في أي مجرة لا يقل عن خمسين مليون كم.

٣ ـ البعد بين أقرب مجموعتين شمسيتين في أي مجرة من مليارات المجرات التي تسبح في السماء، لا يقل عن ملايين ومليارات الكيلو مترات.

٤ ـ البعد بين أي مجرتين لا يقل عن مئات الآلاف من السنوات الضوئية.

٥ ـ أبعد المجرات المكتشفة حتى الآن عن مركز الأرض، وصل إلى خمسة عشر مليار سنة ضوئية أو أكثر.

٦ ـ مجموعتنا الشمسية والتي فيها الأرض التي نسكن فيها هي أصغر المجموعات الشمسية في المجرة التابعة لها وأقلها شأناً، وتسكن في أقصى جنوب المجرة.

الحجوم: على سبيل المثال وليس دراسة فلكية:

١ ـ كوكب المشتري: وهو ضمن مجموعتنا الشمسية يبلغ حجمه حجم الكرة الأرضية (١٠٩) مائة وتسع مرات وهو كوكب مثلنا.

---

(١) في ١٢/١٢/١٩٩٥ اكتشف أكبر تلسكوب أوربي بجنوب فرنسا، تجمعاً مجرياً جديداً يضم سبعاً وعشرين ألف مجرة، وهذا الخبر أوردته جميع وكالات الأنباء العالمية في الصحف والتلفاز والمجلات العلمية.

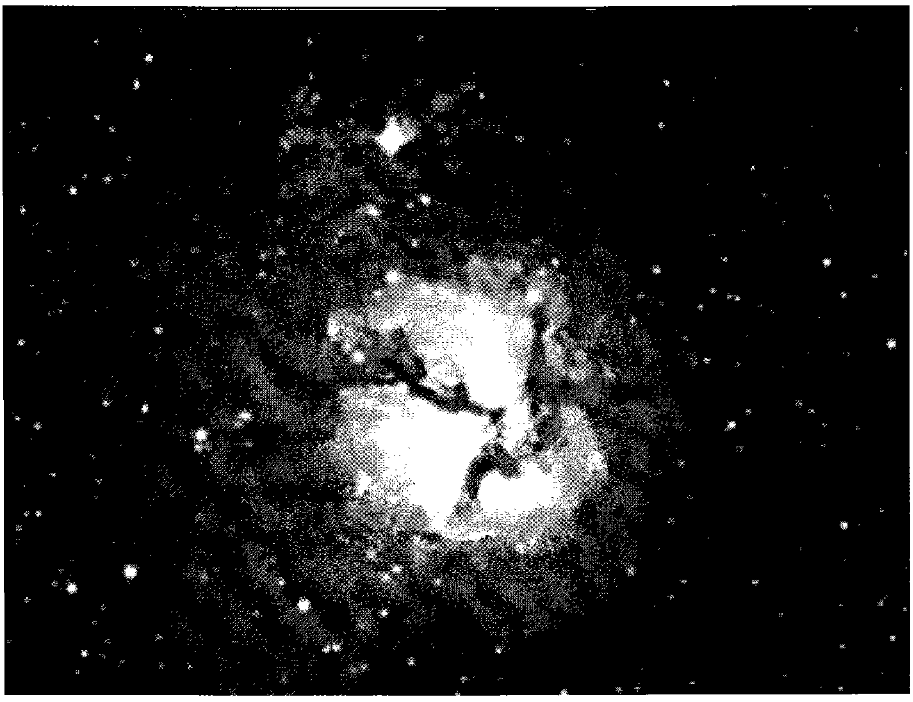
٢ ـ الشمس التي تطلع علينا في كل يوم ونراها بأعيينا والتي نتبع لها: حجمها حجم الأرض مليون وثلاثمائة ألف مرة.

٣ ـ حجم كثير من النجوم التي نشاهدها في السماء وكأنها عقلة أصبع: يصل إلى مائة مرة حجم شمسنا.

٤ ـ يقول علماء الفلك: إن حجم مجموعتنا الشمسية لا يمثل أمام حجم المجرة التي نتبع لها، إلا كما تمثل حبة رمل واحدة في شاطئ ممتد عشرات الكيلو مترات.

وعلى الرغم من ضآلة مجموعتنا الشمسية هذه وتفاهة شأنها، فإن بعض كواكبها يبعد عن بعض ما يزيد عن ٦٠٠٠ ستة آلاف مليون كم، بل ١٠ مليارات كم، كما يبعد الكوكب العاشر المكتشف (إكس) عن الشمس والأرض.

ومع هذا كله فهل ما وصل إليه العلماء حتى هذه الساعة هو البداية أم أنها النهاية.. أم لا يزالون في منتصف الطريق؟ والحديث عن السماء الأولى.



تجمعات هائلة من المجرَّات وكميات هائلة من النجوم ربما أحدها أكبر من شمسنا بآلاف المجرات وهذا بالنسبة للسماء نقطة ماء في بحر.. فكم هي الجنة عظيمة في اتساعها وجمالها.

ولكن اللّه سبحانه وتعالى قال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ ولم يقل السماء الدنيا.

فإذا عرفنا بعض أسرار السماء الدنيا بما هيأ اللّه لنا من علم وتلسكوبات واكتشافات، فماذا عن السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة؟!.

ليس لدى العلم أي معلومات عن أي سماء سوى بعض علم من علوم السماء الأولى، ولكن لدينا روايتان:

الأولى: حينما تحدث الرسول ﷺ عن البيت المعمور الذي ذكره اللّه في سورة الطور:

﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ * فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ * وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ * وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ * وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [سورة الطور، الآيات: ١ ـ ٦]

وقال عنه ﷺ إنه بيت في السماء السابعة، والحديث عن ابن مسعود قال ﷺ: **(البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم)**(١)

ومن خلال هذا الحديث ربما يعرف الإنسان عن بعض ما هو في السماوات السبع، ونفهم من سياق الحديث أن في إحدى السماوات السبع بيتاً معموراً وملائكة تحجه، ومنه ندرك بعض الحركة لإحدى السماوات السبع.

الثانية: ما ورد من كلام ابن مسعود قال: قال عليه الصلاة والسلام **(بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام)** (٢)

وجاء في حديث آخر عن رسول اللّه ﷺ **(كشف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة)**(٣)

---

(١) أورده الإمام السيوطي في تفسيره سورة الطور صفحة ٦٩٧.

(٢) أورده البيهقي في كتاب شعب الإيمان.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

فرواية رسول اللّه ﷺ تقول (إن ما بين السماء والسماء خمسمائة عام، وسمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام) فكيف يوم المسير فلم تحدده الرواية.

ولكن رسول اللّه ﷺ أعطى بعض علم عن سماكة السماء، والمسافة بين السماء والسماء، وذلك أفضل من أن لا نعلم عنها شيئاً، لأن العلم مهما تطور فلا يمكن أن يصل إلى السماء الثانية.

هذا حديث موجز عن بعض علم السماء الدنيا، وقد أتاح اللّه سبحانه وتعالى لهذا الجيل أن يدرك عظمة السماء من خلال علم الفلك الذي بذل فيه العلماء الكثير، وقد تعاونت الدول كلها فيما بينها من أجل هذا العلم، وذلك لأنه علم لا تستطيع دولة بمفردها القيام به، فإن علمها يبقى ناقصاً مشوهاً.

وبعد أن علمنا بعض العلم عن السماء وأبعادها وحجوم نجومها وكواكبها وخبرنا قدرة اللّه سبحانه وتعالى والتي لا حدود لها، أدركنا ما معنى قوله تعالى:

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ٣٣]

أدركنا أن الجنة التي اختارها اللّه سكناً أبدياً لعباده، لا يستطيع عقل أو عقول مجتمعة تقدير حجمها ومساحتها وطولها وعرضها، ولِمَ لا، ما دام اللّه سبحانه وتعالى قد اختارها مكاناً للمؤمنين سكناً وخلوداً.

وهذا منطقي، فلا بد أن تكون الجنة التي وعد اللّه عباده المؤمنين مناسبة لجلال عظمته وقدرته وعلمه عرضاً وسعةً.

فتصور حجم وسعة الجنة بعد أن علمت أن الشمس هي واحدة من مليارات الآلاف المليارات من الشموس الموجودة في السماء، حجمها حجم الأرض التي نعيش عليها مليون وثلاث مائة ألف مرة.

ومن هنا ندرك كثيراً من الحقائق التي كانت مجهولة التفسير لدى الأجيال السابقة بدءاً من جيل رسول اللّه ﷺ ونهاية بجيل أوائل القرن

العشرين، فحينما تحدث رسول اللّه ﷺ وقال: **(إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها)**[١]

قال أصحاب الرسول ﷺ: صدق رسول اللّه ﷺ رغم أن هذا الحديث يفوق تصوراتهم وإمكانياتهم العلمية والمعرفة الحقيقية في ملك اللَّه الذي أدركناه بالأجهزة الحديثة، كانت محدودة للغاية فقد كان الإيمان عندهم أقوى من العلم.

فإن حسبت طول هذه الشجرة من خلال المسافة التي يقطعها الراكب في الساعة × ٢٤ × ٣٦٥ × ١٠٠ فالناتج يكون أكثر من عشرة ملايين كم، وأما نحن وبعد أن علمنا شيئاً عن قدرة اللَّه من خلال علم الفلك، أدركنا أن هذه الشجرة لا تساوي شيئاً في ملكوت اللَّه وقدرته.

وحينما تسمع رسول اللّه ﷺ يتحدث عن عطاء اللّه سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، وأن آخر رجل يدخل الجنة من له مثل الدنيا وعشرة أمثالها.

نص الرواية في حديث البخاري:

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر الناس خروجاً من النار رجل يخرج حبواً، فيقول له ربه: ادخل الجنة فيقول: رب الجنة ملأى، فيقول له: ذلك ثلاث مرات، كل ذلك يعيد عليه: الجنة ملأى، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرات)**[٢]

ورواه مسلم عن المغيرة بن شعبة بألفاظ مغايرة.

وبعد أن علمت بعض العلم عن ملك اللَّه، تدرك أن هذا طبيعي وأن هذا العطاء الإلهي لا يساوي شيئاً أمام عظيم ملكوته وقدرته.

وهذا كله عن سعة الملك في الجنة وعن عظيم اتساعها وحجمها وطولها وعرضها، ولكن ماذا عن نعيم الجنة وماذا أعد اللّه سبحانه وتعالى من النعيم الدائم لعباده المؤمنين، حيث إن هذا غيب لا يعلمه إلا اللَّه

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ١٨٠١ ـ باب صفة الجنة والنار.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم ١٧٨٩ ـ باب صفة الجنة والنار.

ورسوله، فليس لنا في هذا المقام إلا كتاب اللّه وحديث رسول اللّه ﷺ.

وقد تناول القرآن الكريم نعيم الجنة ووصف قصورها، وحورها، وطعامها، وشرابها، ولباسها، وحليها، وأرضها، وأنهارها، وأفاض في الوصف والتفصيل وقد تناولت عشرات الآيات القرآنية وصف الجنة وذكر نعيمها، أذكر منها قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ * عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [سورة الواقعة، الآيات: ١٠ ـ ٢٣]

ويقول تعالى:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾

[سورة الرحمن، الآية: ٤٦ ـ ٥٤]

وسور القرآن التي تتحدث عن نعيم الجنة وعطاء اللّه فيها كثيرة جداً، منها سورة: الواقعة ـ الرحمن ـ النبأ ـ الإنسان ـ القيامة.

وأما أحاديث رسول اللّه ﷺ في وصف الجنة ونعيمها فأكثر من أن تحصر.. وما أكثر الكتب التي تتحدث عن الجنة ونعيمها(١)

وما أعظم الوصف الذي لا تتخيله عين ولا أذن ولا قلب.. قوله عليه الصلاة والسلام محدثاً عن ربه، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»)**(٢)

(١) صفة الجنة ونعيمها، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني.

(٢) أخرجه البخاري في ٨١ كتاب الرقاق ٢٨ ـ باب مجيب النار بالشهوات ـ رقم الحديث ١٧٩٨.

فهذا الحديث جمع وأوجز وبين وأوضح للعقل فقط أن الجنة ونعيمها لا يمكن أن توصف، لأنها أكبر من حجم عقولنا وأفكارنا، فلا تدركها مداركنا الحسية الدنيوية ولا تفهمها عقولنا المحدودة.

وهذا منطقي: فكيف تكون الجنة التي أعدها اللّه بنفسه وجهزها بنفسه لتكون دار إقامة دائمة لعباد أحبهم وارتضاهم أن يكونوا بجواره خالدين فيها أبداً.(١))

الآن لماذا هذا العطاء الإلهي الكريم والذي لا حدود لهذا الإنسان الجحود والناسي واللاهي ولم كل هذا وما المقابل؟.

المقابل أن نستقيم في حياتنا، يا سبحان اللّه، ويا كرم اللّه، وحتى لو استقمنا فمن المستفيد اللّه تعالى، أم نحن؟

يقول تعالى في الحديث القدسي:

(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص من ملكي شيئاً)(٢).

فبعد هذا الحديث القدسي مِنَ اللّه، فمن المستفيد: اللّه سبحانه وتعالى أم الإنسان؟

بالتأكيد إنه الإنسان..

فالمستفيد أولاً هو الإنسان، والمستفيد أخيراً هو الإنسان، والذي يعيش في الهناء الأول إن استقام هو الإنسان، والذي يعيش في هناء الآخرة هو الإنسان، فعطاء اللّه في الدنيا والآخرة دون مقابل ولا فائدة، فالنعيم الآخر نعيم مقيم دائم لا يحول ولا يزول ولا ينقص بل يزيد لقوله تعالى:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٢٦]

---

(١) موسوعة الآخرة الجزء العاشر (جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها) للكاتب ماهر أحمد الصوفي.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (باب تحريم الظلم) عن أبي ذر رضي اللّه عنه.

وأعظم النعيم لدى أهل الجنة هو رؤية اللّه سبحانه وتعالى، التي وعد اللّه عباده المؤمنين من أهل الجنة، لقوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

[سورة القيامة، الآيات: ٢٢ ـ ٢٣]

ومن أعظم المعاني حديث رسول اللّه ﷺ، الذي يعبر تعبيراً عظيماً عن نعيم الجنة التي ينساها الإنسان في دنياه ويغفل عنها، قال عليه الصلاة والسلام فيما ذكر سهل بن سعد:

(موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها)[١]

لأن الذي أعدها اللّه وهو الخالق البارئ المصور، وهو أحسن الخالقين، ولا يمكن لعقولنا وأفكارنا أن تدرك معنى الجمال والعظمة للجنة إلا إذا أنشأنا اللّه يوم القيامة نشأة أخرى تكون فيها أجسادنا قابلة لرؤية الجنة، وإن أرانا اللّه إياها ونحن في الدنيا فربما نموت فرحاً فلا تحتمل أجسادنا وعيوننا الرؤية.

فلو أن الإنسان يعلم حق العلم ماذا يوجد في الجنة لبقي ساجداً للّه مسبحاً له عابداً إياه حتى ينتهي عمره.

وأنا أستغرب أمر هؤلاء اللاهين عن طاعة اللّه وعبادته يمضون حياتهم غارقين في لذات زائفة مؤقتة، كيف يبيعون ملايين ومليارات السنين في مقعد صدق عند مليك مقتدر في جنة عالية قطوفها دانية، بعرض زائل في حياة قصيرة لا تتجاوز سبعين عاماً، لا يحتمل أحدهم صبراً على طاعة اللّه وعبادته فينساق وراء شهواته ويترك عبادة الملك الحق.

وصدق اللّه حيث قال عن الجنة:

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٣٥]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

كواكب المجموعة الشمسية
١١ كوكباً

يقول تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٤]

عندما نزل القرآن الكريم، لم يكن معروفاً لدى الناس في مشارق الأرض ومغاربها سوى خمسة كواكب معروفة بأسمائها؛ وهي:

الأرض ـ والزهرة ـ والمريخ ـ والمشتري ـ وزحل، وكانوا يرصدونها في السماء بالعيون المجردة.

ولكن هل معنى الآية الكريمة: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ فهل معنى ذلك رؤيا غير صحيحة وأن عدد الكواكب كواكب المجموعة الشمسية (٥) أو (٧) أو (٨) وأراه اللّه سبحانه وتعالى أحد عشر كوكباً. . وهل يعجز اللّه سبحانه وتعالى كم هو عدد كواكب المجموعة الشمسية حتى يزيد الرقم أو ينقص، وهو كتاب يتلى إلى يوم القيامة؟ وهل يقول ذلك اللّه سبحانه وتعالى عشوائياً وحاشى للّه ذلك أم أن رؤية سيدنا يوسف غير صحيحة وهي أضغاث أحلام؟ وهل ترى الأنبياء أضغاث أحلام، ألم يكن معروفاً عن رسول اللّه ﷺ **أنه ما كان يرى رؤية إلا جاءت كفلق الصبح**.

فعلم الناس شيء وعلم اللّه سبحانه وتعالى شيء آخر. . في زمن نزول القرآن الكريم لم يكن الناس يعلمون شيئاً عن تلك الأهلة وتلك النجوم، ودليل ذلك أنهم سألوا رسول اللّه ﷺ فجاءهم الجواب من اللّه سبحانه وتعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٨٩]

ثم فسر اللّه سبحانه وتعالى لهم عنها الكثير في آيات أخرى، فهذا لا يعني علمهم عن وجود خمسة كواكب للمجموعة الشمسية أنها الحقيقة... وطالما أن اللّه سبحانه وتعالى قال في محكم كتابه (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا (فهذا يعني تحديداً مطلقاً أن كواكب المجموعة الشمسية التي ننتمي إليها (١١) أحد عشر كوكباً.. واللّه سبحانه يعلم أن المستقبل للبشرية سيكشف وجود هذه الكواكب.

... اكتشف علماء الفلك بعد هذه الكواكب الخمسة المعروفة كوكبين آخرين، وهما: أورانيوس وعطارد... ثم بعد ذلك اكتشفوا كوكبين آخرين عن طريق التنبؤ قبل إمكانية رصدها فعلاً عن طريق التلسكوبات وهما كوكبا (نبتون) (وبلوتون)، فأصبح المجموع ٩ كواكب، تم تبين لهم حديثاً أن حسابات الكمبيوتر الفلكية الحديثة دلت على توقع وجود كوكب بعد كوكب بلوتو لم يتم بعد رؤيته بالأرصاد والتلسكوبات الفلكية أطلقوا عليه اسم (إكس) وقدروا بعده عن الشمس حوالي (١٠) مليارات كيلو متر[١]، وبقي آخر كوكب كما أشار القرآن الكريم، وهذا الكوكب أيضاً في حسابات الكمبيوتر الفلكية موجود بين الشمس وعطارد، وأطلقوا عليه اسم (فولكانو) ولم يتم رؤيته حتى الآن ولكن سيرونه ويرصدونه بالتلسكوب كما رصدوا يوم ١٠/ ٤/ ٢٠٠٥م الكوكب إكس الكوكب العاشر.

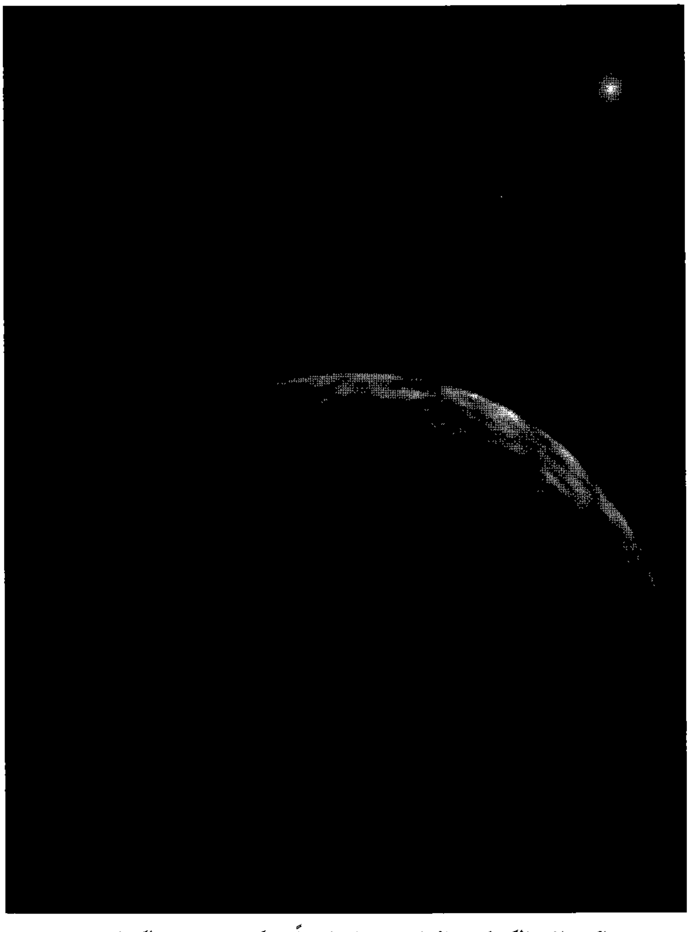
ورب سائل يقول سوف يكتشفون أو ربما يكتشفون الكوكب الثاني عشر فنقول لا، لا يمكن أن يكتشفوا الكوكب (١٢) ولا (١٣) ولا (١٤)، ولن يزيد العدد عن (١١) كوكباً كما قال اللّه سبحانه وتعالى في كتابه وكما في كثير من الآيات القرآنية عن حقائق علمية في الكون لم يتبدل فيها ولم يتغير شيء ولم يخالف العلم القرآن الكريم في شيء، فخالق هذه الكواكب يقول عنها (١١) كوكباً، فكيف تكون (١٢) واللّه أعلم.

وهذا الكوكب العاشر (زينا) الذي أكدوا رؤيته بواسطة التلسكوب

---

(١) في يوم ١٠/ ٤/ ٢٠٠٥م أعلنت وكالة الفضاء الأمريكية رسمياً عن رصد كوكب إكس تلسكوبياً ورؤيته وقد أذاعت الخبر جميع وكالات الأنباء وعلى شاشات التلفاز والمجلات العلمية والصحف اليومية.

سوف تقوم عليه دراسة كما درسوا زحل والمشترى والزهرة والمريخ وغيرها، وسيكون لهذا الكوكب قريباً صفحات في كتب علم الفلك أو كل الكتب التي تتحدث عن هذا المجال.



اكتشاف الكوكب العاشر زينا وقريباً ستكون صورة الكوكب الحادي عشر فولكانو وصدق الله سبحانه ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً﴾ إنه حقاً كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

النجوم التي نراها في كبد السماء مواقع من الماضي وليس من الحاضر

يقول تعالى:

﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥،٧٦]

قد فصلنا عن هذه الآية وعن مواقع النجوم، ولكن يمكن لنا علمياً أن نفسر الآية الكريمة بأكثر من تفسير، لأن المعنى في الآية ممتد وقابل لكثير من الشروح العلمية.

فاللّه سبحانه وتعالى في هذه الآية أقسم بمواقع النجوم وليس بالنجوم، لأن مواقع النجوم أهم من النجوم ذاتها وذلك للبعد الشاسع بينهما وأن لكل نجم موقعه وأن الفاصل بين أقرب نجمين مئات الملايين من الكيلو مترات.

ولقد أثبت العلم الحديث أن النجوم التي نراها في السماء ليست النجوم نفسها، ولكنها مواقع النجوم سابقاً قبل سنوات عديدة. فالذي نراه هو ضوء النجم الذي وصل إلينا من الموقع الذي كان فيه قبل سنوات عديدة، لأن التحكم يكون قد انتقل إلى موقع آخر.

مثال: أقرب نجم إلى الأرض هو الشمس ويبعد ١٥٠ مليون كم عن الأرض. لذلك إن ضوء الشمس يستغرق ٨ دقائق لكي يصل إلى سطح الأرض. في هذه المدة تكون الشمس قد تحركت وانتقلت إلى موقع آخر. إذاً في الحقيقة إن ضوء الشمس الذي نراه هو موقع مرت به الشمس قبل ٨ دقائق وليس موقعها الحالي والحقيقي.

مثال: أقرب نجم خارج المجموعة الشمسية يبعد عن الأرض حوالي ٤,٥ سنة ضوئية.

فإذا انبثق الضوء منه فسوف يصل إلى الأرض بعد ٥٠ شهراً، لذلك

قال العلماء: بأن النجوم التي نشاهدها في السماء هي في الحقيقة مواقع مرت بها النجوم سابقاً وليست النجوم بحد ذاتها. وقد يكون النجم قد انفجر منذ سنوات عديدة ولكن ضوؤه قد وصل إلينا، وهذا ما حدث لنجم عملاق اسمه سوبر نوفا الذي انفجر منذ ١٧٠٠٠ سنة، ولكن ضوؤه لم يصل إلينا إلا في ٢٧ شباط عام ١٩٨٧م.

فأين أصبح هذا الكون اليوم؟ فإنه لا يعلم ذلك إلا اللّه سبحانه وتعالى وحده، فالكون في اتساع مستمر لأن ملك اللَّه لا حدود له.. فهذه المجرات بآلاف ملياراتها تسير بعلم اللَّه وقدرته إلى مكان من الفراغ الكوني بعلم اللَّه فتأخذ مواقع لها وتجري وتدور وتسبح بدقة بالغة لا تخطئ أبداً كما نظمها اللّه سبحانه وتعالى... ولذلك فإن أي نجم جديد يظهر لنا في كبد السماء ولم يكن من قبل، فمعنى ذلك أن ضوء هذا النجم الذي بدأ يصدر عن النجم منذ ولادته قد وصل إلى الأرض وهو يسير بسرعة (٣٠٠ ثلاثمائة ألف كم في الثانية الواحدة)، ومن الممكن أن هذا الضوء يسير باتجاه الأرض منذ عدة ملايين من السنين لبعد المجرات والأكوان والنجوم والعناقيد المجرية عنا وعن بعضها، فتصور قدرة اللّه سبحانه وتعالى أن التلسكوب هابل رصد لنا مجرة تبعد عن الأرض خمسة عشر مليار سنة ضوئية، فسبحان اللَّه الخالق القوي المبين الذي لم يقدر قدره الكافرون والمشركون فعبدوا غيره وأشركوا معه إلهاً آخر وصدق تعالى إذ يعد المشركين.

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾

[سورة فصلت، الآية: ٦]

الفصل الرابع

١ ـ زينة السماء.
٢ ـ الكواكب زينة في السماء ورجوم للشياطين.
٣ ـ النجوم هداية الطريق في ظلمات البر والبحر.
٤ ـ السراج الوهاج.
٥ ـ الشمس ضياء وسراج والقمر نور.
٦ ـ جري الشمس والقمر لأجلٍ مسمى.
٧ ـ الشمس في القرآن الكريم.
٨ ـ القمر في القرآن الكريم.
٩ ـ نتائج التأمل في الآيات القرآنية التي استعرضت الآيات الكونية.

زينة السماء

يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك، الآية: ٥]

معاني كلمات الآية الكريمة:

﴿ زَيَّنَّا ﴾: جمَّلنا.

﴿ ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾: السماء الأولى.

﴿ بِمَصَٰبِيحَ ﴾: بكواكب عظيمة مضيئة.

﴿ رُجُومًا ﴾: بانقضاض الشهب منها عليهم.

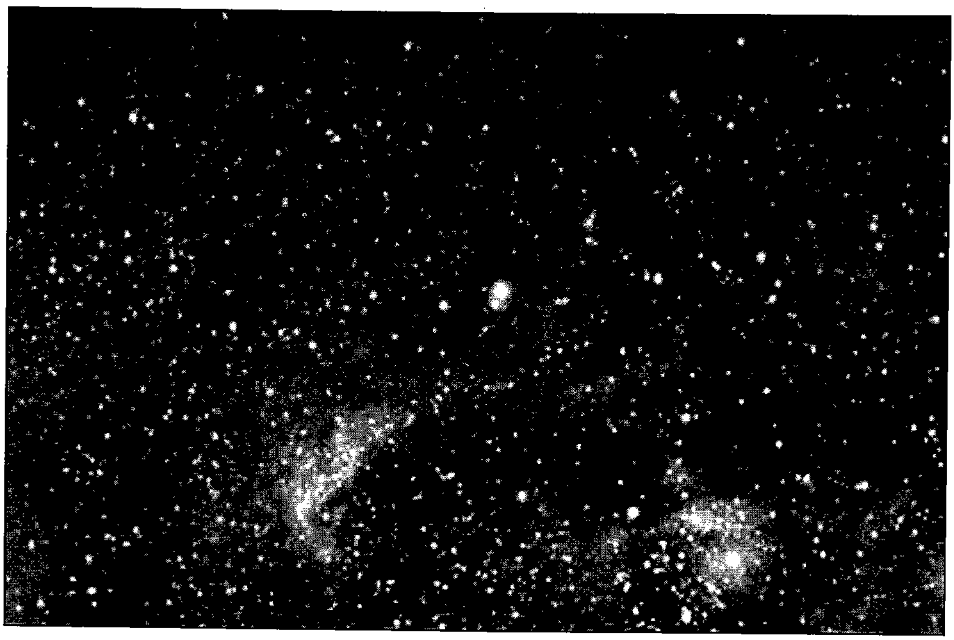
كل كلمة في هذه الآية الكريمة علم قائم بذاته، لأنها من لدن عليم حكيم خلق وأوجد بعلمه ما في السماء وهو العليم بحال كل شيء، خلقه ودوره في هذا الكون العظيم. والآية الكريمة تفرض هذه التساؤلات:

الأول: ما المراد بكلمة زينَّا؟ وهل هذه النجوم والكواكب للزينة فقط؟ أم فيها حياة وهي للزينة أيضاً؟

الثاني: السماء الدنيا: هل هي ما نراه في السماء؟ أم ما تراه تلسكوباتنا؟ أم ما ستراه تلسكوباتنا المستقبلية إلى أن تقوم الساعة؟

الثالث: مصابيح: هل هي النجوم فقط؟ أم هي النجوم والكواكب؟ أم هي النجوم والكواكب والكويكبات والأحجار الكونية التي إذا أصابها شيء من أشعة الشمس كانت كالمصابيح وكانت رجوماً للشياطين؟.. وإذا كانت هي النجوم فقط.. فكيف نفسر المعنى وأنها تكون رجوماً للشياطين، فهل ترسل هذه النجوم شباكاً تصطاد به الشياطين؟ وهو في السماء أم ترسل قطعاً منها أم من الكواكب؟ أم من الحجارة التي تهوي باتجاهه، وإذا كانت تحديداً

من النجوم، فإن أقرب نجم إلينا يبعد ٤,٥ أربع سنوات ونصف سنة ضوئية، أي: لو أن أقرب النجوم إلى الأرض هي التي يرسل الله سبحانه وتعالى منها الرجوم للشياطين فإن هذه الرجوم لو سارت بسرعة الضوء لاحتاجت للوصول إلى الشيطان الذي يريد أن يصعد إلى السماء ٤,٥ سنة ضوئية للوصول إليه.. أم أن تلك الرجوم تسير بسرعة تفوق سرعة الضوء كثيراً لتصيب الشيطان في صعوده فتحرقه، وكم هي سرعة الشيطان؟ وإلى أي مدى يصل في السماء قبل أن يرسل اللَّه عليه الرجم فتحرقه؟.. الحقيقة أسئلة كثيرة تدور، والآية الكريمة، علم كبير مهما حاولنا التفصيل والبيان فإن علمنا يبقى ناقصاً.. لأهمية الآية الكريمة لابد من الإطلاع على تفسير المفسرين حول الآية الكريمة كي تكون لنا عوناً في مداخلنا العلمية حول بيان عظيم هذه الآية الكريمة ومن ثم مقارنتها مع الآيات الخمس من سورة الصافات التي يقول تعالى فيها:



هكذا السماء مليارات النجوم المضيئة ـ حقاً إنها زينة
فائقة الجمال فلينظر أحدنا في ليل مظلم إلى زينة هذه النجوم في السماء الدنيا.

ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

[سورة الصافات، الآيات: ٦ ـ ١٠]

يقول الدكتور وهبة الزحيلي في التفسير الوسيط:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ ومن مظاهر القدرة الإلهية أيضاً أننا أي ـ الله ـ زينا أقرب السماوات إلى الناس بمصابيح أي: بكواكب أو نجوم ثوابت وسيارات تضيء كإضاءة السراج، وجعلنا بعض تلك الكواكب راميات لرجم الشياطين وهيأنا أو أعددنا للشياطين في الآخرة بعد الإحراق في الدنيا بالشهب المنقضة عذاب النار الملتهبة.

ويقول أبو بكر الجزائري في تفسيره:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: هذه السماء الدانية من الأرض القريبة منها بمصابيح هي النجوم والكواكب (وسميت الكواكب مصابيح لإضاءتها)، وجعلناها أي: النجوم، رجوماً للشياطين: ترجم بها الملائكة شياطين الجن الذين يريدون استراق السمع من كلام الملائكة حتى لا يفتنوا الناس في الأرض عن دين الله عز وجل(١).

ويقول ابن كثير في تفسيره:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ عاد الضمير في قوله ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ على جنس المصابيح لا على عينها، لأنه لا يرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها، وقد تكون مستمدة منها(٢).

ويقول أصحاب الموسوعة القرآنية الميسرة:

وتالله لقد زينا السماء الدنيا القريبة من الأرض بكواكب مضيئة، وجعلناها راجمات للشياطين من الجن، أي مرجوماً بها كالحجارة(٣).

---

(١) أيسر التفاسير أبي بكر الجزائري صفحة ١٣٨٨.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير مجلد ٣ صفحة ٥٢٧.

(٣) الموسوعة القرآنية الميسرة.

ولقد وجدت في تفسير الفخر الرازي في التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) تفسيراً علمياً موسعاً حول هذه الآية القرآنية الكريمة، وإذا رأيت من الرازي توسعاً في شرح هذه الآية القرآنية الكريمة، فهذا يدل على أهمية الآية العلمية أو أن الآية بحاجة إلى تفسير موسع لعظيم علمها وقدرة الله سبحانه وتعالى فيها.

ويقول الفخر الرازي في مفاتيح الغيب:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ اعلم أن هذا هو الدليل على كونه تعالى قادراً عالماً، وذلك لأن هذه الكواكب نظراً إلى أنها محدثة ومختصة بمقدار خاص، وموضع معين، تدل على أن صانعها قادر، ونظراً إلى كونها محكمة متقنة موافقة لمصالح العباد من كونها زينة لأهل الدنيا، وسبباً لانتفاعهم بها، تدل على أن صانعها عالم، ونظير هذه الآية في سورة الصافات ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۞ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ وههنا مسائل:

المسألة الأولى: السماء الدنيا السماء القربى، وذلك لأنها أقرب السماوات إلى الناس، ومعناها السماء الدنيا من الناس، والمصابيح السرج سميت بها الكواكب، والناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح، فقيل: ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح، أي: بمصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة، أما قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ فاعلم أن الرجوم جمع رجم، وهو مصدر سمي به ما يرجم به، وذكروا في معرض هذه الآية وجهين:

(الوجه الأول): أن الشياطين إذا أرادوا استراق السمع، رجموا بها، فإن قيل: جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي بقاءها واستمرارها، وجعلها رجوماً للشياطين ورميهم بما يقتضي زوالها والجمع بينهما متناقض، قلنا ليس معنى رجم الشياطين هو أنهم يرمون بأجرام الكواكب، بل يجوز أن ينفصل من الكواكب شعل ترمي الشياطين بها، وتلك الشعل هي الشهب، وما ذاك إلا قبس يؤخذ من نار.

المسألة الثانية: اعلم أن منافع النجوم كثيرة، منها أن الله سبحانه

وتعالى زين السماء بها، ومنها أنه يحصل بسببها في الليل قدر من الضوء، ولذلك فإن تكاثف السحب في الليل عظمت الظلمة، وذلك بسبب أن السحاب يحجب أنوارها، ومنها أنه يحصل بسببها تفاوت في أحوال الفصول الأربعة، فإنها أجسام عظيمة نورانية، فإذا قارنت الشمس كوكباً مسخناً في الصيف، صار الصيف أقوى حراً، وهو مثل نار تضم إلى نار أخرى، فإنه لا شك أن يكون في الأثر الحاصل من المجموع أقوى، ومنها أنه سبحانه وتعالى جعلها علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، على ما قاله سبحانه وتعالى ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ ومنها أنه تعالى جعلها رجوماً للشياطين الذين يخرجون الناس من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر، يروى أن السبب في ذلك أن الجن كانت تتسمع لخبر السماء، فلما بعث سيدنا محمد ﷺ حرست السماء، ورصدت الشياطين، فمن جاء منهم مخترقاً للسمع رمي بشهاب فأحرقه لئلا ينزل إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيخلط على الناس أمر دينهم ويرتاب الناس بخبره، فهذا هو السبب في انقضاض الشهب، وهو المراد من قوله: ﴿وَجَعَلۡنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِۖ﴾ ومن الناس من طعن في هذا من وجوه.

أحدها: أن انقضاض الكواكب مذكور في كتب قدماء الفلاسفة، قالوا: إن الأرض إذا سخنت بالشمس أرتفع منها بخار يابس، وإذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها، فتلك الشعلة هي الشهاب.

وثانيها: أن هؤلاء الجن كيف يجوز أن يشاهدوا واحداً، وألفاً من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون، ثم إنهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم، فإن العاقل إذا رأى الهلاك في شيء مرة ومراراً وألفاً امتنع أن يعود إليه من غير فائدة.

وثالثهما: أنه يقال: في ثخن السماء فإنه مسيرة خمسمائة عام. فهؤلاء الجن إن نفذوا في جرم السماء وخرقوا اتصاله، فهذا باطل لأنه تعالى نفى أن يكون فيها فطور على ما قال ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ وإن كانوا لا ينفذون في جرم السماء، فكيف يمكنهم أن يسمعوا أسرار الملائكة من ذلك البعد العظيم، ثم إن جاز أن يسمعوا كلامهم من ذلك البعد العظيم، فلا يسمعوا كلام الملائكة حال كونهم في الأرض.

ورابعها: أن الملائكة أطلعوا على الأحوال المستقبلة، إما لأنهم طالعوها في اللوح المحفوظ أو لأنهم تلقفوها من وحي اللّه سبحانه وتعالى إليهم. وعلى التقديرين فلم لم يسكتوا عن ذكرها حتى لا يتمكن الجن من الوقوف عليها.

وخامسها: أن الشياطين مخلوقون من النار، والنار لا تحرق النار بل تقويها، فكيف يعقل أن يقال أن الشياطين زجروا عن استراق السمع بهذه الشهب.

وسادسها: أنه كان هذا القذف لأجل النبوة فَلِمَ يدوم بعد وفاة الرسول ﷺ.

وسابعها: أن هذا الرجوم إنما تحدث بالقرب من الأرض، بدليل أنا نشاهد حركتها بالعين ولو كانت قريبة من الفلك، لما شاهدنا حركتها كما لم نشاهد حركات الكواكب، وإذا ثبت أن هذه الشهب إنما تحدث بالقرب من الأرض، فكيف يقال أنها تمنع الشياطين من الوصول إلى الفلك.

وثامنها: أن هؤلاء الشياطين لو كان يمكنهم أن ينقلوا أخبار الملائكة من المغيبات إلى الكهنة، فلم لا ينقلون أسرار المؤمنين إلى الكفار، حتى يتوصل الكفار بواسطة وقوفهم على أسرارهم إلى إلحاق الضرر بهم؟

وتاسعها: لم يمنعهم اللَّه ابتداء من الصعود إلى السماء حتى لا يحتاج في دفعهم عن السماء إلى هذه الشهب؟.

والجواب عن السؤال الأول: أننا لا ننكر أن هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي ﷺ لأسباب أخر، إلا أن ذلك لا ينافي أنها بعد مبعث النبي ﷺ قد توجد بسبب آخر وهو دفع الجن وزجرهم. يروى أنه قيل للزهري: أكان يرمى في الجاهلية قال: نعم، قيل أفرأيت قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ قال غُـلِّظت، وشدد أمرها حين بعث النبي ﷺ.

والجواب عن السؤال الثاني: أنه إذا جاء القدر عمي البصر، فإذا قضى اللَّه على طائفة منهم الحرق لطغيانها وضلالتها، قيض لها

من الدواعي المطعمة في درك المقصود ما عندها، تقدم على العمل المفضي إلى الهلاك والبوار.

والجواب على السؤال الثالث: أن البعد بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، فأما ثخن الفلك فلعله لا يكون عظيماً.

وأما الجواب عن السؤال الرابع: ما روى الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه عن ابن عباس قال: بينا النبي ﷺ جالساً في نفر من أصحابه إذ رمي بنجم فاستنار، فقال (**ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا حدث مثل هذا**)، قالوا كنا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم، قال ﷺ (**فإنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تعالى إذا قضى الأمر في السماء سبحت حملة العرش، ثم سبح أهل السماء، وسبح أهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبر أهل السماء حملة العرش، ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ولا يزال ذلك الخبر من سماء إلى سماء إلى أن ينتهي الخبر إلى هذه السماء، ويتخطف الجن فيرمون، فما جاؤوا به فهو حق، ولكنهم يزيدون فيه**).

والجواب عن السؤال السادس: أنه إنما دام لأنه ﷺ أخبر ببطلان الكهانة، فلو لم يدم هذا العذاب لعادت الكهانة، وذلك يقدح في خبر الرسول عن بطلان الكهانة.

والجواب عن السؤال السابع: أن البعد على مذهبنا غير مانع من السماع، فلعله تعالى أجرى عادتهم بأنهم إذا وقفوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة.

والجواب على السؤال الثامن: لعله تعالى أقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة وأعجزهم عن إيصال أسرار المؤمنين إلى الكافرين.

والجواب عن السؤال التاسع: أنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فهذا ما يتعلق بهذا الباب على سبيل الاختصار واللّه أعلم.

وأعلم أنه تعالى لما ذكر منافع الكواكب وذكر أن من جملة المنافع أنها رجوم للشياطين، قال بعد ذلك ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي أعتدنا للشياطين بعد الإحراق بالشهب في الدنيا عذاب السعير في الآخرة، **قال المبرد**:

سعرت النار فهي مسعورة، وسعير كقولك مقبولة وقيل، واحتج أصحابنا على أن النار مخلوقة الآن بهذه الآية لأن قوله ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ إخبار عن الماضي(١).

. . . لم أجد في تلك التفاسير ولا غيرها أن هناك تأكيداً وجزماً أن المصابيح المذكورة في الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ هي النجوم، ولكن من المفسرين قالوا عنها أنها الكواكب على أن المشاهد من تلك الكواكب وقت نزول القرآن فقط خمسة كواكب، فهل زينة السماء العظيمة هي فقط هذه الكواكب الخمسة أم معها النجوم النيرات في السماء والتي تبلغ آلاف المليارات؟ وإن كان المشاهد منها بالعين المجردة ٦٠٠٠ ستة آلاف نجم ولكن في التلسكوبات تبين منها المليارات. . . وأرى أن زينة السماء هي من النجوم وهي من الكواكب، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في آية أخرى مصابيح السماء دون أن يحدد مهمتها كراجمة للشياطين.

يقول تعالى:

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾

[سورة فصلت، الآية: ١٢]

المصابيح في هذه الآية هي حتماً النجوم، ذلك أن الكلام عن السماوات في هذه الآية ثم ذكر منها السماء الدنيا التي زينها بمصابيح. . وإذا قلنا: هذه المصابيح الواردة في هذه الآية هي الكواكب، فمعنى ذلك قطعاً أن السماء الدنيا أو السماء الأولى هي المجموعة الشمسية وحدودها وأبعادها، وأخيراً ماذا يوجد في هذه الآية الكريمة من الحقائق العلمية.

١ ـ تشير تلك الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ إلى أنه من الممكن أن تكون الكواكب هي المصابيح، ومنها تخرج الرجوم للشياطين.

٢ ـ تشير الآية الكريمة وآية ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ

---

(١) تفسير الفخر الرازي التفسير الكبير (مفاتيح الغيب، الجزء ١٥ صفحة ٦٠ ـ ٦١ ـ ٦٢.

سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ أن السماء الدنيا واللّه أعلم حدودها المجموعة الشمسية، وآخرها الكوكب المكتشف (إكس) والذي يبعد عن الشمس والأرض بحدود (١٠) عشرة مليارات كم، وأن السماء الثانية تبدأ عند الخروج من المجموعة الشمسية وصولاً إلى أول نجم خارج حدود المجموعة الشمسية وهو (قنطاروس)، الذي يبعد عن الأرض ٤,٥ سنة ضوئية.

٣ ـ هذه الرجوم والمؤلفة من الشهب والحجارة التي تقذف بها الشياطين أو التي كانت تقذف بها الأرض من قبل أو هي موجودة تسبح في السماء الدنيا تقترب من الأرض وتبتعد عنها، منها الصغير، ومنها الكبير. ولقد تم اكتشاف عشرات الألوف من الكويكبات ومئات الألوف من الحجارة الكونية الواقعة بين كوكب المريخ والمشتري أو الشاردة في مجال المجموعة الشمسية تماماً مثلما فيها المذنبات والنيازك.

٤ ـ تشير هذه الآية إلى قوة الشياطين وسرعة حركتها وقدرتها الفائقة على الطيران والوصول إلى عمق السماء، وربما قدرتها الحركية تفوق سرعة الضوء من واقع أجسامها النارية المخلوقة منها.

٥ ـ تشير على أن الكواكب تسمى مصابيح لأنها تضاء بغيرها، تماماً كما يضيء مصباح الزيت الذي لا يضيء بذاته، وإنما من الزيت الذي يحترق، وعلى هذا لا نستطيع أن نسمي النجم مصباحاً لأنه يضيء بذاته فهو كتلة ملتهبة من النار يصل ارتفاعها في السماء إلى ملايين الكيلو مترات مثل شمسنا التي هي نجم مضيء بذاته.

ولكن هذا لا ينافي أن تكون النجوم زينة للسماء، ولكن لا يشترط أن تكون مصابيح ولا يشترط أن تكون راجمة للشياطين وذلك لبعدها الشاسع عن الأرض. وذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾

[سورة الحجر، الآية: ١٦]

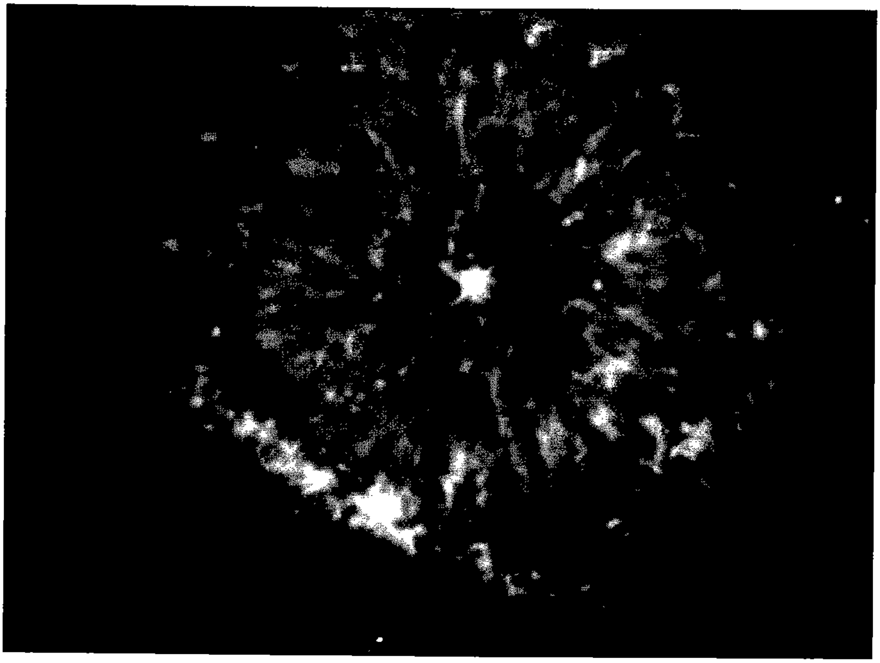
فالبروج هي مجموعات نجمية في السماء جعلها اللّه سبحانه وتعالى زينة في السماء وللناظرين إليها من البشر من الأرض، ولكن لم يقل اللّه

سبحانه وتعالى أنها مصابيح ولم يقل أنه جعلها رجوماً للشياطين ومع كل هذا التقدم العلمي الهائل وعلم الفلك ومعرفتنا بأمور كونية كثيرة إلا أننا وإن حللنا وفسرنا واجتهدنا إلا أننا نقول في نهاية الأمر (والعلم عند اللّه).

فكيف لبشر أن يعرف هذه الأمور الدقيقة الكونية في زمان لم يكن العلم بعد أخذ طريق التكنولوجيا والرقي والوصول إلى النظريات الدقيقة فسبحان خالق السماوات والأرض العليم القائل في محكم كتابه:

﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾

[سورة طه، الآية: ١١٠]



انظر إلى هذا التجمع النجمي وما يرسله من أضواء أليست هي حقاً زينة للسماء ؟

الكواكب زينة في السماء ورجوم للشياطين

يقول تعالى:

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ * وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾

[سورة الصافات، الآيات: ٦ ـ ١٠]

هذه الآيات الكريمة تؤكد أن المقصود في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك، الآية: ٥]

وتؤكد والعلم عند اللّه سبحانه وتعالى أن السماء الدنيا (السماء الأولى) هي التي فيها الكواكب أي كواكب المجموعة الشمسية، وهي: (المريخ ـ والمشتري ـ والزهرة ـ وزحل ـ وأورانيوس ـ وعطارد ـ وبلوتو ـ ونبتون ـ وإكس ـ وفولكانو).

وأمهم الشمس، وكذلك ما فيها من أقمار ونيازك وشهب ومذنبات وكويكبات وأحجار كونية، وهي التي نتعامل معها ونعيش في داخلها، وهي التي استطاع الإنسان أن يرصد كواكبها لقربها منا بواسطة سفنه الفضائية أو تلسكوباته التي تتطور باستمرار، أو قل هي السماء التي يستطيع الإنسان أن يصل إليها إما بذاته وإما بسفنه الفضائية وإن كان الأمر في بدايته رغم كل هذا التطور العلمي التكنولوجي الفلكي الكبير والذي رصد له آلاف المليارات من الدولارات.. واللّه سبحانه وتعالى يعلم أن الإنسان لا يصل بعلمه وعقله المخلوق وقدرته الذاتية والمتاح له من خلال ما هيأ اللّه

سبحانه وتعالى من مواد في الأرض إلى أبعد من هذه المجموعة الشمسية... فنقول مثلاً أن الإنسان لم يستطع أن يخترق بذاته أكثر من ثانية ضوئية (القمر) أو بسفنه الفضائية أكثر أو أبعد من حدود المجموعة الشمسية، ولنقل: أنها السماء الدنيا، ذلك أن أقرب نجم إلينا خارج حدود المجموعة الشمسية والذي يسمى قنطاروس فإننا بحاجة إلى سفينة فضائية تسير بتلك السرعة التي استطاع الإنسان الوصول إليها، وتحتاج إلى مليون سنة من سنوات الأرض أو قل أربع سنوات ونصف ضوئية (٤,٥) سنة ضوئية للوصول إليه، علماً أن الإنسان بجسده لم يستطع أن يصل حتى اليوم رغم هذا التقدم الهائل إلا إلى مسافة ثانية ضوئية، واحدة وهي القمر، فالقمر يبعد عنا ثانية ضوئية واحدة وأقرب نجم إلينا خارج حدود المجموعة الشمسية يبعد أربع سنوات ونصف ضوئية فالأمر بعيد جداً.. وإذا كان الإنسان لم يستطع أن يكتشف الكوكبين العاشر والحادي عشر ضمن مجموعتنا الشمسية إلا إلى فترة قريبة ولم يؤكد على الكوكب العاشر أنه تحت رؤيته في التلسكوب إلا يوم ١٠/ ٤/ ٢٠٠٥م والذي يبعد عنا ١٠ مليارات كم، والكوكب الحادي عشر توقع وجوده فأطلقوا عليه اسم فولكانو، ولكن لم يستطع التلسكوب حتى هذه الساعة رصد رؤيته...

... إذاً زين الله سبحانه وتعالى السماء الدنيا (المجموعة الشمسية) بزينة الكواكب، وفعلاً نجد تلك الكواكب تسطع في السماء وتلمع كلمع النجوم كالزهرة والمريخ وعطارد والمشتري، وهي فعلاً زينة للسماء وأمان واطمئنان للإنسان من دون هذا الظلام الحالك في السماء.

وأرى أن في هذه الآيات الكريمة تفصيلاً مغايراً، حيث لم تؤكد الآيات الكريمة من سورة الصافات أن هذه الكواكب هي رجوم الشياطين، ولكن ليس بالنفي إنما بالتحليل والرأي والتفسير، راقب قوله تعالى في تلك الآيات:



انظر إلى كواكب المجموعة الشمسية وكل كوكب بلون وجمال معين ـ وكل كوكب له أقمار إلا القليل وهذه المجموعة بكواكبها الرائعة هي واحدة ربما من آلاف المليارات من المجموعات الشمسية بكواكبها التي هي حقاً زينة رائعة للسماء

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾
﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾
﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾
﴿ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾
﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾

فالكواكب زينة في السماء، ولكنها ليست هي راجمات للشياطين، فالذي يرجم الشياطين هو الشهاب الثاقب، حيث يقذفون به من كل جانب، ذلك أن الشهب في السماء أعداد هائلة وموجودة في كل مكان في السماء وفي كل جانب من جوانبها، بينما الكواكب بعيدة عن الأرض وليست من كل جانب، فكواكب المجموعة الشمسية أحد عشر كوكباً يفصل بينهما ملايين

ومليارات الكيلو مترات، ولا أظن أن الشيطان يصعد في السماء أكثر من عدة آلاف من الكيلو مترات فإذا ما صعدوا هذه المسافة أتبعهم شهاب راصد لهم بأمر اللّه سبحانه وتعالى فيحرقهم، ولا يشترط بهذه الشهب التي نراها في جو السماء تهبط علينا كسهم مضيء ثم يختفي حيث يحترق من على ١٥٠ كم من الأرض فينزل فتاتاً أو تراباً أو غباراً إلى الأرض، وكذلك ربما صعد الشيطان إلى أكثر من هذه المسافة حيث يصل إلى ملايين الكيلو مترات ليصل إلى الملأ الأعلى أو يصبح قريباً منهم أي ملائكة السماء الدنيا، فإن في السماء الدنيا الكثير من الشهب والنيازك والحجارة، فبأمر اللّه سبحانه وتعالى يتوجه أحد الشهب أو النيازك بسرعة هائلة فيصطاد الشيطان فيحرقه، والدليل على وجودها في كامل المجموعة الشمسية اصطدام كواكب المجموعة الشمسية بها وباستمرار، وقد ظهر ذلك من الصور التي أرسلتها السفن الفضائية وأثار ارتطامها بتلك الكواكب ظاهرة بالصور التلسكوبية، **ذلك أن جو تلك الكواكب غير محمي كما هو الحال بالنسبة لكوكب الأرض** الذي يتمتع بغلاف جوي يحرق كل شهاب أو نيزك يقترب منها، إلا القليل منها ليرينا اللّه سبحانه وتعالى آثار قدرته ويبين لنا أن هذه النيازك والشهب لو سمح اللّه سبحانه وتعالى لها بعبور جو الأرض واصطدامها بكوكب الأرض لأحدثت دماراً كبيراً ولاستحالت الحياة على ذلك الكوكب، ومن الخطأ أن نظن أن هذه الشهب الهابطة إلى جو الأرض كانت تتبع الشياطين فتحرقهم، فالشهب كانت من قبل القرآن الكريم تهوي إلى الأرض وشاهدها الكثير من سكان الجزيرة العربية وغيرها، ـ فليس كل شهاب ساقط هو لشيطان فربما بعضها للشياطين، ومنها ما يهبط فلكياً كما كان يهبط من قبل. . . وربما ترجم الشياطين بالشهاب في أعالي السماء دون أن نرى أو نحس بشيء، فقد يصل الشيطان إلى آلاف وربما ملايين الكيلو مترات قبل أن يصل إلى منطقة السماع فيرسل عليه شهاب فيحرق، وللبعدِ لا نرى شيئاً وكل هذا محتمل.

على كل لنسمع ما قال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآيات الكريمة من سورة الصافات يطرح عدة تساؤلات:

السؤال الأول: هل هذه الشهب هي هذه الكواكب الحقيقية؟

والجواب: لو كانت هذه الشهب هي هذه الكواكب لوجب أن يظهر نقصان كثير من أعداد كواكب السماء، ومعلوم أن هذا المعنى لم يوجد البتة فإن أعداد كواكب السماء باقية على حالة واحدة من غير تغير البتة، وأيضاً فجعلها رجوماً للشياطين مما يوجب وقوع النقصان في زينة السماء، فكأن الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض، وهو أن يقال إن هذه الشهب جنس آخر غير الكواكب المركوزة في الفلك فهذا أيضاً مشكل لأنه تعالى قال في سورة ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾، ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ فالضمير في قوله ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا ﴾ عائد إلى المصابيح، فوجب أن تكون تلك المصابيح هي الرجوم بأعيانها من غير تفاوت، والجواب: أن هذه الشهب غير تلك الثواقب الباقية. وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ فنقول: كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض، إلا أن تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر آمنة من التغير والفساد، ومنها ما لا يكون كذلك، وهي هذه الشهب التي يحدثها اللّه تعالى ويجعلها رجوماً للشياطين، وبهذا التقدير فقد زال الإشكال، واللّه أعلم.

السؤال الثاني:

كيف يجوز أن تذهب الشياطين إلى حيث يعلمون بالتجويز أن الشهب تحرقهم ولا يصلون إلى مقصودهم البتة؟ وهل يمكن أن يصدر مثل هذا الفعل عن عاقل؟ فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة؟! و(الجواب): أن حصول هذه الحالة ليس له موضع معين وإلا لم يذهبوا إليه، وإنما يُمنعون من المصير إلى مواضع الملائكة ومواضعها مختلفة، فربما صاروا إلى موضع تصيبهم فيه الشهب، وربما صاروا إلى غيره ولا يصادفون الملائكة فلا تصيبهم الشهب، فلما هلكوا في بعض الأوقات، وسلموا في بعض الأوقات، جاز أن يصيروا إلى مواضع يغلب على ظنونهم أنه لا تصيبهم الشهب فيها، كما يجوز فيمن يسلك البحر أن يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة، هذا ما ذكره أبو علي الجبائي من الجواب عن هذا السؤال في تفسيره، ولقائل أن يقول: إنهم إذا صعدوا فإما

أن يصلوا إلى مواضع الملائكة، أو إلى غير تلك المواضع، فإن وصلوا إلى مواضع الملائكة احترقوا، وإن وصلوا إلى غير مواضع الملائكة لم يفوزوا بمقصدهم أصلاً، فعلى كل التقديرين المقصود غير حاصل، وإذا حصلت هذه التجربة وثبت بالاستقراء أن الفوز المقصود محال وجب أن يمتنعوا عن هذا العمل وأن لا يقدموا عليه أصلاً بخلاف حال المسافرين في البحر، فإن الغالب عليهم السلامة والفوز بالمقصود، أما ههنا فالشيطان الذي يسلم من الإحتراق إنما يسلم إذا لم يصل إلى مواضع الملائكة، وإذا لم يصل إلى تلك المواضع لم يفز بالمقصود، فوجب أن لا يعود إلى هذا العمل البتة، والأقرب في الجواب أن نقول هذه الواقعة إنما تتفق في الندرة، فلعلها لا تشتهر بسب كونها نادرة بين الشياطين والله أعلم.

السؤال الثالث: قالوا دلت التواريخ المتواترة على أن حدوث الشهب كان حاصلاً قبل مجيء النبي ﷺ، أجاب القاضي بأن الأقرب أن هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي ﷺ لكنها كثرت في زمن النبي ﷺ فصارت بسبب الكثرة معجزة.

السؤال الرابع: الشيطان مخلوق من النار، قال تعالى حكاية عن إبليس ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ وقال: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ ولهذا السبب يقدر علي الصعود إلى السماوات، وإذا كان كذلك فكيف يعقل إحراق النار بالنار؟ والجواب: يحتمل أن الشياطين وإن كانوا من النيران إلا أنها نيران ضعيفة، فإذا وصلت نيران الشهب إليهم، تلك النيران أقوى حالاً منهم لا جرم صار الأقوى مبطلاً للأضعف، ألا ترى أن السراج الضعيف إذا وضع في النار القوية فإنه ينطفئ. فكذلك ههنا.

السؤال الخامس: أن مقر الملائكة هو السطح الأعلى من الفلك، والشياطين لا يمكنهم الوصول إلا إلى الأقرب من السطح الأسفل من الفلك، فيبقى جرم الفلك مانعاً من وصول الشياطين إلى القرب من الملائكة، ولعل الفلك عظيم المقدار دفع حصول هذا المانع العظيم، كيف يعقل أن تسمع الشياطين كلام الملائكة، فإن قلتم: أن الله تعالى يقوي سمع الشيطان حتى يسمع كلام الملائكة، وجب أن لا ينفي سمع الشيطان، وإن كان لا يريد منع الشيطان من العمل فما الفائدة في رميه بالرجوم؟ (فالجواب): مذهبنا أن

أفعال اللَّه تعالى غير معللة، فيفعل اللَّه ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله، فهذا ما يتعلق بمباحث هذا الباب، وإذا أضيف ما كتبناه ههنا إلى ما كتبناه في سورة الملك، وفي سائر الآيات المشتملة على هذه المسألة بلغ تمام الكفاية في هذا الباب، واللَّه أعلم [١].

.. نلاحظ من **تفسير الفخر الرازي** أنه قال في السؤال الأول: هذه الشهب هل هي من هذه الكواكب التي زين اللَّه بها أم لا.؟ وهو الأقرب عنده، أن هذه الشهب ليست هي من هذه الكواكب التي جعلها اللَّه زينة في السماء، ولكن المشكلة عنده أو قال: فهذا الرأي مشكل لأن اللَّه تعالى قال في سورة (تبارك) ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ ويقول: إن الضمير في قوله وجعلناها عائد إلى المصابيح..

ولكن لم يسأل الفخر الرازي، من يؤكد أن هذه المصابيح التي جعلها اللَّه زينة في السماء، وجعلها رجوماً للشياطين أنها هي الكواكب.

والسؤال الآخر: هل لا يوجد في السماء الدنيا سوى الكواكب، ففي السماء الدنيا هناك الكواكب وهناك الأقمار وهناك الكويكبات وهناك الشهب وهناك النيازك وهناك الأحجار الكونية والمذنبات وكلها زينة وتضيء إذا ما اصطدمت بها أشعة الشمس، وقد صورت السفن الفضائية التي صعدت إلى المريخ وزحل والمشتري وعطارد والزهرة الكثير من تلك الكويكبات والنيازك والشهب وكلها مضيئة في الظلام بواسطة أشعة الشمس التي تصل إليها، فتصطدم بها فتصبح كمصابيح... وكثير من المفسرين **قال: إن تلك المصابيح هي النجوم، وكثير قال هي الكواكب**... ونرى بإذن اللَّه تعالى أن تلك المصابيح ربما تكون هي الكويكبات أو الأحجار الكونية أو النيازك، فلا يعقل مطلقاً أن تكون زينة السماء هي فقط تلك الكواكب التي لا يرى منها إلا خمسة بالعين المجردة، فما تشكل هذه الكواكب الخمسة بالنسبة للسماء التي لا يعلم مقدار حجمها إلا اللّه سبحانه وتعالى ثم إن المصابيح جمع مصباح والمصباح معروف لدينا أنه قطعة صغيرة تضيء كمصباح الإنارة حديثاً ومصباح الإنارة قديماً الذي كان يضيء بالزيت... على كل: فاللّه سبحانه

(١) تفسير الفخر الرازي التفسير الكبير (مفاتيح الغيب، الجزء ١٣ صفحة ١٢٣ ـ ١٢٤).

وتعالى، ذكر في أول الآيات الستة من سورة الصافات فقال:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ وقال في أخرها: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾، فالكواكب زينة والشهاب هو الذي يتبع الشيطان فيحرقه... والعلم الحديث بين لنا ما معنى الشهاب، فلنستمع إلى علماء الفلك يبينون لنا معنى الشهاب، أو الشهب.

ما هي الشهب:

الشهب هي تلك الأجسام التي تحترق عندما تدخل الغلاف الجوي للأرض مصطدمة به ومتألقة عند احتراقها محدثة وهجاً في السماء. وفي إحدى الليالي الصاحية خارج نطاق أضواء المدينة يمكن رؤية عدة شهب خلال فترة ساعة واحدة من مراقبة السماء. وفي ظل الظروف الجوية يشاهد حوالى ٤ ـ ٥ شهب في كل ساعة من ساعات المساء الأولى ليصل العدد إلى حوالي ١٥ شهاب في الساعة أثناء الظلام السابق لظهور الفجر.

وتبدو الشهب في السماء كخطوط لامعة من الضوء تأتي من أي اتجاه ولها بريق مختلف الشهرة، وسرعات متفاوتة. وبعض الشهب اللامعة جداً تظهر وتختفي بسرعة بشكل ومضة ضوئية، ولربما تنفصل تلك الشهب لعدة قطع تتابع طريقها وتألفها بشكل أقل من قبل الانفصال. ورخات الشهب التي تحدث أحياناً والتي يصل عددها إلى عشرة أضعاف أو مئة ضعف عددها الأصلي، تبدو وكأنها نشأت من نقطة واحدة في السماء.

والشهاب كما ذكرنا، تعبير عن الظاهرة المشاهدة أثناء اصطدام جسم بالغلاف الجوي الأرضي ناجماً عنه خط صوتي. وسبب ظهور الضوء هو تسخين الغلاف الجوي الأرضي لمقدمة الجسم الساقط فيه ناتجاً عن ذلك تألق الغازات والهواء المتولدة من تبخر سطح ذلك الجسم مرسلة إشعاعا مميزاً. وهناك بعض الأجسام التي تقاوم الغلاف الجوي الأرضي وتصل إلى سطح الأرض ومعروفة عندها باسم النيازك أو الرجم Metcoritic. ويعرف الشهاب الذي يتألق بشدة أكثر من شدة تألق الكواكب باسم كرة النارFireball. ولقد أصبح من الواضح الآن أن الشهب تختلف عن النيازك ليس فقط في وصول تلك إلى سطح الأرض واحتراق الأخرى في الغلاف

الجوي، وإنما في الخواص الفيزيائية لكل منها. فالشهب تبدو على أنها ذات كثافة منخفضة، وهي أجسام هشة ناشئة على ما يبدو من تحطم المذنبات. بينما النيازك تتصف بكونها ذات كثافة مرتفعة مكونة من قطع من الصخور والحديد التي نشأت ضمن مجموعة الكويكبات في الحزام الكويكبي.

وعندما ترى النيازك ساقطة تجاه الأرض يتولد عنها كرات نارية في السماء. وعلى الرغم من أن الكرات النارية ليست جميعها راجعة إلى النيازك الساقطة نحو الأرض، إلا أنه من المعتقد أن جزءاً هاماً من تلك الشهب البراقة في السماء مؤلفة من مواد أكثر شبها بالصخر النيزكي الصلب من القطع المذنبية.(١)

وفي تعريف آخر للشهب **يقول الدكتور سمير عبد الحليم** في كتابه الموسوعة العلمية في القرآن الكريم:

الشهب: هي أجرام سماوية صغيرة تحترق وتتفتت خلال اختراقها للغلاف الجوي للأرض بسرعة ٢٥٠ كم/ ثانية، ويمكن رؤيتها مضيئة على ارتفاع ١٥٠ كم فوق سطح الأرض، وبعدها تنطفئ وتتحول إلى سحاب رمادي من الغبار ثم تأخذ وقتاً حتى تسقط على الأرض كغبار مخصب للتربة. ويوجد حوالي ١٥٠ مليون جرم يومياً يهوي على سطح الأرض، وقد لوحظ أن الغلاف الجوي مملوء بعدد كبير من التراب الدقيق، ويلاحظ أيضاً أن الشهب يكثر سقوطها في ليالي محدودة فهي تزيد في ١٠ آب ـ ٢٧ تشرين الثاني ـ وتقل في ٢٠ نيسان و ٢٨ تشرين الثاني و١٢ تشرين الأول، وقد شاهد الألمان والبلجيكيون في ٩ تشرين الأول ١٩٣٣م العدد الكثير من الشهب في سمائهم حيث تساقط بمعدل ٦٠٠٠ شهب في الساعة.

وقد اكتشف حديثاً، أن الشهب تتألف من نفس المواد الكيماوية التي توجد على الأرض ولكن نسبة الخلط هي عجيبة حقاً، وكأنها كتل من

---

(١) كتاب المنظومة الشمسية الدكتور علي موسى والدكتور مخلص الريس صفحة ٣٠٩ ـ ٣١٠.

الصوان والحديد كانت قد سحقت تماماً ثم مزجت ولصقت من جديد. وهذا يؤكد على الميزة المغناطيسية للشهب. ويقول العلماء: إن قطرات الحديد المغناطيسي المنصهر قد بردت وتساقطت من الغيمة الشديدة الحرارة (أكثر من ٥٠٠٠ درجة) المعلقة في سماء المنطقة التي شهدت نزول الشهب، وهذا ما يؤكد رأي القرآن في أن هذه الشهب كانت تنطلق منجذبة نحو هدف معين في السماء وهو الجن المخلوق من النار. وذلك يعود إلى الميزة المغناطيسية في الشهب التي تتعامل مع جاذبية الأجسام النارية ومنها الجن.(١)

وكذلك فإن اللّه سبحانه وتعالى ذكر في سورة الجن على لسان الجن:

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾

[سورة الجن، الآيتان: ٨ ـ ٩]

إن اللّه يوضح لنا بأن الشياطين قبل نزول القرآن، كانت تصعد إلى السماء فتقعد منها مقاعد للسمع حتى إذا قضى اللّه أمراً وتحدث به أهل السماء استرقوه وأخبروا به بعض الكهنة حيث يزيدون عليه فيصدقه الناس... ولكن عندما بعث الرسول ﷺ ونزل القرآن طردت الشياطين عن مقاعدها لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيختلط الأمر ولا يدري من الصادق... ولذلك ملئت السماء حرساً شديداً (وهي الإشعاعات الكونية والشهب). لذلك فإذا اقترب الجن من مناطق استراق السمع انجذبت ذرات الشهاب نحوه.

فإذا حاول الفرار بسرعته الرهيبة لاحقته جاذبية الشهاب أينما سار حتى تفنى ذراته في ذرات الجن تماماً ويتحول الجميع إلى رماد وغبار يهبط على الأرض، وقد دل القرآن الكريم على سرعة الجن في قصة عرش بلقيس إذ قال أحد الجن من العفاريت لسليمان عليه السلام عندما سأل الحاضرين من يأتيه بعرشها أي عرش بلقيس فقال له: العفريت من الجن أنا آتيك به وذلك قبل أن تقوم من مقعدك، أي: قبل أن تنصرف من عملك، وسليمان في فلسطين وعرش بلقيس في اليمن. يقول تعالى:

(١) الموسوعة العلمية في الإعجاز العلمي سمير عبد الحليم صفحة ٢٤ ـ ٢٥.

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾

[سورة النمل، الآيتان: ٣٨ ـ ٣٩]

ـ عن أبي ثعلبة الخشني رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

(الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وعقارب، وصنف يحلون ويظعنون)[١].

لقد أثبت علم الفلك الحديث أن هذه الأجرام السماوية هي مذنبات في الأصل، وقد تتعرض لجذب الشمس أو جذب بعض الكواكب العملاقة مثل المشتري فتنفصل عنها أجزاء صغيرة، وهي الشهب أو أجزاء كبيرة وهي النيازك.. فالأرض تتعرض لقصف مستمر تتساقط من السماء من شهب ونيازك.

فالإعجاز في هذه الآيات الكريمة هو الدقة المتناهية في الحديث عن معنى الشهب وزينة الكواكب والمصابيح التي جعلها اللّه رجوماً للشياطين، وهذا لا يتأتى إلا من لدن خبير عليم عليم بخلقه وما خلق..

واللّه أعلم.

---

(١) رواه الطبراني والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح.

النجوم هداية الطريق في ظلمات البر والبحر

يقول تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

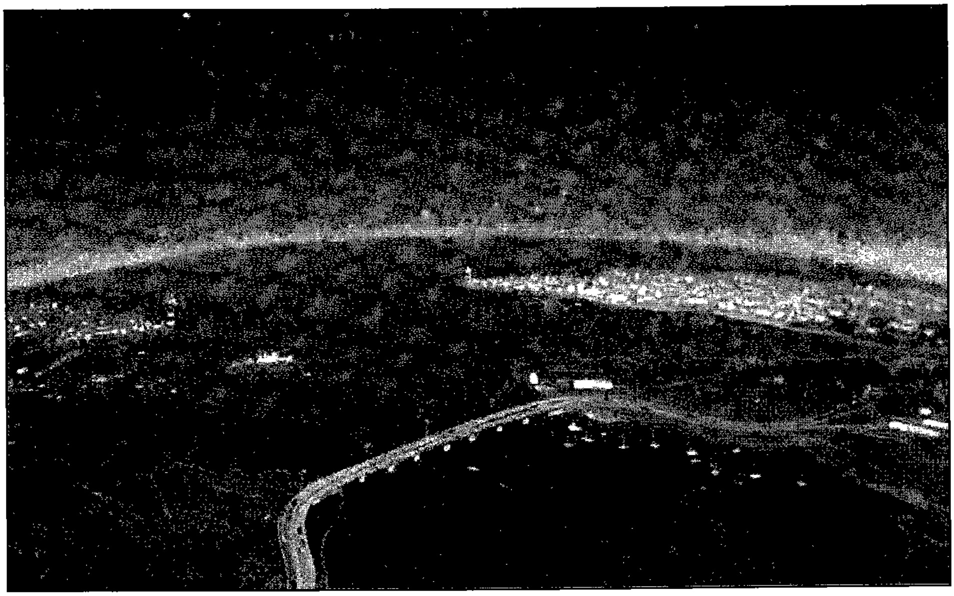
[سورة الأنعام، الآية: ٩٧]

سبحان اللّه! قبل نزول القرآن الكريم لم يكن أحد يميز بين الكوكب والنجم أو يميز حقيقة كل منهما أو عمل كل منهما.. رغم أنه كان معروف تسمية الكواكب ـ كواكب المشتري والمريخ والزهرة وزحل... ويراقبون تحركها وتحرك النجوم المعروفة ليهتدوا بها.

... وهذه النجوم من فضل اللّه سبحانه وتعالى ورحمته وكرمه على عباده خلقها وأوجدها وسخرها للإنسان منذ أن خلقه ليهتدي بها في سفره وحله وترحاله، ولتكون له توقيتاً زمنياً.. فلو أن اللّه سبحانه وتعالى جعل هذه السماء خالية من تلك النجوم ولا يرى الإنسان وهو على الأرض ليلاً سوى سواد حالك لضاع في زمانه ومكانه وعاش حياة سوداء مظلمة كظلمة الليل البهيم، فجعل اللّه سبحانه وتعالى تلك النجوم مؤنساً له في حياته على الأرض وهادية له أينما توجه سواء كان الطريق براً أو بحراً أو في مجاهل اليابسة ومجاهل البحار، فهذه النجوم علامات لمعرفة الاتجاه شرقاً أو غرباً أو شمالاً أو جنوباً، وأيضاً لمعرفة المكان أو البلدة أو المدينة المتوجه إليها.. فإذا كان الراكب متجهاً من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام فلا بد أن يكون خلفه النجم الفلاني أو أمامه النجم الفلاني أو كوكبة معينة أو برج من الأبراج، كما كانوا مثلاً يسمون النجم الفلاني (الشعرية اليمانية) لأنها دائماً تمثل علامات ودلالات، ولأن لها مواقيت معلومة تعرف الناس عليها مع مرور الوقت والمراقبة، فاتخذوها علامات لهم. وهذا ما قاله تعالى:

﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾

[سورة النحل، الآية: ١٦]



مجرة درب التبانة بنجومها التي قدرها العلماء بـ ٤٠٠ مليار هي الأقرب إلينا ونرى نجومها بالعين المجردة ـ وهي حقاً علامات تستدل بها في كثير من شؤون حياتنا ـ فكل نجومها منظمة ومنها نعرف اتجاهاتنا في هذه الأرض في ظلمات البر والبحر. انظر إلى مجال هذه النجوم وهدايتها.

فماذا كان يقول المفسرون عن تلك الآيتين الكريمتين؟ وكيف كانوا يفرقون بين النجم والكوكب؟

يقول ابن كثير في تفسيره:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ قال: قال بعض السلف من اعتقد بهذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه وتعالى: أن الله جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر[١].

ويقول ابن كثير عن قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾

﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ﴾: أي دلائل من جبال كبار وآكام صغار ونحو ذلك يستدل

(١) مختصر تفسير ابن كثير الجزء ١ صفحة ١٠٢.

بها المسافرون براً وبحراً إذا ضلوا الطرق، وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: في ظلام الليل، قاله ابن عباس.

ويقول الصابوني في تفسيره:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: خلق لكم النجوم لتهتدوا بها في أسفاركم في ظلمات الليل في البر والبحر، وإنما امتنَّ عليهم بالنجوم لأن سالكي القفار وراكبي البحار إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بها(١).

ويقول الصابوني أيضاً عن قوله تعالى:

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: وعلامات يستدلون بها على الطرق كالجبال والأنهار، وبالنجوم يهتدون بها ليلاً في البراري والبحار قال ابن عباس: العلامات معالم الطرق بالنهار، وبالنجم هم يهتدون بالليل(٢).

نلاحظ من التفسيرين أنهما لم يتطرقا إلى معنىً سعى إليه المفسرون والعلماء في هذه الأيام، وهو لماذا جعل اللّه سبحانه وتعالى هداية الطريق بالنجم ولم يجعله بالكواكب؟؟ وكيف عرف سيدنا محمد ﷺ أن الهداية تكون بالنجوم ولا تكون بالكواكب؟ وهل كان يعرف في زمن سيدنا محمد ﷺ أن النجم شمس وهي كرة ملتهبة مضيئة بذاتها وأنها توزع الضياء على جميع كواكب المجموعة الشمسية، وأن الكواكب كواكب معتمة لا تضيء بذاتها، وإنما تضيء من أثر إرسال الشمس أشعتها إليها، أي: غير مضيئة بذاتها بل مضيئة بغيرها، وعلى هذا لا يصلح أن تكون هداية كأن نقول: وبالكواكب هم يهتدون كما أن النجوم هداية، كما قال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

. . . ووجه الإعجاز في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أن اللّه سبحانه وتعالى أخبرنا أنه لا يمكن أن تكون الهداية إلا بالنجوم لأنها هي الأصل في الإضاءة، فهي تضيء وترسل أشعتها

---

(١) تفسير الصابوني صفحة ٣٨٢.

(٢) تفسير الصابوني صفحة ٢٩٥ وكذلك في تفسير زاد المسير صفحة ٤/ ٤٣٦.

على بقية الكواكب لتضيئها وهي التي ترسل أشعتها على الأرض، فشمسنا نجم يضيء بذاته ذلك من النار التي ترسلها، فألسنة اللهب التي تخرج منها تصل إلى مسافة نصف مليون كم، ولولا ذلك لما وصلت هذه الإضاءة من نارها الملتهبة.. وهذا الشمس نجم لو ابتعدت عن الأرض بذات المسافة التي تبتعد فيها النجوم (الشموس) التي نراها كعقلة الإصبع في كبد السماء، لأصبحت الشمس كعقلة الإصبع حجماً ورأيناها.

نرى النجوم في السماء، ولو اقتربت أي نجمة في السماء إلى مسافة الشمس شمس المجموعة الشمسية التي ننتمي إليها لرأيناها كما نرى شمسنا، وكلما اقتربت أكثر لشاهدنا أكبر وكلما ابتعدت أكثر صغرت، فإذا بعدت كثيراً لم نعد نراها بالعين المجردة، فإذا أوغلت في البعد لم نعد نراها حتى في التلسكوبات العملاقة... فالكواكب خالقها الله سبحانه وتعالى يعلم أنها (لا تملك هذه الميزة أن تكون هداية في مجاهل الطرق والجبال والصحراء والبحار)، لذلك قال عنها تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ فقد جعلها الله سبحانه وتعالى زينة في السماء لاكتسابها الضياء من الشمس، ولم يجعلها علامات يهتدي بها الناس.

وفي تعليق للدكتور أحمد فؤاد باشا في كتابه (رحيق العلم والإيمان) حول قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ٩٧]

ويجد المتأمل في هذا المعنى أيضاً، إشارة واضحة إلى أن ضياء النجوم هو ضياء السماء الأصلي المنبعث من أجرامها النجومية المضيئة بذاتها، أما ضياء الكواكب فليس من ذاتها، وليس جزءاً منها، بل هو عارض عليها ومعكوس من سطحها الخارجي ليكون زينة لها تزين به السماء الدنيا، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾

[سورة الصافات، الآية: ٦]

وبما أن الزينة ليست صفة لازمة للأجسام الكوكبية ومحلها دائماً سطوح

الأجسام وليس باطنها، فإن هذه الآية الأخيرة تقدم دليلاً قوياً على أن الكواكب عبارة عن أجسام سماوية معتمة في حد ذاتها وتُنار بضياء النجوم الساقط عليها.

هكذا نجد أن القرآن الكريم يوضح ما كان مبهما في عرف اللغة العربية التي لم يتوفر لأهلها وقت نزوله العلم الكافي للتمييز بين الضياء والنور، والتفريق بين نوعي النيرات من النجوم والكواكب.

فقد استطاع الإنسان بفضل تقدم العلم الحديث أن يعرف بعض الحقائق العلمية التي تعزي انبعاث الضوء والطاقة الحرارية من الشمس والنجوم إلى الطاقة المتولدة من التفاعلات النووية بداخلها، بينما تنير الكواكب والأقمار التابعة لها بما تعكسه أسطحها من ضوء الشمس والنجوم الساقط عليها.

فقد استطاع الإنسان بفضل تقدم العلم الحديث، أن يعرف بعض الحقائق الكونية العلمية التي تعزي انبعاث الضوء والطاقة الحرارية من الشمس والنجوم إلى الطاقة المتولدة من التفاعلات النووية بداخلها، بينما تنير الكواكب والأقمار التابعة لها بما تعكسه أسطحها من ضوء الشمس والنجوم الساقطة عليها.

ومن لطائف القرآن الكريم أيضاً في التعريف الدقيق لكلمتي (الضياء) و(النور)، أن الله سبحانه وتعالى يوجه الخطاب إلى رسوله العربي الأمي ﷺ قائلاً:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾

[سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥ ـ ٤٦]

ولم يقل (سراجاً مضيئاً أو وهاجاً) فجاء التعبير القرآني المعجز ليؤكد صدق الرسول الأمي في كل ما بلغ من نور الهدى المستمد من الذات العليا لهداية الناس أجمعين، وهنا خرج اللفظ (مُنِيرًا (من الحقيقة إلى المجاز، بقرينة كافية تؤكد أن القرآن صادر من لدن عليم خبير[١].

---

(١) رحيق العلم والإيمان د/ أحمد فؤاد باشا صفحة ٨١ ـ ٨٢.

ولقد حاول الفلكيون القدماء تقسيم النجوم إلى مجموعات من البروج حسب تجمعاتها ومواعيد ظهورها وأعطوها (مع النجوم شديدة اللمعان) أسماء تتفق مع تخيلاتهم. وهذه الأسماء أصلها عربي حيث أطلقها الفلكيون العرب وما زالت مستعملة حتى الآن لنجوم كبيرة ولاثنى عشر برجاً موضحة على الترتيب في الجدول التالي:

أسماء البروج ومواعيد ظهورها

البرج	التاريخ التقريبي لظهوره	التاريخ التقريبي لظهوره	البرج
١ ـ القوس	٧ يوليو	٧ ـ التوأمان	٥ يناير
٢ ـ الجدي	٨ أغسطس	٨ ـ السرطان	٣٠ يوينو
٣ ـ الدلو	٢٥ أغسطس	٩ ـ الأسد	١ مارس
٤ ـ الحوت	٢٧ سبتمبر	١٠ ـ العذراء	١١ إبريل
٥ ـ الحمل	٣٠ أكتوبر	١١ ـ الميزان	٩ مايو
٦ ـ الثور	٣٠ نوفمبر	١٢ ـ العقرب	٣ يونيو

وتبدو لك النجوم وكأنها تتحرك حركة ظاهرية بطيئة في القبة السماوية أثناء الليل، حيث تظهر يومياً في الشرق كل مساء وتتحرك تدريجياً حركة خادعة لكي تغرب في الغرب آخر الليل، ولو أتيحت لك الفرصة لمراقبة العديد من النجوم كل ليلة فإنك تلاحظ جميع النجوم وهي تتحرك في اتجاه واحد من الشرق إلى الغرب في القبة السماوية باستثناء نجم واحد فقط يبدو لك ساكناً في مكانه! وهذا النجم يدعى النجم القطبي الشمالي، يبين كيفية تحديد مكان هذا النجم في السماء لمعرفة الاتجاهات الأصلية، فالنجم القطبي الشمالي يقع تماماً فوق اتجاه الشمال في الأفق، ومعرفة موقع هذا النجم معلومة أساسية لازمة لمعرفة الاتجاهات الأصلية في عرض البحر أو

الصحراء مثلاً، وإذا توجهت ونظرت نحو الشمال فإن الشرق يكون على يمينك والغرب على يسارك والجنوب في ظهرك!. وهكذا فإن النجوم ترشدنا لتحديد الاتجاه وتعمل كبوصلة في السماء، ويشير القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة كما في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ٩٧]

وقوله سبحانه:

﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾

[سورة النحل، الآية: ١٦]

السِّراج الوهَّاج

قال تعالى:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ١]

إن من الأعجاز العلمي للقرآن الكريم هو التفريق بين النجم والكوكب والذي كان منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام وهو ما توصل إليه علماء الفلك الحديث بعد اكتشاف المناظير وإجراء الدراسات الفوتومترية (الضوئية) والطيفية على النجوم والكواكب خلال القرون القليلة الماضية. فالنجم ما هو إلا جسم سماوي متلألئ يشع الطاقة ذاتياً بينما الكوكب جسم سماوي ثابت الإضاءة يعكس الأشعة التي يتلقاها من النجوم والشموس وينطبق هذا على التوابع الطبيعية للكواكب (الأقمار). قد ذكر الحق تبارك وتعالى ذلك فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ وسنتحدث في بحثنا هذا عن بعض الملامح (والتي رصدت بعدة أقمار صناعية تدور حالياً حول الشمس التي جعلت من هذا الجرم (الشمس) سراجاً وكيف أن هذا السِّراج يظل متوهجاً نشطاً لا يهدأ ولا يكسل وسنرى هل هذا التوهج ثابت أم أنه يزداد ويتغير خلال الأعوام.

يعتبر باطن السراج (الشمس) كما ذكر سابقاً مصدراً لجميع أنواع الطاقات الشمسية وهو يمثل حوالي ٥١٠ من قطر الشمس ويحتوي على ما يقارب ٥٦٠ من كتلة الشمس. وجوف الشمس ساخن جداً إذ تصل درجة الحرارة فيه إلى ما يقارب أل ١٥ مليون درجة مطلقة وتقل درجات الحرارة باتجاه الخارج إذ تصبح درجة الحرارة على سطحها (طبقة الفوتوسفير) حوالي ٥٠٠٠ درجة مئوية تقريباً (شريحة ٦). وهذه الكرة الغازية الضخمة يقدر قطرها بـ١٣,٩٢ × ١٠ ٧ كم وكتلة كبيرة تعادل تقريباً ٣٣٣ ألف مرة مثل كتلة الأرض وهذه الكتلة تعتبر ٩٩,٥٩ من كتلة المجموعة الشمسية

(المجموعة الشمسية عبارة عن الشمس والكواكب التسعة وما بينها). كما أن حجمها يبلغ مليون وثلاثمائة ألف مرة مثل حجم الأرض وتبلغ جاذبيتها حوالي ٢٨ مرة مثل جاذبية الأرض. فالشمس هي أقرب نجم وأكثر نجم يحظى بالبحث والتقصي في هذا الكون. وهي أيضاً مصدر حياتنا ونستطيع رؤية وجهها بين الفينة والأخرى فقط. لكننا في العادة لا نجرؤ على النظر إليها لشدة وهج سراجها. ونحن نعجب بها بأحاسيسنا وعقولنا ولهذا يستوجب علينا دراستها ومعرفتها ومعرفة عظمة خالقها وإبداعه في هذا الكون الكبير.

يعد من المستحيل أن نأتي على كل ما يتعلق بالشمس في بحثنا هذا. ولذلك سنقوم بعرض وهجها وشدته وتأثير ذلك على الأرض ومن وجهة نظر واحدة. فمن الواضح أن الشمس هي التي تحدد كل التوازن الحراري لكوكبنا ومع ذلك فإننا نجحنا منذ عهد قريب فقط في إثبات أن تقلبات الطقس والمناخ مرتبطة بصورة واضحة بتنوع واختلاف النشاط الشمسي. كيف ولماذا؟ وما هو النشاط الشمسي بالنسبة للشمس؟ وماذا يعني بالنسبة لنا؟ هل تحتاج حياتنا إلى النشاط الشمسي؟؟ ما هي الشمس من وجهة نظرنا هذه؟

الشمس هي ذلك الجرم السماوي والتي نواتها المركزية هي باطنها أو المكان الذي يتم فيه استهلاك الوقود لإنتاج كمية كبيرة من الطاقة **(المفاعل النووي)**. تكون هذه النواة في المركز. ويحيط بقلبها منطقة الحمل الحراري تحت السطح والتي تكون مباشرة أسفل البشرة الدقيقة الخاصة بالطبقات الخارجية المرئية للكرة الضوئية. وتحتل منطقة الحمل الحراري نحو ١/ ٣ نصف القطر الكلي للشمس وهنا تتولد موجات مكونة من آلاف التحركات الموجية والذبذبات (شبيهة بالموجات الصوتية في الهواء). فهذه (الأصوات) تمدنا بمعلومات هائلة عن كل الشمس تقريباً. ولكن آذاننا لا تسمع (أصوات الشمس) لأن ذبذباتها (وأعني أصوات الشمس) هي نحو ٣ ميغا هيرتز أي أقل بمائة ألف مرة عن ذبذبة الصوت العادي الذي نسمعه. هناك ثلاثة أجهزة **بالمرصد الفلكي الشمسي العالمي** (سوهو) والذي أطلق عام ١٩٩٥م على مسافة ١٥ مليون كم من الأرض (شريحة ١٠) تقوم برصد التغيرات المتواترة على سطح الشمس المرئي الناتجة عن الموجات الصوتية المترددة في باطنها.

وتماماً كما يقوم الاخصائيون في علم الزلازل بسبر غور باطن الأرض مستخدمين الموجات الزلزالية فإن الاخصائيين في علم الشمس يعرفون عن طريق الموجات الصوتية سلوك البلازما في جوف الشمس المضطرب.

كما أن هنالك مقاييس فوتومترية خاصة لقياس سرعة الموجات فوق الطبقة الضوئية تتيح كشف طول وترددات الموجات وتعرف بواسطتها سرعة الصوت في باطن الشمس. وبالمقابل فإن هذا يتيح إثبات توزيع الحرارة في باطن الشمس. إن قياسات سرعة الصوت أثبتت أن بعض المستويات في داخل الشمس تكون أشد حرارة والبعض الآخر أشد برودة مما يتوقع والنتيجة الرئيسة هي أن حساب الأقطار الداخلية للشمس التي بذل فيها واضعو النظريات جهداً كبيراً هي قريبة جداً من نتائج الطريقة الجديدة للتعامل مع الشمس المسماة الزلزال الشمسي.

ومن الواضح فإن الدوران الشمسي في منطقة الحمل الحراري يمتاز بخاصية مختلفة أي أن المناطق الاستوائية تدور أسرع بقليل مما هي في خطوط العرض المرتفعة. وتتصف منطقة الحمل الحراري بحركات صعود وهبوط تعتبر من الناحية الطوبولوجية مختلفة تماماً.

فهذه الحركات بالإضافة إلى السمة المميزة لدوران خط الزوال الخاص بالمادة الشمسيةز نتيجة للانبعاج البسيط عند القطبين تظهر خاصيتها المميزة جداً وهي الظهور المتكرر أو توسيع المجالات المغناطيسية القوية. فكل هذه الخواص متعلقة بمنطقة الحمل الحراري وهي مهمة جداً لمجمل «حياة» الشمس لأنها الأسباب الرئيسة الخاصة بالنشاط الشمسي.

ولمواصلة هذه المقارنة **فما الذي سنعتبره كجهاز عصبي للشمس؟** ببساطة تقدم المادة الشمسية بالكامل طريق البلازما الآلية التأين حيث إن التذبذبات المذكورة أعلاه يمكن أن تنتشر إلى أبعد من منشئها والذي هو المنطقة المضيئة. وهذا النظام العصبي كنظام موصل يزودنا بكمية هائلة من المعلومات المتعلقة بالبارومترات الطبيعية داخل الشمس.

وعلى عكس الجسم الصلب الحقيقي فإن الغلاف الغازي للشمس ليس له سطح محدد. بيد أن الشمس لديها «جلد» وهو طبقة رقيقة بين الأجزاء

المرئية بصورة واضحة والأجزاء غير المرئية الخاصة بطبقاتها الخارجية المعروفة بالجو الشمسي. وهذه هي طبقة الفوتوسفير حيث تنخفض درجات الحرارة إلى ٥٠٠٠ درجة مئوية.

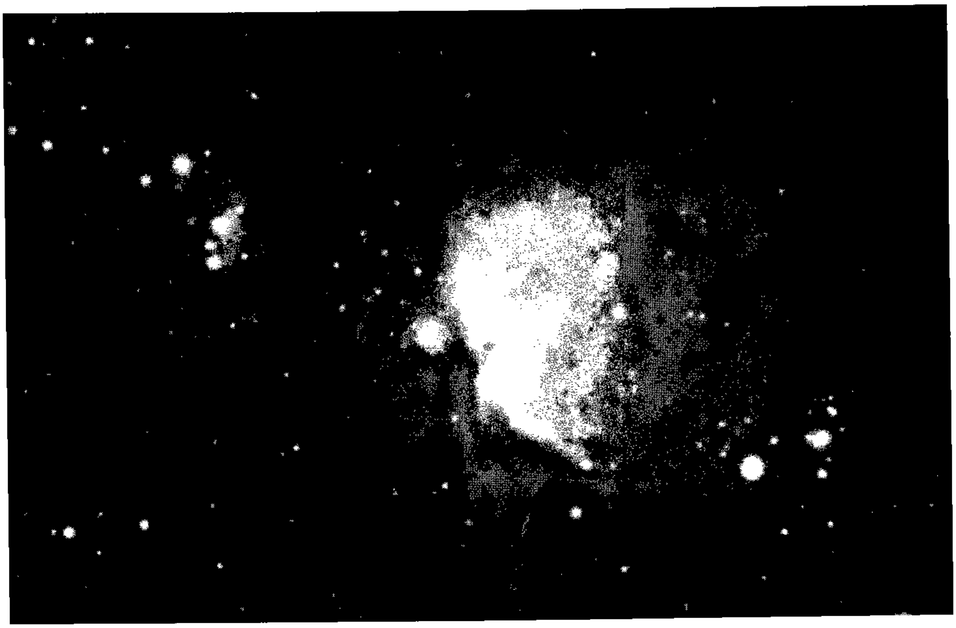
فذرات الهيدروجين الأكثر وفرة تكون محايدة بشكل عملي هنا. فتقريباً واحدة من ١٠,٠٠٠ منها تكون مؤينة. وبالنسبة للشمس فالفوتوسفير بلازما «باردة» وقد نعتبرها «كجلد» شبه محايد فكل المادة الخارجية والداخلية لهذه الطبقات تكون مؤينة بصورة كبيرة وتكون مهمة جداً للترابط بين البلازما والمجال المغنطيسي وباختصار لا يمكن فصل بعضها عن بعض.

وفي النهاية ما هما رئتا الشمس كيف يكون تنفسها؟ من المؤكد أن تيارات البلازما الشمسية هي التي تهب بصورة دائمة خارج الشمس الرياح الشمسية «شريحة ١٥ ، ٢٣» فهذه التيارات هي التي تهب على أرضنا أو لنكن أكثر دقة على غلافها المغنطيسي والذي هو حجابنا الواقي الرئيس. ولكن كل هذه العلاقات قد تكون مجرد إيحاءات أو تكهنات من قبل واضعي النظريات إلا أن **المرصد الفلكي الشمسي** (سوهو) **أ شريحة ٩** يمكنه الاقتراب قليلاً وفي الحقيقة نستطيع إثبات المستوى العالي لدرجة الحرارة في نواة الشمس وأن اقتراحنا هذا قائم على نتيجة التفاعلات الحرارية أ النووية. وفي هذه الحالة فإن كمية كبيرة من الجزئيات السريعة والخفيفة جداً أ النيترينو أو الدقيقة الذرية لابد أن تظهر.

ويعتقد بعضهم أن أحد مصادر الرياح الشمسية هي ما بين الحبيبات الشمسية أو حول منطقة الحمل الحراري. فالنبضات الصادرة من طبقاته العليا تخترق الطبقات المرئية لسطح الشمس المنير وتمدنا بصورة رائعة للحبيبات (شريحة ٥). وهي تبدو كبقع مضيئة والحبيبة الشمسية يبلغ قطرها نحو ١٠٠ كيلومتر. إن الطبقات العميقة لمنطقة الحمل الحراري تمتا ببنية أكبر حيث يبلغ قطرها نحو ٥٠,٠٠٠ كيلو متر نظراً لدرجة حرارتها العالية (جداً). ويمكن ملاحظة أثرها الناتج عن الخطوط المغنطيسية للقوة في نمط الشمس مشبهاً شبكة من الخلايا.

ومن المحتمل أن البنية الرئيسة لمنطقة الحمل الحراري بأكملها تكون

مرتبطة بالخلايا الحرارية. وهي تنظم بين الفينة والأخرى مجموعة متشابكة من النشاط في جميع الطبقات المرئية للغلاف الجوي الشمسي. وفي مرحلة النمو فإن هذه المجموعة تضم مجموعة بقع شمسية ثنائية القطب محاطة ببقع لامعة في قرص الشمس تتبعثر فجأة بواسطة انفجارات الوهج الشمسي وتتزين بزخرفة من الشواظ الشمسي(١)



بروج ونجوم وسراج منير في كل مكان في السماء

(١) المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بقلم د. ياسين محمد المليكي - دبي - دولة الأمارات العربية المتحدة ٢٠٠٤م.

الشمس ضياء وسراج والقمر نور

يقول تعالى:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٦١]

ويقول تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾

[سورة يونس، الآية: ٥]

ويقول تعالى:

﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾

[سورة نوح، الآية: ١٦]

من علم سيدنا محمد ﷺ أن الشمس ضياء وأن القمر نور سوى الله سبحانه وتعالى، وأنى لبشر أن يعلم ذلك لولا علم الله سبحانه وتعالى وآياته الكريمة في كتابه العظيم.

فلقد وصف القرآن الكريم الشمس بالسراج، وأي شيء لا يقال عنه سراج إلا إذا اجتمع فيه الحرارة والإضاءة.

ويقول تعالى:

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾

[سورة الفرقان، الآية: ٦١]

وإذا عدنا إلى قواميس اللغة العربية لنتبين المعنى الدقيق لكل من (سراج ومضيء ومنير) نجد أن الشيء لا يقال عنه سراج أو مضيء إلا إذا

كان يبث مع الشعاع حرارة، ويقال عن الشيء (منير): إذا كان يعكس الضوء الذي لا حرارة فيه، وكذلك لا تقول عن الشيء (سراج أو مضيء إلا إذا كان الشعاع منبثقاً من ذاته) ونقول عنه (منير): إذا انعكس عليه الضوء من جرم آخر.

وبناء على هذا التعريف اللغوي تكون الآية ناطقة أن الشمس جرم ملتهب وأن القمر جسم بارد لا حرارة فيه، وإنما يكتسب نوره من الشمس(١).

وهذا الضياء الذي تغطيه الشمس هو نتاج حرارة سطحها البالغة (٦٠٠٠) درجة مئوية تزداد ارتفاعاً كلما زاد العمق حتى تصل عند مركزها إلى ما يقل ٢٠ مليون درجة مئوية.. سبحان الخالق فيما خلق! والبشر لا تتحمل درجة حرارة تزيد عن خمسين درجة مئوية، فكيف لنا أن نتحمل نار جهنم، والشمس والقمر فيها ثوران عقيران كما قال ﷺ وهذا ما كشف عنه العالمان (**بيري وفيساكر**) عن العمليات النووية التي تصنع هذه الحرارة والتي يترتب عليها إنتاج الطاقة الشمسية، وهي ما تسمى بالحلقة الكربونية.

كما أثبت العلم أن في الشمس ظاهرة تسمى المتوهجان في الجزء الأسفل من الشمس، حيث ترتفع حرارتها كثيراً بسبب مجالات مغناطيسية. فينتج عن ذلك ألسنة اللهب التي ترتفع عن سطح الشمس حوالي نصف مليون كم (فهي حقاً سراج وهاج يولد الضوء من ذاته ويعطيه).

ومن العجيب أن علماء الفلك اكتشفوا أن باطن الشمس مظلم غير مرئي لأنه يصدر إشعاعات غير المرئية مثل أشعة جاما وأشعة إكس والأشعة فوق البنفسجية وإن الغطاء الخارجي المضيء للشمس هو الذي يحول هذه الإشعاعات الغير مرئية إلى ضوء الشمس

---

(١) الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية ـ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٥٦.

المرئي. ولا عجب من ذلك أن يصف القرآن آية النهار (أي الشمس) بأنها مبصرة ويجعلها فاعلة كذلك مثل النهار تماماً، وبنفس عملية التحويل الإشعاعي التي تماثل عملية الإبصار.



الشمس والقمر يتعانقان القمر بين الشمس والأرض
في حالة الكسوف فمتى يجمعهما اللّه سبحانه يوم القيامة أقريب أم بعيد ما توعدون؟

جري الشمس والقمر لأجلٍ مُّسَمًّى

يقول تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾

[سورة الرعد، الآية: ٢]

وقد تكررت هذه الآية في كل من السور الآتية (سورة لقمان الآية ٢٩)، (وفي سورة فاطر الآية ١٣)، (وفي سورة الزمر الآية ٥)، وهذا دليل على تأكيد المعنى أن الشمس والقمر يجريان لأجل مُسَمًّى سماه اللّه سبحانه وتعالى عنده لا علاقة له بتقدير العلماء في أن المواد المشعة في الشمس قادرة على الاستمرار قرابة خمسة مليارات سنة ونصف أخرى، فاللَّه هو الخالق وهو الذي ينهي حياتها متى شاء ويوقف تفاعلها النووي وينهي غازها وموادها المشعة في لحظة واحدة.

وهنا تبرز فكرة الأجل المسمى لجريان الشمس، وهذا الأجل مرتبط بفكرة لوصول الشمس إليه (والمكان مرتبط بالزمان).

وهذا المكان يسميه القرآن المستقر كما في قوله تعالى:

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾

[سورة يس، الآية: ٣٨]

ونستنتج من هذه الآية بعض الحقائق كما يلي:

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى ﴾

[سورة يس، الآية: ٣٨]

حقيقة مذكورة قبل آية السباحة في فلك (يس: ٤٠)، وتتصل الآيتان بحرف عطف (و)، وهذا يدل على أن الشمس تتحرك حركة انتقالية بالإضافة إلى سباحتها في فلك خاص بها.

ولقد اتضح حديثاً أن الشمس مع نظامها الشمسي تتحرك أيضاً في الفضاء حركة نحو نقطة تقع في كوكبة **هرقل** مجاورة لنجم يدعى **فيجا** وتجددت تماماً أحداثياتها. وأمكن تحديد سرعة جريان الشمس في هذه الحركة بحوالي ١٢ ميل/ ثانية.

والآية القرآنية (يس: ٣٨) المقتبسة هنا تتحدث فعلاً عن الشمس وهي تجري نحو مكان خاص بها (لمستقر لها)، وربما يحدد علم الفلك الحديث بشكل كامل في المستقبل هذا المكان الذي يسميه العلماء أيضاً (مستقر الشمس).

القرآن الكريم يعطي أيضاً حداً لتطور الشمس ومكاناً لوصولها! ولكي نفهم المعنى الممكن لهذه المقولات يجب علينا التذكير بالمعارف الحديثة في تطور النجوم عامة والشمس خاصة والإلمام بالتشكيلات السماوية التي تتبع بالضرورة حركة الشمس وتطورها في الفضاء، بما في ذلك تطور القمر كجزء من المجموعة الشمسية.

وهذه الحركات كلها لم تكشف كلها إلا بعد قرون من نشر نظرية كوبرنيكس.

ولتوضيح ذلك نعود إلى قول اللّه تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٣]

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس، الآية: ٤٠]

وهنا يقر القرآن حقيقة هامة وهي: وجود مدار مستقل لكل من الشمس والقمر، علاوة على التحرك بطريقة تشبه السباحة في المدار، وفيما يختص بالشمس فإن مجرد تصور وجود مدار الشمس أمر صعب للغاية فنحن معتادون منذ نظرية كوبرينكس على النظر إليها كمركز ثابت للمجموعة الشمسية حيث تدور الكواكب حولها!. ولكن لكي نفهم وجود مدار خاص للشمس طبقاً لنص الآيات القرآنية، فإننا يجب علينا النظر في موقع الشمس

داخل مجرتنا ونستعين بالتالي بأحدث ما وصل إليه العلم في العصر الحديث!

تتكون مجرتنا من عدد هائل من النجوم يصل إلى ٢٠٠ مليار نجم! موزعة على قرص هائل منتفخ في المركز، وتقع الشمس (نجمنا) في طرف هذا القرص. ويقع مركز المجرة في اتجاه برج القوس حيث نلاحظ في السماء سحباً كثيفة من الغاز والتراب الكوني مملوءة بالنجوم التي لا حصر لها. وتتوزع النجوم بحيث تكون مركزة في المركز، وأما أطراف المجرة فتوجد أرض حلزونية من النجوم والغبار الكوني، ولقد حسب **الفلكي شابلي** عام ١٩١٧م البعد بين الشمس ومركز المجرة بحوالي ١٠ كيلو فرسخ، أي: ما يعادل الرقم ٢ وعلى يمينه سبعة عشر صفراً بالكيلو مترات! ولقد تم رسم هذه المجرة حديثاً بالاستعانة بالفلك الراديوي، وتأكد لنا أن المجرة تدور بجميع أجرامها في باطنها! لذلك تدور المجرة لتحافظ على شكلها الحالي ولكن هذا الدوران ليس كقرص متماسك ولكن كل نجم له فلك خاص به حول مركز المجرة؛ (لاحظ التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾.

والشمس تستغرق ٢٥٠ مليون سنة لتدور في فلكها دورة واحدة حول مركز المجرة! وتجري الشمس في هذه الحركة المدارية بسرعة خطية قدرها ١٥٠ ميل/ ثانية.

تلك هي الحركة المدارية للشمس، والتي صرح بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً.

تبدو النجوم والشمس في القبة السماوية كما لو كانت تدور من الشرق إلى الغرب يومياً، ولكن هذه الحركة ظاهرية خادعة، لأن الأرض هي التي تدور بالفعل (من الغرب إلى الشرق) حول محورها مرة كل يوم!

ولقد اعترض الناس على هذه النظرية في البداية لأن حركة الأرض تتعارض مع الإحساس العام للعقل البشري، وتصطدم أيضاً مع تعاليم الكنيسة لأن فقرات الإنجيل تصف الشمس على أنها تتحرك كما ورد في أقوال الإنجيل:

(تشرق الشمس وتغرب)

(الشمس كالرجل القوي تجري بمرح في مسارها)

وبذلك كان الإعلان بتحرك الأرض بينما الشمس ثابتة نسبياً طبقاً لنظرية كوبرينكس سبباً في إثارة احتجاج شديد وجدل دام لمائة سنة، حيث أنكر معظم الناس حركة الأرض وتزعمت الكنيسة جبهة المعارضة، ولكن كوبرينكس وأنصاره أصروا على أقوالهم بأن الأرض تتحرك فعلاً، وإن كاتب الإنجيل من البشر قد أخطأ لأنه لا يهتم بالفلك في كتاباته!

وعلى سبيل المقارنة فإننا بالرجوع إلى القرآن الكريم سوف نستنتج ما يلي:

١ ـ القرآن لم يدافع مطلقاً عن مركزية الأرض وسكونها الظاهري، رغم أن الوحي نزل في وقت سادت فيه هذه النظرية الخاطئة دون منافسة! وعلى العكس فقد أشار القرآن بأسلوب غير مباشر إلى حركة الأرض.

٢ ـ لقد أدخل القرآن الكريم مفهوماً جديداً في آية قرآنية خاصة، وذلك بالإشارة إلى دوران الشمس في فلك خاص بها! بالإضافة إلى آية أخرى تشير إلى حركة الشمس وجريانها[١].

وعموماً فإن الكون كله لا يعرف السكون فالكل يجري لأجل مسمى، ولقد بين اللّه سبحانه وتعالى بأنه يسخر الأجرام بعد تمام خلقها بحركة جري فوق حركة سباحتها في فلكها، وقبل أن نشرح الآيات التي تعرضت لهاتين الحركتين المختلفتين أي الجري والسباحة لا بد أن نميز بينهما، فكلاهما حركة انتقالية فما هو الفرق بينهما قرآنيا؟

معنى الجري:

(قال الراغب) الجري أصل معناه: المرور السريع، وأصله: كمر الماء يجري بجريه، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾، وقوله: ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ وقال الزمخشري: والشمس تجري والريح تجري، واستعمل القرآن لفظ (يجري أو تجري) لغير الأجرام السماوية بمعنى الانتقال السريع

---

(١) القرآن الكريم والعلم الحديث صفحة ٢١٤ ـ ٢١٥.

بدون حركة ذاتية من الجسم المتحرك، كحركة الماء في الأنهار في الجاذبية (تغير طاقة الوضع) من المنبع إلى المصب، كما في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، وكحركة الفلك الشرعية التي تجري بدفع الماء أو الرياح كما في قوله عزّ وجلّ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾، وكحركة الرياح كما في قوله سبحانه وتعالى ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ﴾، وبهذا فإن القرآن استعمل الجري بمعنى الانتقال السريع بدون حركة ذاتية، أي: بالدفع أو السحب أو أي وسيلة ناتجة عن الأمر الإلهي الذي يدبره اللَّه ويملأ هذا الكون.

جري وسباحة الشمس والقمر

لقد عبر تعالى عن حركات الشمس والقمر والنجوم بل والأجرام السماوية عموماً بلفظين مختلفين، مما يوحي لنا بأن السبح والجري لهذه الأجرام ليس بمعنى واحد كما أوضحنا في السابق، ولقد شاء اللَّه تعالى أن يوضح للناس تفصيل تسخير كل من الشمس والقمر مع الأرض لغايتين: أولاهما: ليبين لهم أن هذا التسخير تقوم عليه حياتهم ومصالح معيشتهم دليلاً على بالغ حكمته ورحمته في الخلق والتدبير بصفة عامة، والثانية: ليزيد العلماء من الناس علماً بنظام موحد لتسخير جميع أجرام السماء بالحركة أسوة بنظام تسخير المجموعة الشمسية التي هي واحدة من بلايين المجاميع الشمسية في الكون، وتحقيقاً لهذه الأغراض الحكمية يقول تعالى:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۞ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۞ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۞ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس، الآيات: ٣٧ ـ ٤٠]

ولقد بدأ تعالى هذه الآيات بقوله ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾، مع أنها مكونة من أربع آيات مختلفة تعطي كل منها على عدة دلائل وبراهين على قدرته وحكمته تعالى، فجاءت هذه البداية إشارة قوية وواضحة إلى أنه تعالى إنما يتحدث عن أحوال الشمس والقمر والأرض، وهي جميعاً مسخرة في

مجموعة واحدة يعمل بعضها مع بعض فيما نسميه المجموعة الشمسية التي تمثل في مجموعها آية واحدة معشر البشر السكان الوحيدين في هذه المجموعة.

وبدأ تعالى بقوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ وهذه الآية توضح قضيتين:

أولًا: أن الشمس تجري جرياً حقيقياً وليس ظاهرياً.

ثانياً: أنها تجري لمستقر لها.

والنهار! وهذا طبعاً خروج عن معنى النص، ولهذا فإنني أعتقد أن الليل والنهار لا معنى لهما، في هذه الآية إلا بالمجاز المرسل الذي يجعلنا لغوياً نبحث عن لازمين من لوازم الليل والنهار يعقل فيها السبح ويتحقق بهما معنى كل في قوله ﴿ وَكُلٌّ ﴾. وحيث أن لوازم الليل والنهار هما الظلمة والضياء أو مكان الحدوث (الكوكب)، أو السبب فيهما أي الأرضون والنجوم لليل والنهار على الترتيب.

وحيث أن دوران مكان الحدث **(الأرض)** يحدث تعاقب وسباحة الليل والنهار في فلك واحد مشترك حول نفس الأرض، فإن الأرضين (وهي سبب لمكان الليل) والنجوم **(وهي سبب النهار)** تدخل مجازاً في معنى الوصف الشامل ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ لأنها جميعاً أجرام مادية يمكن أن تسبح مستقلة بعضها عن بعض في فلك خاص بكل منها، وبهذا فإن تأويل الآية الأخيرة يصبح كما يلي:

أنه تعالى خلق جميع الأرضين **(سبب الليل)** وجميع النجوم **(سبب النهار)** وشمسنا وقمرنا المعهودين لنا بل وجميع الشموس والأقمار، كل منها يسبح في فلك خاص به.

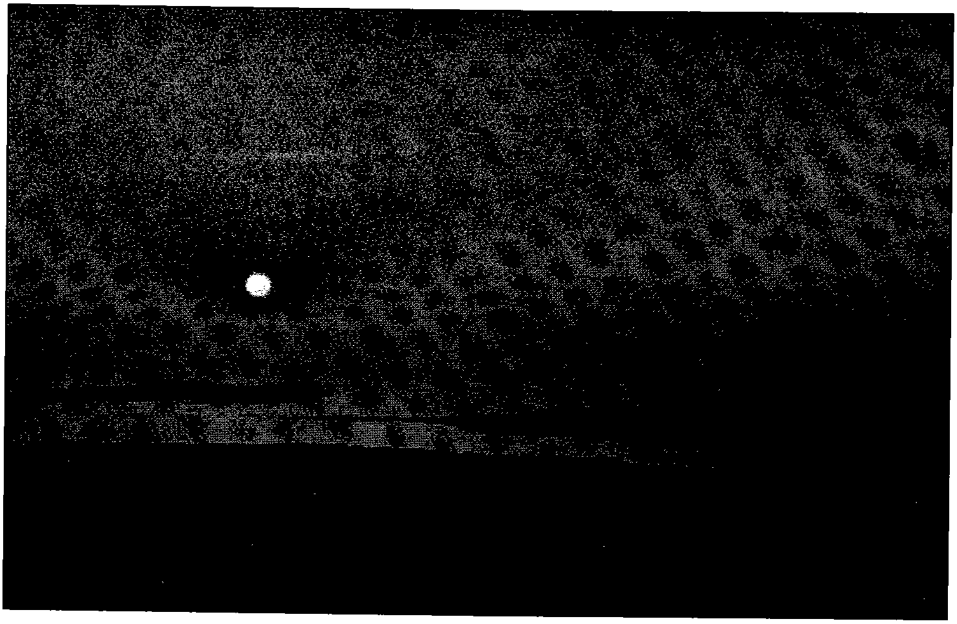
وحكمته تعالى في استعمال الليل والنهار مجازاً في هذه الآية مع قصد السبب في كل منهما، وفي اقتصار التعبير القرآني على ذكر الشمس والقمر في هذه الآية أن الناس لا يرون سواهما يتحركان بحركة ظاهرية، في السماء تفسر لهم ظاهرياً عبارة ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ

يَسۡبَحُونَ﴾ بينما المقصود علمياً هو السباحة الحقيقية لكل جرم في فلك خاص به، وليس الحركة الخادعة للشمس من الشرق إلى الغرب، ولكن المقصود في حركة ذاتية حقيقية في مدار مصحوبة بحركة ذاتية من الجرم نفسه طبقاً للمعنى السابق لعملية السباحة، ولقد ثبت علمياً أن الكواكب بما فيها الأرضون والأقمار والشموس (النجوم) التي تملأ الكون يسبح كل منها في فلك (مسار دائري) خاص به، وفي نفس الوقت يدور حول محوره حركة ذاتية أثناء الدوران في الفلك، فالأرض مثلاً تدور حول نفسها وحول الشمس، وإنني أرى أن الأرض مشار إليها في هذا الطواف بأنها تسبح في فلك معبراً عنها بالليل والنهار مجازاً بإطلاق الصفة على الموصوف والظرف على المظروف! والقمر مثلاً يدور حول نفسه وحول الأرض، والشمس تدور حول نفسها وحول مركز المجرة، وكل هذه التحركات سباحة بالمعنى القرآني البليغ، هذا بالإضافة إلى جريان سريع لكل هذه الأجرام في الفضاء الكوني في مرحلة التسخير.

ونواصل تفسير الآيات (يس: ٣٧ ـ ٤٠) والتي بدأت بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ﴾ وانتهت بالتعبير القرآني الشامل ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾.

وبهذا عطف الله سبحانه وتعالى سباحة الشمس في فلكها الخاص على جريها لمستقرها، وعطف شيء آخر يدل لغوياً على مغايرته له، ولو كان فلكها ثابتاً في الفضاء بحيث يكون جريها لمستقر لها هو عين سبحها فيه، لما تحقق معنى الجري إلى مستقر لم تبلغه الشمس بعد، لأنها في فلكها الدائري حول مركز المجرة قد مرت على كل نقطة فيه في كل دورة! ونحن نعلم علمياً أن زمن دورتها في هذا الفلك ٢٥٠ مليون سنة، ومعنى هذا: أنها أكملت منذ خلقها حتى الآن عشرين دورة كاملة على اعتبار أن خلق الشمس تم منذ خمسة مليارات سنة، وبهذا فلا توجد نقطة في فلكها حول المجرة لم تبلغه بعد. وبذلك فإن جريها لبلوغ مكان تستقر فيه لا يتحقق بمجرد سبحها في فلك ثابت غير منتقل في الفضاء، بل إنه

يتحقق إذاً كانت تسبح في فلك بشرط أن تكون السباحة مقرونة بحركة جري أو انتقال سريع لهذا الفلك في الفضاء، لكي تبلغ بهذا الجري والمستقر المقدر لها.



الشمس والقمر كلاهما يجري إلى أجل مسمًّى. نعم مسمًّى ومعلوم عند اللّه العلماء يقولون إن الوقود في شمسنا يحتاج إلى ٥ مليارات سنة حتى ينتهي وهل معنى هذا أن يوم القيامة باقي له خمسة مليارات سنة؟؟ اللّه وحده ينهي حياتها متى يشاء.

وبهذا فإن جري الشمس مقرون بسباحتها في فلك.

وهذه الحركة تشبه مثلاً حركة شخص في دائرة ثابتة على سطح سفينة تجري في نفس الوقت في الماء، فيقال: إنه يسبح في فلك خاص على ظهر السفينة، على حين هو في الوقت نفسه ينتقل أو يجري بالنسبة للماء الذي تجري فيه السفينة.

ولقد أثبت العلم كما ذكرنا أن الشمس تجري في الفضاء بسرعة ١٩ كيلو متر في الثانية نحو النجم النسر الواقع، وفي نفس الوقت فإنها تسبح حول مركز مجرة درب التبانة بسرعة تلقائية انتقالية في المدار قدرها ٢٢٠ كيلو متر/ ثانية لتكتمل هذه الدورة كل ٢٥٠ مليون سنة!.

وبالرجوع لآيات (يس ٣٧ ـ ٤٠) نجد أن اللّه بعد تقرير حقيقة جري الشمس لمستقر لها قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ .

فبين لنا بذلك أنه جعل القمر في فلكه حول الأرض يظهر من الأرض بأوجه من النور تزيد ثم تنقص تدريجياً وبانتظام في كل دورة، كما هو مشاهد لنا: من هلال فتحته نحو اليسار عند الأفق الغربي (القمر والشمس يكونان غرب الأرض)، ثم يتدرج الجزء الظاهر من القمر أو الهلال في الكبر مع دوران القمر حول الأرض ويصبح ما يسمى بالتربيع الأول بعد سبعة أيام، ثم يتدرج حتى يصبح بدراً كاملاً، عندما تكون الأرض بين القمر والشمس بعد سبعة أيام أخرى، ثم يستمر القمر في دورته فيكون التربيع الثاني في نهاية الأسبوع الثالث، ثم يظهر كهلال فتحته نحو اليمين في الأفق الشرقي عند الفجر في نهاية الأسبوع الرابع من بداية الدورة حول الأرض، ثم يأتي طور الاختفاء أو المحاق حين يختفي القمر لمدة يوم أو أكثر، ويظهر كهلال جديد مرة أخرى في الأفق الغربي، وهكذا تتكرر المنازل كل شهر قمري دليلاً على انتظام دوران القمر حول الأرض وتلازمهما لكي يستمر انتظام ظهور أوجه القمر، حتى يعود كالعرجون القديم، أي كعود الشماريخ إن أعتق فإنه يرق ويتقوس ويصغر دليل على نهاية الدورة الشهرية للقمر.

وأما قوله تعالى:

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

أي: أنه جعل الشمس في جريها السابق ذكره لا تدرك القمر، أي: لا تلحق به، وهذا وصف دقيق، لأن القمر يدور حول الأرض التي بدورها تدور حول الشمس التي تدور بدورها بهم في فلكها حول مركز المجرة والتي أيضاً تدور بالمجموعة كلها في الفضاء الكوني، وبهذا فإن القمر يجري مع جريان الشمس كأحد ركاب مجموعتها طبعاً بنفس سرعة الجري المشار إليها سابقاً ١٢ ميل/ ثانية (أي ١٩ كيلو متر/ ثانية)، لأن القطار واحد وهو الشمس بينما الركاب هم الأرض والقمر وباقي كواكب وأقمار المجموعة الشمسية، ومعنى هذا أن اللّه سبحانه وتعالى جعل سرعة الشمس في جريها لا في

سبحها لا تزيد على سرعة القمر في جريه (لا في سبحه)، وبالتالي لا تزيد على سرعة الأرض في جريها لأن الشمس ملازمة لهم جميعاً.

وتستطرد الآيات بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾

وعبارة (وكل في فلك يسبحون) تعني من ظاهر الآية: أن كلاً من الشمس والقمر والليل والنهار يسبح في فلك خاص به بسرعة دورانية خاصة به، وحيث إن الليل والنهار كما ذكرنا من قبل لا يعقل فيهما السبح (على اعتبار المعنى الزمني لهما) فإنهما في هذه الآية قد استعملا استعمالاً مجازياً (مجاز مرسل)، مقصود به لازم من لوازمهما، والقرينة على هذا القصد ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ ولهذا فإن المعنى:

لا الشمس ينبغي لها أن تزيد سرعة جريها على سرعة جري القمر، ولا مكان أو سبب الليل (**كوكب الأرض**) سابق سبب النهار (**الشمس**) في الجري المشترك باستخدام لوازم المكان بدلاً من الزمان، كما سبق أن أوضحنا أي: ولا الأرض الملازمة للقمر تسبق الشمس، تفسيراً لقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ وكل من الشمس والقمر والأرض يسبح في فلك خاص بسرعة دورانية خاصة في فلكه، ولقد ثبت أن الشمس تسبح في فلكها حول مركز المجرة بسرعة ٢٢٠ كم/ ثانية، وأن الأرض تسبح في فلكها حول الشمس بسرعة حوالي ٣٠ كم/ ثانية، وأن القمر يسبح في فلكه حول الأرض بسرعة قدرها ١ كم/ ثانية، وكل منهم يدور حول نفسه أثناء سباحته، في فلكه ولهذا سميت الحركات الثلاث سباحة وليست جرياً تمييزاً لها عن الجري المشترك لهم بسرعة واحدة في الفضاء الكوني بسرعة جريان الشمس ١٩ كم/ ثانية.

الشمس في القرآن الكريم

يقول تعالى:

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

[سورة يس، الآيات: ٣٨ ـ ٤٠]

خالق هذه الكواكب والنجوم وخالق الشمس والقمر يبين لنا أن كل شيء في السماء، ومنها الشمس والقمر يسبحون في هذا الكون.. وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى يبين لنا في أول الآيات الكريمة ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ أن الشمس تجري، وفي آخر الآيات ﴿ يُسَبِّحُونَ ﴾ ومعنى هذا: أن الشمس والقمر يتمتعان بصفتين صفة الجري وصفة الدوران (السبح)، ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ والجري شيء والسباحة شيء آخر، وهذا من علم الله سبحانه وتعالى خالق الشمس وخالق القمر وخالق الليل والنهار.. وبما أننا تكلمنا في فقرات سابقة عن دوران الليل والنهار وتعاقبهما على الأرض وكذلك تكلمنا عن جري الكواكب والنجوم ومنها الشمس والأرض والقمر، فإن حديثنا في هذه الفقرة فقط عن سباحة الشمس والقمر، أي: دورانها حول أنفسها.

... فإذا كنا وفي هذا العصر المتطور من علم الجيولوجيا والفلك والفضاء لا نستطيع الاقتراب من الشمس ولملايين الكيلو مترات كي لا تحرقنا أو تحرق سفينة الفضاء المتوجهة إليها، فالشمس لعظيم أمرها فإنها ترسل ناراً تخرج منها ولمسافة ٥٠٠ ألف كم وإلا كيف تصل أشعتها إلينا لولا هذه النار التي ترسلها في هذا الفضاء، فكيف عرف سيدنا محمد ﷺ دوران الشمس وهي الكرة الملتهبة والتي لا نستطيع أن نتابع النظر إليها ونحن على سطح الأرض، ولا نستطيع الاقتراب منها وحتى في هذا العصر لا

نستطيع أن نوجه إليها السفن الفضائية، فكيف عرف أنها تجري هي والقمر والأرض وكل في فلك يسبحون؟!

فماذا يقول العلم عن سباحة القمر وسباحة الشمس والأرض التي نعيش عليها:

هذه الآيات تشير إلى أن الشمس تجري بسرعة محددة لزمن محدد، وتتوقف عن الجري في مكان محدد، ولقد أثبتت الاكتشافات الفلكية الحديثة بأن القمر يدور حول نفسه وفي نفس الوقت يدور حول الأرض كل ٢٩,٥، يوماً وفي نفس الوقت يدور هو والأرض معاً حول الشمس كل ٣٦٥ يوماً، بينما الأرض تدور حول نفسها كل ٢٤ ساعة.

والشمس تدور حول نفسها كل ٢٥ يوماً وتسير بسرعة ٢٥٠ كم / ثانية وأيضاً في نفس الوقت يدور القمر والأرض والشمس معاً حول مركز المجرة كل ٢٥٠ مليون سنة ضوئية. تلك هي الحركة المدارية لهذه النجوم والكواكب التي صرح بها القرآن منذ ١٤٢٥ عاماً هجرياً بينما أصبحت الآن فقط من مكتشفات العلم الحديث، وبالرغم من دوران الأرض في كل هذه الاتجاهات المعقدة فإننا نشعر بأن الأرض ثابتة بدون حركة.

وهذا الدوران يعطي للأرض تعاقب الليل والنهار ويعطي الفصول الأربعة ويعطي أشكال القمر المختلفة خلال الشهر، فنعلم عدد السنين. قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾.

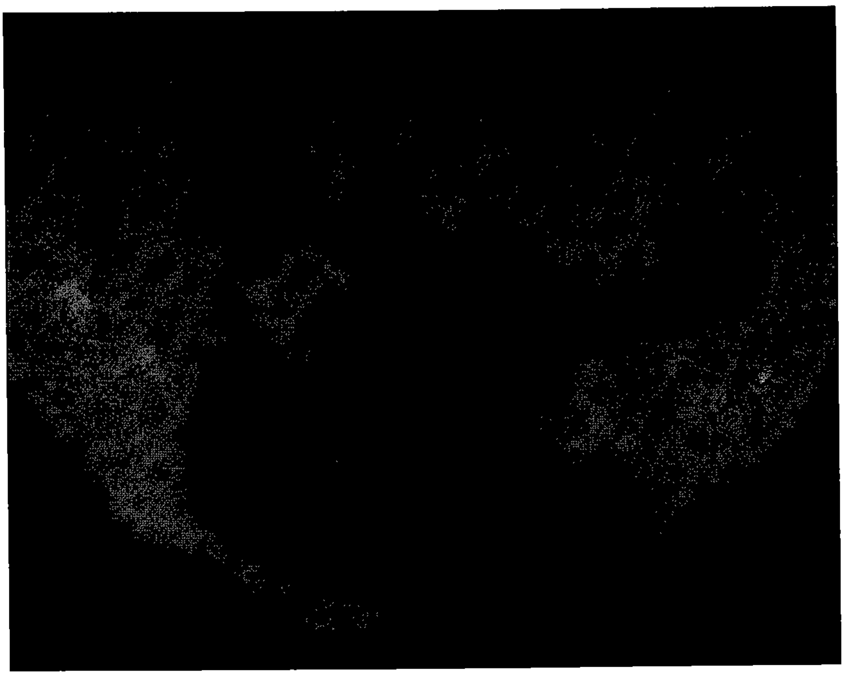
كل كوكب وكل نجم يسبح في فلكه الذي قدر له لا يتحول عنه ولا يحيد، وفي نفس الوقت جميعها في وحدة متماسكة بفعل الجاذبية ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ إضافة إلى تباعد المجرات عن بعضها بسرعة الضوء مع الحفاظ على الرسم العام لمواقع كل شمس وكل كوكب منها.

وكذلك لا تقتصر حركة الشمس على جريانها في الفضاء نحو نجم النسر الواقع (**فيجا**) ولكنها تتحرك أيضاً حركة دورانية حول نفسها مرة كل ٢٧ يوماً في المتوسط، كما تتحرك حركة دائرية، حيث تجري ومعها مجموعتها الشمسية بسرعة فائقة تبلغ نحو ٢٢ كيلو متراً في الثانية حول مركز مجرتنا المعروفة باسم (درب التبانة)، وهذه الأخيرة أي (مجرة درب التبانة) تدور بدروها حول نفسها مرة كل ٢٥٠ مليون سنة، وبهذا فإن الشمس ـ شأنها ـ شأن غيرها من الأجرام السماوية ـ تسبح في مسار أو فلك خاص بها

يدور حول مركز مجرتها. ولقد سبق القرآن الكريم إلى تقرير هذه الحقيقة ليس بالنسبة للشمس فقط، ولكن أيضاً بالنسبة لغيرها من النجوم، بالإضافة إلى الأرض والقمر وغيرهما من الكواكب والأقمار، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة الأنبياء، الآية: ٣٣]

وكلمة ﴿كل﴾ لفظ عام يشمل جميع الأجرام السماوية، أي أن كل نجم وكل كوكب وكل قمر وكل مذنب يسبح في فلكه الخاص الذي قدر اللَّه له، لا يتحول عنه ولا يحيد إلا بإذنه، وفي الوقت نفسه يتحرك الجميع في وحدة متماسكة مترابطة تجمع بينهما في اتزان وتناغم القوى الكونية الناطقة بوحدانية اللَّه، خالق هذا الكون ومبدعه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والكمال والجمال[١].



الشمس هذا النجم الملتهب الذي يبلغ حجمه حجم الأرض
١,٣٠٠ مليون وثلاثمائة ألف مرة حجم الأرض وأشعتها تصل إلى كامل الكواكب
الأحد عشر ولولاها فما كانت هناك حياة على الأرض

(١) أحمد فؤاد باشا كتاب (رحيق العلم والإيمان) صفحة ٧٠.

القمر في القرآن الكريم

منازل القمر لمعرفة عدد السنين :

قال تعالى :

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾

[سورة يس، الآية: ٣٩]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾

[سورة يونس، الآية: ٥]

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ٩٦]

قدر اللّه القمر منازل يطلع في أول ليلة من الشهر قليل النور ثم يزداد نوراً في كل ليلة حتى يتكامل نوره في الليلة (١٤) ليصبح بدراً كاملاً. ثم يشرع في النقص من النور تدريجياً حتى يصبح في آخر الشهر كالعرجون القديم (أي العنقود الرطب اليابس)، وتفسير ذلك من الناحية الفلكية: أن القمر يكون منيراً نصفه بسبب أشعة الشمس التي تواجه هذا النصف، أما النصف الآخر فيكون مظلماً لأنه لا يواجه الشمس. وهذه المنازل تساعد الإنسان على ضبط الزمن وحسابه وتقديره وشهوره وسنينه. وذلك من رحمة اللّه في خلقه أن جعل للإنسان مقاييس تساعده في معرفة الزمن.

القمر والأهلة مواقيت للناس والحج :

قال تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٨٩]

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٨٥]

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾

[سورة التوبة، الآية: ٣٦]



القمر جرم تابع للأرض وأمام مليارات المجرات والنجوم فلا قيمة له ولكن اللّه سبحانه جعله الجرم الملموس وأضاء لنا الليل البهيم وجعلناه تأريخاً وعلامة وهدانا في أسفارنا وألهمنا في أشعارنا وجلس تحت نوره عشاق السماء وهو أول جرم وصل إليه الإنسان ويبعد عنا ثانية ضوئية واحدة.

إن اللّه قد خلق الأهلة لتكون معالم يحدد بها الناس حجهم، وصومهم، وزكاتهم، ومواعيد زرعهم وحصادهم، والشهر الحرام (تحريم الصيد والقتال)، وأيام الرضاعة، وأيام الحمل، وتسجيل الأحداث الهامة من مواليد ووفيات ومعارك... وقد خص المواقيت والشهور التي يحددها القمر دون الشهور الشمسية لأنه أسهل معرفتها لدى الأمي والمتعلم بواسطة مراقبة الهلال، بينما الشهور الشمسية يتطلب حسابها معرفة دقيقة بحركة الأفلاك المعقدة.

القمر كان مشتعلاً ثم أصبح بارداً:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾

[سورة الإسراء، الآية: ١٢]

لقد أثبت العلم الحديث بأن القمر كان كوكباً مشتعلاً عند نشوء الكون ولكنه انطفأ بعد مرور ملايين السنين، وقد جاءت هذه النظرية الحديثة مطابقة للآية ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: أزلنا ضوء القمر، لأن القمر هو آية الليل، بينما آية النهار هي الشمس التي ظلت مبصرة ومشتعلة.

ومن الملاحظ أن الآية تشير إلى أن القمر هو جسم بارد غير مشتعل، وأن نوره يستمده من الشمس بواسطة انعكاس ضوء الشمس على القمر. فمعنى هذا أن ضوء القمر ليس من ذاته ولكنه انعكاس من الشمس التي هي مصدر الضوء والحرارة.

الشمس والقمر لا يلتقيان:

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

[سورة الزمر، الآية: ٥]

أثبت العلم أن القمر يدور حول نفسه، وفي نفس الوقت يدور حول الأرض، وكذلك الأرض تدور حول نفسها، وفي نفس الوقت القمر بدورانه والأرض بدورانها يدوران حول الشمس. وكذلك الشمس تدور حول نفسها، وفي نفس الوقت المجموعة الشمسية تدور حول مركز المجرة التي بدورها أيضاً تدور حول نفسها. وبالرغم من هذا التعقيد في عملية الدوران فالقرآن والعلم معاً يؤكدان استحالة أن تدرك الشمس القمر لأن كلاً منها يدور في مدار خاص به لا يستطيع أن يتعداه.

انشقاق القمر منذ ١٤٢٥ سنة:

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾

[سورة القمر، الآية: ١]

عندما طلب الكفار في مكة من الرسول ﷺ معجزة كونية لكي يؤمنوا به أشار إليهم أن ينظروا إلى القمر وكان قد انشق إلى قسمين منفصلين، ولكنهم

اعتقدوا أن الرسول ﷺ قد سحر أعينهم. فسألوا أحد القبائل المسافرة الآتية إلى مكة في ذلك الحين، فقالوا: لقد رأينا ونحن في الطريق إلى مكة بأن القمر انشق إلى قسمين وهذا ما ينفي قضية السحر.

المد والجزر سببه جذب القمر للأرض:

قال تعالى ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾

[سورة الانشقاق، الآية: ١٨]

إن القمر هو المسؤول عن المد و الجزر للمحيطات، ويعتبر المد هو تقدم مياه البحار لبضعة أمتار ثم ينخفض ويحدث ذلك مرتين في اليوم. أما حينما يبلغ القمر هيئة البدر التام فيزداد تأثيره ويصبح المد والجزر أكبر من المعتاد، فمثلاً من المحتمل أن يصل الفرق بين مستوى المد والجزر إلى نصف متر في عرض البحر، بينما يصل إلى ٢ م على شواطئ الجزر.

ولا بد من الإشارة إلى أن حركة المد والجزر لم يعرف سببها العلمي إلا في القرن الثامن عشر على يد العالم نيوتن الذي ربطها بتأثير جاذبية القمر.

وقد أثبت العلم الحديث أن الإنسان والكائنات الحية تتأثر كثيراً بالقمر عندما يكون بدراً. فمثلاً نسبة عدد الانتحار ترتفع أكثر والتوتر العصبي يزداد في حالات الأمراض النفسية والعقلية، كما أن النباتات تنمو بسرعة والأسماك التي تعيش في أعماق البحر تصعد على سطحه عندما يكون القمر بدراً.

ففي ٢١ تموز ١٩٦٩م هبط رائد الفضاء الأمريكي نيل أرمسترونج على سطح القمر، وبين عام ١٩٦٩م وعام ١٩٧٢م وطأ الإنسان أرض القمر سبع مرات.

فسبحان الذي جعل للأرض قمراً واحداً، ولبعض الكواكب في المجموعة الشمسية قمرين وثلاثة وستة عشر وواحداً وعشرين، ولم يجعل لبعض الكواكب أقماراً، وكل ذلك عنده بحسبان، وسبحان الذي أنار عقولنا وعرفنا على ما حولنا فلله الحمد والفضل والمنة.

نتائج التأمل في الآيات القرآنية التي استعرضت الآيات الكونية

إذا أمعنا النظر في الآيات الكونية التي اشتمل عليها القرآن الكريم يتضح لنا أن كل شيء في هذا الكون قد خلق بقدر معلوم ودقة متناهية وحكمة مدبرة.

قال تعالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾

[سورة القمر الآية ٤٩]

قال تعالى:

﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾

[سورة الملك الآية ٣]

إن هذا الكون المعجز في بنائه المذهل في اتساعه الرائع في حركته واتزانه هذا الاتزان الدقيق لو اختل قيد شعرة في أمر من أموره لانفرط عقد هذا الكون وانهار كل ما فيه.

ولما كان الكون منذ ملايين السنين يسير على السنن نفسها فإن العناية الإلهية التي نحيا في ظلها وعطفها ورعايتها هي التي تصونه مما قد يتعرض له من كوارث ولو حجبت عنا هذه العناية طرفة عين أو أقل من ذلك لهلكنا.

وإذا استعرضنا بعض سنن اللّه في الكون والأرض لأدركنا فضل اللّه على خلقه أجمعين ومن هذه السنن الكونية على سبيل المثال:

١ ـ لو كانت الأرض تبعد عن الشمس ضعف بعدها الحالي لنقصت كمية الحرارة التي تصلنا إلى ربع كميتها الحالية ولقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول ولتضاعف تبعا لذلك طول فصل الشتاء فتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض.

٢ ـ لو اقتربت الأرض من الشمس إلى نصف المسافة التي تفصلهما الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض من الشمس أربعة أمثال ما تتلقاه منها الآن مما يحول دون وجود حياة نباتية أو حيوانية ولتضاعفت سرعة الأرض حول الشمس ولانعدمت الفصول الأربعة واستحالت الحياة(١).

٣ ـ الغلاف الغازي المحيط بالأرض يحميها من ملايين الأطنان من الشهب التي تهبط عليها من الفضاء الخارجي ويحميها أيضاً من الأشعة الكونية التي إن قدر لها أن تصل إلى الأرض جميعها لأبادت الحياة(٢).

إن الغلاف الغازي الذي يحفظ الأرض في درجة مناسبة من الحرارة وهو الوسيط الذي يحمل بخار الماء المتصاعد من البحار والمحيطات ليتكثف بخاراً ويتحول بعد ذلك مطراً يسقى الأرض ويروي النبات والحيوان والإنسان ولولا هذه الدورة المائية لتحولت كل المياه الأرضية إلى ماء آسن في فترة زمنية قصيرة.

٤ ـ هذا الغلاف الغازي له تركيب دقيق لو اختل لما أمكن للحياة أن تزدهر وتستمر.

٥ ـ لو كان الأوكسجين بنسبة ٥٥٠ أو أكثر في الهواء بدلا من ٥٢١فإن جميع المواد القابلة للاحتراق في العالم تكون عرضة للاشتعال لدرجة أن أول شرارة في البرق تصيب شجرة لابد أن تلهب الغابة كلها.

٦ ـ ولو كانت نسبة الأوكسجين ٥١٠ لتعذر أن يكون التمدن الإنساني على ما هو عليه الآن.

٧ ـ لو كانت مياه المحيطات حلوة لأصبحت آسنة وتعذرت الحياة بعد ذلك على الأرض فالملح هو الذي يمنع حصول التعفن والفساد ولولا أن الكلور يتحد مع الصوديوم لما كان الملح وبالتالي ما كانت الحياة.

٨ ـ هناك كميات كبيرة من الماء متجمدة على القطبين ولو قدر لهذا الماء

---

(١) محاضرات الموسم الثقافي لعام ٧٢ ـ ٧٣م إصدار حكومة أبوظبي ـ محاضرات الإنسان والكون للأستاذ الدكتور زغلول راغب النجار.

(٢) (اللّه جل جلاله) بقلم سعيد حوى ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ـ طبعة ثالثة ١٩٧٢م ـ ص٤٠.

المتجمد أن يسيل (وهذا لا يحتاج إلا لبضع درجات قليلة من الحرارة) لارتفع منسوب الماء في البحار والمحيطات ولأغرقت أغلب مساحات القارات بما عليها من حياة.

٩ ـ لو كانت الأرض كعطارد لا يدير إلا وجهاً واحداً منه نحو الشمس ولا يدور حول محوره إلا مرة واحدة خلال الدورة الكاملة للشمس أو بتعبير آخر لو كان قسم من الأرض ليلاً دائماً والآخر نهاراً دائماً لما عاش أحد حيث الليل أو النهار الدائم.

١٠ ـ لو لم تكن قوانين الجاذبية موجودة فمن أين تلتقي الذرات وجزيئات الذرات؟ ومن أين تكون الشمس شمساً والأرض أرضا؟[١]

١١ ـ ولولا قوانين الحرارة لما بردت الأرض ولما كانت صالحة للحياة.

١٢ ـ ولولا الجبال لتناثرت الأرض ولما كان لها مثل هذه القشرة الصالحة للحياة.

١٣ ـ ولولا أن في الأرض أرزاقها لما استطاعت الأرض أن تبقى.

كما نلمح في نصوص القرآن الكريم الإبداع والجمال في هذا الكون والقدرة والجلال ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [سورة السجدة الآية ٧]

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٧]

لقد أنشأهما الخالق على غير مثال سابق فانظر إلى السماء ونجومها والقمر ساعة طلوعه عندما يكون بدراً أو هلالاً أو ساعة توسطه في قبة الفلك والشمس في غروبها وشروقها والفجر والأصيل وروعة الضحى كل ذلك آيات إبداع خالق عظيم.

فكل مظهر من مظاهر الكون التي تتكرر أو تتعاقب أو تتغير ينتج عنها صور من الجمال في كل حين تبدو غاية في الإبداع تثير في النفس بهجة وسروراً.

---

(١) انظر كتاب: الله جل جلاله ـ بقلم سعيد حوى ـ فقد ساق تسع ظاهرات وعلامات على وجود اله قادر حكيم. وهذه الظواهر هي: حدوث الكون والإرادة. والحياة. والإجابة. والهداية. والإبداع. والحكمة. والعناية. والوحدة.

وكل ورقة من أوراق الشجر منظمة أدق نظام مخططة أجمل تخطيط فالورق والزهر والساق والغصون والفروع والثمار كلها إبداع عجيب منفردة كانت أو مجتمعة موصولة أو مقطوعة.

لقد أمرنا اللّه أن ندرس آياته في الكون فقال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ١٨٥]

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذارياتد، الآيتان: ٢٠، ٢١]

فسبحان الخالق الذي وجه الإنسان للتفكير في الكون ومشاهدة ما فيه من سماء وأرض وليل ونهار. وشمس وقمر. ونجوم ورياح وأمطار وسحاب.

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا تحديداً لألفاظ القرآن. فكلمة الأرض قد ذكرت في القرآن الكريم في ٤٥١ موضعاً. وكلمة السماوات قد ذكرت في القرآن الكريم في ٣١٠ موضع. وكثيراً ما تجتمع السماء والأرض في آية واحدة مثل: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾

[سورة البقرة، الآية: ٢٢]

ومثل ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾

[سورة الأعراف، الآية: ١٨٥]

وذكرت الشمس في القرآن الكريم في ٣٣ موضعاً. كما ذكر القمر في القران الكريم في ٢٦ موضعاً وفى معظمها يذكر القمر بعد الشمس مثل ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾

[سورة الرعد، الآية: ٢]

ومثل قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ٩٦]

وذكرت كلمة النجوم في ٩ مواضع. مثل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾

[سورة الأنعام، الآية: ٩٧]

وكلمة النجم في أربعة مواضع مثل ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾
[سورة النحل الآية ١٦]

وذكرت السحاب في ٩ مواضع. مثل ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٦٤]

وذكرت الرياح في ١٠مواضع. كما ذكرت الريح في ١٤ موضعاً مثل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾

[سورة يونس، الآية: ٢٢]

لقد تكررت الآيات الكونية في القرآن الكريم في نحو(٧٥٠) آية. وهذا العدد يدعو الإنسان دعوة ملحاحة ليدرس الكون وما فيه حتى يدرك عظمة الخالق.

إن القران الكريم لم يذكر هذه الظواهر على أنها مقصودة لذاتها. بل لأنها مرتبطة بقدرة مدبرة. وقوة مسيرة لهذا الكون. فهي دعوة علمية للإيمان بالله من منطلق أن كل ما نشاهده في هذا الكون خاضع للنظام الدقيق والعناية الفائقة. ولرحمة الرحمن بعباده.

وإذا انتقل الإنسان بحسه من الكون إلى المخلوقات الأخرى. وإلى الإنسان نفسه فسيدرك أن هذه العناية الإلهية تلحظ الإنسان في كل وقت وآن.. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ * وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ * وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾

[سورة الذاريات، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢]

الخاتمة

... عنوان غريب اخترناه لهذا الجزء من الموسوعة (آيات اللَّه في السماء الدنيا والسموات السبع) والمعهود هو (آيات اللّه في السماء) دون تحديد لسماء دون سماء أو فصل السماوات الدنيا عن السماوات السبع... وربَّ قائل يقول السماء الدنيا سماء، والسماوات السبع سبع أفيكون المجوع ثمانية سماوات فكيف هذا؟.... ما أردته فصل الحديث عن السماء الدنيا عن السماوات السبع جملة بما فيها السماء الدنيا... ذلك أن ما نلمسه هو السماء الدنيا.. ولكن اللَّه سبحانه دائماً يذكر في كتابه الكريم السماوات السبع وضمناً فيها السماء الدنيا.... وقد ذكر اللَّه سبحانه السماء الدنيا منفصلة فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ فقد ذكر اللّه سبحانه السماء الدنيا وذكر السماوات السبع وكذلك ذكر رسول اللّه ﷺ السماء الدنيا في حديثه الشريف [**إذا كان ثلث الليل الأخير نزل اللَّه إلى السماء الدنيا**] وقد ذكرنا في تفسير الآيات الكريمة السماء الدنيا وكذلك ذكرنا السماوات السبع... فهل ما وصل إليه الإنسان من معرفة أو ما وصلت إليه تلسكوباته المتطورة من حدود يصل إلى خمسة عشر مليار سنة ضوئية.. هو حدود السماء الدنيا.. أم حدود السماء الدنيا هي المجموعة الشمسية التي تمتد إلى عشرة مليارات كم أي حدود الكوكب (إكس) الكوكب العاشر المكتشف في عام ٢٠٠٥م.. إن هذا الأمر لا يعرفه ولا يعلمه إلا خالق السماوات والأرض ومقسمها ﴿ثم استوى إلى السماء فَسَوَّاهُنَّ سبع سماوات ﴾ فأين حدود كل سماء فلا أتصور أن العلم يصل إلى هذا.. وكيف يصل إلى هذا وأقرب نجم إلينا خارج حدود المجموعة الشمسية يحتاج إلى الوصول إليه بسرعة سفننا الفضائية الحالية إلى مليون سنة كما قال علماء الفلك....

.. إن علم السماء علم عظيم فدراسته تدلنا على الخالق وتقوي

إيماننا بالله الخالق لهذه السماوات العظيمة... أبحرت في السماء الدنيا والسماوات السبع عندما كنت أكتب هذا الجزء من الموسوعة ولا أستطع أن أصف لكم شعوري وإحساسي وكيف كان كياني يهتز؟ وكيف كان عقلي يتفاعل مع هذه القدرة العظيمة لخالق هذه السماوات.. كنت أرتقي في سلم التقوى كلما قرأت وقارنت ووضعت أمام الآيات الكريمة هذه المستجدات الفلكية والعلمية.. ولا أقول لكم أرتقي في سلم الإيمان.. فالإيمان موجود بفضل الله وحمده لا يعتوره شك ولا نقص ولكن التقوى هو الذي ينقص ويزيد في الإنسان... في هذه الخاتمة أخاطب القارئ الذي قرأ هذا الجزء من الموسوعة (آيات الله في السماء الدنيا والسماوات السبع) لا شك أنه عاش مع قدرة الله سبحانه في التفسير العلمي لهذه الآيات الكريمة ولا شك أنه علم بعض قدرة الله سبحانه... وحتمي أن قلبه وعقله وكل جوارحه تفاعلت مع هذه الآيات... ولا أتصور أن القارئ أقل مني في ارتقائه لسلم التقوى لأن هذه الآيات تعمق الإيمان في النفس وترتقي بها في سلم التقوى صعوداً.

... هذه الآيات الكريمة التي ذكرت وفسرت أتمنى على الله سبحانه أن يقرأها أو يعلم عنها المؤمن شيئاً ويكون ممن قصدهم الله سبحانه في قوله:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

والله سبحانه يعلم أن التفكير في خلق السماوات والأرض يزيد في إيمان المؤمن ويرتقي به في سلم التقوى صعودا ؛ لذلك حثَّه على ذلك وامتدح الله أولئك الذي يتفكرون في خلق البسماوات والأرض لأن ذلك دليل إيمان وتقوى وصلاح... فهل فكرتم أخوتي القرَّاء بملكوت السماوات والأرض وأنتم تقرؤون هذا الجزء؟ هل أحسستم بدرجات التقوى ترتفع في أعماقكم..؟ هل أيقنتم أن هذا الخالق الملك لهذه السماوات العظيمة أنه قادر على أن يحيينا ويبعثنا يوم القيامة، وقادر على أن يدخلنا الجنة، وقادر

على أن نكون خالدين في جناته... عنده، عند مليك مقتدر اللّهم اجعلنا من أولئك الذي يتفكرون، ومن أولئك الذي يؤمنون، ومن أولئك الذي يرتقون في سلم التقوى، ومن أولئك الذي يرضى عنهم اللّه سبحانه، ومن أولئك السعداء الذين سيدخلهم اللّه في رحمته وجناته.. إنك سميع مجيب يا أرحم الراحمين.

د. ماهر أحمد الصوفي

أسماء العلماء والباحثين
الذين شاركوا بآرائهم
في هذه الموسوعة جزء ١ ـ ٢٠

الرقم	الاسم	العمل
١	اندرولانج	خبير الفيزياء الفلكية في معهد كاليفورنيا
٢	باولو ديبيرناريس	عالم فلكي
٣	جيمس دنلوب	عالم فلكي (المرصد الفلكي البريطاني بأدنبره)
٤	ريتشارد إيليس	مدير معهد علم الفلك بجامعة كمبردج بانكلترا
٥	د. فيليب لوكاس	أستاذ علم الفلك جامعة هيرتفورد انكلترا
٦	د. باتريك روتش	أستاذ علم الفلك جامعة اكسفورد انكلترا
٧	د. جاي ميلوش	أستاذ علم الفلك جامعة أريزونا الولايات المتحدة
٨	د. ترافيس متكالفي	عالم فلك مركز هارفارد سميبشويتان للفيزياء الفضائية
٩	ستيفن هاوكنغ	عالم فيزيائي
١٠	هوجيم هارتل	عالم فيزيائي
١١	شلايخ برغامان	مهندس فضائي. ألماني
١٢	جول فيرن	رائد الخيال العلمي
١٣	آرثر سي كلارك	كاتب الخيال العلمي
١٤	براد أدواردز	مهندس فضاء أمريكي
١٥	قسطنطين تسيولكر فسلكي	عالم روسي فلكي ورياضي وأبو الرحلات الفضائية

الرقم	الاسم	العمل
١٦	جان بول نيب	عالم فلكي / معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا
١٧	د. أيد ويلر	عالم فلك/ الولايات المتحدة
١٨	د. ألن هايل	عالم فلك ومكتشف مذنب هايل بوب مختص بعلم الكواكب
١٩	جيوردانو برونو	راهب إيطالي خبير في علم الفلك
٢٠	د. لابلاس	عالم فيزياء ورياضي ـ فرنسا
٢١	إيمانيول كانما	فيلسوف ألماني وخبير في علم الفلك
٢٢	بروفسور شارل العشي	مدير مختبر الدفع النفاث وكالة ناسا الأمريكية
٢٣	أرسطو	عالم فلسفي يوناني
٢٤	فرانسيسكو ربدي	عالم فلك وأحياء إيطالي
٢٥	لويس باستور	عالم أحياء
٢٦	كانت	عالم فلك ألماني ١٧٥٥م
٢٧	هابل	عالم فلك ١٩٢٩م
٢٨	ليروي تشاو	عالم من وكالة ناسا الفضائية ورائد فضاء
٢٩	ساليزان شابيروف	مهندس في الملاحة الجوية وكالة الفضاء الروسية
٣٠	جورج حلو	مدير مركز أيباك الفضائي
٣١	رون غريزلي	عالم فلك جامعة أريزونا الولايات المتحدة
٣٢	كريس تشيبا	عالم فلك معهد البحث العلمي الولايات المتحدة

الرقم	الاسم	العمل
٣٣	عدنان عضيمة	مختص بالشؤون العلمية والفلكية جريدة الاتحاد الإماراتية
٣٤	جون هومير	عالم فلك مختص بشؤون السفن الفضائية / أمريكا
٣٥	روبرت هارفين	عالم فلك/ الولايات المتحدة الأمريكية
٣٦	جاك دوريل	عالم فلك ـ وكالة ناسا ـ الولايات المتحدة الأمريكية
٣٧	معين أحمد محمود	كاتب في شؤون الفلك
٣٨	شاندراوبكرا ماسينج	عالمان ألّفا كتاب البذور الكونية
٣٩	أرهينوس	عالم فلك سويدي
٤٠	د. كارل سيجان	عالم فلك أميركي
٤١	مسلم شلتوت	عالم فلك ـ المعهد القومي للعلوم الفلكية مصر ـ حلوان
٤٢	أينشتاين	عالم رياضيات وفلك صاحب النظرية النسبية
٤٣	فان ألن	عالم فلك صاحب حزام ألن المغناطيسي فيزيائي أمريكي
٤٤	بروس جاكوسي	عالم فيزياء فلكي جامعة كولورادو الولايات المتحدة
٤٥	د. ديفيد شاربونو	عالم فلك ـ معهد سيموثنيان للفيزياء الفضائية الولايات المتحدة
٤٦	د. إل دريك ديمنج	عالم فلك مركز جودارد للطيران الفضائي الولايات المتحدة الأمريكية
٤٧	د. جيفري دبليو مارسي	عالم فلك مختص بشؤون الكواكب جامعة كاليفورنيا الولايات المتحدة
٤٨	د. آلان بي بوس	عالم النظريات الكوكبية ـ معهد كارنبجي واشنطن الولايات المتحدة

الرقم	الاسم	العمل
٤٩	د. جون موري	عالم فلك ـ باحث في جامعة منبيلتون
٥٠	بيتر آن أبسبوت	كاتب أمريكي متخصص في الشؤون العلمية
٥١	مايكل سواتويك	كاتب متخصص في الشؤون الفلكية والعلمية/ الولايات المتحدة
٥٢	لورانس أم كروسي	مدير مركز التعليم والبحوث في علوم الكون والفلك جامعة كينويسترون ريزيرن نيويورك
٥٣	د. ياسين محمد المليكي	عالم مشارك في المؤتمر السابع للإعجاز العلمي دبي ٢٠٠٤م
٥٤	سعيد حوى	كاتب وعالم يتحدث في أمور الإعجاز من كتبه (اللّه جل جلاله)
٥٥	رودريغو إيباتا	عالم فلك مدير المرصد الفلكي ستراسبورغ / فرنسا
٥٦	كارل ماركس	من كتاب الفلسفة المادية الوجودية
٥٧	د. أنور عبد العليم	كاتب وباحث في الشؤون العلمية من كتبه (قصة التطور)
٥٨	رالف ألفر	كاتب في الشؤون العلمية والفلكية الولايات المتحدة
٥٩	بيجر إنك	عالم نباتي ألماني
٦٠	البروفيسور سول سبيكمان	عالم كيميائي نباتي إنجليزي
٦١	هارولد يوري	عالم كيميائي فلكي حائز على جائزة نوبل ١٩٢٣م إنجليزي
٦٢	د. زغلول راغب النجار	عالم وكاتب مصري مختص بالشؤون الجيولوجية والفلكية

الرقم	الاسم	العمل
٦٣	د. محمد سعيد رمضان البوطي	كاتب وعالم إسلامي كبير حائز على جائزة شخصية العام الإسلامي/ سوريا
٦٤	إنجلز	كاتب وجودي من كتاب الفلسفة المادية من مؤلفاته (الأنتي دوهرنغ)
٦٥	الكسندر ايفانوفيتش	عالم في الكيمياء الحيوية بأكاديمية العلوم الروسية
٦٦	جورج جاموف	كاتب في الشؤون العلمية والفلكية/ الولايات المتحدة
٦٧	ستيفن هوكنج	عالم مختص في الشؤون العلمية والفلكية / انكلترا
٦٨	الجاحظ	عالم عربي اجتماعي فلسفي من كتبه: كتاب الحيوان
٦٩	ابن النظام إبراهيم بن سيار	عالم عربي اجتماعي وفلسفي هو أستاذ الجاحظ
٧٠	د. معين صلاح الدين	كاتب عربي سوري
٧١	ستانلي ميلر	عالم كيميائي / إنجليزي
٧٢	الفرد دالاس	عالم اجتماعي/ ألماني
٧٣	هوستان ارينبوس	عالم فيزيائي/ السويد
٧٤	جيمس متشز	مستشرق له كتب ومؤلفات في القرآن الكريم وكان منصفاً في وصف القرآن الكريم
٧٥	الفيلسوف الكندي	فيلسوف عربي
٧٦	ميكاييل ترنر	عالم فلك الجمعية العلمية الوطنية أمريكا
٧٧	ابن رشد	كاتب وفيلسوف عربي من كتبه «تهافت التهافت»

الرقم	الاسم	العمل
٧٨	ابن سينا	عالم عربي في الطب والفلسفة من كتبه عيون المسائل
٧٩	إخوان الصفاء	أصحاب نظريات فلسفية من كتبهم (كتاب الرسائل)
٨٠	جليشر	عالم فلك إنجليزي ١٨٦٣ حاول الصعود إلى السماء بالمنطاد
٨١	د. أرنولد توينبي	باحث وكاتب اجتماعي بيئي فلسفي
٨٢	فرانك ألن	عالم الطبيعة البيولوجية
٨٣	تشارلز يوجين	عالم رياضيات سويسري
٨٤	بول كلارنس	عالم في الطبيعة الحيوية ـ الولايات المتحدة الأمريكية
٨٥	جورج إيريل دافيز	عالم طبيعة/ الولايات المتحدة الأمريكية
٨٦	العلامة الخنجواني	مفسر وعالم من كتبه (الفواتح الإلّهية)
٨٧	ريشارد هوفر	عالم فلك/ مركز آيمز للأبحاث وكالة ناسا
٨٨	الفارابي	فيلسوف وكاتب عربي
٨٩	فرانشيسكو	عالم فلك إيطالي حاول الصعود إلى السماء عن طريق البالون
٩٠	دونيس سكايما	عالم فلك من أشد أنصار نظرية الكون المستقر
٩١	ستيفن هوفكن	عالم فلك وفيزياء صاحب كتاب التاريخ المختصر للزمن
٩٢	جورج كرنشتاين	عالم فلك صاحب كتاب الكون التكافلي
٩٣	دوس	عالم فلك قام بدراسات كثيرة عن الجو الأرضي
٩٤	فرانك دراك	عالم فلك ١٩٦٠م كان يراقب الشموس الشبيهة بشمسنا

الرقم	الاسم	العمل
٩٥	**جورج كامو**	عالم فلك صاحب نظرية أن انفجاراً نووياً للنيترونات
٩٦	**مارتن رايلي**	عالم فلك جامعة كامبردج انكلترا درس كثافة المجرات
٩٧	**بنزياس**	عالم فلك ١٩٦٥ التقط الإشعاع الراديوي الوارد من جميع أنحاء الكون
٩٨	**أنطواني ملوف**	عالم فلك مؤيد دعاة الأزلية
٩٩	**بول ديفز**	عالم فلك أيد نظرية أن قوة عاقلة مدركة أنشأت الكون ـ بريطانيا
١٠٠	**ألكسندر فريدمان**	عالم فيزياء روسي برهن بنظريته بداية لهذا الكون
١٠١	**بجيران**	عالم فلك وفيزياء صاحب نظرية انتشار النظم الكوكبية في الكون
١٠٢	**ستيفن دول**	عالم فلك صاحب الإحصائية أربعة عشر نجماً أقرب إلى شمسنا لها كواكب وعليها حياة
١٠٣	**بروفسور بييرلس**	عالم فلك
١٠٤	**ولتر باد**	عالم فلك مدير مرصد بالومار كاليفورنيا
١٠٥	**ويلسون**	عالم فلك ١٩٦٥ اشترك مع بنزياس في التقاط الإشعاع الراديوي الوارد من جميع أنحاء الكون
١٠٦	**لوميتر**	عالم فلك بلجيكي أول من قدم نظرية حديثة عن نشأة الكون
١٠٧	**توم غولد**	عالم فلك ١٩٥٠ـ صاحب نظرية الضربة الكبرى
١٠٨	**مولتون**	عالم فلك
١٠٩	**فايتز بكر**	عالم فلك صاحب نظرية أهم مظاهر عمر الأرض

الرقم	الاسم	العمل
١١٠	توني هيويش	عالم فلك أول من اكتشف أجرام كاوي بأقطار بحدود ١٦ كم في الفضاء تدور حول محورها
١١١	شابلي	عالم فلك ١٩١٧ قدر البعد بين الشمس ومركز المجرة ١٠ ك. فرسخ
١١٢	مستر جينز	عالم فلك صاحب نظرية أصل المجموعة الشمسية
١١٣	ريتشارد كوفي	عالم فلك ورائد رئيس لجنة الإشراف على إطلاق ديسكفري
١١٤	هيرمان بوندي	عالم فلك ١٩٥٠ صاحب نظرية الضربة الكبرى
١١٥	بازل	عالم فلك ألماني ١٩٣٨ قام بأول قياس لبعد النجوم
١١٦	جوسلين بل	عالم فلك ألماني ١٩٣٨ اشترك مع بازل بتصميم أول جهاز لقياس بُعد النجوم
١١٧	كاسينس	عالم فلك إيطالي
١١٨	كويير	عالم فلك صاحب نظرية أصل الكون
١١٩	مستر جيفرز	عالم فلك صاحب نظرية أصل الأرض
١٢٠	توماي ستافورد	عالم فلك ورائد رئيس لجنة الإشراف على إطلاق ديسكفري
١٢١	مايكل لينباخ	عالم فلك مدير إطلاق محطة الفضاء ديسكفري
١٢٢	سكوت تشاجمان	عالم فلك جامعة كالتك الولايات المتحدة الأمريكية
١٢٣	أنالسيماندر	عمل بالفلك مساعداً لطاليس
١٢٤	عبد الحليم الخطيب	عالم عربي له مؤلفات منها (أسرار معجزة القرآن الكريم) وقد أخذنا من كتابه البراهين
١٢٥	أبيقور	عالم فلسفة اليونان ٥٠ سنة قبل الميلاد

الرقم	الاسم	العمل
١٢٦	**طاليس**	أول فيلسوف إغريقي تحدث عن علم الفلك قام بقياس قطر الشمس وتنبأ بالكسوف
١٢٧	**هيبا رخوس**	عالم فلك إغريقي ١٦٠ ـ ١٥٠ ق. م أول من قسم الأقدار الظاهرية للنجوم
١٢٨	**سند بن علي**	رئيس الفلكيين بمعهد الخليفة المأمون بنى مرصداً فلكياً وكان تحت إشرافه
١٢٩	**أحمد عبد اللّه المروزي**	عرف باسم الحاسب لدقة حساباته الفلكية أدخل طريقة تحديد الوقت أثناء النهار
١٣٠	**أبو الريحان المسعودي**	عالم فلك صاحب كتاب القانون المسعودي
١٣١	**عبد الرحمن بن يونس المصري**	عالم فلك عربي رصد كسوف الشمس وخسوف القمر
١٣٢	**ابن القزويني**	عالم فلك له مؤلفات كثيرة. وقسم الكون إلى علوي وسفلي واهتم بعلم السماء
١٣٣	**تايخو براهي**	عالم فلك أثبت نظرية كوبر نيكوس وعرف (بالنظام التايخوي)
١٣٤	**إدوارد ميلين**	عالم فلك وفيزياء ـ الولايات المتحدة
١٣٥	**أحمد زويل**	عالم كيمياء.مصري حائز على جائزة نوبل للعلوم
١٣٦	**واطسون وكريك**	عالمان اكتشفا الحمض النووي
١٣٧	**فرانك ألن**	عالم الطبيعة البيولوجية/ كندا
١٣٨	**أيسد ويلر**	عالم فلك أمريكي تحدث عن نشأة المجرات في الكون

الرقم	الاسم	العمل
١٣٩	كوبر نيكوس	أول عالم نقد نظرية بطليموس ونقد نظرية أن الشمس هي مركز الكون وليس الأرض
١٤٠	أبو العباس أحمد الفرنحاني	عالم فلك عربي ذاع صيته مؤلف كتاب الحركات السماوية وجوامع النجوم
١٤١	عبد الرحمن بن عمر الصوفي	عالم فلك عربي من مؤلفاته صدر الكواكب الثابتة
١٤٢	إسحاق نيوتن	١٧٢٧م عالم فلك وفيزياء وقد اقترن اسمه بقوانين الحركة وقانون الجاذبية
١٤٣	روجيه حجار	عالم فلك وأستاذ محاضر في مادة الفيزياء في جامعة نوتردام لبنان
١٤٤	د. كارل سيجان	عالم فلك رئيس معمل الدراسات الكونية بجامعة كورنل أصله هندي
١٤٥	فريد هويل	عالم فلك صاحب كتاب (البذور الكونية) بريطاني
١٤٦	جوهان كيبلر	عالم فلك ١٦٣٠م عالم رياضيات كان يحسب مدارات الكواكب بدقة
١٤٧	جاليلو جاليلي	عالم فلك ١٦٤٢م رصد بمرصده الفلكي وأكد أن الشمس مركز الكون وهو أول من رأى أربعة كواكب تدور حول المشتري
١٤٨	تشارلز يوجين جاي	عالم طبيعة وبيئة سويسري وهو القائل أنه لا يمكن تكوين جزيء بروتيني واحد عن طريق المصادفة
١٤٩	ح. ليثر	عالم طبيعة وبيئة القائل أيضاً أنه من المحال تكوين جزيء بروتيني عن طريق المصادفة

الرقم	الاسم	العمل
١٥٠	**محمد عبد السلام**	بروفسور باكستاني حائز على جائزة نوبل لتوحيده قوتين من قوى الطبيعة
١٥١	**أرهينيوس**	عالم فلك سويدي صاحب نظرية ترفض نظرية النشوء والارتقاء
١٥٢	**هويل وفادلار**	عالمان فلكيان الولايات المتحدة قدرا عمر الكون بين ١٢ و١٥ مليار سنة
١٥٣	**جان بول نيب**	عالم فلك مرصد ميدي بيرينيه ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا أمريكا
١٥٤	**سكوت تشاجمان**	عالم فلك جامعة كالتك أمريكا
١٥٥	**جيمس جينز**	عالم فلك صاحب نظرية أن الكون كان سديماً غازياً
١٥٦	**د. جامو**	عالم فلك أمريكي صاحب نظرية أن الكون كان أوله غازاً موزعاً توزيعاً منظماً
١٥٧	**بينزياس وويلسون**	عالمان فلكيان اكتشفا الأمواج الراديوية
١٥٨	**تشارلز داروين**	عالم طبيعة وفلسفة وصاحب نظرية النشوء والارتقاء
١٥٩	**تشارلز لينويفر**	عالم فلك نيو ساوث سدني أستراليا
١٦٠	**د. شكويف**	عالم فلك صاحب نظرية أن الحياة بزغت تحت سماء جهنمية لكوكب يعج بالاندفاعات البركانية/ روسي
١٦١	**بيتر كوبوتيكن**	تطوري معروف أمريكي
١٦٢	**هاينز ريخنر**	أستاذ علم أحياء فرنسي
١٦٣	**كينيث ووكر**	باحثي الطب الفيزيولوجي أمريكي
١٦٤	**فرديك سيارلينغ**	عضو الأكاديمية الوطنية للعلوم أمريكي

الرقم	الاسم	العمل
١٦٥	**وليام شافيز**	رئيس دائرة الطب الوقائي أمريكي
١٦٦	**توران بوزغان**	تركي
١٦٧	**ألن هاي**	مدير مركز الأنفلونزا إنكليزي
١٦٨	**ماريا زامبون**	وكالة الحماية الصحية انكليزية
١٦٩	**فرانوا ميسين**	أحد خبراء منظمة الصحة العالمية
١٧٠	**يوين كووك بانج**	رئيس قسم الكائنات الدقيقة صيني
١٧١	**شانورا ويكراماسينفهي**	بروفسور بريطاني انكليزي
١٧٢	**ديفيد أتنبورر**	عالم طبيعة بريطاني
١٧٣	**ديفيد نوبارا**	منسق شؤون الأنفلونزا إنكليزي
١٧٤	**مايك ديفيس**	خبير بريطاني
١٧٥	**جورج بولاند**	طبيب أمريكي
١٧٦	**بني هيتشكوك**	خبير في الأمراض المعدية انكليزي
١٧٧	**إزاك واير فيوز**	إدارة الصحة الأميركية أمريكي
١٧٨	**مايكولا هاداك**	باحث سويسري
١٧٩	**فاسيليا موسوك ليبفك**	سيدة من يوغسلافيا تعمل في مجال بحوث البيئة والأمراض
١٨٠	**رويال وكنسون**	عالم تاريخ الطبيعة فرنسي
١٨١	**عبد الحكم عبد اللطيف الصعدي**	باحث عربي

الرقم	الاسم	العمل
١٨٢	**دارفين**	عالم بيئة إنكليزي
١٨٣	**رلي توم**	باحثة متخصصة بالبيئة فرنسية
١٨٤	**الفريدر رسل لاسي**	صاحب كتاب تعاقب الأنواع إنكليزي
١٨٥	**مولار سير**	عالم نبات فرنسي
١٨٦	**الدميري**	عالم عربي
١٨٧	**بول وتس**	عالم طبيعة مشهور من النروج
١٨٨	**أدولف مور**	عالم حيوانات سويدي أول من اكتشف رعاية الأبوين للصغار في عالم الحيوان
١٨٩	**رون أودور**	عالم طبيعي فرنسي
١٩٠	**سير فنجر**	عالم جيولوجي معروف انكليزي
١٩١	**ابن الأثير**	عالم إسلامي مشهور
١٩٢	**د. علي العجلة**	مدير مجلة منار الإسلام أبوظبي دولة الإمارات
١٩٣	**كيري سيه**	عالم جيولوجي معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا أمريكا
١٩٤	**د. جون بد**	عالم جيولوجي اليونيسيف إنكليزي
١٩٥	**د. سير ريشتر**	عالم جيولوجي أمريكي صاحب مقياس زلازل ريشتر
١٩٦	**د. سير جوتنبرج**	عالم جيولوجي إنكليزي
١٩٧	**د. سير أوريختر**	عالم جيولوجي أمريكي صاحب مقياس الزلازل أو ريختر
١٩٨	**رينان**	مستشرق وكاتب له العديد من المؤلفات تحدث عن القرآن الكريم وكان منصفاً في حديثه

الرقم	الاسم	العمل
١٩٩	المسعودي	عالم عربي جيولوجي صاحب كتاب مروج الذهب ٣٣٦ هجري
٢٠٠	بلـيـنـي وإسـترابـو وهيرودوت	فلاسفة إغريق أكدوا أن نشأة البراكين تعزى إلى الغازات الساخنة الصاعدة من باطن الأرض
٢٠١	أ ـ د حـسـن أبـو العينين	عالم وكاتب عربي مصري له كتب كثيرة في علوم الأرض والجيولوجيا منها مع آيات الله في الأرض
٢٠٢	ميا تيرنر	رئيسة برنامج الغذاء العالمي باحثة اجتماعية
٢٠٣	ج ن ليونارد	عالم طبيعة إنكليزي من مؤلفاته كتاب جولة عبر العلوم
٢٠٤	فيجان وشمارس	عالم طبيعة فرنسي
٢٠٥	د. أحمد فؤاد باشا	كاتب وعالم وباحث رئيس قسم الفيزياء جامعة القاهرة ـ مصر
٢٠٦	ولسون بعكي	عالم طبيعة إنكليزي اهتم جداً بدراسة (الكسف الثلجية)
٢٠٧	الأميرال بوفورت	واضع مقياس بوفورت لقياس الريح عالم طبيعة إنكليزي
٢٠٨	أ – د مستر ريل	عالم طبيعة إنكليزي اهتم بنشأة الزوابع المدارية ومسالكها
٢٠٩	الزمخشري	عالم ومفسر عربي معروف
٢١٠	ابن سيرين	عالم عربي اشتهر بعلم النوم والرؤى والأحلام
٢١١	مستر برجسون	عالم نفس مختص بعلم النوم والرؤى والأحلام
٢١٢	إيزابيل سمبسون	رئيسة منظمة أطباء بلا حدود باحثة في الطب ولها دراسات وكتب
٢١٣	ارخميدس	عالم مشهور من كتبه المشهورة (تعبير الرؤيا)
٢١٤	القاضي الباقلاني	عالم عربي له كتاب إعجاز القرآن

الرقم	الاسم	العمل
٢١٥	**اللورد أفيري**	عالم طبيعة انكليزي من مؤلفاته كتاب محاسن الطبيعة وعجائب الكون
٢١٦	**فخر الدين الرازي**	عالم عربي مشهور اعتني بتفسيره بالنواحي العلمية صاحب تفسير التفسير الكبير ومفاتيح الغيب
٢١٧	**البروفيسور هوارد كريتشفيلد**	عالم طبيعة إنكليزي له اهتمامات بآلية الرعد والبرق وقدَّم دراسات حول الموضوع
٢١٨	**مستر ألفاريز الأب**	عالم طبيعة وحيوان له نظريات حول انقراض الديناصورات
٢١٩	**مستر ألفاريز الابن**	عالم طبيعة وحيوان إنكليزي له نظريات حول انقراض الديناصورات والماموت
٢٢٠	**د. خالص الجلبي**	طبيب وباحث عربي له مؤلفات عديدة منها (الطب محراب الإيمان)
٢٢١	**بروفيسور جيمس ترفل**	عالم طب وتشريح له مؤلفات منها (نحن متفردون)
٢٢٢	**بروفيسور فرويد**	عالم نفس مشهور صاحب كتاب تفسير الأحلام عام ١٩١٠
٢٢٣	**الشيخ محمد عبده**	عالم وفقيه ومفكر عربي له كتب ومؤلفات كثيرة
٢٢٤	**عامر الشعبي**	عالم وفقيه عربي
٢٢٥	**أبو الليث السمرقندي**	عالم عربي له في التفسير واللغة مؤلفات كثيرة
٢٢٦	**الإمام السيوطي**	عالم وفقيه ومفسر عربي له مؤلفات تزيد عن ٣٠ مؤلف
٢٢٧	**الإمام الشوكاني**	عالم عربي وفقيه ومفسر له مؤلفات كثيرة
٢٢٨	**د. محمد طلعت**	باحث وكاتب عربي من كتبة المعروفة كتاب (محيط العلوم)

الرقم	الاسم	العمل
٢٢٩	البروفيسور إميل فيتشر	عالم وطبيب متخصص في دراسة البروتين حاصل على جائزة نوبل في دراسة البروتين
٢٣٠	د. محمد راتب النابلسي	باحث وكاتب عربي له مؤلفات كثيرة منها (آيات الله في الكون) (آيات الله في الإنسان)
٢٣١	الشيخ محمود شلتوت	عالم وفقيه وإمام للأزهر الشريف له مؤلفات كثيرة
٢٣٢	الحسن البصري	عالم وفقيه عربي وإمام وحجة في الإسلام
٢٣٣	بلاشير	مستشرق له أبحاث كثيرة في القرآن الكريم ولقد نقد نظرية تؤكد له بأن أوائل السور دخيلة على نص القرآن
٢٣٤	الشيخ عبد الغني النابلسي	عالم نفس وتفسير أحلام من كتبه (تعطير الأنام في تفسير الأحلام)
٢٣٥	كارل جوستاف يونج	تلميذ فرويد العالم النفسي عارض أستاذه في كثير من النظريات في عالم الرؤى والأحلام
٢٣٦	د. مستر أزرنسكي	باحث إنكليزي في الدراسات النفسية اعتنى بدراسة النشاطات البيولوجية والفيزيولجية في الدماغ والجسم
٢٣٧	الشيخ محمد بن علي خلف الحسيني	عالم عربي وشيخ القرّاء بالديار المصرية له مؤلفات منها (إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن)
٢٣٨	شفالي	مستشرق ألماني له مؤلفات في اللغة
٢٣٩	كالفن هول	عالم نفس أمريكي استطاع أن يجمع عشرة آلاف من الأحلام على مدى عشر سنوات وقام بدراستها من كتبه (معنى الأحلام)
٢٤٠	ابن خلدون	عالم عربي مختص في علم الاجتماع وعلم النفس وله تفسيرات كثيرة حول الأحلام والرؤى. له كتاب مقدمة إبن خلدون
٢٤١	نصر بن عاصم الليثي	عالم لغة وفقيه عام ٨٩ هجري

الرقم	الاسم	العمل
٢٤٢	**ابن قيم الجوزية**	عالم كبير مشهور ومعروف درس النفس البشرية والروح ومن كتبه (الروح لابن القيم)
٢٤٣	**مستر بيرغر**	عالم طب إنكليزي مشهور اختص في دراسة الدماغ البشري أثبت أن نمط الكهرباء في الدماغ يتغير بين اليقظة والنوم
٢٤٤	**أرتميدوس الأقسوسي**	عالم نفس من أشهر من تكلموا في الأحلام وقام برحلات حول العالم مما ساعده على معرفة المفاهيم المختلفة لدى الناس
٢٤٥	**بروفيسور سير أزير ينسكي**	عالم طب وعلم نفس أول من أثبت أن بؤبؤ العين يتحرك ويتقلب بسرعة أثناء النوم
٢٤٦	**آن فارادي**	عالم نفس إنكليزي درس علم الأحلام وله آراء كثيرة حول الأمر
٢٤٧	**باتريشيا غارفيلد**	عالم نفس درس النوم والأحلام والرؤى وألف فيها مؤلفات روسي
٢٤٨	**غايل ديلاني**	عالم نفس وفيلسوف تحدَّث في علم الرؤى والأحلام بولوني
٢٤٩	**الدكتور ألن هويسون**	عالم وطبيب أمريكي من جامعة هارفارد أول من نادى أن آليات عصبية في جذع الدماغ تقوم بصوغ الأحلام
٢٥٠	**سيبويه**	عالم لغة عربي معروف له مؤلفات في اللغة وآراء ونظريات
٢٥١	**الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور**	عالم عربي مفسر له كتب عدة في الإعجاز
٢٥٢	**الإمام الزركشي**	عالم عربي وله كتب ومؤلفات كثيرة منها البرهان، ذكر عشرين وجهاً لتفسير أوائل السور

الرقم	الاسم	العمل
٢٥٣	هرشفيلد	مستشرق إنكليزي له دراسات موسعة في القرآن الكريم
٢٥٤	أحمد بن المبارك	عالم عربي فقيه له مؤلفات منها (الذهب الإبريز)
٢٥٥	الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي	عالم عربي له مؤلفات منها رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات
٢٥٦	عبد الصبور مرزوق	عالم عربي معاصر له مؤلفات كثيرة منها كتابه (عليها تسعة عشر)
٢٥٧	الدكتور فاضل السامرائي	عالم لغة معاصر له مؤلفات كثيرة من كتبه (معاني النحو)
٢٥٨	بُهل	مستشرق ألماني له مؤلفات وأبحاث في القرآن الكريم واللغة
٢٥٩	الخليل بن أحمد الفراهيدي	عالم لغة عربي
٢٦٠	سهل بن عبد الله التستري	عالم وفقيه عربي
٢٦١	الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني	عالم وفقيه عربي من مؤلفاته مناهل العرفان في علوم القرآن
٢٦٢	ابن حجر العسقلاني	عالم وفقيه عربي إمام وحجة في العلم والفقه له مؤلفات كثيرة
٢٦٣	جوته	من الكتاب والمستشرقين انصف بكتبه القرآن الكريم ومن أقواله (إن تعاليم القرآن عملية ومطابقة للحاجات الفكرية)
٢٦٤	نولد كه	مستشرق ألماني له مؤلفات كثيرة في اللغة له كتاب (تاريخ القرآن)
٢٦٥	محمد عبد اللطيف ابن الخطيب	فقيه عربي من كتبه (الفرقان)

الرقم	الاسم	العمل
٢٦٦	**سعيد بن جبير**	عالم وفقيه عربي معروف له كتب في التفسير وتحدث عن فواتح السور فقال (ولو عرف الناس تأليفها تعلموا اسم الله الأعظم)
٢٦٧	**يو كاي**	من الكتَّاب المشهورين مستشرق تحدث عن الإسلام والقرآن الكريم ، كان منصفاً وعادلاً في آرائه وحكمه على القرآن الكري
٢٦٨	**هنري دكاستري**	مستشرق انكليزي له مؤلفات في دراسة القرآن من أهم أقواله (إن القرآن الكريم يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب)
٢٦٩	**واشنطن يروينج**	مستشرق انكليزي له مؤلفات في أبحاث القرآن الكريم من أهم أقواله (يحوي القرآن أسمى المبادئ وأكثرها فائدة وإخلاصاً)

مراجع
الموسوعة الكونية الكبرى

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ صحيح البخاري

٣ ـ صحيح مسلم

٤ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

٥ ـ سنن ابن ماجه

٦ ـ مسند الإمام أحمد

٧ ـ سنن الترمذي

٨ ـ سنن النسائي

٩ ـ سنن أبي داود

١٠ ـ صحيح الجامع الصغير/ للسيوطي

١١ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة/ للألباني

١٢ ـ المعجم الأوسط والكبير / للطبراني

١٣ ـ صحيح ابن خزيمة

١٤ ـ رياض الصالحين/ للإمام الحافظ النووي الدمشقي

١٥ ـ المستدرك/ للحاكم

١٦ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث الصحيحة/ للمؤلف

١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ للشيخ إسماعيل العجلوني

١٨ ـ مختصر تفسير ابن كثير

١٩ ـ تفسير ابن جرير الطبري

٢٠ ـ تفسير الفخر الرازي/ التفسير الكبير ومفاتح الغيب/ دار الفكر
٢١ ـ التفسير الوسيط/ أ ـ د وهبة الزحيلي
٢٢ ـ أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/ أبي بكر الجزائري
٢٣ ـ تفسير القرآن الكريم جزء عمَّ/ محمد بن صالح عثيمين
٢٤ ـ تفسير الجلالين/ للسيوطي
٢٥ ـ صفوة التفاسير/ للصابوني الدار العصرية
٢٦ ـ كلمات القرآن الكريم/ الشيخ حسنين محمد مخلوف
٢٧ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة/ دار الفكر دمشق
٢٨ ـ التفسير الواضح الميسر/ محمد علي الصابوني
٢٩ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ عبد الرحمن ناصر السعدي
٣٠ ـ تفسير الثعالبي/ الجواهر الحسان في تفسير القرآن
٣١ ـ فتح الباري/ ابن حجر العسقلاني
٣٢ ـ الروح/ ابن قيم الجوزية
٣٣ ـ كبرى اليقينيات الكونية / الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
٣٤ ـ شرح النووي على مسلم/ الإمام النووي
٣٥ ـ مختار الصحاح/ دار المعارف مصر
٣٦ ـ آيات اللَّه في البحار/ للمؤلف
٣٧ ـ آيات اللَّه في السماء/ للمؤلف
٣٨ ـ آيات اللَّه في الروح والنفس والجسد/ للمؤلف
٣٩ ـ الهبوط على المريخ وبيان قدرة اللَّه/ للمؤلف
٤٠ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم/ للمؤلف
٤١ ـ موسوعة الآخرة/ للمؤلف
٤٢ ـ القرآن الكريم والعلم الحديث/ الدكتور منصور محمد حسب النبي
٤٣ ـ المنظومة الشمسية/ د. علي موسى د. مخلص الريس/ دار دمشق

٤٤ ـ إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان/ الدكتور منصور حسب النبي
٤٥ ـ الكون والحياة/ د. مخلص الريس د. علي موسى
٤٦ ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم/ د. زكريا ياهيمي
٤٧ ـ آيات اللَّه في الآفاق/ أ ـ د محمد راتب النابلسي/ دار المكتبي دمشق
٤٨ ـ الموسوعة العلمية في الإعجازالقرآني/ د. سمير عبد الحليم
٤٩ ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة/ يوسف الحاج أحمد
٥٠ ـ اللَّه يتجلى في عصر العلم/ تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين
٥١ ـ رصيد العلم والإيمان/ الدكتور أحمد فؤاد باشا
٥٢ ـ علم الفلك والكون/ د. عواد الزحلف
٥٣ ـ تاريخ موجز للزمان/ ستيفن هوكنج/ ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي
٥٤ ـ الكون بداية ونهاية/ د. محمد الجزار
٥٥ ـ آيات اللَّه الكونية في القرآن الكريم/ الدكتور محمد بن جمعة بن سالم
٥٦ ـ موسوعة الكون والفضاء والأرض/ د. موريس أسعد شربل ـ د. رشيد فرحات
٥٧ ـ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم/ محمد سامي محمد علي
٥٨ ـ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ د. كارم السيد غنيم
٥٩ ـ آيات اللَّه في السماء/ د. زغلول النجار
٦٠ ـ المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم/ د. زغلول النجار
٦١ ـ من آيات الإعجاز العلمي النبات في القرآن الكريم. جزء ٤ ـ ٥/ د. زغلول النجار
٦٢ ـ موجز تاريخ الكون من الانفجار العظيم إلى الاستنساخ البشري/ د. هاني رزق/ دار الفكر/ سورية
٦٣ ـ الموسوعة الحديثة كوكبنا في الكون/ عويدات للنشر والطباعة

٦٤ ـ كوكب الأرض/ سلسلة دليل المعرفة دار العلم للملايين
٦٥ ـ الأطلس الفلكي / محمد عصام الميداني دار دمشق للنشر والتوزيع
٦٦ ـ موسوعة الطبيعة الميسرة/ مكتبة لبنان
٦٧ ـ الموسوعة الذهبية من آدم إلى اختراع الآلات البسيطة/ مؤسسة سجل العرب
٦٨ ـ النجوم والكواكب سلسلة دليل المعرفة/ دار العلم للملايين
٦٩ ـ الأطلس العلمي فيزيولوجيا الإنسان / دار الكتاب اللبناني
٧٠ ـ جسم الإنسان/ موسوعة لاروس/ عويدات للنشر والطباعة
٧١ ـ الكون/ موسوعة لاروس/ عويدات للنشر والتوزيع
٧٢ ـ الموسوعة العلمية الحديثة/ كولين رونان الأهلية للنشر والتوزيع
٧٣ ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن/ والسنة آيات اللّه في الإنسان/ أ ـ د محمد راتب النابلسي
٧٤ ـ خلق الإنسان/ أبي الحسن سعيد بن هبة اللّه/ دار الكتب العلمية
٧٥ ـ دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن / د. كريم حسنين ـ دار نهضة مصر
٧٦ ـ علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة/ هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ مكة المكرمة
٧٧ ـ المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة/ فلينظر الإنسان إلى طعامه/ د. أحمد شوقي خليل
٧٨ ـ المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة/ أطوار الخلق وحواس الإنسان/ د. أحمد شوقي خليل
٧٩ ـ المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة الشفاء النفسي وأسرار النوم وعلم الجمال/ د. شوقي خليل
٨٠ ـ الطب النبوي/ ابن قيم الجوزية دار الفكر ـ بيروت ـ دمشق
٨١ ـ كيف نتوجه إلى العلوم والقرآن مصدرها/ د. نور الدين عتر
٨٢ ـ القرآن الكريم إعجاز تشريعي متجدد/ د. محمود أحمد الزين

٨٣ ـ مباحث في إعجاز القرآن الكريم/ أ ـ د مصطفى مسلّم

٨٤ ـ دلائل الإعجاز/ الإمام عبد القاهر الجرجاني تعليق/ د. محمد عبد المنعم خفاجي

٨٥ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي

٨٦ ـ موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي/ أ ـ د. أحمد شوقي خليل ١ ـ ٥

٨٧ ـ الإعجاز العلمي في الإسلام السنة النبوية/ محمد كامل عبد الصمد

٨٨ ـ كتاب الخبر اليقين في معجزات النبي الأمين/ د. أحمد عوض أبو الشباب ـ المكتبة العصرية

٨٩ ـ معجزات الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ/ محمد صالح مهندس

٩٠ ـ نبوءات الرسول ما تحقق منها وما لم يتحقق/ سماحة الشيخ أبو الحسن أحمد الندوي

٩١ ـ الإعجاز العلمي في السنة النبوية جزء أول/ جزء ثاني/ الدكتور زغلول النجار

٩٢ ـ معجزات محمد رسول اللّه / محمد توفيق الحكيم

٩٣ ـ نهاية العالم/ الشيخ محمد متولي الشعراوي

٩٤ ـ دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة دار المعارف/ القاهرة

٩٥ ـ إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح. السحاب. المطر/ هيئة الإعجاز العلمي/ مكة المكرمة

٩٦ ـ أضواء على إعجاز القرآن الكريم/ د. عكرمة سعيد صبري

٩٧ ـ آيات اللّه في الآفاق/ عبد المجيد الزنداني

٩٨ ـ غزو الفضاء بين أهل الأرض والسماء/ عبد الرزاق نوفل

٩٩ ـ النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن/ حسان شمسي باشا

١٠٠ ـ الإشارات العلمية في القرآن الكريم/ السيد كارم السيد غنيم

١٠١ ـ الإسلام وقوانين الوجود / محمد جمال الدين الفندي
١٠٢ ـ الطب محراب الإيمان/ خالص جلبي
١٠٣ ـ كل شيء عن الصحراء/ سام ويريل إيشتين دار المعارف
١٠٤ ـ أشكال الصحارى المصورة/ د. محمد مجدي تراب
١٠٥ ـ كل شيء عن الأدغال/ ارمسترونج سيبري ـ ترجمة الدكتور علي علي المرسي
١٠٦ ـ قصة الإيمان/ الشيخ نديم الجسر
١٠٧ ـ الإعجاز الطبي في القرآن الكريم/ السيد الجميلي
١٠٨ ـ الإسلام والحقائق العلمية/ محمود القاسم
١٠٩ ـ التوحيد/ د. عبد المجيدالزنداني
١١٠ ـ القرآن وعلوم العصر/ إبراهيم عراجي ـ الموسوعات العالمية
١١١ ـ روح الدين الإسلامي/ عفيف طبارة/ الإمارات العربية المتحدة/ المجمع الثقافي/ أبوظبي
١١٢ ـ سبعون برهاناً علمياً على وجود الذات الإلٓهية/ ابن خليفة عليوي
١١٣ ـ محاضرات في الإعجاز العلمي في القرآن/ د. عبد المجيد الزنداني
١١٤ ـ القرآن والعلم الحديث/ عبد الرزاق نوفل
١١٥ ـ مع اللَّه في السماء/ أحمد زكي
١١٦ ـ مجلة منار الإسلام/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبوظبي/
١١٧ ـ مجلة الوعي الإسلامي/ دولة الكويت
١١٨ ـ مجلة الإعجاز العلمي/ المملكة العربية السعودية/ مكة المكرمة
١١٩ ـ مجلة أكاديمية البحث العلمي/ القاهرة
١٢٠ ـ مجلة علم وعالم/ دولة الكويت
١٢١ ـ مجلة العلوم/ دولة الكويت/ مؤسسة الكويت للتقدم العلمي
١٢٢ ـ المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ دولة الإمارات العربية/ دبي

١٢٣ ـ الموسوعة العالمية/ دولة الإمارات
١٢٤ ـ الموسوعة البريطانية/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ المجمع الثقافي/ أبوظبي
١٢٥ ـ الموسوعة الأمريكية/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبوظبي/ المجمع الثقافي
١٢٦ ـ الموسوعة العربية/ دار الفكر/ دمشق ٨ أجزاء
١٢٧ ـ الموسوعة الإسلامية/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ المجمع الثقافي/ أبوظبي
١٢٨ ـ الموسوعة البريطانية/ لعالم الطبيعة/ دولة الإمارات العربية المتحدة/ أبوظبي/ المجمع الثقافي
١٢٩ ـ مجلة نيتشر العلمية المتخصصة
١٣٠ ـ موقع سبيس دوت كوم على الإنترنت Space.com
١٣١ ـ نشرات NASA وكالة ناسا الفضائية الأمريكية
١٣٢ ـ نشرات وكالة ESA ايسا الفضائية الأوروبية
١٣٣ ـ مجلة نيو بانتشت العلمية المتخصصة
١٣٤ ـ جريدة الاتحاد الإماراتية أبوظبي/ دولة الإمارات العربية المتحدة
١٣٥ ـ جريدة الخليج الإماراتية الشارقة/ دولة الإمارات العربية المتحدة
١٣٦ ـ نشرات معهد بروكهافن الوطني/ نيويورك
١٣٧ ـ نشرات مركز هارفارد سيمبشونيان للفيزياء الفضائية
١٣٨ ـ نشرات الجمعية الفيزيائية الأمريكية
١٣٩ ـ نشرات معهد علم الفلك / جامعة كمبريدج
١٤٠ ـ الكون ذلك المجهول/ جلال عبد الفتاح
١٤١ ـ الكون بين العلم والإيمان/ محمد صبحي
١٤٢ ـ الخيوط الخفية/ محمد عيسى داود

فهرس محتويات الجزء الثالث

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

فهرس محتويات الجزء الرابع

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع